

سند
نهج البلاغة

القسم الاول

خطب

امير المؤمنين (ع)

تأليف

ميرزا حسين الخليلي

تحقيق

السيد محمد جواد الحسيني الجلاي



The Open School

P.O. BOX 53573

CHICAGO, IL 60653-0398

هوية الكتاب

الكتاب: مسند نهج البلاغة

تأليف : السيد محمد حسين الجلاي

تحقيق : محمد جواد الحسيني الجلاي

الطبعة: الاولى ١٤٢٢ هـ

الفلم والالواح الحساسة: زنكغراف قم

الناشر: المحقق

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

صف الحروف والإخراج الفني :

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للمحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملاحظة هامة

مسند نهج البلاغة يتضمن كتابين :

الكتاب الاول :

دراسة حول نهج البلاغة و قد طبع بهذا العنوان في مؤسسة
الاعلمي للمطبوعات بيروت عام ١٤٢١ .

الكتاب الثاني :

اسانيد نصوص نهج البلاغة ويحتوي على مقدمة و اقسام ثلاثة
حسب اقسام النهج وخاتمة .

المقدمة في منهج التأليف

القسم الاول في الخطب

القسم الثاني في الرسائل

القسم الثالث في الحكم

الخاتمة في حصيلة البحث

و يجد الباحث جدولا لتسلسل النصوص بالمقارنة بين الطبقات
المختلفة من نهج البلاغة في مقدمة المؤلف .

[الخطبة الاولى]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «وهذه الخطبة رواها صاحب بحار الانوار في «ص ١١٣» من كتاب «الحكمة والمواعظ» لعلي بن محمد الواسطي رواها قطب الدين في شرحه بسند متصل بمولانا أمير المؤمنين عليه السلام على ما قيل، ورواها الشيخ ابو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج الى قوله عليه السلام: ثم انشاء سبحانه فتق الاجواء. ورواها الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتاب مطالب السؤل إلى قوله عليه السلام: ومنهم الثابتة في الارضين السفلى أقدامهم. وروى بدله: «ومنهم الكرام الكاتبون اعمال خلقه الشاهدين على بريته يوم يبعثون، ومنهم غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون». وروى القاضي محمد بن سلامة القطاعي بعض هذه الخطبة قال: وقال عليه السلام في توحيد الله عز وجل: «إن أول الديانة معرفة الله»، ثم أتبع هذه الكلمة بجمل من الفقرات المذكورة في هذه الخطبة. (انتهى)^(١)

قال الجلالى: ارويها بالاسناد عن سعيد بن هبة الله الراوندي (ت / ٥٧٣ هـ) فقد أورد هذه الخطبة الاولى نصاً وشرحاً واسناداً، وحيث ان الراوندي اورد سنده الى الرضي في اول الكتاب وسند هذه الخطبة في آخر الخطبة اورد هما معاً هنا، قال الراوندي ت / ٥٧٣ هـ في اول الكتاب مانصّه:

٢١- أخبرنا السيد ابوالصمصام ذوالفقار بن محمد بن معبد الحسيني.

٢٢- قال: أخبرنا الشيخ ابو عبدالله محمد بن علي الحلواني.

٢٣- قال السيد الرضي رضي الله عنه وأرضاه...^(٢)

(١) مدارك نهج البلاغة: ٦٨.

(٢) منهاج البراعة ١: ٥-٦، ط / ١٤٠٦ هـ.

وقال في آخر الخطبة مانصه: «واما رواية الخطبة، فعن الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن الحلبي.

٢٤- عن الشيخ أبي جعفر الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ).

٢٥- عن الشيخ المفيد أبي عبد الله الحارثي (ت / ٤١٣ هـ)

٢٦- اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب.

٢٧- اخبرنا الحسن بن علي الزعفراني

٢٨- اخبرنا ابواسحاق ابراهيم بن محمد الثقفي (ت / ٢٨٣ هـ) صاحب كتاب

الغارات وغيره.

٢٩- اخبرنا أبو الوليد العباس بن بكار الضبي [البصري].

٣٠- حدثنا ابوبكر الهذلي [محمد بن مسلم بن عبيد الله (ت / ١٢٤ هـ)] وعيسى بن

زيد [ابن الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام]

٣٢- عن صالح بن كيسان [مولي بني غفارا].

٣٣- عن أمير المؤمنين عليه السلام ^(١)

وقال الراوندي (ت / ٥٧٣ هـ) بعد ايراد الخطبة نصاً وشرحاً واسناداً مالفظه: «ولو

أردت ذكر ما حذفه الرضي من الخطبة لطال هذا الكتاب» ^(٢)

وهذا يؤكد ما اشرنا اليه في المقدمة من اسلوب الرضي وانه مبني على الانتقاء دون

الاستقصاء.

ومن التعقيبات: مارواه أئمة اهل البيت رواية الابناء عن الآباء من تراث جدّهم على

بن أبي طالب عليه السلام، منها: رواية عن الامام الصادق عليه السلام (ت / ١٤٨ هـ) مقاطع، منها:

بالاسناد عن محمد بن يعقوب الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في الكافي: عن علي بن محمد،

عن سهل بن زياد، عن شباب الصيرفي، واسمه محمد بن الوليد، عن علي بن سيف بن

(١) منهاج البراعة ١: ١٠٧-١٠٩، ط / ١٤٠٦ هـ.

(٢) منهاج البراعة ١: ١٠٩، ط / ١٤٠٦ هـ.

عميرة قال: حدثني إسماعيل بن قتيبة قال: دخلت أنا وعيسى شلقان ^(١) على أبي عبد الله عليه السلام فابتدأنا فقال: عجباً لأقوام يدعون على أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يتكلم به قط ، خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بالكوفة فقال: الحمد لله الملهم عباده حمده وفطرهم على معرفة ربوبيته ، الدال على وجوده بخلقه وبحدوث خلقه على أزاله وباشتباههم على أن لا شبه له ، المستشهد بآياته على قدرته ، الممتنعة من الصفات ذاته ومن الابصار رؤيته ومن الاوهام الاحاطة به ، لا أمد لكونه ^(٢) ولا غاية لبقائه ، لا تشمله المشاعر ، ولا تحجبه الحجب ، والحجاب بينه وبين خلقه خلقه إياهم ، لا تمتناعه مما يمكن في ذواتهم ولا مكان ^(٣) مما يتمتع منه ، ولا فتراق الصانع من المصنوع ، والحاد من المحدود ، والرب من المربوب ، الواحد بلا تأويل عدد ، والخالق لا بمعنى حركة ، والبصير لا بأداة ، والسميع لا بتفريق آلة ، والشاهد لا بمماسة ، والباطن لا باجتنان ، والظاهر البائن لا بتراخي مسافة ، أزاله نهية لمجاول الافكار ودوامه ردع لطامحات العقول قد حسر كنهه نوافذ الابصار وقمع وجوده جوائل الاوهام ، فمن وصف الله فقد حده ، ومن حده فقد عده ، ومن عده فقد أبطل أزاله ، ومن قال: أين ؟ فقد غياه ، ومن قال: علام ؟ فقد أخلا منه ومن قال: فيم ؟ فقد ضمنه .

(١) شلقان - بفتح المعجمة واللام ثم القاف - لقب عيسى بن أبي منصور ، ما لم يتكلم به قط كأنه عليه السلام اراد بذلك شيئاً من الغلو أو عن تشبيه الله تعالى وادعاه ألوهيته وامثال ذلك .
(٢) لان كونه وجود صرف متمجد عن الليالي والايام والشهور والاعوام والحدود والانات والاقوات والساعات ، ولا غاية لبقائه لان بقاءه بقاء حقيقي متقدس عن الاستمرار الامتدادي والكون الزماني (الوافي) .

(٣) ولا مكان - بالتثنية بحذف المضاف إليه - أي لا مكان ذواتهم . وفي توحيد الصدوق هكذا: «ولا مكان ذواتهم مما يتمتع منه ذاته» ، وهو الصواب ، وكان اللفظتين سقطتا من قلم النساخ (الوافي) . بلا تأويل عدد بان يكون له تعالى : ثان من نوعه ، أو يكون مركباً فيطلق عليه الواحد بتأويل أنه واحد من نوع مثلاً ، ولا بمعنى حركة ، أي جسمانية أو نفسانية ، ولا بتفريق آلة ؛ أي لا بآلة مغايرة لذاته أو بادخال شئ فيها ، فانه يتضمن التفريق . وفي التوحيد: «السميع لا بأداة البصر البصير لا بتفريق آلة» . (مرآت العقول) الاجتنان: الاستتار ، أي انه باطن بمعنى ان العقول والافهام لا تصل إلى كنهه لا باستناره بستر وحجاب أو علم البواطن ، لا بالدخول فيها والاستتار بها ، والنهية - بضم النون وسكون الهاء وفتح الياء - اسم من نهاه ، ضد أمره ، والمجاول بالجيم جمع مجول بفتح الميم ، وهو مكان الجولان أو زمانه أو مصدر ، والردع: المنع . والقمع : القلع ، والجوائل جمع جائل أو جائلة من الجولان . (مرآت العقول) .

ورواه محمد بن الحسين ، عن صالح بن حمزة ، عن فتح بن عبد الله مولى بني هاشم ، قال: كتبت إلى أبي إبراهيم عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد ، فكتب إليّ بخطه : الحمد لله الملهم عباده حمده - وذكره مثل ما رواه سهل بن زياد إلى قوله - : وقمع وجوده جوائل الاوهام - ثم زاد فيه - : أول الديانة به معرفته ، وكمال معرفته توحيده ، وكمال توحيده نفي الصفات عنه ، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة ، وشهادتهما جميعا بالتثنية الممتنع منه الازل ، فمن وصف الله فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عده ، ومن عده فقد أبطل أزله ، ومن قال: كيف ؟ فقد استوصفه ، ومن قال: فيم ؟ فقد ضمنه ، ومن قال: على م ؟ فقد جهله ، ومن قال: أين ؟ فقد أخلى منه ، ومن قال: ما هو ؟ فقد نعته ، ومن قال: إلى م ؟ فقد غاياه ، عالم إذ لا معلوم وخالق إذ لا مخلوق ، وربّ إذ لا مربوب ، وكذلك يوصف ربنا وفوق ما يصفه الواصفون .^(١)

ومنها: رواية على بن موسى الرضا عليه السلام (ت / ٢٠٢ هـ) بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في التوحيد، قال : حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق عليه السلام ، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي ، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي ، قال: حدثني علي بن العباس ، قال: حدثني جعفر بن محمد الاشعري ، عن فتح بن يزيد الجرجاني ، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد فكتب إليّ بخطه - قال جعفر : وإن فتحا أخرج إلى الكتاب فقرأته بخط أبي الحسن عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الملهم عباده الحمد ، وفاطرهم على معرفة ربوبيته ، الدال على وجوده بخلقه ، ويحدوث خلقه على أزله ، وبأشباههم على أن لا شبه له ، المستشهد آياته على قدرته ، الممتنع من الصفات ذاته^(٢) ومن الابصار رؤيته ، ومن الاوهام الاحاطة به ، لا أمد لكونه ، ولا غاية لبقائه ، لا يشمله المشاعر ، ولا يحجبه الحجاب ، فالحجاب بينه وبين خلقه لا متناعه مما يمكن في ذواتهم ، ولا مكان ذواتهم مما يمتنع منه ذاته ،

(١) الكافي ؛ للشيخ الكليني ١ : ١٣٩ ١٤١ .

(٢) أي من الوصف؛ إذ لا يدرك ذاته حتى توصف ، أو المعنى ليس مقام أحدية ذاته مقام الصفات والاسماء إذ ليس في ذلك المقام الشامخ اسم ولا صفة ولا إشارة ولا معرفة .

ولافتراق الصانع والمصنوع والرب والمربوب، والحاد والمحدود، أحد لا بتأويل عدد، الخالق لا بمعنى حركة^(١)، السميع لا بأداة، البصير لا بتفريق آلة، الشاهد لا بمماساة، البائن لا ببراح^(٢)، مسافة، الباطن لا باجتان، الظاهر لا بمحاذاة، الذي قد حسرت دون كنهه نواقذ الابصار، وامتنع وجوده جوائل الاوهام. أول الديانة معرفته، وكمال المعرفة توحيده، وكمال التوحيد نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة، وشهادتهما جميعا على أنفسهما بالبيئة الممتنع منها الازل، فمن وصف الله فقد حده، ومن حده فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزلّه، ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه، ومن قال: على م؟ فقد حمله، ومن قال: أين؟ فقد أخلى منه، ومن قال: الى م؟ فقد وقّته، عالم إذ لا معلوم، وخالق إذ لا مخلوق، ورب إذ لا مربوب، وإله إذ لا مألوه وكذلك يوصف ربنا، وهو فوق ما يصفه الواصفون.^(٣)

وروى الحسن بن شعبة الحراني (ت / ٣٣٦- ح) مقاطع منه في تحف العقول ص ٤٣ - ٤٦، ط / النجف ١٣٨٥ هـ، وكذلك الاسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) مرسلًا في المعيار والموازنة، الصفحات (٢٥٤ - ٢٥٧) ط / ١٤٠٢ هـ.

ومن الموافقات: ما نقله المجلسي (ت / ١١١١ هـ) عن الواسطي بالنص الآتي، قال ما لفظه: ومن كتاب عيون الحكمة والمواعظ لعلي بن محمد الواسطي من خطبه صلوات الله عليه. الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماء العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن^(٤) الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه، أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال

(١) أي ليس ايجاده بالحركة كايجادنا.

(٢) البراح بمعنى الزوال أي بائن عن خلقه لا يبعده عنهم بالمسافة.

(٣) التوحيد؛ للشيخ الصدوق: ٥٦ - ٥٧.

(٤) الفطن: جمع فطنة. وغوصها: استغراقها في بحر المعقولات.

الاخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزّاه ، ومن جزّاه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار إليه ^(١) ومن أشار إليه فقد حده ، ومن حده فقد عدّه ، ومن قال: فيم؟ فقد ضمنه ، ومن قال: علام؟ فقد أخلى منه ، كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنة ، وغير كل شيء لا بمزايلة ، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة ، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه ، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ، ولا يستوحش لفقده .

أنشأ الخلق إنشاءً ، وابتدأه ابتداءً ، بلا رويّة أجالها ، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة أحدثها ، ولا همامة نفس اضطرب فيها ^(٢) ، أحال الأشياء لأوقاتها ، ولائم بين مختلفاتها ، وغرّز غرائزها ، وألزمها أشباحها ^(٣) عالما بها قبل ابتداءها ، محيطا بحدودها وانتهائها ، عارفا بقرائنها وأحنائها ^(٤) .

ثم أنشأ سبحانه فتقّ الاجواء ، وشقّ الأرجاء ، وسكّك الهواء ، فأجرى ^(٥) فيها ماء متلاطما تيّاره ^(٦) متراكما زخاره ، حمله على متن الريح العاصفة ، والززعز القاصفة ، فأمرها برده ، وسلطها على شدة ، وقرنها إلى حده . الهواء من تحتها فتيق ، والماء من فوقها دفيق .

(١) هذه الجملة لم ترد في بعض النسخ المخطوطة العتيقة ولا في شرحي ابن ميثم وابن أبي الحديد . والظاهر أنها زيادة من النساخ ، وفي البحار الطبعة المعروفة بكمباني شطب عليها الكاتب بعدما كتبها . وليس لها معنى مستقيما صحيحا إلّا بتكلف . وراجع «إرشاد المؤمنين الى شرح نهج البلاغة المبين» .

(٢) همامة نفس - بالفتح - اهتمامها بالامور وقصدها إليه والاضطرب الحركة والحركة في الهمامة الانتقال: من رأى إلى رأى . والاحالة بمعنى التحويل والنقل .

(٣) الاشباح: الاشخاص .

(٤) الاخناء جمع حنو - بالكسر - أي الجانب وفي كلامه دلالة على جواز اطلاق العارف عليه سبحانه .

(٥) السكاكة - بالضم - الهواء الملاقي أعناق السماء جمعها سكائك .

(٦) التيار: الموج . والمتراكم: ما يكون بعضها فوق بعض ، والزخار: الشديد الزخر أي الامتداد والارتفاع .

ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها ، وأدام مربها ^(١) وأعصف مجراها ، وأبعد منشأها ، فأمرها بتصفيق الماء الزخار ، وأثارة موج البحار ، فمخضته مخض ^(٢) السقاء ، وعصفت به عصفتها بالفضاء ، ترد أوله إلى آخره ، وساجيه إلى مآثره ، حتى عبّ عبابه ^(٣) ورمى بالزبد ركامه . فرفعه في هواء منفثق ، وجو منفهق ^(٤) فسوّى منه سبع سماوات ، جعل سفلاهن موجا مكفوبا ^(٥) ، وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا ، بغير عمد يدعمها ، ولا دسار ^(٦) ينتظمها . ثم زيّتها بزينة الكواكب ، وضياء الثواقب ^(٧) ، وأجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا ، في فلك دائر ، وسقف سائر ، ورقيم مائر ^(٨) .

ثم فتق ما بين السماوات العلى ، فملأهن أطوارا من ملائكته ، منهم سجود لا يركعون ، وركوع لا ينتصبون ، وصاقون لا يتزايلون ، ومسبحون لا يسأمون ^(٩) ، لا يغشاهم نوم العيون ، ولا سهو العقول ، ولا فترة الابدان ، ولا غفلة النسيان ، ومنهم امناء على وحيه ، وألسنة إلى رسله ، ومختلفون بقضائه وأمره . ومنهم: الحفظة لعباده ، والسدنة لآبواب جنانه ، ومنهم: الثابتة في الارضين السفلى أقدامهم ، والمارقة من السماء العليا أعناقهم ، والخارجة من الاقطار أركانهم ، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم ، ناكسة دونه أبصارهم ، متلفعون تحته بأجنحتهم ^(١٠) مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة ، وأستار القدرة ،

(١) أي جعل هبوبها عقيبا والرياح العقيم التي لا تلتفح سحابا ولا شجرا وكذلك كانت تلك الرياح . والمرب مصدر ميمي من أرب بالمكان مثل الب به أي لازمه " فادام مربها " أي ملازمها أو ان ادام من ادمت الدلو ملاتها . والمرب : بكسر اوله المكان والمحل .

(٢) التصفيق : التحريك . ومخضته : حركته بشدة .

(٣) الساجي : الساكن . والمائر : الذي يذهب ويبجئ أو المتحرك مطلقا . وعب أي ارتفع ، والعباب بالضم معظم الماء وكثرته وارتفاعه . والركام : ثبجه وما تراكم منه بعضه على بعض .

(٤) الانفهاق : الاتساع .

(٥) المكفوف : الممنوع من السيلان .

(٦) يدعمها أي يسندها ويحفظها من السقوط . والدسار : المسمار أو الخيوط التي تشد بها الواح السفينة من ليف ونحوه .

(٧) الثواقب : المنيرة المشرقة .

(٨) مستطيرا أي منتشر الضياء وهو الشمس . والرقيم : اسم من اسماء الفلك أو هو الكهكشان؛ لانه مرقم بالكواكب . والمائر المتحرك .

(٩) سجود جمع ساجد وكذا ركوع . سئم من الشئ مل منه .

(١٠) متلفعون ، من تلفعت بالثوب اذا التحفت به .

لا يتوهمون ربهم بالتصوير ، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ، ولا يحدونه بالاماكن ، ولا يشيرون إليه بالنظائر .

ومنها: في صفة خلق آدم ﷺ: ثم جمع سبحانه من حزن الارض ^(١) وسهلها وعذبها وسبخها تربة سننها بالماء حتى خلصت ^(٢) ، ولاطها بالبلّة حتى لزبت ^(٣) ، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول ^(٤) وأعضاء وفصول ، أجمدها حتى استمسكت ، وأصلدها حتى صلصلت ^(٥) لوقت معدود ، وأجل معلوم ، ثم نفخ فيها من روحه ، فمثلت إنسانا ذا أذهان يجيلها وفكر يتصرف بها ، وجوارح يخدمها ^(٦) وأدوات يقلبها ، ومعرفة يفرّق بها بين الحق والباطل ، والاذواق والمشام والالوان والاجناس ، معجونا بطينة الالوان المختلفة ، والاشباه المؤتلفة ، والاضداد المتعادية ، والاخلاط المتباينة ، من الحر والبرد والبلّة والجمود ، والمساءة والسرور ، واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم ^(٧) ، وعهد وصيته إليهم في الازعان بالسجود له ، والخشوع لتكريمته ، فقال: سبحانه: ﴿اسجدوا لادم فسجدوا إلا ايليس﴾ وقبيله اعترته الحمية ، وغلبت عليه الشقوة ، وتعزز بخلقة النار ، واستوهن خلق الصلصال . فأعطاء الله النظرة استحقاقا للسخطة ، واستتماما للبلية ، وإنجازا للعدة ، فقال: ﴿إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ ^(٨).

ونقل شيخنا العلامة ﷺ عن رياض العلماء أن علي بن محمد بن سالم المؤدب الليثي الواسطي صاحب عيون الحكم له كتاب في اخبار فضائل اهل البيت، فرغ منه في سنة

(١) الحزن بالفتح فالسكون : المكان الغليظ الخشن كالجبل . والسيخ ما ملح من الارض .
(٢) سن الماء : صبه من غير تفريق واما الصب المتفرق فهو الشن بالمعجمة . وخلصت أي صارت طينة خالصة . وفي بعض النسخ من النهج " حتى خضلت بتقديم الضاد المعجمة على اللام أي ابتلت .

(٣) لاظها أي خلطها وعجنها . ولزبت - بفتح الزاي - أي التصقت وثبتت .

(٤) الوصول الفصول باعتبار .

(٥) أصلدها أي جعلها صلبة . وأصلد من الحجر الصلب الاملس . وقيل: صلبت حتى تسمع لها صلصلة إذا هبت عليها رياح فلذلك سماه الله الصلصال .

(٦) أي يجعلها في مأربه وأوطاره ، كالخدم الذين يستعملهم في خدمته .

(٧) أي طلب منها اداءها .

(٨) سورة ص : ٨١ و٨٢ . بحار الأنوار : للعلامة المجلسي ٧٤ : ٣٠٠ - ٣٠٣ .

٤٥٧هـ. قال الجلالي: فراجع الخلاف بين الكتابين: عيون الحكمة - بالافراد - وعيون الحكم بالجمع. ومن المحتمل جداً تعدد الكتاب والمؤلف، وان المجلسي ينقل من الاول دون الثاني، فتأمل.

ونقل المجلسي أيضاً مطلع الخطبة في البحار ٧٥: ١٧٦ - ١٧٨ ثم قال: ان في مطالب السؤال لابن طلحة مثله بأدنى تغيير ثم قال: «ايضاح؛ قد مضى شرح أكثر فقرات هذه الخطبة في كتاب التوحيد، ونشير هنا الى بعض ما يناسب المقام»، ثم شرحه في المجلد ٥٧، الصفحات ١٧٨ - ١٩٢. وذكر البغدادى (ت / ١٣٣٩ هـ) في ايضاح المكنون (٢): ٤٩٩) مطلب السؤال - بالافراد - في مناقب الرسول؛ لابي سالم محمد بن طلحة بن الحسن بن محمد الحفار النصيبى كمال الدين الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ، فراجع. كما وُزِعَ المجلسي مقاطع من الخطبة في موارد متعددة من كتابه بحار الانوار اشترت اليها في دليل البحار، ونستغني عنها.

[الخطبة الثانية]

من التعقيبات: رواية أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري (ت / ٣٢٦ - ح) في كتابه المسترشد، طبعة المطبعة الحيدرية في النجف (د. ت)، فقد نقل سطرًا من المقطع الرابع من هذه الخطبة بزيادة ونصّها: وقال ﷺ أيضًا في خطبة أخرى: هلك من قارن حسدا، وقال: باطلا، ووالى على عداوتنا أو شك في فضلنا، أنه لا يقاس بنا آل محمد من هذه الامة أحد، ولا يسوى بنا من جرت نعمتنا عليهم، نحن أطول الناس أغراسا، ونحن أفضل الناس أنفاسا، ونحن عماد الدين، بنا يلحق التالي، وإلينا يفئ الغالي، ولنا خصائص حق الولاية، وفيها الوصية والوراثة، وحجة الله عليكم في حجة الوداع يوم غدير خم، وبذي الحليفة، وبعده المقام الثالث بأحجار الزيت، تلك فرائض ضيّعتموها، وحرّمت إنتهكتموها، ولو سلمتم الامر لاهله سلمتم، ولو أبصرتم باب الهدى رشدتم^(١). اللهم إني قد بصّرتهم الحكمة، ودللتهم على طريق الرحمة، وحرصت على توفيقهم بالتنبيه والتذكرة، ودللتهم على طريق الجنة بالتبصّر والعدل والتأنيب، ليثبت راجع، ويقبل ويتعظ مذكر، فلم يطع لي قول. اللهم إني أعيد القول ليكون أثبت للحجة عليهم: يا أيها الناس، إعرفوا فضل من فضّل الله، وإختاروا حيث إختار الله، واعلموا أن الله قد فضلنا أهل البيت بمثّه حيث يقول: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» فقد طهّرنا من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومن كل دنية وكل رجاسة، فنحن على منهاج الحق ومن خالفنا فعلى منهاج الباطل، والله لئن خالفتم أهل بيت نبيكم لتخالفن الحق، إنهم لا يدخلونكم في ردى، ولا يخرجونكم من باب هدى، ولقد علمتم وعلم المستحفظون من أصحاب رسول الله ﷺ أنني وأهل بيتي مطهرون من

(١) وفي شرح نهج البلاغة لمحمد عبده الخطبة الثانية ط القاهرة ص ٢٤ هكذا: لا يقاس بآل محمد ﷺ من هذه الامة أحد، ولا يسوي بهم من جرت نعمتهم عليهم».

الفواحش ، ولقد قال: ﷺ : لا تسبقوهم فتضلوا ، ولا تخالفوهم فتجهلوا ، ولا تخلّفوا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم كبارا ، وأحكمكم صغارا ، وإتبعوا الحق وأهله حيث كانوا ، قد والله فرغ من الامر ، لا يزيد فيمن أحبني رجل منهم ولا ينقص منهم رجل وذلك أن رسول الله ﷺ قال لي : يا علي ، إن الله قد أخذ من شيعتك الميثاق ، لا يزيد فيهم رجل ولا ينقص منهم رجل ، أنت وشيعتك في الجنة. (١)

وقال العلامة المجلسي في «بحار الأنوار» بإسناده عن أمالي الطوسي : أبو القاسم بن شبل عن ظفر بن حمدون عن إبراهيم بن إسحاق عن أبي جعفر الطالبي (٢) عن محمد بن خالد التميمي عن علي بن أبان عن ابن نباتة قال : كنت جالسا عند أمير المؤمنين ﷺ فأتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إني لأحبك في السر كما أحبك في العلانية . قال : فنكت (٣) أمير المؤمنين ﷺ بعود كان في يده في الأرض ساعة ثم رفع رأسه فقال : كذبت ، والله ما أعرف وجهك في الوجوه ولا اسمك في الأسماء ، قال الأصمغ : فعجبت من ذلك عجا شديدا فلم أبرح حتى أتاه رجل آخر فقال : والله يا أمير المؤمنين إني لأحبك في السر كما أحبك في العلانية . قال : فنكت بعوده ذلك في الأرض طويلا ثم رفع رأسه فقال : صدقت إن طينتنا طينة مرحومة ، أخذ الله ميثاقها يوم أخذ الميثاق فلا يشذ منها شاذ ولا يدخل فيها داخل إلى يوم القيامة. (٤)

ومن الموافقات: بالاسناد عن المجلسي (ت / ١١١١ هـ) في البحار المجلد ٧٧ ص ٣٣١ ، طبعة ١٣٨٦ هـ ، نقلا من كتاب مطالب السؤل لمحمد بن طلحة الشافعي (ت / ٦٥٢ هـ) المقاطع الثلاثة الاولى الى قوله ﷺ : «وجاهلها مكرم».

(١) المسترشد ، لمحمد بن جرير الطبري : ٣٩٩.

(٢) في نسخة : عن أبي جعفر البطائني .

(٣) نكت الأرض بقضيب أو بإصبعه : ضربها به حال التفكير فآثر فيها .

(٤) بحار الأنوار ، للعلامة المجلسي ٢٦ : ١١٧.

[الخطبة الثالثة]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخرّيج: قال السيد عليه السلام: ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالششقية وأسمائها في القاموس «الششقية العلوية» وغيره «بالمقّمصة» وقد رواها عن أمير المؤمنين عليه السلام جمع كثير من أهل العلم بالاخبار والسيرالتاريخ من الخاصة والعامة، ممن وجدوا قبل عصر الشريف الرضي وقبل مولده؛ قال الشارح العلامة الفيلسوف الشيخ كمال الدين ميثم في شرحه: «لقد وجدت هذه الخطبة في موضعين تاريخها قبل مولد الرضي بمدة، أحدهما: انها مضمنة كتاب الانصاف؛ لابي جعفر بن قبة، تلميذ أبي القاسم الكلبي، أحد شيوخ المعتزلة، وكانت وفاته قبل مولد الرضي.

الثاني: وجدتھا بنسخة عليها خط الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات، وكان وزير المقتدر بالله، وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة؛ قال: والذي يغلب على ظني أن تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة؛ وقال الشارح الفاضل الشيخ عز الدين عبد الحميد في شرحه: لقد وجدت كثيرا من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي، امام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة؛ ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة، أحد متكلمي الامامية، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب «الانصاف» وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله موجوداً، ونقل عن الشيخ أبي عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب انه قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتھا مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء واهل الادب، قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي.

ونقل عن شيخه أبي الخير مصدق بن شبيب الواسطي إنه لما قال لابن الخشاب: أتقول إنها منحولة؟ فقال: لا والله، أني لا علم أنها كلامه ع كما أعلم أنك مصدق؛ قال: فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون إنها من كلام الرضي. فقال: اني للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الاسلوب، قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفته في الكلام المنشور، وما يقع مع هذا الكلام في خل ولا خمر. ثم قال: والله لقد وقفت... إلى آخر ما تقدم ذكره، هذا ما ذكره الشارحان، وهو مما لا يدع سبيلاً لاثهام الشريف بانتحال أو وضع، وفيه من الدلالة على أنها من كلام أمير المؤمنين ما يقتنع به المنصف، مع ما يراه في الخطبة من جزالة الالفاظ، وروعة الاسلوب، وحسن الانسجام، وبديع النظام، والاشمال على محاسن الصنعة، التي لا تجدها في كلام أي خطيب كان غير كلام امير المؤمنين، ثم ان وصف السيد لها دون غيرها من سائر خطب الكتاب بالمعروفة بالشقشقية دليلاً على شهرتها، ومعروفها بين الناس، وقد ذكرها اللغويون كصاحب النهاية وصاحب القاموس وصاحب مجمع البحرين، ورواها العلماء والمحدثون في زبرهم، فمنهم الشيخ الثقة الصدوق، فانه رواها في كتابيه؛ كتاب علل الشرائع في باب العلة التي من أجلها ترك الناس عليا مع معرفتهم بفضلها، بسند معتبر من رجاله: البرقي وابن أبي عمير وأبان بن عثمان وأبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس؛ وكتاب «معاني الاخبار» في باب معاني خطبة أمير المؤمنين عليه السلام بسند آخر فيه جماعة من الثقات عن علي بن خزيمة عن عكرمة، وليس فيها التمثيل بقوله: (شتان ما يومي على كورها... الخ) وعبارات هذه الخطبة المروية شتى، ولكن المعنى واحد، وقد رواها الشيخ المفيد أستاذ الشريف الرضي في كتابه «الارشاد»، قال: وقد روى جماعة من أهل النقل بطرق مختلفة عن ابن عباس، وقد رويت في كتب جماعة من العلماء كما في الكتب المتقدم ذكرها، وفي كتاب «نثر الدر» وعن «نزهة الاديب»، وغيرها ولم يظهر منهم التعويل في نقلها على كتاب النهج، فلا بد وأن يكونوا قد نقلوها عن مصادر اخر، كما ان المصادر لا بد وأن تكون مختلفة، لاختلاف مروياتهم في بعض الالفاظ وبعض الفقرات، فلا يبقى اذن مجال للتشكيك في نسبتها الى

أمير المؤمنين عليه السلام ولئن تطرّق الريب أو الشك في بعض خطب النهج، فهذه مما لا يتطرق ذلك إليها أصلاً. (والذي أظنه) أن هذه وما أشبهها مما يوجد في النهج هي التي ألجأت جماعة من الناس إلى الجحد والانكار لما يترتب على الاعتراف بها من أمور لا يمكنهم دفعها، ولا يمكنهم الالتزام بها، وأما التشكيك فيها فلما اشتملت عليه من القدح والثلث، وهو أمر قد جرى بين الصحابة، بل جرى ما هو أعظم من ذلك.

ولما فيها من الجهر بالكلام على قوم لهم في نفوس عامة للناس أكبر منزلة وأرفع مرتبة، هذا كسابقه في الوهن فإن الرواة لم يذكروا أنه عليه السلام ألقاها على جمهور من الناس، فلعله ألقاها على جماعة من أصحابه وخواصه، فانها لم تكن مسبقة بما تسبق به الخطب من النداء بالصلوة جامعة، والتصدير بالحمد والصلوة، فكان الاجدر أن يقال: «من كلام له عليه السلام، وإن أمكن تصحيح اطلاق الخطبة عليها»^(١).

وقال العرشي في التخريج مانصه: «وروى هذه الخطبة عدة العلماء في كتبهم منهم:

١ - أبو جعفر أحمد بن خالد البرقي الشيعي المتوفى ٢٧٤ هـ [٨٨٧ م] في كتاب المحاسن والاداب.

٢ - إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي المتوفى ٢٨٣ هـ [٨٩٦ م] في كتاب الغارات.

٣ - أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي البصري المعتزلي المتوفى ٣٠٣ هـ [٩١٦ م].

٤ - أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي المعتزلي المتوفى ٣١٩ هـ [٩٣١ م] في كتاب الانصاف.

٥ - أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي المتكلم الشيعي تلميذ أبي القاسم البلخي في كتابه.

٦ - أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الشيعي الشهير بالشيخ الصدوق المتوفى ٣٨١ هـ [٨٩٤ م]. في كتاب علل الشرائع [٦٨] ومعاني الأخبار

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٣.

[ج ١ ص ١٣٢].

٧ - أبو عبد الله محمد بن النعمان الشيعي المعروف بالشيخ المفيد المتوفى ٤١٣ هـ [١٠٢٢ م] في كتاب الارشاد [١٦٦].

٨ - شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٦٠ هـ [١٠٦٨ م] في كتاب الامالي [٢٣٧].

وروى هؤلاء الشيوخ هذه الخطبة بأسانيدهم الخاصة.

ورواها الشيخ الصدوق في كتابيه بالسندين التاليين:

١ - «حدثنا محمد بن علي ماجيلويه، عن عمه محمد بن القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه» [علل الشرائع ومعاني الأخبار].

٢ - «حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، ثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي، ثنا أبو عبد الله أحمد بن عمار بن خالد، ثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، ثنا عيسى بن راشد، عن علي بن خزيمة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم». [معاني الأخبار].
(انتهى)^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت) / ٦٥٢ هـ في معاني الأخبار، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني عليه السلام قال: حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي، قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عمار بن خالد، قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال: حدثنا عيسى بن راشد، عن علي بن خزيمة، عن عكرمة، عن ابن عباس. وحدثنا محمد بن علي ماجيلويه، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: والله لقد تقمصها أخوتيم وإنه ليعلم أن محلي منها

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

محل القطب من الرحي ينحدر عنه السيل ، ولا يرتقي إليه الطير ، فسدت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحا ، وطفقت أرثني ما بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء ، يشيب فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي الله ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، أرى تراثي نهبا ، حتى إذا مضى الأول لسبيله عقدها لآخي عدي بعده ، فيا عجبنا بينا هو يستقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، فصيرها والله في حوزة خشاء ، يخشن مسها ، ويغلظ كلمها ، ويكثر العثار والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة إن عنف بها حرن^(١) ، وإن سلس بها غسق ، فمني الناس بتلّون واعتراض وبلوا ، مع هن وهن. فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنني منهم ، فيالله لهم وللشورى ، متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن بهذه النظائر؟ فمال رجل بضبعه^(٢) ، وأصغى آخر لصهره ، وقام ثالث القوم نافجا حضيئه بين ثيابه ومعتلفه ، وقام معه بنو أمية يخضمون مال الله خضم الأبل نبتة الربيع ، حتى أجهز عليه عمله ، فما راعني إلا والناس إليّ كعرف الضبع ، قد انتالوا عليّ من كل جانب ، حتى لقد وطئ الحسان وشق عطاقي ، حتى إذا نهضت بالامر نكثت طائفة وفسقت أخرى ومرق آخرون ، كأنهم لم يسمعوا قول الله تبارك وتعالى : ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾^(٣) بلى والله لقد سمعوا ولكن انحلت الدنيا في أعينهم ، وراقهم زبرجها ، والذي فلق الحبة وبرأ لنسمة لولا حضور الناصر وقيام الحجة وما أخذ الله تعالى على العلماء أن لا يقرّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاريها ، ولسقيت آخرها بكاس أولها ، ولا لفيتكم دنياكم أزهّد عندي من عفطة عنز.

(١) يفتح المهملتين أي وقف .

(٢) كذا ، وفي النهج والعلل : "لضعنه" أي لحقده وحسده . وهذا إشارة إلى سعد بن أبي وقاص ، ولكن يأتي من المؤلف معنى الضبع ، وقال في رواية : بضله .

(٣) القصص : ٨٣ .

قال: وناولته رجل من أهل السواد كتاباً فقطع كلامه وتناول الكتاب فقلت: يا أمير المؤمنين لو اطردت مقاتلك إلى حيث بلغت؟ فقال: ههيات يا ابن عباس! تلك شقشقة هدرت ثم قرت. فما أسفت على كلام قط كأسفي على كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه إذ لم يبلغ حيث أراد.^(١)

وأيضاً: أروها بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في علل الشرائع حيث قال: حدثنا محمد بن علي ماجيلويه، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن احمد بن أبي عبد الله البرقي، عن ابيه عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام فقال: أما والله لقد تقمصتها ابن أبي قحافة، أخو تيم، وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحها، وطفقت ارتأى بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يشيب فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا احبجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى ترائي نهبا، حتى إذا مضى لسبيله فأدلى بها لأخي عدي بعده، فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته فصيرها في حوزة خشناء يخشن مسها ويغلظ كلمها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة أن عنف بها حرن، وأن اسلس بها غسقى، فمني الناس بتلؤن واعتراض وبلوا، وهو مع هن وهن، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني منهم، فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر؟ فمال رجل لضغنه واصغى آخر لصهره، وقام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الابل نبت الربيع، حتى اجهز عليه، عمله، وكبت به مطيته، فما راعني إلا والناس إليّ كعرف الضبع قد ائثالوا عليّ من كل جانب حتى لقد وطئ الحسان، وشق عطفائي، حتى إذا

(١) معاني الأخبار؛ للشيخ الصدوق: ٣٦٠ - ٣٦٢.

نهضت بالامر نكثت طائفة وفسقت اخرى ، ومرق آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله تبارك وتعالى يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ بلى والله، لقد سمعوها ووعوها، لكنهم احلوا الدنيا في اعينهم ، وراقهم زبرجها. أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقرّوا على كظة ظالم ، ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاريها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه عندي أزهد من عطفة عنز .

قال: وناوله رجل من أهل السواد كتاباً فقطع كلامه، وتناول الكتاب ، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أطردت مقالتيك إلى حيث بلغت ؟ فقال: هيهات هيهات يا ابن عباس ، تلك شقشقة هدرت ثم قرّت . قال ابن عباس : فما أسفت على كلام قط كأسفي على كلام أمير المؤمنين ﷺ إذ لم يبلغ به حيث أراد .^(١)

وأيضاً: أرويه بالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في الارشاد، حيث قال مانصّه: وروى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة، عن ابن عباس قال: كنت عند أمير المؤمنين ﷺ بالرحبة ، فذكرت الخلافة وتقدّم من تقدم عليه فيها فتنفس الصعداء ثم قال: " أم والله، لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أنّ محلي منها محل القطب من الرحي ، ينحدر غني السيل ، ولا يرقى إليّ الطير ، لكنني سدلت دونها ثوبا ، وطويت دونها كشحاً^(٢)، وطفقت أرتنى بين أن أصول بيد جذاء^(٣)، أو أصبر على طخية^(٤) عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه ، فرأيت الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجاً من أن أرى ترائي نهبا ، إلى أن حضره أجله فأدلى بها إلى عمر ، فيا عجباً ! بينا هو يستقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد

(١) علل الشرائع ؛ للشيخ الصدوق ١ : ١٥٠ .

(٢) طوى كشحه على الأمر : إذا أضمره وستره " مجمع البحرين ٢ : ٤٠٧ كشح .

(٣) الجذاء : المقطوعة . " الصحاح - جذء : ٥٦١ .

(٤) الطخية : الظلمة . " لسان العرب - طخا - ٥ : ١٥ .

وفاته . لشدما تشطرا ضرعيها .

شتان ما يومي على كورها
ويوم حيان أخي جابر^(١)
فصيرها والله في ناحية خشناء ، يجفو مسها ، ويغلظ كلمها^(٢) فصاحبها كراكب
الصعبة إن أشنق^(٣) لها خرق ، وإن أسلس لها عسف^(٤) ، يكثر فيها العثار ويقل منها
الاعتذار ، فمني الناس - لعمر الله - بخبط وشماس^(٥) وتلؤن واعتراض ، إلى أن حضرته
الوفاة فجعلها شورى بين جماعة زعم أي أحدهم . فيا للشورى والله هم ، متى اعترض
الريب في مع الاولين منهم حتى صرت الآن أقرن بهذه النظائر ، لكنني أسففت إذ أسفوا
وطرت إذ طاروا ، صبرا على طول المحنة وانتقضاء المدة ، فمال رجل لضغنه ، وصفا^(٦)
آخر لصهره ، مع هن وهن ، إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه^(٧) بين نثيله^(٨) ومعتلفه^(٩) ،
وأسرع معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الابل تبتة الربيع ، إلى أن نزت به بطنته وأجهز
عليه عمله ، فما راعني من الناس إلا وهم رسل إلي كعرف الضبع يسألونني أن أبايعهم ،
وانتالوا علي حتى لقد وطىء الحسان وشق عطفائي ، فلما نهضت بالامر نكثت طائفة
ومرقت أخرى وقسط آخرون ، كأنهم لم يسمعوا الله تعالى يقول : ﴿ تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾^(١٠) بلى والله ، لقد
سمعوها ووعوها ، ولكن حليت دنياهم في أعينهم وراقهم زبرجها ، أما والذي فلق الحبة
وبرأ النسمة ، لولا حضور الناصر ، ولزوم الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على أولياء

(١) البيت للاعشى الكبير ، اعشى قيس . وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل . ديوانه : ٩٦ .

(٢) الكلم : الجرح . " الصحاح - كلم : ٥ : ٢٠٢٣ .

(٣) اشنق الراكب دابته : إذا كفها بالزمام وهو راكب . " الصحاح - شنق : ٤ : ١٥٠٤ .

(٤) عسف : أي أخذ على غير الطريق . " الصحاح - عسف - ٤ : ١٤٠٣ .

(٥) شمس الفرس : منع ظهره . " الصحاح - شمس - ٤ : ٩٤٠ .

(٦) صفا : مال . " الصحاح - صفا - ٦ : ٢٤٠١ .

(٧) نافجا حضنيه : كناية عن التكبر والخيلاء . " لسان العرب - نفج - ٢ : ٣٨١ .

(٨) النثيل : الروث . " الصحاح - نثل - ٥ : ١٨٢٥ .

(٩) المعتلف : مكان العلف .

(١٠) القصص : ٨٣ .

الامر ألا يقرأوا على كظة ظالم أو سغب مظلوم ، لالقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها ، ولالفوا دنياهم أزهد عندي من عفتة عنز .

قال: وقام إليه رجل من أهل السواد فناوله كتابا ، فقطع كلامه . قال ابن عباس : فما أسفت على شيء ، ولا تفجعت كتفجعي على ما فاتني من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، فلما فرغ من قراءة الكتاب قلت : يا أمير المؤمنين ، لو اطردت مقالتك من حيث انتهيت إليها ؟ قال: هيهات هيهات يا ابن عباس ، كانت شقشقة هدرت ثم قرت ^(١).

وأيضاً بالاسناد عن الشيخ أبي علي محمد بن الحسن الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في الأمالي قال: أخبرنا الحفار ، قال: حدثنا أبو القاسم الدعبل ، قال: حدثنا أبي ، قال: حدثنا أخي دعبل ، قال: حدثنا محمد بن سلامة الشامي ، عن زرارة بن أعين ، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ، عن ابن عباس ، وعن محمد ، عن أبيه ، عن جده عليه السلام ، قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة ، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا ، ينحدر عني السيل ، ولا يرقى إلي الطير ، ولكني سدت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحا ، وقد طفقنا عنها برهة بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عبياء يرضع فيها الصغير ويدب فيها الكبير . فرأيت الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجا ، بين أن أرى تراث محمد عليه السلام نهبا . إلى أن حضرته الوفاة فأدلى بها إلى عمر ، فيا عجباً ! بينا هو يستقبلها في حياته ، إذ عهد بها وعقدها لآخر بعد وفاته ! لشد ما شاطرا ضرعيها ، ثم تمثل :

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فعقدها - والله - في ناحية خشناء ، يخشن مسها ويغلظ كلمها ، ويكثر العثار والاعتذار فيها ، صاحبها منها كراكب الصعبة ، إن أشنق لها خرم ، وإن أسلس لها عسفت به ، فمني الناس - لعمر الله - بخباط وشماس وتلون واعتراس ، إلى أن مضى لسبيله ، فجعلها شوري بين ستة زعم أي أحدهم ، فيا للشورى ولله ! متى اعترض الريب في مع

(١) الارشاد ؛ للشيخ المفيد ١ : ٢٧٨ - ٢٩٠ .

الاولين فأنا الآن أقرن إلى هذه النظائر! ولكنني أسففت مع القوم حيث أسفوا، وطرت مع القوم حيث طاروا، صبرا لطول المحنة وانقضاء المدة، فمال رجل لضغنه وأصغى آخر إلى صهره مع هن وهن، إلى أن قام الثالث نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه منها، وأسرع معه بنو أبيه في مال الله يخضمون خضم الإبل نبتة الربيع، حتى انتكشت به بطانته، وأجهز عليه عمله. فما راعني من الناس إلا وهم رسل كعرف الضبع، يسألوني أن أبايعهم وآبى ذلك، واثالوا عليّ حتى لقد وطئ الحسان وشق عطاياي، فلما نهضت بها وبالأمر فيها نكشت طائفة، ومرقت طائفة، وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ بلى والله لقد سمعوها، ولكن راقتهم دنياهم وأعجبهم زبرجها. أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الناصر، ولزوم الحجة وما أخذ الله من أولياء الامر من أن لا يقاروا على كظة ظالم وسغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاريها، ولسقيت آخرها بكاس أولها، ولألقوا دنياهم أزهد عندي من عطفة عنز.

فناوله رجل من أهل السواد كتابا فانقطع كلامه، فما أسفت على شيء كأسفي على ما فات من كلامه، فلما فرغ من قراءته قلت له: يا أمير المؤمنين، لو اطردت مقاتلتك من حيث أفضيت إليه منها؟ فقال: هيهات يا بن عباس، تلك شقشقة هدرت ثم قرت.^(١) ومن الموافقات: ما قاله ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة نصاً: «وأما قول ابن عباس: "ما أسفت على كلام... إلى آخره، فحدثني شيعي أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي^(٢) في سنة ثلاث وستمائة، قال: قرأت على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب (ت / ٥٦٨ هـ) هذه الخطبة، فلما انتهيت إلى هذا الموضع، قال لي: لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له: وهل بقي في نفس ابن عمك

(١) الأماشي؛ للشيخ الطوسي: ٣٧٢ - ٣٧٤.

(٢) مصدق بن شبيب بن الحسين الصلحي الواسطي، ذكره القفطي في إنباه الرواة (٢٧٤: ٣)، وقال: إنه قدم بغداد، وقرأ بها على ابن الخشاب وحبشي بن محمد الضرير، وعبد الرحمن بن الانباري وغيرهم، وتوفي ببغداد سنة ٦٠٥.

أمر لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسف ألا يكون بلغ من كلامه ما أراد ! والله ما رجع عن الاولين ولا عن الآخرين ، ولا بقى في نفسه أحد لم يذكره إلا رسول الله ﷺ .

قال مصدق : وكان ابن الخشاب صاحب دعابة وهزل ، قال : فقلت له : أ تقول أنها منحولة ! فقال : لا والله ، وإني لا أعلم أنها كلامه ، كما أعلم أنك مصدق .

قال : فقلت له : إن كثيرا من الناس يقولون إنها من كلام الرضى ﷺ .

فقال : أتى للرضي ولغير الرضى هذا النفس وهذا الاسلوب ! قد وقفنا على رسائل الرضى ، وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور ، وما يقع مع هذا الكلام في خل ولا خمر . ثم قال : والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق الرضى بمائتي سنة ، ولقد وجدت لها مسطورة بخطوط أعرفها ، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الادب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضى .

قلت : وقد وجدت أنا كثيرا من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي^(١) إمام البغداديين من المعتزلة ، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضى بمدة طويلة . ووجدت أيضا كثيرا منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلمي الامامية^(٢) وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب " الانصاف " . وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي ﷺ ، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضى رحمه الله تعالى موجودا^(٣) .

(١) أبو القاسم البلخي ، ذكره ابن النديم وقال : " كان من أهل بلخ ، يطوف البلاد ويجول الارض ، حسن المعرفة عبد الله بن أحمد بالفلسفة والعلوم القديمة . ورأيت بخطه شيئا كثيرا في علوم كثيرة مسودات ودرساتير ، يخرج منها إلى الناس كتاب تام . (الفهرست : ٢٩٩ وابن خلكان ١ : ٢٥٢) .

(٢) هو أبو جعفر بن قبة ، من متكلمي الشيعة وحذاقهم ، وله من الكتب كتاب الانصاف في الامامة ، الفهرست : ١٧٦ .

(٣) شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد ١ : ٢٠٥ ٢٠٦ .

[الخطبة الرابعة]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: بنا اهتديتم في الظلماء» رواه الشيخ المفيد في الارشاد مع اختلاف يسير، وقال الشارح العلامة: روى ان هذه الخطبة خطبها امير المؤمنين ﷺ بعد قتل طلحة والزبير.^(١) وقال العرشي: «اوردها الشيخ المفيد في الارشاد [١٤٧]»^(٢).

قال الجلاي: قد صرح المفيد (ت / ٤١٣ هـ) ان تاريخ ذلك بعد حرب البصرة فيكون حوالي عام ٣٦ هـ فبالاسناد عن الشيخ المفيد في الارشاد: ومن كلامه ﷺ حين قتل طلحة وانفض أهل البصرة: بنا تستمتم الشرفاء، وبنا انفجرت عن السرار^(٣)، وبنا اهتديتم في الظلماء؟ وقر سمع لم يفقه الواعية، كيف يراخ للنباة من أصمته الصيحة، ربط جنان لم يفارقة الخفقان، ما زلت أتوقع بكم عواقب الغدر، وأتوسمكم بحلية المغترين، سترني عنكم جلاباب الدين، وبصّرنيكم صدق النية، أقمت لكم الحق حيث تعرفون ولا دليل، وتحتفرون ولا تميّهون. اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان، عزب فهم امرئ تخلف عني، ما شككت في الحق منذ رأيته، كان بنو يعقوب على المحجة العظمى حتى عقوا أباهم وباعوا أخاهم، وبعد الاقرار كانت توبتهم، وباستغفار أبيهم وأخيهم غفر لهم.^(٤)

ولولا الزيادة في رواية المفيد بعد قوله: «ما شككت في الحق منذ رأيته» والنقيصة من قوله: «بل اشفق عليها من غلبة الجهال... الى اخره» لكان الغالب على الظن ان رواية المفيد هي المصدر للرضي، ولكن الزيادة والنقيصة المذكورة وتصريح ابن أبي الحديد بأنها طويلة وشهيرة تؤكد ان مصدره غير ذلك، والله العالم. ومن الموافقات ما قاله ابن أبي

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٣.

(٢) استناد نهج البلاغة: ٥.

(٣) السرار: اللبلة التي يستر فيها القمر. لسان العرب - سرسر - ٣٥٧: ٤.

(٤) الارشاد؛ للشيخ المفيد ١: ٢٥٣.

الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة : هذه الكلمات والامثال ملتقطة من خطبة طويلة ، منسوبة إليه عليه السلام ، قد زاد فيها قوم أشياء حملتهم عليها أهواؤهم ، لا توافق ألفاظها طريقته عليه السلام في الخطب ، ولا تناسب فصاحتها فصاحته ، ولا حاجة إلى ذكرها ، فهي شهيرة . ونحن نشرح هذه الالفاظ ، لأنها كلامه عليه السلام ، لا يشك في ذلك من له ذوق ونقد ومعرفة بمذاهب الخطباء والفصحاء في خطبهم ورسائلهم ، ولأن الرواية لها كثرة ، ولأن الرضى رحمة الله تعالى عليه قد التقطها ونسبها إليه عليه السلام ، وصححها وحذف ما عداها .^(١)

(١) شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد ١ : ٢٠٨ .

[الخطبة الخامسة]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: قوله عليه السلام: «أيها الناس شقوا أمواج» رواها في تذكرة الخواص، ورواها غيره.^(١)

وقال العرشي في التخريج مانصه: «نقل إبراهيم بن محمد البيهقي من هذه الخطبة في كتاب المحاسن والمساوي [ج ٢ ص ١٣٩] ما يلي: «وإن أسكت يقولوا جزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والنتي؟، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بندي أمه» انتهى.^(٢)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما ارويه عن سبط ابن الجوزي شمس الدين (ت / ١٥٤ هـ) هذه الخطبة مبدؤاً بقوله: «وبه» يعني بالاسناد في الخطبة التي سبقت في مدح رسول الله ﷺ، وفيما يلي اسنادها: أخبرنا عبد الله بن أبي المجد الحربي أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، أنبأنا الفتح احمد لحداد، أنبأنا أبو بكر بن احمد بن علي بن ابراهيم بن منحويه، أنبأنا محمد بن احمد ابن اسحاق، أنبأنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عباد ابن الحبيب بن المهلب بن أبي صفرة، عن مجالد، عن سعيد بن عمير، قال: خطب أمير المؤمنين يوماً فقال: الحمد لله داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب... إلى آخر الخطبة [ثم قال سبط ابن الجوزي ايضاً مانصه]: وبه قال مجالد، حدثني عكرمة عن ابن عباس قال: لما دفن رسول الله ﷺ جاء العباس وأبو سفيان بن حرب وجماعة من بني هاشم إلى علي عليه السلام فقالوا: مدّ يدك نبايعك، وحرّضوه، فامتنع، وقال له العباس: أنت والله بعد أيام عبد العصا، فخطب وقال: أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة، فقد

(١) مدارك نهج البلاغة ٧٣.

(٢) استناد نهج البلاغة.

أفلح من نهض بجناح، واستسلم فارتاح، ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها، اجدر بالعاقل من لقمة تحشى بزنبور، ومن شربة يلذ بها شاربها مع ترك النظر في عواقب الأمور، فان اقل تقولوا: حرص على الملك، وان اسكت يقولوا: جزع من الموت هيهات هيهات بعد اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، ومن الرجل بأخيه وعمه.

وفي رواية: لقد اندمجت على علم لو بحث به، لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة، وذكر كلاماً كثيراً. اللتيا والتي... بفتح اللام والتشديد تصغير التي. قال الراجز: بعد اللتيا والتي. والاجن: المتغير؛ والارشية جمع رشاء بالمد، وهو الحبل والطوى: البئر المطوية.^(١)

(١) تذكرة الخواص: ١٢١، ط / ١٤٠١ هـ.

[الخطبة السادسة]

قال العرشي في التخريج مانصه: «والجملة قد وردت في غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي [١٩٦ ألف] بتغيير يسير، ونصه: «والله لا أكون مثل الضبع تسمع الدم حتى تخرج فتصاد».

ورواها الطبري في تاريخه [ج ٥ ص ١٧١] وشيخ الطائفة في الأمالي [٣٣] بتفصيلها ولكن بتغيير في الألفاظ. (انتهى)^(١)

قال الجلاي: وروى البلاذري (ت / ٢٧٩ هـ) في انساب الاشراف، ما لفظه: «حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا ابو نعيم، حدثنا محمد بن أبي أيوب، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب: ان الحسن بن علي قال لعلي: يا أمير المؤمنين إني لا أستطيع أن أكلمك وبكى، فقال علي: تكلم ولا تحنّ حنين المرأة. فقال: إن الناس حصروا عثمان فأمرتك أن تعتزلهم وتلحق بمكة حتى تؤوب إلى العرب عواذب أحلامها، فأبيت، ثم قتله الناس فأمرتك أن تعتزل الناس فلو كنت في جحر ضبّ لضربت إليك العرب آباط الإبل حتى يستخرجوك؛ فغلبتني، وأنا آمرك اليوم أن لا تقدم العراق؛ فإني أخاف عليك أن تقتل بمضيعة!! فقال علي: أما قولك: تأتي مكة، فوالله ما كنت لأكون الرجل الذي تستحل به مكة، [و أما قولك:] اعتزل [الناس ولا تقدم] العراق، فوالله لا أكون مثل الضبع أنتظر الدم.^(٢)

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في الأمالي قال ما لفظه: أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرني أبو الحسن علي بن محمد الكاتب، قال: أخبرني الحسن بن علي بن عبد الكريم، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي، قال: أخبرني أبو نعيم

(١) راجع استناد نهج البلاغة.

(٢) انساب الاشراف ٢: ٣١٦.

الفضل بن دكين ، قال: حدثنا أبو عاصم ، عن قيس بن مسلم ، قال: سمعت طارق بن شهاب يقول: لما نزل علي ﷺ بالربذة سألت عن قدومه إليها ، فقيل : خالف عليه طلحة والزبير وعائشة ، وصاروا إلى البصرة ، فخرج يريداهم . فصرت إليه ، فجلست حتى صلى الظهر والعصر ، فلما فرغ من صلاته قام إليه ابنه الحسن بن علي ﷺ فجلس بين يديه ، ثم بكى ، وقال: يا أمير المؤمنين ، إني لا أستطيع أن أكلمك ، وبكى . فقال له أمير المؤمنين ﷺ : لا تبك يا بني ، وتكلم ، ولا تحن حنين الجارية . فقال: يا أمير المؤمنين ، إن القوم حصروا عثمان يطلبونه بما يطلبونه ، إما ظالمون أو مظلومون ، فسألتك أن تعتزل الناس وتلحق بمكة حتى تؤوب العرب وتعود إليها أحلامها ، وتأتيك وفودها ، فوالله لو كنت في جحر ضب لضربت إليك العرب آباط الابل حتى تستخرجك منه ، ثم خالفك طلحة والزبير فسألتك أن لا تتبعهما وتدعهما ، فإن اجتمعت الامة فذاك ، وإن اختلفت رضيت بما قضى الله ، وأنا اليوم أسألك ألا تقدم العراق ، وأذكرك بالله أن لا تقتل بمضيعة . فقال أمير المؤمنين ﷺ : أما قولك : إن عثمان حصر ؟ فما ذاك وما عليّ منه ، وقد كنت بمعزل عن حصره ؟ وأما قولك : ائت مكة ، فوالله ما كنت لاكون الرجل الذي تستحل به مكة ، وأما قولك : اعتزل العراق ودع طلحة والزبير ؟ فوالله ما كنت لأكون كالضبع تنتظر حتى يدخل عليها طالبها ، فيضع الحبل في رجلها حتى يقطع عرقوبها^(١) ، ثم يخرجها فيمزقها إربا إربا ، ولكن أباك يا بني يضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه ، وبالسامع المطيع العاصي المخالف أبدا حتى يأتي عليّ يومي ، فوالله ما زال أبوك مدفوعا عن حقه مستأثرا عليه منذ قبض الله نبيه ﷺ حتى يوم الناس هذا . فكان طارق بن شهاب أي وقت حدث بهذا الحديث بكى .^(٢)

ونقل محمد بن جرير بن رستم الطبري (ت / ٣٢٦ - ح) في المسترشد خطبة طويلة مذيلة بعض هذا الكلام ونصها: قد استكبر أقوام في زمن رسول الله ﷺ وأضمروا علي

(١) العرقوب من الدابة : ما يكون في رجلها بمنزلة الركبة في يدها .

(٢) الأما لي؛ للشيخ الطوسي: ٥٢.

الغل المدفون، ومن بعده ما قعدوا للثقل الأكبر بالمرصد، حتى أدخلوا فيه الالحاد وقعدوا للثقل الأصغر بالاضطهاد، ولقد أسروا في رسول الله بالنجوى وصدق فيه بعضهم بعضا، وتعارضوا عليه الحسد من عند أنفسهم. والله لقد إرتد بعد رسول الله أقوام، إرتدوا على الاعقاب وغالتهم السبل، وإتكلوا على الولايج^(١)، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، أصابوا بالامر غير أهله، ونقلوا البناء من غروس أساسه وبنوه في غير موضعه^(٢). فقتلك لعمرى، أكبر الكبائر، فتحوا على أنفسهم باب البلاء، وأغلقوا باب العافية، وتركوا الرخاء، واختاروا البلاء، فصاروا في غمرة تغشى أبصار الناظرين، وريب بنته لها عقول الطامعين، منها يشعث البنيان، وإتبعوا ملة من شك وظلم وحسد، وركن إلى الدنيا، وهو القائل لاشباهه في الاسلام مضاهيا للسامري، في قوله مقتديا به في أفعاله، جاهلا لحق القرابة مستكبرا عن الحق، ملقيا يديه إلى التهلكة بعد البيان من الله عز وجل، والحجج التي تتلو بعضها بعضا، معتديا على القرابة كما اعتدى في السبت أهله. ألا وإن لكل دم ثائر، وإن الثائر يريد دمانا، والحاكم في حق ذي القربى واليتامي والمساكين وأبناء السبيل: الله الذي لا يفوته مطلوب يؤثر حذو النعل بالنعل، مأكلا بمأكل ومشربا بمشرب، أمر من طعم العلقم، وكلما هو آت قريب، وبحسبكم ما تزودتم، وحملتكم عى ظهوركم من مطايا الخطايا، مع الذين ظلموا.

ثم أقبل ﷺ على الحسن ﷺ، فقال: يا بني، ما زال أبوك مدفوعا عن حقه، مستأثرا

(١) الولايج جمع وليجة، ما يتخذها الانسان لنفسه. وإلى هنا ذكر الشريف الرضي بعض جملاته في نهج البلاغة، في الخطبة ١٤٨،، وسيأتيك بعد قليل.
(٢) إلى هنا ذكر الشريف الرضي بعض جملاته في نهج البلاغة في الخطبة (١٤٨). وقال العلامة المعاصر السيد عبد الزهرة الخطيب، في مصادر نهج البلاغة وأسانيده ج ٢ ص ٣٣٧ ط بيروت، بعد نقل الخطبة: روى الطبري في "المسترشد"، ص ٧٤، فقرات من أواخر هذه الخطبة باختلاف في بعض الالفاظ، ويظهر من رواية الطبري أن هذه الخطبة طويلة، لأنه جاء في بعض روايته فصول لم يروه الرضي، ولأنه قال: في أول روايته لما رواه: وقال ﷺ أيضا في خطبته... وفي شرح نهج البلاغة لمحمد عبده في ذيل خطبة ١٤٨، ج ٢ ص ٤٦ ط مصر هكذا: حتى إذا قبض الله رسوله ﷺ رجع قوم على الاعقاب، وغالتهم السبل وإتكلوا على الولايج ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذي أمروا بمودته ونقلوا البناء عن رص أساسه، فبنوه في غير موضعه.

عليه منذ قبض رسول الله ﷺ حتى يوم الناس هذا ، «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»^(١) .
ويظهر من هذه الرواية ان كلامه العام كان موجّهاً الى العامة، ثم خصّ ابنه الحسن بهذا الذيل.

(١) المسترشد ؛ لمحمد بن جرير الطبري : ٤٠١.

[الخطبة الثامنة]

من التعقيبات: ما أروىها بالاسناد إلى الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) خطبة للحسن بن علي يتضمن جملًا منها وان امر الوالد ابنه الحسن بالخطبة في الموضوع يكشف عن وحدة الاسلوب والهدف من الخطابة الحجة على الخصم وقد تخرج الابن من أبيه فاستخدم نصوص وكلمات في رد الخصم ولمعرفة الوالد بهذه الحقيقة أمره بالخطبة شهادة على تخرجه من مدرسة: فهذه الرواية تؤيد رواية الرضى رحمه الله.

قال الشيخ المفيد في الجمل مانصه : فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وقال: لولده الحسن عليه السلام قم يا بني فاخطب، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس قد بلغتنا مقالة ابن الزبير وقد كان والله يتجنى على عثمان الذنوب وقد ضيق عليه البلاد حتى قتل وان طلحة راكمز رايته على بيت ماله وهو حي، واما قوله: ان عليا ابتز الناس امرهم، فان اعظم حجة لاييه زعم انه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه، فقد أقر بالبيعة وادعى الوليعة، فليأتي على ما ادعاه ببرهان، وأنى له ذلك. وأما تعجبه من تورد أهل الكوفة على أهل البصرة فما عجبه من أهل حق توردوا على أهل باطل، ولعمري والله ليعلمن أهل البصرة وميعاد ما بيننا وبينهم اليوم، نحاكمهم إلى الله تعالى فيقضي الله الحق وهو خير الفاصلين . فلما فرغ الحسن عليه السلام من كلامه قام رجل يقال له عمر بن محمود وانشد شعرا يمدح الحسن .^(١)

(١) الجمل؛ للشيخ المفيد: ١٧٥.

[الخطبة التاسعة]

قال الجلالي: أرويه بالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) قال مانصّه: وبلغ أمير المؤمنين عليه السلام لفظ القوم واجتماعهم على حربه . فقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال: أيها الناس ان طلحة والزبير قدما البصرة وقد اجتمع أهلها على طاعة الله وبيعتي، فدعواهم إلى معصية الله تعالى وخلافي، فمن أطاعهما منهم فتنوه ومن عصاهما قتلوه، وقد كان من قتلها حكيم بن جبلة ما بلغكم، وقتلهم السبابجة، وفعلها بعثمان بن حنيف ما لم يخف عليكم، وقد كشفوا الآن القناع واذنوا بالحرب، وقام طلحة بالشتم والقدح في أديانكم، وقد أَرعد وصاحبه وأبرقا وهذا أمران معهما الفشل، ولسنا نريد منكم ان تلقوهم ليظنوا ما في نفوسكم عليهم، ولا ترون ما في انفسكم لنا، ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر، وقد خرجوا من هدى إلى ضلال، ودعوناكم إلى الرضا ودعونا إلى السخط، فحلّ لنا ولكم ردهم إلى الحق والقتال، وحل لهم بقصاصهم القتل، وقد - والله مشوا اليكم ضارا، وأذاقوكم أمس من الجمر، فإذا لقيتم القوم غدا فاعذروني الدعاء وأحسنوا في التقية، واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين .

فقام إليه حكيم بن مناف حتى وقف بين يديه، وقال:

أبا حسن أيقظت من كان نائما	وما كل من يدعى إلى الحق يسمع
وما كل من يعطى الرضا يقبل الرضا	وما كان من أعطيته الحق يقنع
وأنت امرء أعطيت من كل وجهة	محاسنها والله يعطي ويمنع
وما منك بالامر المؤلم غلطة	وما فيك للمرء المخالف مطمع
وان رجالا بايعوك وخالفوا	هداك واجروا في الضلال فضيعوا
لاهل لتجريد الصوارم فيهم	وسمر العوالي والقنا تتزعزع
فاني لارجو ان تدور عليهم	رحى الموت حتى يسكنوا ويصرعوا

وطلحة فيها والزبير قرينه
فان يمضيا فالحرب أضيق حلقة
وما بايعوه كارهين لبيعة
ولا بطيا عنها فراقا ولا بدا
على تقضها ممن له شد عقدها
خروج بام المؤمنين وغدرهم
وذكرهم قتل ابن عفان خدعة
فعود على نبعة هاشمية
وليس لما لا يدفع الله مدفع
وان يرجعا عن تلك فالسلم اوسع
وما بسطت منهم إلى الكره اصبع
لهم احد بعد الذين تجمعوا
فقصراهما منه أصابع أربع
وعيب على من كان في القلب اشجع
وهم قتلوه والمخادع يخدع
وعودهما فيما هما فيه خروج^(١)

(١) الجمل؛ للشيخ المفيد: ١٧٥ - ١٧٨.

[الخطبة العاشرة]

قال العرشي في التخريج: «نقلها المفيد في الارشاد (١٤٦) والخطبة نفسها ذكرت تحت رقمي (٢١) و(١٢٣) ولكن بتغيير غير قليل في اللفظ». (انتهى)^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في الكافي قال مانصه: «علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب رفعه أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب يوم الجمل فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني أتيت هؤلاء القوم ودعوتهم واحتجبت عليهم، فدعوني إلى أن أصبر للجلاد وأبرز للطعان^(٢) فلا مَهَم الهبل وقد كنت وما اهدد بالحرب ولا اهرب بالضرب، أنصف القارة من رامها^(٣) فلغيري فليبرقوا وليرعدوا^(٤) فأنا أبو الحسن الذي فللت حدّهم وفرقت جماعتهم وبذلك القلب ألقي عدوي وأنا على ما وعدني ربي من النصر والتأييد والظفر، وإني لعلّ يقين من ربي وغير شبهة من أمري ، أيها الناس إن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ، ليس عن الموت محيص، ومن لم يمت يقتل، وإن أفضل الموت القتل ، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على فراش ، واعجبا لطلحة ألب الناس على ابن عفان حتى إذا قتل أعطاني صفقته بيمينه طائعا ثم نكت بيعتي ، اللهم خذه ولا تمهله. وأن الزبير نكت بيعتي وقطع رحمي وظاهر عليّ عدوي فاكفنيه اليوم بما شئت^(٥).

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في الأمالي قال مانصه: أخبرنا محمد بن

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) الجلاد والطعان : المسابقة والمقاتلة، والهبل : فقدان الحبيب أو الولد، يقال: هبلته أمه وثكلته أي فقدته . (الوافي).

(٣) في النهاية : القارة : قبيلة من بني الهرم من خزيمه، سموا قارة لاجتماعهم واتفاقهم، وهم يوصفون بحسن الرمي، وفي المثل انصف القارة من رامها .

(٤) الابراق والارعاد : التهديد . والفل : الكسر .

(٥) الكافي : للشيخ الكليني ٥ : ٥٣ ٥٤.

محمد، قال: أخبرني أبو الحسن علي بن محمد الكاتب، قال: حدثنا الحسن بن علي بن عبد الكريم الزعفراني، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفي، قال: حدثنا عبيد الله بن إسحاق الضبي، عن حمزة بن نصر، عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي، قال: لما رجعت رسل أمير المؤمنين عليه السلام من عند طلحة والزبير وعائشة، يؤذنونهم بالحرب، قام فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد وآله، ثم قال: يا أيها الناس، إني قد راقبت هؤلاء القوم كيما يرجعوا^(١) أو يرجعوا، وقد وبختهم بنكتهم وعرفتهم بغيهم، فليسوا يستجيبون، ألا وقد بعثوا إليّ: أن ابرز للطعان، واصبر للجلاد، فإنما منتك نفسك من أبنائنا الأباطيل. هببتهم الهبول^(٢)، قد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب، وأنا على ما وعدني ربي من النصر والتأييد والظفر، وإني لعلّى يقين من ربي، وفي غير شبهة من أمري. أيها الناس، إن الموت لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص، من لم يمت يقتل، إن أفضل الموت القتل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لآلف ضربة بالسيف أهون عليّ من موت على فراش. يا عجباً لطلحة، ألب على ابن عفان حتى إذا قتل أعطاني صفقة يمينه طائعا، ثم نكت ببيعتي، وطفق ينعي ابن عفان ظالما، وجاء يطلبني - يزعم - بدمه، والله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عفان ظالما، كما كان يزعم حين حصره وألب عليه، إنه لينبغي أن يؤازر قتليه وأن ينابذ ناصريه، وإن كان في تلك الحال مظلوما، إنه لينبغي أن يكون معه، وإن كان في شك من الخصلتين، لقد كان ينبغي أن يعتزله ويلزم بيته ويدع الناس جانبا، فما فعل من هذه الخصال واحدة، وها هو ذا قد أعطاني صفقة يمينه غير مرة ثم نكت ببيعته، اللهم فخذها ولا تمهله^(٣).

(١) أي يكفوا.

(٢) هببتهم: ثكلتهم، والهبول: المرأة الثكول.

(٣) الأما لي؛ للشيخ الطوسي: ١٦٩ - ١٧٠.

[الخطبة (١١)]

ليس للعرشي تخريج في هذا الموضع.

وقال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه عن المنقري (ت / ٢١٢ هـ) خطبة عامة في ثلاثة مواطن قال مانصه: «نصر، عن عمر بن سعد، عن إسماعيل بن يزيد يعني ابن أبي خالد^(١) عن أبي صادق، عن الحضرمي قال: سمعت علياً عليه السلام حرض في الناس في ثلاثة مواطن: في يوم الجمل، ويوم صفين، ويوم النهروان، فقال: عباد الله، اتقوا الله عز وجل، وعضوا الأبصار، واخفضوا الأصوات، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاوله، والمبارزة والمعانقة والمكادمة^(٢)، «واثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون». «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين» اللهم ألهمهم الصبر، وأنزل عليهم النصر، وأعظم لهم الأجر^(٣).

(١) إسماعيل بن أبي خالد، أبو عبد الله، أحد التابعين، رأى سعيد من رأى النبي، منهم أنس بن مالك. توفي بالكوفة سنة ١٤٦. انظر المعارف ٢١١ وتهذيب التهذيب.

(٢) المكادمة: مفاعلة من الكدم، وهو العض، والتأثير بالحديد، وهذا هو الأقرب. وفي اللسان: "رجل مكدم: إذا لقي قتالا فاثرت فيه الجراح". وفي الأصل: "المكارمة" بالراء، صوابه في الطبري (٦: ٦).

(٣) وقعة صفين؛ لنصر بن مزاحم المنقري: ٢٠٤.

[الخطبة (١٢)]

قال العرشي في التخريج مانصّه: «واورد البرقي في كتاب المحاسن والآداب (الورق ١٠٥ الف) بكلمات في اللفظ متقاربة في المعنى». (انتهى)^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فميا ارويّه بالاسناد عن أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت / ٢٧٤ - ح) في المحاسن عن محمد بن الحسن بن شمون البصري عن عبد الله بن عمرو بن الاشعث ، عن عبد الله بن حماد الانصاري ، عن الصباح بن يحيى المزني ، عن الحارث بن حصيرة ، عن الحكم بن عيينة قال: لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج يوم النهروان قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين طوبى لنا إذ شهدنا معك هذا الموقف وقتلنا معك هؤلاء الخوارج ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد شهدنا في هذا الموقف أناس لم يخلق الله آبائهم ولا أجدادهم بعد ، فقال الرجل : وكيف شهدنا قوم لم يخلقوا ؟ قال: بلى ، قوم يكونون في آخر الزمان يشركوننا فيما نحن فيه وهم يسلمون لنا ، فأولئك شركاؤنا فيما كنا فيه حقا حقا.^(٢)

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: قال عليه السلام : «ومن كلام له في ذم أهل البصرة» ذكر جملا من هذا الكلام في كتاب مروج الذهب، وذكر انها من خطبة طويلة، ذكرها أيضا في كتاب الاخبار الطوال مع اختلاف في بعض الفقرات. وروى في كتاب الاحتجاج عن ابن عباس انه قال: لما فرغ علي عليه السلام من قتال أهل البصرة وضع قتيبا على قتب ثم صعد عليه، فخطب فحمد الله وأثنى عليه؛ وقال: يا أهل البصرة... إلى آخره، وفيه بعض الفقرات المذكورة، ورواها في العقد الفريد عن عكرمة عن ابن عباس.^(٣)

قال العرشي في التخريج مانصّه: رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار [ج ١ ص ٢١٦] وأبو

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) المحاسن ؛ لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ١ : ٢٦٢.

(٣) مدارك نهج البلاغة: ٧٤.

عمر وأحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي المتوفى ٣٢٨ هـ [٩٤٠] في العقد الفريد [ج ٢ ص ١٦٩، ٢٨٢] وأبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي الشهير بابن شيخ الطائفة في أماليه [٧٨] والشيخ المفيد في كتاب الجمل [٢٠٣ و ٢١٠]. (انتهى)^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٣١٤ هـ) في الجمل قال: وروى نصر بن عمر بن سعد عن أبي خالد عن عبد الله بن عاصم عن محمد بن بشير الهمداني عن الحرث بن سريع قال: لما ظهر امير المؤمنين عليه السلام على أهل البصرة وقسم ما حواه العسكر قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أيها الناس ان الله عزوجل ذو رحمة واسعة، ومغفرة دائمة لاهل طاعته، وقضى ان تقمته وعقابه على أهل معصيته، يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة، ويا جند المرأة، وأتباع البهيمة رغا فرجفتكم، وعقر فانهمزتم، أحلامكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وأنتم فسقة مراق، أرضكم قريبة من الماء؛ بعيدة من السماء، خفت عقولكم، وسفهت أحلامكم، شهرتم سيوفكم علينا، وسفكتكم دماءكم، وخالفتم إمامكم، فأنتم أكلة الآكل، وفريسة الظافر، والنار لكم مدخر، والعار لكم مفخر، يا أهل البصرة: نكتنم بيعتي، وظاهرتم عليّ ذوي عداوتي، فما ظنكم يا أهل البصرة الآن؟

فقام إليه رجل منهم فقال: نظن خيرا يا أمير المؤمنين ونرى انك ظفرت وقدرت، فان عاقبت فقد أجرنا، وان عفوت فالعفو أحب إلى رب العالمين.

فقال عليه السلام: قد عفوت عنكم فاياكم والفتنة، فانكم أول من نكت البيعة وشق عصا الامة، فارجعوا عن الحوبة واخلصوا فيما بينكم وبين الله بالتوبة.

ولما فرغ عليه السلام من الخطبة وكلامه لاهل البصرة ركب بغلته واجتمع إليه جماعة من

شرطة الخميس وطوائف.^(٢)

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) الجمل؛ للشيخ المفيد: ٢١٧ - ٢١٨.

[الخطبة (١٤)]

ليس للعرشي تخريج في هذا الموضع وقد تقدم النص المتابع في رواية المفيد في الخطبة (١٣) فراجع.

[الخطبة (١٥)]

قال العرشي في التخريج مانصّه: «رواه أبو بلال الحسن بن عبد الله بن العسكري المتوفى بعد ٣٩٥ هـ [١٠٠٥ م] في كتاب الأوائل [١٠٢ ب] ضمن خطبة طويلة، وقال ابن أبي الحديد في الشرح [ج ١ ص ٥٠]: «وهذه الخطبة ذكرها الكلبي مروية مرفوعة إلى أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه»^(١)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن ابن الاشعث (ت / ٣١٤ - ح) قال: أخبرنا عبد الله، أخبرنا محمد، حدّثني موسى قال: حدّثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه جعفر بن محمد، عن أبيه، «ان علياً عليه السلام قال: لو ان رجلاً سرق ألفاً، فأصدقها امرأة، واشترى جارية، كان الفرج حلالاً، وعليه تبعة المال وهو آثم»^(٢)

ونقل القاضي النعمان المغربي (ت / ٣٦٣ - ح) في شرح الأخبار في آخر خطبة له عليه السلام قال مانصّه: «فمن ذلك ما روي عن علي صلوات الله عليه أن خطب الناس بعد أن بايعوه بيومين بالخطبة التي رمز فيها بامثال ذكرها . وهي ، أنه عليه الصلاة والسلام : حمد الله عزوجل وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي صلوات الله عليه وآله ، وذكر فضله وما خصه الله عزوجل به ، ثم قال: أيها الناس اوصيكم بتقوى الله فإنها نجاة لاهلها في

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) مستدرک الوسائل ١٣: ٦٦، ط / ١٤٠٨ هـ.

الدنيا وفوز لهم في معادهم في الآخرة ، وخير ما تواصى به العباد ، وأقربه من رضوان الله وخير الفوائد عند الله ، وبتقوى الله بلغ الصالحون الخير ، ونالوا الفضيلة وحلّوا الجنة وكرموا على الله خالقهم عز وجل ، بتقواهم الذي به أمرهم . ثم احذروا عباد الله من الله ما حذركم من نفسه ، واعملوا بما أمركم الله بالعمل به مجاهدين لانفسكم فيه ، واضربوا عما حذركم منه ، وتناهوا عنه ، فإنه من يعمل لغير الله يكله إلى من عمل له ، ومن يعمل الله بطاعته يتولى الله أمره ، وإن الله لم يخلقكم عبثا ولم يدع شيئا من أمركم سدى ، وقد سمى آجالكم وكتب آثاركم ، فلا تغرّبكم الحياة الدنيا فإنها غرارة لاهلها مغرور من اغتر بها وإلى الفناء ما هي « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » . نسأل الله منازل الشهداء ومرافقة الانبياء ، ومعيشة السعداء ، فإنما نحن به وله .

أما بعد ذلکم ، فإنه لما قبض رسول الله صلوات الله عليه وآله استخلف الناس أبا بكر ، وقد استخلف أبو بكر عمر ، ثم جعلها عمر شورى بين ستة من قريش أنا أحدهم ، فدار الامر لعثمان ، وعمل ما قد عرفتم وأنكرتم ، وقد حصره المهاجرون والانصار ، وإنما أنا رجل واحد من المهاجرين لي مالهم وعليّ ما عليهم ، ألا وقد فتح الباب بينكم وبين أهل القبلة ، ولا يحمل هذا الامر ولا يضطلع به إلا أهل الصبر والبصيرة بمواضع الحق ، ألا إني حاملكم على منهاج نبيكم ﷺ ما استقمتم عليه ، وركنتم إليه ، وماض لما امرت به ، والله المستعان .

أيها الناس ، موضعي من رسول الله صلوات الله عليه وآله بعد وفاته لموضعي منه في حياته ، ألا وإنه لم يهلك قوم ولّوا أمرهم أهل بيت نبيهم - أهل العلم والصفوة - ، ألا وإن موارد الانبياء عندي مجتمعة فاسألوني واسألوا واسئلوا ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لئن سألتهموني عن العلم المخزون ، وعن علم ما يكون ، وعن علم ما لا تعلمون لاخبرتكم بذلك مما أعلمني النبي الصادق عن الروح الامين عن رب العالمين .

أيها الناس ، امضوا لما تؤمرون به وقفوا عندما تنهون عنه ولا تعجلوا في أمر تنكرونه حتى تسألونا عنه ، فإن عندنا لكل ما تحبون أمرا ، وفي كل ما تكرهون عذرا .

أيها الناس ، إن أول من بغى في الارض ، فقتله الله لبغيه : عناق بنت آدم ﷺ ، خلق الله لها عشرين وإصبعا ، طول كل اصبع منها ذراعان وفي كل اصبع منها ظفران محددان طويلان معقفان . وكان موضع مجلسها في الارض جريبا ، فبغت في الارض ثمانين سنة ، فلما بغت في الارض خلق الله لها أسدا كالليل ونسرا كالبعير وذئبا كالحمار فسلطهم عليها فمزقوها ، فقتلوهوا وأكلوها وأراح الله منها . ثم قتل الله الجبابرة في زمانها ، وقد قتل الله فرعون وهامان وخسف بقارون ثم قد عادت بليتكم مثلها مذ قبض الله نبيكم صلوات الله عليه وآله . إيم الله لتغربلن غربلة ، ثم لتبلبلن بلبلة ، ولتساطن كما يسايط القدر حتى يصير أعاليكم أسافلكم وأسافلكم أعاليكم ، وليسبقن قوم قوما قد كانوا سبقوا ، أما والله ما انتحللت وصمة ولا كذبت كلمة . ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها . وخلعت لجمها ، فاقتحمت بهم نار جهنم . ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأمكنوا من أزمته ، فسارت بهم رويدا حتى أتوا ظلا ظليلا ، فتحدثوا فيه وتساءلوا وفتحت لهم أبواب الجنة وظلل عليهم ظلها وروحها ووجدوا طيبها وقيل : ﴿ لهم ادخلوها بسلام آمين ﴾ .

أيها الناس إنه حق وباطل ولكل أهل ، فلئن قام الباطل فقد دما ما فعل ، ولئن قام الحق فلربما ولعل ، ولقلما أدبر شئ فأقبل ! ولقد خشيت أن تكونوا في فترة من الزمن ، وما عليّ إلا الجهد ، وكانت امور مضت ملتئم فيها عليّ ميلة واحدة ، كنتم عندي فيها غير محمودي الرأي ، أما إني لو شئت أن أقول لقلت : عفى الله عما سلف . سبق الرجالن ، وقام الثالث كالغراب همّه بطنه ، يا ويحه لو قص ريشه وقطع جناحاه شغل عن الجنة والنار أمامه . ثلاثة وإثنان ليس لهم سادس : ساع مجتهد ، وطالب يرجو ، ومقصر في النار ، وملك يطير بجناحيه ، ونبي أخذ الله ميثاقه ، هلك من ادعى ، وخاب من افترى ، اليمين والشمال مضلتان ، والوسطى والطريق المثلى المنهج ، عليه تأويل الكتاب والسنة وآثار النبوة .

أيها الناس إن الله جل وعلا أدب هذه الامة بالسوط والسيف ، ليس عند الامام فيها هواده لاحد ، فاستتروا في بيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ، فالموت من ورائكم والتوبة

أمامكم، ومن أبدى صفحته للحق هلك .

ألا وكل قطيعة أقطعها عثمان أو مال أعطاه من مال الله ، فهو مردود على المسلمين في بيت مالهم ، فإن الحق قديم لا يبطله شيء ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو وجدته قد تزوج به النساء واشتري به الاماء وتفرق في البلدان لرددته على حاله، فإن في الحق والعدل لكم سعة ، ومن ضاق به العدل فالجور به أضيق .

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله لي ولكم» .

وكانت هذه الخطبة مما سرّ به وسكن إليه المؤمنون المخلصون وأهل الحق والبصائر ، واستوحش منه المنافقون والذين في قلوبهم مرض ، وكل من تطاعم الاثرة أو كان في يده شيء منها لما تواعد به علي صلوات الله عليه من استرجاع ذلك من أيديهم وردّه إلى بيت مال المسلمين ، وتداخل قلوبهم لذلك بغضه عليه الصلاة والسلام واعتقدوا القيام عليه إن وجدوا سبيلا إلى ذلك.

فلما قام طلحة والزبير انضوى اليهما من هذه حاله وصاروا معهما ، وكان سبب خروجها عليه صلوات الله عليه .^(١)

ومن الموافقات: ما قاله ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في «شرح نهج البلاغة»: «وهذه الخطبة ذكرها الكلبي مروية مرفوعة إلى أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه: أن عليا عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة، قال: ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته وقد تزوّج به النساء، وفترّق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق».^(٢)

(١) شرح الأخبار؛ للقاظمي النعمان المغربي ١ : ٣٦٩ - ٣٧٣.

(٢) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ١ : ٢٦٩.

[الخطبة (١٦)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١ هـ) في التخريج: قوله ﷺ: «ذمتي بما أقول رهينة» هذا الى قوله: صرحت له العبر، مروي في كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة «ص ٦ ج ل». ومن قوله ﷺ: «ألا وان بليتكم... الى آخره» مذكور في خطبة رواها الكليني في روضة الكافي، أولها: الحمد لله الذي على فاستعلى. وقال الشارح: هذه الخطبة من جلائل خطبه ﷺ ومن مشهوراتها، قد رواها الناس كلهم، وفيها زيادات حذفها الرضي اما اختصاراً أو خوفاً من إيهاش السامعين، وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب البيان والتبيين على وجهها، ورواها عن أبي عبيدة عن معمر بن المثنى، قال: أول خطبة خطبها امير المؤمنين علي ﷺ بالمدينة في خلافته، حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله، ثم قال: ألا، لا يرعين مرع إلا على نفسه... إلى آخر ما ذكره في الشرح. ثم قال: قال شيخنا أبو عثمان: قال أبو عبيدة: وزاد فيها في رواية جعفر بن محمد ﷺ عن آبائه ﷺ: ألا أن أبرار عترتي وأطايب أرومتي... إلى آخر ما ذكره فيه، قلت: وقوله: ومن هذه الخطبة «شغل من الجنة والنار امامه... الى آخره» يروي أيضاً في روضة الكافي مع اختلاف يسير، وذكر الجاحظ في الكتاب المذكور خطبة له ﷺ وفيها جملة من فقرات هذه الخطبة التي هنا، وقد روى هذه التتمة من قوله ﷺ: شغل... الى آخره. في «كتاب عيون الاخبار ج ٢ ص ٢٣٦، وقال الشيخ كمال الدين ميثم في شرحه بعد قوله: ذمتي بما أقول رهينة... الى آخره. أقول: في هذا الفصل فصول من الخطبة التي أشرنا إليها، ثم قال: ونحن نوردها بتمامها وهي: «الحمد لله أحق محمود بالحمد، وأولاه بالمجد... إلى آخر الخطبة».^(١)

وقال العرشي في التخريج مانصه: «وروى الجاحظ بعض هذا الكلام في البيان

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٥.

والنبيين [ج ١ ص ١٧٠] وابن قتيبة في عيون الأخبار [ج ٢ ص ٢٣٦] وابن عبد ربه العقد الفريد [ج ٢ ص ١٦٢] والعسكري في الأوائل [١٠٢ ألف] وروى أكثره أو كله أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى ٣٢٨ [٩٤٠ م] في أصول الكافي [٩٧] وكتاب الروضة من فروع الكافي [ج ٣ ص ٣٢]، والشيخ المفيد في الارشاد [١٣٥ و ١٤٠] وشيخ الطائفة في الأمالي [١٤٧]. (انتهى)^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» باسناده عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، ويعقوب السراج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر، فقال: الحمد لله الذي علا فاستعلى، ودنا فتعالى، وارتفع فوق كل منظر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين وحجة الله على العالمين، مصدقا للرسول الأولين، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيمًا، فصلى الله وملائكته عليه وعلى آله. أما بعد، أيها الناس فإن البغي يقود أصحابه إلى النار، وإن أول من بغى على الله جل ذكره: عناق بنت آدم، وأول قتيل قتله الله عناق، وكان مجلسها جريبا من الارض في جريب، كان لها عشرون إصبعا في كل إصبع ظفران مثل المنجلين^(٢) فسأط الله عز وجل عليها أسدا كالفيل وذئبا كالبعير ونسرا مثل البغل، فقتلوا، وقد قتل الله الجبابرة على أفضل أحوالهم وآمن ما كانوا، وأمات هامان وأهلك فرعون، وقد قتل عثمان، ألا وإن بليتكم قد عادت كهينتها يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله والذي بعثه بالحق لتبليبن بلبلة ولتغريبن غربة ولتساطن سوطه القدر^(٣) حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم، وليسبقن سابقون كانوا قسّروا، وليقصّرن سابقون كانوا سبقوا، والله ما كتمت

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) المنجل - كمنبر - ما يحصد به.

(٣) تبليبن أي لتخلطن، تبليت اللسان أي اختلطت واللبلة أيضا الهم والحزن ووسوسة الصدر. ولتغريبن من الغريال الذي يغربل به الدقيق والغريلة أيضا: القتل. والسوط. التخليط المسوط والمساوط: خشبة يحرك بها ما في القدر ليختلط.

وشمة^(١) ولا كذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم، ألا وإن الخطايا خيل شمس^(٢) حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار، ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها واعطوا أزمته فأوردتهم الجنة، وفتحت لهم أبوابها ووجدوا ريحها وطيبها وقيل لهم: «ادخلوا بسلام آمين»، ألا وقد سقني إلى هذا الامر من لم أشركه فيه ومن لم أهبه له ومن ليست له منه نوبة إلا بنبي يبعث، ألا ولا نبي بعد محمد ﷺ، أشرف منه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم. حق وباطل ولكل أهل، فلئن أمر الباطل لتقدما فعل، ولئن قلّ الحق فلربما ولعلّ، ولقلّما أدبر شئ فأقبل، ولئن ردّ عليكم أمركم أنكم سعداء وما عليّ إلا الجهد، وإنني لاخشي أن تكونوا على فترة ملتئم عني ميله كنتم فيها عندي غير محمودي الرأي، ولو أشاء لقلت: عفا الله عما سلف، سبق فيه الرجلان وقام الثالث كالغراب همّه بطنه، ويله لو قصّ جناحاه وقطع رأسه كان خيرا له، شغل عن الجنة والنار أمامه، ثلاثة وإثنان، خمسة ليس لهم سادس: ملك يطير بجناحيه، ونبي أخذ الله بضبعيه، وساع مجتهد. وطالب يرجوا ومقصر في النار، اليمين والشمال مضلّة، والطريق الوسطى هي الجادة عليها يأتي الكتاب وآثار النبوة، هلك من ادعى وخاب من اقتري، إن الله أدب هذه الأمة بالسيف والسوط، وليس لأحد عند الامام فيهما هواة، فاستتروا في بيوتكم وأصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم، من أبدى صفحته للحق هلك^(٣)».

وبالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في الارشاد قال: ومن كلامه ﷺ في أهل البدع ومن قال في الدين برأيه، وخالف طريق أهل الحق في مقاله: ما رواه ثقات أهل النقل عند العامة والخاصة، في كلام افتتاحه: «الحمد لله والصلاة على نبيه ﷺ»، أما بعد،

(١) الوشمة: المرة، يقال: ما عصيت فلانا وشمة أي طرفه عين وفي بعض النسخ بالمهمله وهي العلامة.

(٢) الخيل الشمس - بالضم - جمع شمس وهي الدابة التي تمنع ظهرها ولا تطيع راكبها، ويقابلها: الذلول.

(٣) الكافي؛ للشيخ الكليني ٨: ٦٧ - ٦٨.

فدَمَّتِي بما أقول رهينة وأنا به زعيم ، إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ، ولا يظماً عليه
 سنخ أصل ، وإن الخير كله فيمن عرف قدره ، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره ، وإن
 أبغض الخلق إلى الله رجل وكله الله إلى نفسه ، جائر عن قصد السبيل ، مشعوف بكلام
 بدعة ، قد لهج فيها بالصوم والصلاة ، فهو فتنة لمن افتتن به ، ضال عن هدي من كان قبله ،
 مضلّ لمن اقتدى به ، حمال خطايا غيره ، رهن بخطيئته ، قد قمش ^(١) جهلاً في جهال
 عشوة ، غار بأغباش الفتنة ، عم عن الهدى ، قد سماه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً
 سالماً ^(٢) ، بكر فاستكثر من جمع ، ما قل منه خير مما كثر ، حتى إذا ارتوى من آجن ،
 واستكثر من غير طائل ، جلس للناس قاضياً ، ضامناً لتخليص ما التبس على غيره ، إن
 خالف من سبقه لم يأمن من نقض حكمه من يأتي بعده ، كفعله بمن كان قبله ، وإن نزلت به
 إحدى المبهمات هياً لها حشوا [رتاً] ^(٣) من رأيه ثم قطع عليه ، فهو من لبس الشبهات في
 مثل غزل العنكبوت ، لا يدري أصاب أم أخطأ ، ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهبا ، إن
 قاس شيئاً بشئ لم يكذب رأيه ، وإن أظلم عليه أمر اكتتم به ، لما يعلم من نفسه في الجهل
 والنقص والضرورة كيلا يقال: أنه لا يعلم ، ثم أقدم بغير علم ، فهو خائض عشوات ، ركب
 شبهات ، خباط جهالات ، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ، ولا يعرض في العلم بضرس قاطع
 فيغتم ، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم ، تبكي منه الموارد ، وتصرخ منه الدماء ،
 ويستحل بقضائه الفرج الحرام ، ويحرم به الحلال ، لا يسلم بإصدار ما عليه ورد ، ولا
 يندم على ما منه فرط .

أيها الناس : عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لا تعذرون بجهالته ، فإن العلم الذي هبط به
 آدم وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين ، في عترة محمد ﷺ ، فأين يتاه بكم ؟

(١) قمش : جمع القماش ، وهو ما على وجه الأرض من فتات الأشياء ، ويقال لاراذل الناس
 قماش . (قاموس - قمش - ٢٨٥ : ٢) .

(٢) هذا وقد وردت في طبعة النجف ، سنة ١٣٨١ ، العبارة كما يلي : «ورجل قمش جهلاً موضع
 في جهال الأمة عادٍ في اغباش الفتنة ، عم بما في عقد الهدنة ، قد سماه أشباه الناس عالماً وليس
 به» .

(٣) من المصدر ، طبعة ١٣٨١ هـ .

بل أين تذهبون؟! يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة، هذه مثلها فيكم فاركبوها، فكما نجا في هاتيك من نجا، فكذلك ينجو في هذه من دخلها، أنا رهين بذلك قسما حقا وما أنا من المتكلفين، والويل لمن تخلف ثم الويل لمن تخلف! أما بلغكم ما قال فيهم نبيكم ﷺ حيث يقول في حجة الوداع: إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟. ألا هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا.^(١)

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في الأمالي، قال: أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن خالد المراغي، قال: حدثنا أحمد بن الصلت، قال: حدثنا حاجب بن الوليد، قال: حدثنا الوصاف بن صالح، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن خالد بن طليق، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ذمتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم، أنه لا يهيج على التقوى زرع قوم، ولا يظلم على التقوى سنخ أصل، ألا إن الخير كل الخير فيمن عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره، إن أبغض خلق الله إلى الله رجل قمش علما من أغمار غشوة وأوباش فتنة، فهو في عمى عن الهدى الذي أتى من عند ربه، وضال عن سنة نبيه ﷺ، يظن أن الحق في صحفه، كلا والذي نفس ابن أبي طالب بيده، قد ضل من افتري، سمّاه رعاع الناس عالما ولم يكن في العلم يوما سالما، بكرّ فاستكثر مما قل منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من غير حاصل، واستكثر من غير طائل، جلس للناس مفتيا ضامنا لتخليص ما اشتبه عليهم، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشوا من رأيه، ثم قطع على الشبهات، خباط جهالات ركاب عشوات، فالناس من علمه في مثل غزل العنكبوت، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم، ولا يعرض على العلم بضرس قاطع فيغنم، تصرخ منه المواريث، وتبكي من قضائه الدماء، وتستحل به الفروج الحرام، غير ملي والله باصدار ما ورد عليه، ولانادم على ما فرط منه، وأولئك الذين حلت عليهم النياحة وهم أحياء.

فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين ، فمن نسأل بعدك وعلى ما نعتمد ؟
فقال: استفتحوا بكتاب الله ، فإنه إمام مشفق ، وهاد مرشد ، وواعظ ناصح ، ودليل
يؤدي إلى جنة الله عز وجل .^(١)

وبالاسناد عن الهاروني (ت / ٤٢٤ هـ) قال: حدثنا ابو احمد محمد بن علي العبدكي،
قال: حدثنا جعفر بن علي الجابري، قال: حدثنا علي بن الحسين البغدادي عن مهاجر
العامري عن الشعبي عن الحارث ان علياً عليه السلام لما اختلف اصحابه خطبهم حين اجتمعوا
عنده مبتدئاً بحمد الله والثناء عليه والصلوة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال: اما بعد، فذمتي
بذلك رهينة وأنا به زعيم، من صرحت له العبر فيما بين يديه من المثالات حجزته التقوى
عن ارتكاب الشبهات، وانه لن يظلماً على التقوى زرع قوم، ولن يبلى على الهدى سنخ
أصل، وان الخير والخيرة في معرفة الانسان قدره، وكفى بالمرء جهلاً ان لا يعرف قدره،
وان احب خلق الله الى الله عبد اعانه على نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف،
وأضمر اليقين، وأزهرت مصابيح الهدى في قلبه، فسهل على نفسه الشديد، وقرب عليها
البعيد، فلم يدع مبهمه إلا كشف غطاها، ولا مظلمة إلا قصد جلائها، ولا معظمة إلا بلغ
مداها، معان طريقته، مشاهد من كل امرء حقيقته، شرب نهلاً وسلك طريقاً سهلاً، يحط
حيث القرآن حط رحله، أين ينزل كان منزله، فهو من خاص اولياء الله. وان ابغض خلق
الله الى الله عبد وكله الله الى نفسه، جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، فهو فتنة
لمن افتتن بعبادته، ضال عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به، حمال خطايا غيره
ورهبين بخطيئته، قمش جاهلاً من الجهال فأوطأ الناس عشوة، غاراً بأوباش الفتنة، قد
نهج بالصلاة والصوم فسماه اشباه الناس عالماً، ولم يُغْنِ في العلم يوماً سالماً، بكر
فاستكثر، ما قل منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من آجنٍ وأكثر من غير طائل، قعد
حاكماً بين الناس، ضامناً لتخليص ما اشتبه عليهم، ان نزل به احدى المبهمات هيئاً لهل
حشوا من رأيه، فهو من قطع الشبهات في مثل نزل العنكبوت، ان اصاب ام أخطأ،

(١) الأماي؛ للشيخ الطوسي: ٢٣٥.

لا يحسب ان العلم في شيء مما ينكر، ولا ان من وراء ما بلغه غاية، ان قاس شيئاً بشيء لم يُكذب بصره، وان اظلم عليه أمر كنتم ما تعلم من نفسه؛ لكيلا يقال: لا يعلم، ركاب عشوات، وخائض غمرات، ومفتاح ظلمات، ومعتقد شبهات، لا يعتذر مما لا يعلم، ولا يعرض على العلم بضرر قاطع فيسلم، يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم، تصرخ منه الدماء، وتبكي منه الموارد، ويُستحل بقضائه الفرج الحرام، ويحرم بمرضاته الفرج الحلال، لا مليّ بإصدار ما ورد عليه، ولا اهل لإصلاح ما فرط منه، فابصروا معادن الجور، واستقصوا بالذم آثارها، واستروحوا الى طاعة من لا تعذرون بجهالته، ثم ردوا هذا عذب فرات، واحذروا هذا ملح اجاج، واعلموا ان العلم الذي هبط به آدم عليه السلام وما فصلته الانبياء في عترة نبيكم، فأين يتناه بكم؟ أنا من سنخ اصلاص اصحاب السفينة، هؤلاء مثلها فيكم وهم لكم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب حطة وباب السلم، فادخلوا في السلم كافة، خذوا عني عن خاتم المرسلين، حجة من ذي حجة قالها في حجة الوداع: اني تارك فيكم ما ان تمسكتكم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي اهل بيتي، انهما لن يفترقا حتى يرثي عليّ الحوض»^(١).

ومن الموافقات: ما أرويه بالاسناد ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»، قال: أخبرنا أبو العز أحمد بن عبيد الله أذنا ومناولة، وقرأ علي إسناداه: أنا محمد بن الحسين أنا المعافى بن زكريا القاضي حدثني محمد بن عمر بن نصير الحربي الحمال سنة ستة عشرة وثلاثمائة إملاء من حفظه نا حاجب بن سليمان المنبجي وهو يومئذ بحلب سنة ثنتين وستين مائتين، نا الوصاف بن صالح.

ح وقال: ونا محمد بن محمد بن يزيد المقرئ النهرواني المعروف بابن زيدويه نا أبو منصور يعني سليمان بن محمد بن الفضل بن جبريل البجلي نا حاجب بن سليمان ومحمد بن الحسن بن سنان المنبجيان قالوا: أنا الوصاف بن حاتم أبو الحسن قال القاضي وهو الصواب عندي وقالوا جميعاً - أعني الحربي وابن زيدويه - نا أبو إسحاق الكوفي عن

(١) نثر المطالب: ١٧٩ - ١٨١، ط / ١٣٩٥ هـ.

خالد بن طليق عن أبيه عن علي بن أبي طالب أنه قال: ذمتي رهينة وأنا به زعيم، لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظماً على التقوى سنخ أصل، وإن أجهل الناس من لم يعرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره، وإن أبغض الناس إلى الله عز وجل: رجل قمش علماً في أغمار من الناس غشوة، أغار فيه بأغبار الفتنة، عمي عما في رتب الهدنة - وقال ابن زيدويه مكان الهدنة: الفتنة - سماه أشباه الناس عالماً ولم يغن في العلم يوماً سابقاً - ولم يقل الحربي: في العلم - ذكر، فاستكثر ما قل منه، وقال الحربي: وما قل منه خير مما أكثر، حتى ارتوى من آجن واستكثر من غير طائل جلس للناس مفتياً. قال الحربي: لتخليص ما لبس على غيره، وليس هذا في حديث ابن زيدويه. وقال: فإن نزلت به إحدى المهمات. قال الحربي: هيأ لها حشواً من رأيه، وقال ابن زيدويه: هيأ حسو الرأي من رأيه، فهو من قطع المشبهات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري أخطأ أم أصاب. وقال ابن زيدويه مكان نسج: غزل، وقال الحربي: خباط جهالات، ركاب عمايات، وقال ابن زيدويه: ركاب جهالات خباط عشوات، لا يعتذر مما يعلم فيسلم، ولا يعرض على العلم بضرس قاطع فيغنم، تبكي منه الدنيا، وقال ابن زيدويه مكان الدنيا: الدماء، وكأنه أشبه بالصواب عندي، وقال: وتصرخ منه الموارث وتستحل بقضائه الفرج الحرام، لا ملئ والله ولا أهل بإصدار مما ورد عليه، ولا هو أهل لما فرض له. وقال ابن زيدويه: لا ملئ والله بإصدار ما ورد عليه، ولا هو أهل لما قرظ به، وقال الحربي: أولئك الذين حقت عليهم النياحة أيام الدنيا، قال القاضي: وأنهى ابن زيدويه حديثه عند قوله: لما قرظ به. ثم قال: وزاد فيه غيره وأتى بما رويناه بعد هذا عن الحربي منفرداً به على ما وصفناه، قال القاضي: قول أمير المؤمنين: ذمتي رهينة وأنا به زعيم، إبانة عن تيقنه ما أخبر به وبصيرته وثقته بحقيقته وتوثيقه لمن أخبره بثبوت وصحته، وأما قوله: وأنا به زعيم، فإن الذي يرجع إليه هاء الضمير من في جملة الكلام ومعناه وما دل عليه مفهومه وفحواه، كانه قال: وأنا بقولي هذا زعيم، وإن لم يأت بصريح اسم خاص ولا مصدر يعود الضمير عليه على أصله وذلك مستعمل فصيح فاش في العربية، وقد يأتي في مثل هذا فعل أو اسم فاعل يدل على

مصدر يعود الضمير إليه دون لفظ جملة من كلام يحمل عليه، فأما الفعل الدال على مصدره فكقولهم: من كذب كان شراً له أضمر في كان الكذب الذي دل عليه كذب، وعاد الضمير إليه وإن لم يأت على تبينه، قال الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرّ لهم﴾ يعني البخل الذي لم يأت على خاص لفظه اكتفاء بدلالة الفعل الذي هو ييخلون عليه، وأما اسم فاعل فكقولهم: إذا أحسن كما أمر فجازاه عليه، يريد على إحسانه الذي دل عليه أحسن ورجع عائذ الضمير إليه، وهذا مثل قول الشاعر:

إذا نهى السفية جرى إليه وخالف والسفيه إلى خلاف

اراد إلى السفية على ما بينا، وقد يكتفون في هذا الباب بدلالة العهد والحال وتجلي الأمر الشائع فيه قال الله عز ذكره: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾ وقال تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾ فأعاد الضمير على الأرض ولم يجر لها في هذه القصة ذكر، وقال جل ثناؤه: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ يعني القرآن، وقال: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ يعني الشمس في قول جمهور أهل العلم، قال الشاعر:

هذا مقام قدمي رباح عدوه حتى دلكت براح

يريد الشمس، وقال الله تعالى أصدق القائلين: ﴿فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا﴾ يريد الوادي أو الموضع أو المكان أو المنزل وهذا الباب واسع، وله شرح ليس هذا موضعه، وقد أتينا منه هاهنا بما يكفي منه بعضه بل هو جميعه .

وأما الزعيم فإنه الكفيل، ومنه قول رسول الله ﷺ: «الزعيم غارم»، وقال الله جل ثناؤه: ﴿ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾^(١) وقال: جل ثناؤه: ﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾^(٢) ويقال: فلان زعيم القوم أي القائم بأمورهم المتكفل بها ومنه ما جاء به الأثر في

(١) يوسف : ٧٢ .

(٢) القلم : ٤٠ .

ذكر أشراف الساعة: «وصار زعيم القوم أَرذلهم» وقال الشاعر:

إني زعيم يا نويقة إن نجوت من من الرواح
وسلمت من غرض الحتوف مع الغدو إلى الرواح
أن تهبطن بلاد قو م يرتعون من الطلاح

ويقال: أيضا في الزعيم ضمين وقبيل وحميل، من القبالة والحماله، وصبير وتبيع كما قال الشاعر:

غدوا وغدت غزلانهم وكأنها ضوا من غرم أزهن تبيع
وقد قيل في قول الله تعالى: ﴿أَو تَأْتِي بَالِغًا وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا﴾^(١) إنه بمعنى القبيل أي الكفيل، وقيل: بل هو من الجماعة وقيل: هو من المقابلة والمعانية، واختلف في تأويل قوله عز وجل: ﴿أَو يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قَبِيلًا﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبِلًا﴾^(٣) على أقوال مع اختلاف القراءة في كسر القاف وفتح الباء وفي ضمهما، وفي الجمع بين الموضوعين والتفريق بينهما، وهذا مشروح في كتبنا التي ألفناها في القراءات والتأويل. وقوله: «ولا يهيج على التقوى» أي يفسد فيصير هشيما من قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ فِتْرَاهُ مَصْفَرًا﴾^(٤) وقوله: «سنخ أصل» يقال: قلع سنه من سنخها، وقوله في الخبر: «بأغبار الفتنة» يعني بقاياها، ويقال: بفلان غبر من المرض، أي بقايا كما قال الشاعر:

فإن سألت عني سليمي فقل لها به غبر من دائه وهو صالح
وقوله: «حتى إذا ارتوى من آجن» الاجن: الماء المتغير لركوده وطول وقوفه، وكذلك الآسن يقال: آسن الماء يأسن ويأسن وأجن يأجن ويأجن، قرأ ابن كثير: «غير أسن» مقصورة الهمزة، وقيل في قول الله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لِمَ يَتَسَنَّه﴾ إنه من ألسنه أي لم تؤثر فيه السنون فتحيله وتغيره ووصلوا بالها ووقفوا عليها إذا كانت فيه أصلا،

(١) الاسراء: ٩٢.

(٢) الكهف الآية: ٥٥.

(٣) الانعام: ١١١.

(٤) الزمر: ٢١ والحديد: ٢٠.

يقولون بعته مشافهة ومساناة فجعل من قرأ هكذ الهاء لام الفعل وأصلا فيه وأثبت الهاء فيه آخرون زائدة للسكت، إذا وقفوا كقوله: «أقتده» وكقولهم: ارنيه وتعاله وحذفوها في الوصل، فقال: يتسنّ، وانظر، وزعموا أنه من أسن الماء وهذا التأويل عندنا غلط من متأوليّه وذهاب عن وجه الصواب فيه، ولو كان على ما توهموا لوجب أن يقال: لم يتأسن؛ لأن الهمزة فيه فاء الفعل والسين عينه والنون لامة وإشباع هذا فيما ألفناه من حروف القرآن ومعانيه، ومن الاجن قول عبيد بن الأبرص:

سبيله	رب	خلف	اجن	حوروبته
للقيش	للحمام	خوفلى	وأجبله	

وقوله: خطاب عشوات، يعني الظلم، وهذا الفريق الذي وصفهم أمير المؤمنين من الجهلة الأراذل السفلة قد كثروا في زماننا وغلبوا على أهله واستعلوا على علمائه والربانيين فيه، وإلى الله المشتكى، وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله أنه قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(١)

انتهى ما أورده ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق» في شرح خطبة الامام عليه السلام أورده بطوله لما فيه من فوائد اختص بها هذا الحافظ رحمته الله، وراجع ما أورده في الاكتفاء.

وبالاسناد إلى المتقي الهندي (ت / ٩٨٥ هـ) في «كنز العمال»: عن علي قال: ذمتي رهينة وأنا به زعيم، لمن صرحت له العبر، أن لا يهيج على التقوى زرع قوم، ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل^(٢)، ألا وإن أبغض خلق الله إلى الله رجل قمش علما غارًا في أغباش^(٣) الفتنة، عميا بما في غيب الهدنة^(٤)، سماه أشباهه من الناس عالما، ولم يغن في

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٥٠٤ - ٥٠٨.

(٢) سنخ: السنخ والاصل واحد، فلما اختلف اللفظان أضاف أحدهما إلى الآخر.

(٣) أغباش: يقال: غبش الليل وأغبش إذا أظلم ظلمة يخالطها بياض، ومنه حديث علي قمش علما غارا بأغباش الفتنة أي بظلمها.

(٤) الهدنة: السكون والهدنة: الصلح والموادعة بين المسلمين والكفار، وبين كل متحاربين. ومنه حديث علي: «عميانا في غيب الهدنة أي لا يعرفون ما في الفتنة من الشر، ولا ما في

العلم يوما سالما ، بكرّ فاستكبر ، فما قلّ منه فهو خير مما كثر ، حتى إذا ما ارتوى من ماء آجن ، وأكثر من غير طائل قعد للناس مفتيا لتخليص ما التبس على غيره ، إن نزلت به إحدى المبهمات هيا حشوا من رأيه ، فهو من قطع المشتبهات في مثل غزل العنكبوت ، لا يعلم إذا أخطأ لأنه لا يعلم أخطأ أم أصاب ، خباط عشوات ، ركاب جهالات ، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ، لا يعرض في العلم بضرر قاطع ، ذرّاء الرواية ذرو الريح الهشيم ، تبكي منه الدماء ، وتصرخ منه المواريث ، ويستحل بقضائه الحرام ، لا ملئ والله باصدار ما ورد عليه ، ولا أهل لما فرط به . (المعافى بن زكريا ، ووكيع ، كر) .^(١)

وبالاسناد المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) عن محمد بن الحنفية قال: لما قتل عثمان استخفى عليّ في دار لابي عمرو بن حصين الانصاري ، فاجتمع الناس فدخلوا عليه الدار فتدكوا^(٢) على يده ليبياعوه تداكك الابل البهم على حياضها ، وقالوا : نبايعك ، قال : لا حاجة لي في ذلك ، عليكم بطلحة والزبير قالوا : فانطلق معنا فخرج علي وأنا معه في جماعة من الناس حتى أتينا طلحة بن عبيد الله فقال له : إن الناس قد اجتمعوا ليبياعوني ولا حاجة لي في بيعتهم ، فابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله ، فقال له طلحة : أنت أولى بذلك مني وأحق لسابقتك وقربتك ، وقد اجتمع لك من هؤلاء الناس من تفرق عني ، فقال له علي : أخاف أن تنكث بيعتي وتغدر بي ، قال : لا تخافن ذلك فوالله لا ترى من قبلي أبدا شيئا تكرهه ، قال : الله عليك بذلك كفيل ؟ قال : الله عليّ بذلك كفيل ، ثم أتى الزبير بن العوام ونحن معه فقال : له مثل ما قال لطلحة ورد عليه مثل الذي رد عليه طلحة ، وكان طلحة قد أخذ لقاحا^(٣) لعثمان ومفاتيح بيت المال وكان الناس اجتمعوا عليه ليبياعوه ، ولم يفعلوا ، فضرب^(٤) الركبان بخبره إلى عائشة وهي بسرف^(٥) فقالت : كأني

السكون من الخير .

(١) كنز العمال ؛ للمتقي الهندي ١٦ : ١٩٧ ، بالرقم ٤٤٢٢٠ .

(٢) فتداكوا : في حديث علي : " ثم تداكتم علي تداكك الابل الهيم على حياضها " أي ازدهتم . وأصل الدك : الكسر . النهاية ٢ : ١٢٨ .

(٣) لقاحا : اللقحة بالكسر والفتح : الناقة القرية العهد بالنجاح . والجمع : لقح وقد لقحت لقحا ولقاحا ، وناقة لقوح ، إذا كانت غزيرة اللبن . وناقة لاقح ، إذا كانت حاملا . ونوق لواقح . واللقاح : ذوات الالبان ، الواحدة : لقوح . (النهاية ٤ : ٢٦٢) .

(٤) فضرب : يقال : ضربت في الارض إذا سافرت . (النهاية ٣ : ٧٩) .

أنظر إلى أصبعه تباع بخب^(٦) وغدر، قال ابن الحنفية: لما اجتمع الناس على عليّ قالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد لهذا الأمر أحق منك ولا أقدم سابقة ولا أقرب برسول الله ﷺ برحم منك، قال: لا تفعلوا فاني وزيراً لكم خيراً لكم مني أميراً، قالوا: والله ما نحن بفاعلين أبداً حتى نباعك، وتداكوا على يده، فلما رأى ذلك قال: إن بيعتي لا تكون في خلوة إلا في المسجد ظاهراً وأمر منادياً فنادى: المسجد، فخرج وخرج الناس معه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: حق وباطل ولكل أهل، ولئن كثر الباطل لقد نما بما فعل، ولئن قل الحق فلربما، ولقلما ما أدبر شئ فأقبل، ولئن رد اليكم أمركم إنكم السعداء، وإنني أخشى أن تكونوا في فترة، وما عليّ إلا الجهد، سبق الرجلان وقام الثالث، ثلاثة واثنتان ليس معهما سادس: ملك مقرب، ومن أخذ الله ميثاقه وصديق نجا، وساع مجتهد وطالب يرجو اثره السادس، هلك من ادعى، وخاب من افترى، اليمين والشمال مضلة، والوسطى الجادة منهج عليه بما في الكتاب وآثار النبوة، فان الله أدب هذه الامة بالسوط والسيف ليس لاحد فيها عندنا هواة، فاستتروا ببيوتكم وأصلحوا ذات بينكم، وتعاطوا الحق فيما بينكم، فمن أبرز صفحته معاندا للحق هلك، والتوبة من ورائكم، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فهي أول خطبة خطبها بعد ما استخلف^(٧).

وقال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في «شرح نهج البلاغة»: وهذه الخطبة من جلائل خطبه ﷺ ومن مشهوراتها، قد رواها الناس كلهم، وفيها زيادات حذفها الرضى، إما اختصاراً أو خوفاً من إيحاء السامعين، وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين» على وجهها، ورواها عن أبي عبيدة معمر بن المثنى. قال: أول خطبة خطبها أمير المؤمنين على ﷺ بالمدينة في خلافته: «حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: ألا لا يرعين مرع إلا على نفسه. شغل من الجنة والنار أمامه. ساع

(٥) سرف: هو بكسر الراء: موضع من مكة على عشرة أميال. وقيل أقل وأكثر. (النهاية ٢: ٣٦٢).

(٦) الخب: يقال: خب النبات طال وارتفع والرجل منع ما عنده ونزل المنهبط من الارض ليجهل موضعه بخلا والبحر اضطرب وفلان صار خداعاً. (القاموس ١: ٥٩).

(٧) كنز العمال: للمتقي الهندي ٥: ٧٤٨.

مجتهد ينجو، وطالب يرجو، ومقصر في النار، ثلاثة. واثنان: ملك طار بجناحيه، ونبي أخذ الله بيده، لا سادس. هلك من ادعى، وردى من اقتحم. اليمين والشمال مضلة، والوسطى الجادة، منهج عليه باقي الكتاب والسنة وآثار النبوة. إن الله داوى هذه الامة بدواءين: السوط والسيف، لا هوادة عند الامام فيهما. استتروا في بيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم. من أبدى صفحته للحق هلك. قد كانت لكم أمور ملتئم فيها على ميللة لم تكونوا عندي فيها محمودين ولا مصيبين، أما إني لو أشاء لقلت: عفا الله عما سلف. سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب، همته بطنه. ويحه لو قص جناحاه، وقطع رأسه لكان خير له! انظروا فإن أنكرتم فأنكروا، وإن عرفتم فآزروا. حق وباطل، ولكل أهل. ولئن أمر الباطل لقد فيما فعل، وإن قل الحق لربما ولعل، وقلما أدبر شيء فأقبل. ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء، وإني لآخشي أن تكونوا في فترة، وما علينا إلا الاجتهاد.

قال شيخنا أبو عثمان عليه السلام: وقال أبو عبيدة: وزاد فيها في رواية جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: ألا إن أبرار عترتي، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغارا، وأعلم الناس كبارا. ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا. ومعنا راية الحق، من تبعها لحق، ومن تأخر عنها غرق. ألا وبنا يدرك ترة كل مؤمن، وبنا تخلع ربة الذل عن أعناقكم، وبنا فتح لا بكم، ومنا يختم لا بكم^(١).

قال الجلالى: ويظهر من ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرحه اختلاف النص رواية هذا الكلام، فراجع الصفحات ١: ٢٧٩ و ١: ٢٨١ و ١: ٢٨٢، ورواها الاسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) مرسلًا في المعيار والموازنة (٢٨٩ - ٢٩٠) ط / سنة ١٤٠٢ هـ.

(١) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد ١: ٢٧٥ - ٢٧٦.

[الخطبة (١٧)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: «إن أبغض الخلق ... الى آخره». أقول: روى هذا الكلام الشيخ الكليني في أصول الكافي «ص ٣٠ طبع ايران» وروى ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار «ص ٦٠ ج ل» اكثر فقرات هذا الكلام مع اختلاف بين ما هنا وما هنالك في كثير من الفقرات، وقيل: إن الاجود والافصح الرواية الاخرى يذرو الروايات ذرو الريح الهشيم وهكذا ذكر ابن قتيبة في غريب الحديث لما ذكر هذه الخطبة عن أمير المؤمنين^(١)».

وقال العرشي في التخريج مانصه: «روى ابن قتيبة هذه الخطبة في غريب الحديث له [ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٢]، كما رواها الكليني في أصول الكافي [١٣] والشيخ المفيد في الارشاد [١٣٥]». (انتهى)^(٢)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن محمد بن يحيى، عن بعض أصحابه، وعلي بن إبراهيم عن أبيه عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله ﷺ، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب رفعه، عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: إن من أبغض الخلق إلى الله عز وجل لرجلين: رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشعوف^(٣) بكلام بدعة، قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدي^(٤) من كان

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٦.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) في بعض النسخ بالغين المعجمة وفي بعضها بالمهملة وبهما قرء قوله تعالى: ﴿قد شغفها حبا﴾ وعلى الاول معناه: دخل حب كلام البدعة شغاف قلبه أي حجاب به وقيل سويداء ه وعلى الثاني غلبه حبه وأحرقه فان الشغف بالمهملة شدة الحب واحرقه القلب. (مرآت العقول؛ للمجلسي).

(٤) بفتح الهاء وسكون المهمله أي السيرة والطريقة.

قبله ، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته ، حَمَّال خطايا غيره ، رهن بخطيئته .
ورجل قمش رجلا في جهال الناس ، عان ^(١) بأغباش الفتنة ، قد سماه أشباه الناس
عالما ولم يغن ^(٢) فيه يوما سالما ، بكَرَّ ^(٣) فاستكثر ، ما قل منه خير مما كثر ، حتى إذا
ارتوى من آجن ^(٤) واكتنز من غير طائل ^(٥) جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما
التبس على غيره ، وإن خالف قاضيا سبقه ، لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده ،
كفعله بمن كان قبله ، وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشوا من رأيه ، ثم
قطع به ، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ ، لا
يحسب العلم في شئ مما أنكر ، ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهبا ، إن قاس شيئا بشئ لم
يكذب نظره وإن أظلم عليه أمر اكتتم به ، لما يعلم من جهل نفسه ، لكيلا يقال له : لا يعلم ،
ثم جسر فقضى ، فهو مفتاح عشوات ^(٦) ، ركاب شبهات ، خباط جهالات ، لا يعتذر مما لا
يعلم فيسلم ، ولا يعرض في العلم بضرر قاطع فيغنم ، يذري الروايات ذرو الريح
الهشيم ^(٧) ، تبكي منه المواريث ، وتصرخ منه الدماء ، يُستحلُّ بقضائه الفرج الحرام ،
ويُحرَّم بقضائه الفرج الحلال ، لا ملئ بإصدار ما عليه ورد ، ولا هو أهل لما منه فرط ، من
ادعائه علم الحق . ^(٨)

من الموافقات: ما أورده ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في «شرح نهج البلاغة» :

- (١) كذا في أكثر النسخ من قولهم عنى فيهم أسيرا أي أقام فيهم على أسارة واحتبس وعناه
غيره حبسه والعاني : الأسير ، أو من عنى بالكسر بمعنى تعب ، أو من عنى به فهو عان أي اهتم به
واشتغل وفي بعض النسخ بالغين المعجمة من الغنى بالمكان كرضى أي : أقام به ، أو من غنى
بالكسر أيضا بمعنى عاش . والغيش بالتحريك ظلمة آخر الليل . (مرآت العقول؛ للمجلسي) .
- (٢) أي لم يلبث يوما تاما .
- (٣) أي خرج للطلب بكرة وهي كناية عن شدة طلبه واهتمامه في كل يوم أو في أول العمر إلى
جمع الشبهات والآراء الباطلة .
- (٤) أي شرب حتى ارتوى ، والاجن : الماء المتغير المتعفن .
- (٥) أي عد ما جمعه كنزا وهو غير طائل . أي ما لا نفع فيه .
- (٦) العشوة : الظلمة أي يفتح على الناس ظلمات الشبهات ، والخط المشي على غير استواء .
- (٧) أي كما أن الريح في حمل الهشيم وتبديده لا تسالي بتمزيقه واختلال نسقه كذلك هذا
الجاهل تفعل بالروايات ما تفعل الريح بالهشيم ، والهشيم ما يبس من النبت وتفتت .
- (٨) الكافي ؛ للشيخ الكليني ١ : ٥٤ - ٥٦ .

وقوله: " يذرى الروايات " هكذا أكثر النسخ ، وأكثر الروايات " يذرى " من " أذرى " رباعيا ، وقد أوضحه قوله : " إذرء الرياح " ، يقال: طعنه فأذراه ، أي ألقاه ، وأذريت الحب للزرع ، أي ألقيته ، فكأنه يقول : يلقي الروايات كما يلقي الانسان الشئ على الارض ، والاجود الاصح الرواية الاخرى: " يذرو الروايات ذرو الرياح الهشيم " ، وهكذا ذكر ابن قتيبة في " غريب الحديث " لما ذكر هذه الخطبة عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال تعالى : ﴿فأصبح هشيمًا تذروه الرياح﴾ ، والهشيم : ما ييس من النبت وتفتت .

قوله : " لا ملئ " ، أي لا قيم به ، وفلان غنى ملئ ، أي ثقة بين الملاء والملاء ، بالمد . وفي كتاب ابن قتيبة تنمة هذا الكلام : " ولا أهل لما قُرَّظ به " ، قال: أي ليس بمستحق للمدح الذي مدح به . والذي رواه ابن قتيبة من تمام كلام أمير المؤمنين عليه السلام هو الصحيح الجيد ، لأنه يستقيح في العربية أن تقول : لا زيد قائم ، حتى تقول : ولا عمرو . أو تقول : ولا قاعد ، فقوله عليه السلام : " لا ملئ " أي لا هو ملئ ، وهذا يستدعى " لا " ثانية ، ولا يحسن الاقتصار على الاولى ^(١) .

(١) شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد ١ : ٢٨٥ .

[الخطبة (١٨)]

من التعقيبات: ما أرويه بالاسناد عن النوري في مستدرك الوسائل ٣: ١٧٤، عن دعائم الاسلام النعمان المغربي (ت / ٣٦٣ هـ) والنص في دعائم الاسلام ما لفظه: «وروينا عن عمرو بن أذينة، وكان من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه قال: دخلت يوما على عبد الرحمن بن أبي ليلى بالكوفة وهو قاض، فقلت: أردت، أصلحك الله، أن أسألك عن مسائل، وكنت حديث السن، فقال: سل، يا ابن أخي، عما شئت، قلت:.... فذكر الحديث^(١).

(١) دعائم الاسلام؛ للقاضي النعمان المغربي ١: ٩٢.

[الخطبة (٢٠)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن محمد بن يحيى العطار ، عن بعض أصحابنا ، عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تختانوا ولا تكتم ، ولا تغشوا هداكم ، ولا تجهلوا أئمتكم ، ولا تصدعوا عن حبلكم فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وعلى هذا فليكن تأسيس أموركم ، والزموا هذه الطريقة ، فانكم لو عاينتم ما عاين من قد مات منكم ممن خالف ما قد تدعون إليه ، لبدرتم وخرجتم ولسمعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا ، وقريبا ما يطرح الحجاب.^(١)

ومن التعقيبات: ما أرويه بالاسناد عن ابن ادريس الحلي (ت / ٥٩٨ هـ) في مستطرفات السرائر : قال قال: أبو عبد الله عليه السلام: بلغ أمير المؤمنين عليه السلام موت رجل من أصحابه ، ثم جاءه خبر آخر انه لم يموت ، فكتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد ، فانه قد كان اتانا خبر ارتاع له اخوانك ، ثم جاء تكذيب الخبر الاول ، فانعم ذلك ان سررنا وان السرور وشيك الانقطاع ، مبلغه عما قليل تصديق الخبر الاول ، فهل أنت كائن كرجل قد ذاق الموت وعائنه ما بعده ، فسأل الرجعة ، فاسعف بطلبته ، فهو متأهب دائب ، ينقل ما سره من ماله إلى دار قراره ، لا يرى ان له مالا غيره ، وأعلم ان الليل والنهار لم يزالا دائبين في نقص الاعمار ، وانفاد الاموال ، وطوي الآجال ، هيهات هيهات ، قد صبحا عادا وشمودا ، وقرونا بين ذلك كثيرا ، فاصبحوا قد وردوا على ربهم ، وقدموا على اعمالهم ، والليل والنهار غضان جديدان لا تبليهما مامرا به ، مستعدان لمن بقي بمثل ما اصابا به من مضي ، واعلم انما أنت نظير اخوانك ، واشباهك مثلك ، كمثل الجسد قد نزعته قوته ، فلم يبق الا حشاشة نفسه ، ينتظر الداعي ، فنعوذ بالله مما نعظ به ، ثم تقصر عنه .^(٢)

(١) الكافي ؛ للشيخ الكليني ١ : ٤٠٥ .

(٢) مستطرفات السرائر ؛ لابن ادريس الحلي ٣ : ٦٣٤ و ٦٣٥ ، ط / ١٤١١ هـ .

[الخطبة (٢١)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الطبري في تاريخه [ج ٥ ص ١٥٧].
(انتهى)^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه عن الشريف الرضي (ت / ٤٠٦ هـ) في كتابه «خصائص الائمة» مانصه: «وقال عليه السلام: تخففوا تلحقوا». قال الشريف الرضي أبو الحسن عليه السلام: ما اقل هذه الكلمة واكثر نفعها واعظم قدرها، وابعد غورها، واسطع نورها، وبعد هذه الكلمة قوله عليه السلام: «فخلفكم الساعة تحذوكم، وانما ينتظر بأولكم آخركم».^(٢)

وبالاسناد عن الهاروني (ت / ٤٢٤ هـ) قال: أخبرنا ابو عبدالله احمد بن محمد البغدادي الآبوسي، قال: حدثنا ابو القاسم عبد العزيز بن اسحق بن جعفر، قال: حدثني ابو الحسن منصور ابن نصر، قال: حدثني ابو عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن جعفر بن محمد عن ابيه عن آباءه عليهم السلام ان امير المؤمنين علياً عليه السلام خطب الناس وهو متوجه الى البصرة يحرض الناس الى الجهاد، فحمد الله واثنى عليه، ثم قال: أيتها الامة، ان الجهاد سَنَامُ الدين وان الله فرض الجهاد وعظمه فجعله نصرته وناضرتة وايم الله ما صلحت الدنيا والدين إلا به، ألا وان الشيطان كان قد استجلب خيله ونصب خدعه، فمن أطاع شيطانه لم يعتدل له دينه. والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد انكروا منكراً اكتسبوه، وطلبوا بدم سفكوه، وعرض شتموه وحرمة انتهكوها، وان اول عدلهم على انفسهم يريدون ان يرضعوا امماً فطمت، وان يحيوا بدعة اميتت، فيا خيبة للداعي الى من دعا، لو قيل له: الى من دعوت، ومن امامك، والى من سبيلك؟ لأنزاح الباطل عن مقامه، ولرأى الطريق واضحاً حيث نهج، والذي نفسي بيده ان هؤلاء القوم ليعلمون اني محق وهم مبطلون واني معذر اليهم فان قبلوا فالتوبة مقبولة والذنب مغفور وان ابوا اعطيتهم حد السيف، وكفى به ناصراً لمؤمن ومنتصراً لمظلوم.^(٣)

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) خصائص الائمة: ٨٧، ط / ١٣٦٨ هـ.

(٣) تيسير المطالب: ٢٠٦، ط / ١٣٩٥ هـ.

[الخطبة (٢٢)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١هـ) في التخريج: «قوله ﷺ «ألا وإن الشيطان ذمر حربه... إلى آخره.» قال الشارح العلامة أكثر هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا إنه ﷺ خطبها حين بلغه إن طلحة والزبير خلعا بيعته، وفيه زيادة ونقصان، وقد أورد السيد بعضه فيما قبل إلى أن قال: ونحن نورد الخطبة بتمامها ليتضح المقصود، وهي بعد حمد الله... ثم ذكرها إلى آخرها؛ وفي الشرح أن هذه الخطبة ليست من خطب صفين كما ذكره الراوندي بل من خطب الجمل وقد ذكر كثيراً منها أبو مخنف... إلى آخره؛ ثم ذكر في الشرح جملة خطب، والظاهر أن السيد اختار منها ما أثبتته في النهج، أو أنه وقف عليه مروياً بتمامه برواية لم يقف عليها الشارحان.^(١)

وقال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الشيخ في الارشاد (١٤٦)، وشيخ الطائفة في الأمالي (١٠٦) وكتاب الجمل (١٢٩).» انتهى^(٢)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب رفعه: أن أمير المؤمنين ﷺ خطب يوم الجمل، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني أتيت هؤلاء القوم ودعوتهم واحتججت عليهم، فدعوني إلى أن أصبر للجلاد وأبرز للطعان^(٣) فلا مَهْمُ الهبل، وقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب، أنصف القارة من رامها^(٤) فلغيري فليبرقوا وليرعدوا^(٥) فأنا أبو الحسن الذي فللت حدهم وفرقت جماعتهم وبذلك

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٦.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) الجلاد والطعان: المسابقة والمقاتلة والهبل: فقدان الحبيب أو الولد يقال: هبلته أمه وثكلته أي فقدته. (الوافي).

(٤) في النهاية: القارة: قبيلة من بني الهرم من خزيمة سمو قارة لاجتماعهم واتفاقهم يوصفون بالرمي وفي المثل أنصف القارة من رامها.

(٥) الأبراق والأرعاد: التهديد. والنفل: الكسر.

القلب ألقى عدوي، وأنا على ما وعدني ربي من النصر والتأييد والظفر، وإني لعلّ يقين من ربي وغير شبهة من أمري، أيها الناس إن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص، ومن لم يمت يقتل، وإن أفضل الموت القتل، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على فراش، وأعجبا لطلحة ألب الناس على ابن عفان حتى إذا قتل أعطاني صفقته يمينه طائعا ثم نكت بيعتي، اللهم خذه ولا تمهله. وأن الزبير نكت بيعتي وقطع رحمي وظاهر عليّ عدوي فاكفنيه اليوم بما شئت.^(١)

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في الأمالي قال مانصّه: أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرني أبو الحسن علي بن محمد الكاتب، قال: حدثنا الحسن بن علي بن عبد الكريم الزعفراني، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفي، قال: حدثنا عبيد الله بن إسحاق الضبي، عن حمزة بن نصر، عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي، قال: لما رجعت رسل أمير المؤمنين عليه السلام من عند طلحة والزبير وعائشة، يؤذونه بالحرب، قام فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد وآله، ثم قال: يا أيها الناس، إني قد راقبت هؤلاء القوم كيما يروعوا^(٢) أو يرجعوا، وقد وبختهم بنكتهم وعرفتهم بغيهم، فليسوا يستجيبون، ألا وقد بعثوا إليّ: أن ابرز للطعان، واصبر للجلاد، فإنما منتك نفسك من أبنائنا الأباطيل. هبّلتهم الهبول^(٣)، قد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب، وأنا على ما وعدني ربي من النصر والتأييد والظفر، وإني لعلّ يقين من ربي، وفي غير شبهة من أمري. أيها الناس، إن الموت لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص، من لم يمت يقتل، إن أفضل الموت القتل، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من موت على فراش. يا عجبا لطلحة، ألب على ابن عفان حتى إذا قتل أعطاني صفقة يمينه طائعا، ثم نكت بيعتي، وطفق ينعي ابن عفان ظالما، وجاء يطلبني - يزعم - بدمه، والله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عفان ظالما، كما كان يزعم حين حصره وألب عليه، إنه لينبغي أن يؤازر قاتليه وأن يتأبذ ناصريه، وإن كان

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ٥: ٥٣ - ٥٤.

(٢) أي يكفوا.

(٣) هبّلتهم: ثكلتهم، والهبول: المرأة الشكول.

في تلك الحال مظلوما، إنه لينبغي أن يكون معه، وإن كان في شك من الخصلتين، لقد كان ينبغي أن يعتزله ويلزم بيته ويدع الناس جانبا، فما فعل من هذه الخصال واحدة، وها هو ذا قد أعطاني صفقة يمينه غير مرّة ثم نكث بيعته، اللهم فخذها ولا تمهله.^(١)

وقال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) عن هذه الخطبة أنها من خطب الجمل، ثم نقل أربع خطب للامام في ج ١ ص ٣٠٥ - ٣١١ برواية أبي مخنف (ت / ١٥٨ هـ) وأبي الحسن علي بن محمد المدائني (ت / ٢٢٥ هـ) والكلبي (ت / ٢٠٦ هـ) وأبي مخنف عن زيد بن صوحان (ت / ٣٦ هـ)، ونكتفي هنا بأولها، قال مانصّه: «وقد ذكر كثيراً منها أبو مخنف رحمه الله تعالى قال: حدثنا مسافر بن عفيف بن أبي الأخنش، قال: لما رجعت رسل على رسول الله ﷺ من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنون به بالحرب، قام فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله ﷺ، ثم قال: أيها الناس، إني قد راقبت هؤلاء القوم كي يروعوا أو يرجعوا، ووبختهم بنكثهم، وعرفتهم بغيهم فلم يستحيوا، وقد بعثوا إليّ أن: أبرز للطعان، وأصبر للجلاد، وإنما تمنيك نفسك أمانى الباطل، وتعدك الغرور. ألا هبلتهم الهبول، لقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب! ولقد أنصف القارة من رامها، فليروعوا وليبرقوا، فقد رأوني قديما، وعرفوا نكايتي، فكيف رأوني! أنا أبو الحسن، الذي فللت حد المشركين، وفرقت جماعتهم، وبذلك القلب ألقى عدوي اليوم، وإني لعلّ ما وعدني ربي من النصر والتأييد، وعلى يقين من أمري، وفي غير شبهة من ديني.

أيها الناس، إن الموت لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيد ولا محيص، من لم يقتل مات. إن أفضل الموت القتل، والذي نفس عليّ بيده لآلف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش. اللهم إن طلحة نكث بيعتي، وآلب على عثمان حتى قتله، ثم عضهني به ورماني. اللهم فلا تمهله. اللهم إن الزبير قطع رحمي، ونكث بيعتي، وظاهر عليّ عدوي، فاكفنيه اليوم بما شئت. ثم نزل.^(٢)

(١) الأمالي؛ للشيخ الطوسي: ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد: ٣٠٦.

[الخطبة (٢٣)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله: اما بعد، فان الامر ينزل من السماء... الى آخره.» اقول: روى بعض فقرات هذه الخطبة ابن قتيبة (ج ل ص ١٨٩) ورواه اليعقوبي في تاريخه وقال العرشي في التخريج مانصه: «روى ابو عبيد هذه الجملة في غريب الحديث (الورق ٢٠١ / ب) وروى نصر بن مزاحم المتوفى ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) في كتاب الصفين (١٧) قوله: فاحذروا...» انتهى^(١)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي»: عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة، عن يحيى عن عقيل، عن حسن قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد، فإنه إنما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار عن ذلك، وإنهم لما تماردوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقربا أجلا ولم يقطعا رزقا، إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان، فإن أصاب أحدكم مصيبة في أهل أو مال أو نفس ورأى عند أخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس فلا تكونن عليه فتنة، فإن المرء المسلم البرئ من الخيانة ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت، ويغري بها لئام الناس، كان كالفالج الياسر الذي ينتظر أول فوزه من قداحه، توجب له المغنم ويدفع بها عنه المغرم، وكذلك المرء المسلم البرئ من الخيانة، ينتظر من الله تعالى إحدى الحسنيتين: إما داعي الله، فما عند الله خير له، وإما رزق الله فإذا هو ذو أهل ومال ومعه دينه وحسبه، إن المال والبنين حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله لأقوام، فاحذروا من الله ما حذركم من

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

نفسه، واخشوه خشية ليست بتعذير. واعملوا في غير رياء ولا سمعة، فإنه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل به، نسأل الله منازل الشهداء ومعاشة السعداء ومرافقة الأنبياء. (١)

وبالاستناد عن الشيخ الكليني في «الكافي»: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، رفعه: أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب يوم الجمل، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني أتيت هؤلاء القوم ودعوتهم واحتججت عليهم، فدعوني إلى: أن أصبر للجلاد وأبرز للطعان فلا تمهم الهبل، وقد كنت وما اهدد بالحرب ولا اهرب بالضرب، أنصف القارة من رامها، فلغيري فليبرقوا وليرعدوا، فأنا أبو الحسن الذي فللت حدّهم وفرقت جماعتهم، وبذلك القلب ألقى عدوي وأنا على ما وعدني ربي من النصر والتأييد والظفر، وإني لعلّى يقين من ربي وغير شبهة من أمري، أيها الناس إن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص، ومن لم يمت يقتل، وإن أفضل الموت القتل، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على فراش، وأعجبا لطلحة! ألّب الناس على ابن عفان حتى إذا قتل أعطاني صفقته يمينه طائعا ثم نكت بيعتي، اللهم خذه ولا تمهله. وأن الزبير نكت بيعتي وقطع رحمي وظاهر عليّ عدوّي فاكفنيه اليوم بما شئت. (٢)

وروى العلامة المجلسي (ت / ١١١١ هـ) في بحار الأنوار عن «الكافي» (٢: ٢٩٧) عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: اخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا لله في غير رياء ولا سمعة، فإن من عمل لغير الله وكله الله إلى عمله. (٣)

وروى ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»، قال: أخبرنا أبو محمد هبة الله بن أحمد بن عبد الله، أنا عاصم بن الحسن بن محمد أنا محمود بن عمر بن جعفر

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ٥: ٥٧-٥٨.

(٢) الكافي؛ للشيخ الكليني ٥: ٥٣-٥٤.

(٣) بحار الأنوار؛ للعلامة المجلسي ٦٩: ٢٩٣.

بن إسحاق أنا علي بن الفرّج بن علي بن أبي روح نا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا نا أسحاق بن إسماعيل نا سفيان بن عيينة عن أبي حمزة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر قال: قال علي: إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال، فمن رأى نقصاً في أهله أو نفسه أو ماله ورأى لغيره عثرة ولا يكون ذلك له فتنة، فإن المسلم ما لم يعيش دناء يظهر تخشعاً لها إذا ذكرت ويغري به لئام الناس كاللياسر الفالّج ينتظر أول فويزة من قداحه ويوجب له المغنم ويدفع عنه المغرم. فكذلك المرء المسلم البرئ من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسينين: إذا ما دعا الله فما عند الله خير له، وأما أن يرزقه الله مالا وإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه. الحرث حرثان: فحرث الدنيا المال والبنون، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات، وقد يجمعهم الله لأقوام.

قال سفيان: ومن يحسن يتكلم بهذا الكلام إلا علي^(١).

وبالاستناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق» - أيضاً -: أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو محمد أحمد بن علي بن الحسن بن أبي عثمان أنا أبو طاهر محمد بن علي بن عبد الله بن مهدي أنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن عمرو المدني نا يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصدقي نا يحيى بن حسان حدثني محمد بن مسلم بن أبي الوضاح البصري حدثني ثابت أبو سعيد حدثني يحيى بن يعمر: أن علي بن أبي طالب خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما هلك من هلك ممن كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار، أنزل الله بهم العقوبات، ألا فمروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلا، إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان في أهل أو مال أو نفس، فإذا أصاب أحدكم النقصان في أهل أو مال أو نفس في الآخرة عقوبة فلا يكون ذلك له فتنة؛ فإن المرء

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٥٠٢-٥٠٣.

المسلم ما لم يعيش دناءه يظهر تخشعا لها إذا ذكرت، ويغري بها لئام الناس، كان كالياسر الفالاح الذي ينتظر أول فوزه من قداحه توجب له المغنم وتدفع عنه المغرم، وكذلك المرء المسلم البرئ من الخيانة، إنما ينتظر إحدى الحسينيين: إما داعي الله فما عند الله خير له، فأما ما رزق من الله فإذا هو ذو أهل ومال. المال والبنون حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام.

أخبرنا أبو محمد هبة الله بن أحمد بن عبد الله أنا عاصم بن الحسن بن محمد أنا محمود بن عمر بن جعفر بن إسحاق أنا علي بن الفرّج بن علي بن أبي روح نا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا نا أسحاق بن إسماعيل نا سفيان بن عيينة عن أبي حمزة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر، قال: قال علي: إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال، فمن رأى نقصا في أهله أو نفسه أو ماله ورأى لغيره عثرة ولا يكون ذلك له فتنة؛ فإن المسلم ما لم يعيش دناءه يظهر تخشعا لها إذا ذكرت ويغري به لئام الناس كالياسر الفالاح ينتظر أول فوزه من قداحه ويوجب له المغنم ويدفع عنه المغرم، فكذلك المرء المسلم البرئ من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسينيين إذا ما دعا الله فما عند الله خير له، وأما أن يرزقه الله مالا وإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه. الحرث حرثان، فحرث الدنيا المال والبنون، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات، وقد يجمعهم الله لأقوام.

قال سفيان: ومن يحسن يتكلم بهذا الكلام إلا علي.^(١)

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال» عن علي أنه خطب فقال: عشيرة الرجل للرجل خير من الرجل لعشيرته، إنه إن كف يده عنهم كف يدا واحدة وكفوا عنه أيدي كثيرة مع مودّتهم وحفاظهم، ونصرتهم، حتى لربما غضب الرجل للرجل وما يعرفه إلا بحسبه، وسأتلو عليكم بذلك آيات من كتاب الله، فتلا هذه الآية: ﴿لَوْ أَنَّ لِي

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٥٠١ ٥٠٣.

بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد»^(١) قال علي: والركن الشديد: العشيرة، فلم تكن للوط عشيرة، فوالذي لا إله إلا هو، ما بعث الله نبيا قط بعد لوط إلا في ثروة من قومه، وتلا هذه الآية في شعيب: «وإنا لنراك فينا ضعيفا» قال: كان مكفوفاً فنسبوه إلى الضعف، «ولولا رهطك لرجمناك» قال علي: فوالذي لا إله غيره، ما هابوا جلال ربهم إلا العشيرة. (أبو الشيخ).^(٢)

وعن المتقي الهندي - أيضاً - في «كنز العمال» في مسند علي عن يحيى بن يعمر: أن علي بن أبي طالب خطب الناس الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس! إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربانيون والاحبار، أنزل الله بهم العقوبات، ألا! فمروا بالمعروف وانها عن المنكر قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا، ولا يقرب أجلا، إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان في أهل أو مال أو نفس، فإذا أصاب أحدكم النقصان في أهل أو مال أو نفس ورأى لغيره وغيره فلا يكون ذلك له فتنة، فإن المرء المسلم ما لم يغش دناءة يظهره تخشعا لها إذا ذكرت، وتقري به لثام الناس كالباسر الفالج الذي ينتظر أول فوزه من قداحه توجب له المغنم وتدفع عنه المغرم، فكذلك المرء المسلم البرئ من الخيانة إنما ينتظر إحدى الحسينين إذا ما دعا الله، فما عند الله هو خير له، وإما أن يرزقه الله مالا فإذا هو ذو أهل ومال، الحرث حرثان: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لا قوام.

قال سفيان بن عيينة: ومن يحسن يتكلم بهذا الكلام إلا علي بن أبي طالب (ابن أبي الدنيا، ك).^(٣)

(١) سورة هود: ٨٠، وزاد الترمذي على رواية البخاري: ما بعث الله بعده نبيا إلا في ثروة من قومه. قال محمد بن عمر: والثروة الكثرة والمنعة. حديث حسن.
(٢) كنز العمال: للمتقي الهندي ٢: ٤٣٧ الرقم ٤٤٣٦.
(٣) كنز العمال: للمتقي الهندي ١٦: ٢٠٦ الرقم ٤٤٢٣١.

[الخطبة (٢٥)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: ﴿ما هي إلا الكوفة ... الى آخره﴾ قال في الشرح هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين ﷺ بعد فراغه من صفين وانتقضاء امر الحكمين والخوارج، وهي من أواخر خطبه ﷺ، وقد ذكر السبب فيها الشارح العلامة.^(١)

وقال العرشي: رواها أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي المتوفى ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) ختلاف يسير في مروج الذهب ج ٢ ص ١١٢، وروى منها الشيخ المفيد الارشاد (١٦٣): «اللهم إني قد مللتهم» إلى قوله «الملح في الماء». (انتهى)^(٢)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما رواه البلاذري (ت / ٢٧٩ هـ) في «أنساب الاشراف»: ج ٢ ص ٣٨٣ - ٣٨٥، ونصّه: «حدثني يحيى بن معين، حدثنا سليمان بن داود الطيالسي أنبأنا شعبة بن الحجاج، أنبأنا محمد بن عبيد الله الثقفي قال: سمعت أبا صالح يقول: شهدت علياً ووضع المصحف على رأسه حتى سمعت تققع الورق فقال: «اللهم إني سألتهم ما فيه فمنعوني ذلك، اللهم إني قد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني، وحملوني على غير خلقى وعلى أخلاق لم تكن تعرف لي، فأبدلني بهم خيراً لي منهم، وأبدلهم بي شراً مني؛ مث قلوبهم ميث الملح في الماء». (٣)

وبالاستناد عن ابراهيم بن محمد الثقفي (ت / ٢٨٠ هـ) في الغارات روى عن القاسم بن الوليد أن عبيدالله بن العباس وسعيد بن نمران قدما على علي بن عبيدالله عامله على صنعاء ، وسعيد بن نمران عامله على الجند ، خرجا هاربيين من بسر بن أبي أرتاة

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٦.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) أنساب الاشراف ٣: ٣٨٣ - ٣٨٥.

وأصاب ابني عبيد الله بن العباس لم يدركا الحنث فقتلهما . قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجلس كل يوم في موضع من المسجد الأعظم يستريح فيه بعد الغداة إلى طلوع الشمس ، فلما طلعت الشمس نهض إلى المنبر، فضرب بإصبعيه على راحته وهو يقول : ما هي إلا الكوفة أقبضها وأبسطها .

لعمركم أياكم الخير يا عمرو إني على وضر من ذا الاناء قليل
ومن حديث بعضهم أنه قال: لو لم تكوني إلا أنت تهبّ أعاصيرك فقبحك الله . ثم رجع إلى الحديث، ثم قال: أيها الناس، ألا إن بسراً قد اطلع اليمن، وهذا عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران قدما عليّ هارين ، ولا أرى هؤلاء القوم إلا ظاهرين عليكم لاجتماعهم على باطلهم وتفرّقكم عن حقكم ، وطاعتهم لامامهم ومعصيتكم لامامكم ، وبأدائهم الامانة إلى صاحبهم وخيانتكم إياي ، إني وليت فلانا فخا و غدر ، واحتمل فيئ المسلمين إلى معاوية ، ووليت فلانا فخا و غدر وفعل مثله ، فصرت لا أؤمنكم على علاقة سوط ، وإن ندبتكم إلى عدوكم في الصيف قلتهم : أمهلنا ينسلخ الحرّ عنا ، وإن ندبتكم في الشتاء قلتهم : أمهلنا ينسلخ القَرّ عنا ، اللهم إني قد مللتهم وملّوني وسئمتهم وسئموني ، فأبدلني بهم من هو خير لي منهم ، وأبدلهم بي من هو شرّ لهم مني ، اللهم مث قلوبهم ميث الملح في الماء ، ثم نزل.^(١)

وقد قال ابو الحسن علي بن الحسين السعودي (ت / ٣٤٦ هـ) مانصّه: «خطبة لعلي بن أبي طالب يعاتب اصحابه: حدثنا المنقري، قال: حدثنا عبد العزيز بن الخطاب الكوفي قال: حدثنا فضيل بن مرزوق، قال: لما غلب بسر بن ارطاة على اليمن، وكان من قتله لابني عبيد الله بن عباس ، وكان لأهل مكة والمدينة واليمن ، ما كان - قام علي بن أبي طالب عليه السلام خطيباً فحمد الله واثنى عليه، وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قال: ان بسر بن ارطاة قد غلب على اليمن، والله ما أرى هؤلاء القوم الا سيغلبون على ما

(١) الفارات ؛ لبراهيم بن محمد الثقفي ٢ : ٦٣٥ و ٦٣٦ .

في أيديكم، وما ذلك بحق في أيديهم، ولكن بطاعتهم استقامتهم لصاحبهم، ومعصيتكم لي، وتناصرهم وتخاذلكم، واصلاح بلادهم افساد بلادكم، وتالله يا أهل الكوفة لوددت اني صرفتكم صرف الدنانير العشرة بواحد، ثم رفع يديه فقال: اللهم اني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني، فابدلني بهم خيراً منهم، وابدلهم بي شراً مني، اللهم عجل عليهم بالغلام الثقفي الذيال الميال، يأكل خضرتها، ويلبس فروتها، ويحكم فيها بحكم الجاهلية: لا يقبل من محسنها، ولا يتجاوز عن مسيئها، قال: وما كان ولد الحجاج يومئذ»^(١).

قال الجلالي: وقد تقدم الاسناد الى المنقري (ت / ٢١٢ في المقدمة، فراجع. وبالاسناد الى أبي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني (ت / ٣٥٦ هـ) ما نصّه: «فحدثني العباس بن علي بن العباس النسائي، قال: حدثنا محمد ابن حسان الأزرق، قال: حدثنا شبابة بن سوار، قال: حدثنا قيس ابن الربيع، عن عمرو بن قيس، عن أبي صادق،^(٢) قال: أغار خيل لمعاوية على الأنبار، فقتلوا عاملاً لعلي، عليه السلام، يُقال له: حسان بن حسان، وقتلوا رجالاً كثيراً ونساء، فبلغ ذلك علي بن أبي طالب، صلوات الله عليه، فخرج حتى أتى المنبر، فرقيه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: إنّ الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلّة وشمله البلاء، وديث بالصغار، وسيم الخسف، وقد قلت لكم: اغزوهم قبل ان يغزوكم، فإنه لم يغز قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وتركتم قولي وراءكم ظهرياً، حتى شئت عليكم الغارات. هذا أخو غامد قد جاء الانبار، فقتل عاملي عليها حسان بن حسان وقتل رجالاً كثيراً ونساء والله لقد بلغني أن الرجل منهم كان يأتي المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينزع حجلها ورعاها^(٣)، ثم ينصرفون موفورين، لم يكلم أحد منهم كلمة، فلو أن امرأة مسلماً مات من

(١) مروج الذهب ٣، ١٤٢، ط / بيروت.

(٢) الأغاني ١٧: ٦٠٨٢، ط / دار الشعب، سنة ١٩٦٩ م.

(٣) المعاهدة الذمية . والحجل بالكسر خلخالها . والقلب بالضم سوارها . والرعات جمع رعثة

دون هذا أسفا لم يكن عليه ملوما، بل كان به جديرا. يا عجباً عجباً، يميت القلب، ويشعل الاحزان، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم وباطلهم، وفشلكم عن حقكم، حتى صرتم غرضا، ترمون ولا ترمون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون. إذا قلت لكم: اغزوهم في الحر؛ قلتهم: هذه حمارة القيظ فأمهلنا؛ وإذا قلت لكم: اغزوهم في البرد؛ قلتهم: هذا أوان قرّ وصرّ فأمهلنا؛ فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون، فأنتم والله من السيف أشد فرارا. يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا طعام الأحلام، وعقول ربات الحجال. وددت والله أني لم أعرفكم، بل وددت أني لم أركم، معرفة والله جرعت بلاء وندماً، وملأتم جوفى غيظاً بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب. ويحهم! هل فيهم أشد مراسا لها مني؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين، وأنا الآن قد نيفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع».

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أنا كما قال الله تعالى: ﴿لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ فمرنا بأمرك، فوالله لنطعنك ولو حال بيننا وبينك جمر الغضى، وشوك القتاد؛ قال: وأين تبلغان مما أريد؟ - هذا أو نحوه - ثم نزل.^(١)

وبالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في الارشاد: حيث نقل خطبة طويلة مطلعها: «ومن كلامه عليه السلام في مقام آخر: أيها الناس، إني استنفرتكم لجهاد هؤلاء القوم فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، شهود كالغيب، أتلو عليكم الحكمة فتعرضون عنها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، كأنكم حمر مستنفرة فرّت من قسورة، وأحثكم على جهاد أهل الجور فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ، ترجعون إلى مجالسكم تتربّعون حلقا، تضربون الامثال، وتناشدون الاشعار، وتجسسون الاخبار، حتى إذا تفرقتم تسألون عن الاسعار، جهلة من غير علم،

بالفتح ويحرك بمعنى القرط ويروى رعثها بضم الراء والعين جمع رعات جمع رعة .
(١) الأغاني ١٧: ٦٠٨٢، ط / دار الشعب، سنة ١٩٦٩ م.

وغفلة من غير ورع ، وتتبع في غير خوف ، نسيتم الحرب والاستعداد لها ، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها ، شغلتموها بالاعالييل والباطيل . فالعجب كل العجب ، ومالي لا أعجب من اجتماع قوم على باطلهم ، وتخاذلكم عن حقكم ! .. يا أهل الكوفة ، أنتم كامّ مجالد ، حملت فأملصت ، فمات قيمها ، وطال تأيمها ، وورثها أبعدا . والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إن من ورائكم للأعور الادبر جهنم الدنيا لا تبقي ولا تذر ، ومن بعده النهاس الفراس الجموع المتنوع ، ثم ليتوارثنكم من بني أمية عدة ، ما الآخر بأرأف بكم من الاول ، ما خلا رجلا واحدا ، بلاء قضاء الله على هذه الامة لا محالة كائن ، يقتلون خياركم ، ويستعبدون أراذلكم ، ويستخرجون كنوزكم وذخائرهم من جوف حبالكم ، تقمة بما ضيعتم من أموركم وصلاح أنفسكم ودينكم . يا أهل الكوفة ، أخبركم بما يكون قبل أن يكون ، لتكونوا منه على حذر ، ولتذروا به من اتعظ واعتبر . كأنني بكم تقولون : إن عليا يكذب ، كما قالت قريش لنبيها ﷺ وسيدها نبي الرحمة محمد بن عبد الله حبيب الله ، فيا ويلكم ، أفعلى من أكذب ! ؟ أعلى الله ، فأنا أول من عبده ووحدته ، أم على رسوله ، فانا أول من آمن به وصدّقه ونصره ! كلا ، ولكنها لهجة خدعة كنتم عنها أغبياء . والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لتعلمنّ نبأه بعد حين ، وذلك إذا صيركم إليها جهلكم ، ولا ينفعكم عندها علمكم ، فقبحا لكم يا أشباه الرجال ولا رجال ، حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال ، أم والله أيها الشاهدة أبدانهم ، الغائبة عنهم عقولهم ، المختلفة أهواؤهم ، ما أعزّ الله نصر من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، ولا قرّت عين من آواكم ، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب . يا ويحكم ، أيّ دار بعد داركم تمنعون ! ومع أي إمام بعدي تقاتلون ! المغرور - والله - من غررتموه ، من فاز بكم فاز بالسهم الاخيبي ، أصبحت لا أطمع في نصركم ، ولا أصدق قولكم ، فرّق الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم ، وأعقبكم من هو شرّ لكم مني . إمامكم يطيع الله وإنتم تعصونه ، وإمام أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه ، والله لوددت أن معاوية

صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني واحدا منهم .
والله لوددت أني لم أعرفكم ولم تعرفوني ، فإنها معرفة جرّت ندما . لقد وريتم صدري
غيظا ، وأفسدت عليّ أمري بالخذلان والعصيان ، حتى لقد قالت قريش : إن عليا رجل
شجاع لكن لا علم له بالحروب ، لله درّهم ، هل كان فيهم أحد أطول لها مراسا مني ! وأشد
لها مقاساة ! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، ثم ها أنا ذا قد ذرفت على الستين ، لكن
لا أمر لمن لا يطاع . أم والله ، لوددت أن ربي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه ،
وان المنية لترصدني فما يمنع أشقاها أن يخضبها - وترك يده على رأسه ولحيته - عهد
عهده إليّ النبي الامي . وقد خاب من افترى ، ونجا من اتقى وصدق بالحسنى .

يا أهل الكوفة ، دعوتكم إلى جهاد هؤلاء ليلا ونهارا وسرا وإعلانا ، وقلت لكم :
اغزوهم ، فإنه ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم ، وثقل عليكم
قولي ، واستصعب عليكم أمري ، واتخذتموه وراءكم ظهريا ، حتى شئت عليكم الغارات
، وظهرت فيكم الفواحش والمنكرات تمسيكم وتصبحكم ، كما فعل بأهل المثالات من
قبلكم ، حيث أخبر الله تعالى عن الجبايرة والعتاة الطغاة ، والمستضعفين الفواة ، في قوله
تعالى : ﴿ يذبحون أبناءكم ، ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ أم والذي
فلق الحبة وبرأ النسمة ، لقد حل بكم الذي توعدون . عاتبتكم - يا أهل الكوفة - بمواعظ
القرآن فلم أنتفع بكم ، وأدبتكم بالدرة فلم تستقيموا ، وعاقبتكم بالسوط الذي يقام به
الحدود فلم ترعوا ، ولقد علمت أن الذي يصلحكم هو السيف ، وما كنت متحريرا
صلاحكم بفساد نفسي ، ولكن سيسلط عليكم من بعدي سلطان صعب ، لا يوقر كبيركم ،
ولا يرحم صغيركم ، ولا يكرم عالمكم ، ولا يقسم الفئ بالسوية بينكم ، وليضربنكم
ويذلنكم ويجهّزنكم في المغازي ويقطعن سبيلكم ، وليحجنكم على بابه ، حتى يأكل
قويّكم ضعيفكم ، ثم لا يبعد الله إلا من ظلم منكم ، ولقلما أدبر شئ ثم أقبل ، وإني لا ظنكم
في فترة ، وما عليّ إلا النصح لكم .

يا أهل الكوفة، منيت منكم بثلاث واثنين: صم ذوو أسماع، وبكم ذوو ألسن، وعمي ذوو أبصار، لا إخوان صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء. اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني. اللهم لا ترض عنهم أميرا ولا ترضهم عن أمير، وأمث قلوبهم كما يماث الملح في الماء. أم والله، لو أجد بدا من كلامكم ومراسلتكم ما فعلت، ولقد عاتبتكم في رشدكم حتى لقد سئمت الحياة، كل ذلك تراجعون بالهزء من القول فرارا من الحق، وإلحادا إلى الباطل الذي لا يعز الله بأهله الدين، واني لاعلم أنكم لا تزيدوني غير تخسير، كلما أمرتكم بجهاد عدوكم اناقلتم إلى الارض، وسألتموني التأخير دفاع ذي الدين المطول. إن قلت لكم في القبط: سيروا، قلت: الحر شديد، وإن قلت لكم في البرد: سيروا، قلت: القر شديد، كل ذلك فرارا عن الجنة. إذا كنتم عن الحر والبرد تعجزون، فأنتم عن حرارة السيف أعجز وأعجز، فإن الله وإن إليه راجعون.

يا أهل الكوفة، قد أتاني الصريح يخبرني أن أخا غامد قد نزل الانبار على أهلها ليلا في أربعة آلاف، فأغار عليهم كما يغار على الروم والخزر، فقتل بها عاملي ابن حسان وقتل معه رجالا صالحين ذوي فضل وعبادة ونجدة، بوأ الله لهم جنات النعيم، وأنه أباحها، ولقد بلغني أن العصابة من أهل الشام كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة، فيتهكون سترها، ويأخذون القناع من رأسها، والخرص من أذنها، والواضح من يديها ورجليها وعضديها، والخلخال والمئزر من سوقها، فما تمتنع إلا بالاسترجاع والتداء: يا للمسلمين، فلا يغيثها مغيث، ولا ينصرها ناصر. فلو أن مؤنسات من دون هذا أسفا ما كان عندي ملوما، بل كان عندي بارا محسنا. وأعجبا كل العجب، من تضاfer هؤلاء القوم على باطلهم وفشلهم عن حقكم! قد صرتم غرضا يرمى ولا ترمون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون، تربت أيديكم يا أشباه الابل غاب عنها رعاتها، كلما اجتمعت من جانب تفرقت من جانب.^(١)

(١) الارشاد: للشيخ المفيد ١: ٢٧٨ ٢٨٣.

وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الفرضي أنا أبو محمد الجوهرى أنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن فهد الأزدي الموصلي القاضي أنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى نا بNDAR نا أبو داود ناشعة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن الحارث يحدث عن زهير بن الأقرم، قال: خطبنا علي بن أبي طالب فقال: ألا، إن بسرا قد طلع عليه من قبل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظفرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلانا فغل وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلانا فخا ن وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتمنت أحدهم على قدح خشيت على علاقته، اللهم إني أبغضتهم وأبغضوني، فأرحهم مني وأرحني منهم.^(١)

وقال: قرأت على أبي محمد السلمي عن أبي محمد التميمي أنبأنا أبو القاسم تمام الرازي أخبرني أبي حدثنا أبو العباس محمد بن جعفر بن ملاس حدثنا الحسن بن محمد بن بكار بن بلال حدثني أبي عن أبيه حدثني أبو عمرو الأنصاري، أن عليا قال لأهل العراق: إن بسر بن أبي أرطاة قد صعد إلى اليمن، ولا أحسب هؤلاء القوم إلا ظاهرين عليكم - يعني أهل الشام - وما ذاك أنهم أولى بالحق منكم، ولكن ذاك لاجتماعهم على أمرهم وافتراقكم، وإصلاحهم في بلادهم وأدائهم الأمانة وحيانتكم، والله أعلم والله لقد ائتمنت فلانا فخا نتي، وفلانا فخا نتي فعدد، وفلانا وليته فحمل ما جمع من المال فانطلق به إلى معاوية، ولقد خيل إلي أني لو ائتمنت أحداكم على قدح لسرق علاقته، اللهم إني قد مللتهم وملوني، اللهم اقبضني إلى رحمتك وأبدلهم بي من هو شر لهم مني.^(٢)

وقال: أخبرنا أبو عبد الله الفراوي وأبو المظفر بن القشيري قالا أنا أبو عثمان البحيري

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١: ٣١٩ و ٣٢٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٠: ٣٦١.

أنا جدي أبو الحسين أنا أبو محمد أحمد بن إبراهيم بن عبد الله أنا نصر بن زياد نا جرير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقرم الزبيدي قال: خطبنا علي فقال: أنبت بسرا قد اطلع اليمن؛ وإني والله قد حسبت أن يدخل هؤلاء القوم عليكم، وما بي أن يكونوا أولى بالحق منكم ولن تطيعوني في الحق كما يطيعون إمامهم في الباطل، فأظهروا عليكم، ولكن بصلاحهم في أرضهم وفسادكم في أرضكم، وطواعيتهم إمامهم وعصيانكم إمامكم، وبأدائهم الأمانة وخيانتكم، استعملت فلانا فخان وغدر، واستعملت فلانا فخان وغدر، واستعملت فلانا فخان وغدر، واستعملت فلانا فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، فوالله لو أني أمنت أحدكم على قدح لخشيت أن يذهب بعلاقته؛ اللهم قد كرهتهم وكرهوني، وسئمتهم وسأمتني، اللهم فأرحني منهم وأرحهم مني، قال: فما جمع.^(١)

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال» عن علي قال: إني لا أرى هؤلاء القوم إلا ظاهرين بتفرقكم عن حقكم واجتماعهم على باطلهم، وإن الامام ليس بشاق شعرة وأنه يخطئ ويصيب، فإذا كان عليكم إمام يعدل في الرعية ويقسم بالسوية اسمعوا له وأطيعوا، وأن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر، فإن كان برا فللراعي والرعية، وإن كان فاجرا عبد فيه المؤمن ربه وعمل فيه الفاجر إلى أجله، وأنكم ستعرضون على سبي وعلى البراءة مني، فمن سبني فهو في حل من سبي ولا يبرأ من ديني فاني على الاسلام. (ش)^(٢).

وبالاسناد عن المتقي الهندي في «كنز العمال» أيضا: عن زهير بن الاقرم قال: خطبنا علي بن أبي طالب فقال: ألا! إن بشرا قد طلع من قبل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبطاعتهم أميرهم

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٥٣٥: ٤٢.

(٢) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ٧٨٠: ٥، الرقم ١٤٣٦٨.

ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلانا فغل وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلانا فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى أني لو ائتمنت أحدهم على قدح خشب غلّ علاقته ما آمنه، اللهم! إني أبغضتهم وأبغضوني فأرحهم مني وأرحني منهم. (كر).^(١)

وبالاسناد عن المتقي الهندي في «كنز العمال» عن عبيد قال: سمعت عليا يخطب يقول: اللهم إني قد سئمتهم وسئموني ومللتهم وملوني فأرحني منهم وأرحهم مني، ما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم، ووضع يده على لحيته. (عب وابن سعد).^(٢)

وفي «كنز العمال»: عن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت عليا وقد وطئ الناس على عقبيه حتى آدموهما وهو يقول: اللهم! إني قد مللتهم وملوني فأبدلني بهم خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني، فما كان إلا ذلك اليوم حتى ضرب على رأسه. (كر).^(٣)

وأياضا عن سعيد بن المسيب قال: رأيت عليا على المنبر وهو يقول: لتخضبن هذه من هذه وأشار بيده إلى لحيته وجبينه، فما حبس أشقاها، فقلت: لقد ادّعى عليّ به علم الغيب، فلما قتل علمت أنه قد كان عهد إليه. (كر).^(٤)

وعن أبي صالح الحنفي قال: رأيت علي بن أبي طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه، ثم قال: اللهم! إنهم منعوني ما فيه فأعطني ما فيه، ثم قال اللهم! إني قد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني وحملوني على غير طبيعتي وخلقي وأخلاق لم تكن تعرف لي، فأبدلني بهم خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني، اللهم! أمت قلوبهم ميت الملح في الماء يعني أهل الكوفة. (كر).^(٥)

وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»: أخبرنا أبو عبد

(١) كنز العمال: للمتقي الهندي ١٣: ١٩٧ الرقم ٣٦٤٨٩.

(٢) كنز العمال: للمتقي الهندي ١٣: ١٩١ الرقم ٣٦٥٧٠.

(٣) كنز العمال: للمتقي الهندي ١٣: ١٩١ الرقم ٣٦٥٧٠.

(٤) كنز العمال: للمتقي الهندي ١٣: ١٩٤ الأرقام ٣٦٥٧٩ - ٦٣٥٨١.

(٥) كنز العمال: للمتقي الهندي ١٣: ١٩٤ الأرقام ٣٦٥٧٩ - ٦٣٥٨١.

الله الفراوي وأبو المظفر بن القشيري قالاً: أنا أبو عثمان البحيري أنا جدي أبو الحسين أنا أبو محمد أحمد بن إبراهيم بن عبد الله أنا نصر بن زياد نا جرير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقرم الزبيدي قال: خطبنا علي فقال: أنبئت بسرا قد اطلع اليمن، وإني والله قد حسبت أن يدخل هؤلاء القوم عليكم وما بي أن يكونوا أولى بالحق منكم، ولن تطيعوني في الحق كما يطيعون إمامهم في الباطل، فأظهروا عليكم، ولكن بصلاحهم في أرضهم وفسادكم في أرضكم، وطواعيتهم إمامهم وعصيانكم إمامكم، وبأدائهم الأمانة وخيانتكم، استعملت فلانا فخان وغدر، واستعملت فلانا فخان وغدر، واستعملت فلانا فخان وغدر، وحمل المال إلى معاوية، فوالله لو أني أمنت أحدكم على قدح لخشيت أن يذهب بعلاقته، اللهم قد كرهتهم وكرهوني وسئمتهم وسأموني اللهم فأرحني منهم وأرحهم مني. قال: فما جمع ^(١).

وعن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»: أخبرنا أبو بكر وجيه بن طاهر أنا أحمد بن الحسن بن محمد أنا الحسن بن أحمد المخلدي أنا أبو بكر الإسفرايني نا موسى بن سهل نا نعيم بن حماد نا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع قال: لقد سمعت علياً وقد وطئ الناس على عقبه حتى أدموهما وهو يقول: اللهم إني قد مللتهم وملّوني فأبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً مني. قال: فما كان إلا ذلك اليوم حتى ضرب على رأسه. ^(٢)

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو بكر بن الطبري أنا أبو الحسين بن الفضل أنا عبد الله بن جعفر نا يعقوب عن عبد العزيز بن عبد الله الأويسى نا إبراهيم بن سعد عن شعبة عن أبي عون محمد بن عبد الله الثقفي عن أبي صالح الحنفي، قال: رأيت علي بن أبي طالب آخذاً بمصحف فوضعه على رأسه حتى إني لأرى ورقه تتققع، ثم قال: اللهم إنهم

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٥٣٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٥٣٤ ٥٣٥.

منعوني أن أقوم في الأمة بما فيه فأعطني ما فيه، ثم قال: اللهم إني قد مللتهم وملوني
وأبغضتهم وأبغضوني وحملوني على غير طبيعتي وخلقي وأخلاق لم تكن تعرف لي،
فأبدلني بهم خيرا منهم وأبدلهم بي شرا مني اللهم أمت قلوبهم ميت الملح في الماء.
قال إبراهيم: يعني أهل الكوفة.^(١)

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٥٣٤ ٥٣٥.

[الخطبة (٢٦)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله عليه السلام: لم يبايع حتى شرط .. الى آخره.. قال الشارح الفاضل: هذا فصل من كلام يذكر فيه عمر بن العاص، وفي النسخة التي عليها شرح العلامة الشارح: «لم يبايع معاوية حتى شرط ان يعطيه مصر طعمة»^(١).

وقال العرشي في التخريج مانصه: «روى ابن قتيبة في الجزء الاول من الامامة السياسة (١٤٦): ورواها ابراهيم الثقفي بتفاصيلها في كتاب الغارات لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٩٥». (انتهى)^(٢).

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما ارويه عن ابراهيم بن محمد الثقفي (ت / ٢٨٣ هـ) في «الغارات» تحت عنوان: رسالة علي عليه السلام إلى أصحابه بعد مقتل محمد بن أبي بكر عليه السلام، بالاسناد عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه جندب قال: دخل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي وحبة العرني والحارث الاعور وعبد الله بن سبأ علي أمير المؤمنين عليه السلام بعدما افتتحت مصر وهو مغموم حزين، فقالوا له: يبين لنا ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال لهم علي عليه السلام: وهل فرغتم لهذا؟ وهذه مصر قد افتتحت، وشيعتي بها قد قتلت؟! أنا مخرج اليكم كتابا اخبركم فيه عما سألتكم، وأسألكم أن تحفظوا من حقي ما ضيَّعت، فاقرووه على شيعتي وكونوا على الحق أعوانا، وهذه نسخة الكتاب: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين، السلام عليكم، فاني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو. أما بعد، فان الله بعث محمدا ﷺ نذيرا للعالمين، وأمینا على التنزيل، وشهيدا على هذه الامة، وأنتم يا معشر العرب يومئذ على شر دين وفي شر دار،

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٦.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

منيخون على حجارة خشن وحيات صم ، وشوك ميثوث في البلاد ، تشربون الماء الخبيث ، وتأكلون الطعام الجشيب، وتسفكون دماءكم ، وتقتلون أولادكم ، وتقطعون أرحامكم ، وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل ، سبلكم خائفة ، والاصنام فيكم منصوبة ، والآثام بكم معصوبة ولا يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون، فمن الله عليكم بمحمد ﷺ فبعثه اليكم رسولا من أنفسكم ، وقال فيما أنزل من كتابه : «هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين» ، وقال: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم» ، وقال: «لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم» ، وقال: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» . فكان الرسول اليكم من أنفسكم بلسانكم ، وكنتم أول المؤمنين تعرفون وجهه وشيعته وعمارته ، فعلمكم الكتاب والحكمة ، والفرائض والسنة ، وأمركم بصلة أرحامكم ، وحقق دمائكم ، وصالح ذات البين ، وأن تؤدوا الامانات إلى أهلها ، وأن توفوا بالعهد ، ولا تنتقضوا الايمان بعد توكيدها وأمركم أن تعاطفوا وتباروا وتبادلوا وتراحموا ، ونهاكم عن التناهب والتظالم والتحاسد والتقاذف والتباغى ، وعن شرب الخمر وبخس المكيال ونقص الميزان ، وتقديم اليكم فيما أنزل عليكم : ألا تزنا ، ولا تربوا ، ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلما ، وأن تؤدوا الامانات إلى أهلها ، «ولا تعثوا في الارض مفسدين» ، «ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين» ، وكل خير يديني إلى الجنة ويباعد من النار أمركم به ، وكل شر يباعد من الجنة ويديني من النار نهاكم عنه .

فلما استكمل مدته من الدنيا توقاه الله إليه سعيدا حميدا ، فيالها مصيبة خصت الاقربين وعمت جميع المسلمين ، ما اصابوا بمثلها قبلها ، ولن يعاينوا بعد اختها . فلما مضى لسبيله ﷺ تنازع المسلمون الامر بعده ، فوالله ما كان يلتقى في روعي ، ولا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الامر بعد محمد ﷺ عن أهل بيته ولا أنهم منحوه عني من بعده ، فما راعني الا اثتيال الناس على أبي بكر وإجفالهم إليه ليبياعوه ، فأمسكت

يدي ورأيت أني أحق بمقام رسول الله ﷺ في الناس ممن تولى الامر من بعده، فلبثت بذلك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون إلى محق دين الله وملة محمد وإبراهيم ﷺ فخشيت أن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثلما وهدما يكون مصيبته أعظم عليّ من فوات ولاية اموركم التي انما هي متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب وكما يتقشّع السحاب ، فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ونهضت في تلك الاحداث حتى زاغ الباطل وزهق وكانت «كلمة الله هي العليا» ولو كره الكافرون . فتولى أبو بكر تلك الامور فيسرّ وشدد وقارب واقتصد ، فصحبته مناصحا، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا ، وما طمعت ان لو حدث به حدث وأنا حيّ أن يرد إليّ الامر الذي نازعته فيه طمع مستيقن، ولا يئست منه يأس من لا يرجوه ، ولو لا خاصمة ما كان بينه وبين عمر لظننت أنه لا يدفعها عني ، فلما احتضر بعث إلى عمر فولّاه، فسمعنا وأطعنا وناصحنا وتولّى عمر الامر وكان مرضي السيرة ميمون النقيية حتى إذا احتضر قلت في نفسي : لن يعدلها عني فجعلني سادس ستة فما كانوا لولاية أحد أشد كراهية منهم لولايتي عليهم ، فكانوا يسمعونني عند وفاة الرسول ﷺ احاجّ أبا بكر وأقول : يا معشر قريش انا أهل البيت أحق بهذا الامر منكم ما كان فينا من يقرأ القرآن ويعرف السنة ويدين دين الحق، فخشى القوم إن أنا وليت عليهم أن لا يكون لهم في الامر نصيب ما بقوا ، فأجمعوا اجماعا واحدا ، فصرفوا الولاية إلى عثمان وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها ويتداولوها إذ يسوا أن ينالوا من قبلي، ثم قالوا : هلم فبايع والّا جاهدناك ، فبايعت مستكرها وصبرت محتسبا ، فقال قائلهم : يا ابن أبي طالب انك على هذا الامر لحريص، فقلت : أنتم أحرص منّي وأبعد ، أنا أحرص إذا طلبت ترائي وحقي الذي جعلني الله ورسوله أولى به ؟ أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه ؟ وتحولون بيني وبينه ؟ ! فبهتوا ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

اللهم اني أستعديك على قريش ، فانهم قطعوا رحمي ، وأصغوا انائي ، وصغّروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به منهم فسلبونيّه ، ثم قالوا : ألا ان في

الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه ، فاصبر كمدا متوخماً أو متّ متأسفا حنقا، فنظرت فإذا ليس معي رافد ولا ذابّ ولا مساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الهلاك، فأغضيت على القذى ، وتجرّعت ريتي على الشجى ، وصبرت من كظم الغيظ على أمرٍ من العلقم ، وآلم للقلب من حرّ الشفار . حتى إذا نقمتهم على عثمان أتيتموه فقتلتموه، ثم جئتموني لتبايعوني ، فأبيت عليكم وأمسكت يدي فنازعتموني ودافعتموني ، وبسطتم يدي فكففتها ، ومددت يدي فقبضتها ، وازدحمت عليّ حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعض أو أنكم قاتلي ، فقلت: بايعنا لا نجد غيرك ولا نرضى إلا بك ، فبايعنا لانفترق ولا تختلف كلمتنا ، فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتي ، فمن بايع طائعا قبلته منه ، ومن أبي لم اكرهه وتركته ، فبايعني فيمن بايعني طلحة والزبير ، ولو أيما ما أكرهتهما كما لم اكره غيرهما ، فما لبثنا إلا يسيرا حتى بلغني أن خرجا من مكة متوجهين إلى البصرة في جيش ما منهم رجل إلا بايعني وأعطاني الطاعة ، فقدا على عاملي وخزان بيت مالي وعلى أهل مصر كلهم على بيعتي وفي طاعتي فشتتوا كلمتهم وأفسدوا جماعتهم ، ثم وثبوا على شيعتي من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدرا ، وطائفة صبرا ، وطائفة عصبوا بأسيا فهم فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين ، فوالله لو لم يصيبوا منهم إلا رجلا واحدا متعمّدين لقتله بلا جرم جرّه لحلّ لي به قتل ذلك الجيش كله ، فدع ما انهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التي دخلوا بها عليهم، وقد أدال الله منهم فبعدا للقوم الظالمين ، ثم انى نظرت في أهل الشام فإذا أعراب أحزاب ، وأهل طمع جفاة طغام، يجتمعون من كل أوب ومن كان ينبغي ان يؤدّب ويدرّب أو يؤلّى عليه ويؤخذ على يديه ، ليسوا من المهاجرين ولا الانصار ، ولا التابعين باحسان ، فسرت إليهم فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة ، فأبوا إلا شقاقا ونفاقا ونهوضا في وجوه المسلمين ينضحونهم بالنبل ويشجرونهم بالرماح ، فهناك نهدت إليهم بالمسلمين . فقاتلتهم فلما عظّمهم السلاح ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، فأنبأتكم أنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنهم رفعوها غدرا ومكيدة وخديعة ووهنا وضعفا ، فامضوا على حقكم وقتالكم ، فأبيتهم عليّ وقلت: اقبل منهم ، فان

أجابوا إلى ما في الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحق، وإن أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم، فقبلت منكم، وكففت عنهم إذ أبيتم وونيتم، وكان الصلح بينكم وبينهم علي رجلين يحييان ما أحيا القرآن، ويميتان ما أمات القرآن، فاختلف رأيهما وتفرق حكمهما، ونبذا ما في القرآن، وخالفا ما في الكتاب، فجنبهما الله السداد ودلاهما في الضلال، فنبذا حكمهما وكانا أهله، فانخرلت فرقة منا فتركناهم ما تركونا حتى إذا عثوا في الارض يقتلون ويفسدون أتيناهم، فقلنا: ادفعوا إلينا قتلة اخواننا ثم كتاب الله بيننا وبينكم، قالوا: كلنا قتلهم، وكلنا استحل دماءهم ودماءكم، وشددت علينا خيلهم ورجالهم، فصرعهم الله مصرع الظالمين. فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم فقلتم: كلت سيوفنا، ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا، وعاد أكثرها قصدا فارجع بنا إلى مصرنا لنستعد بأحسن عدتنا وإذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك منا وفارقنا، فان ذلك أقوى لنا على عدونا، فأقبلت بكم حتى إذا أطلتكم على الكوفة أمرتكم أن تنزلوا بالخييلة، وأن تلمزوا معسكركم، وأن تضموا قواضيبكم، وأن توطنوا على الجهاد أنفسكم، ولا تكثروا زياره أبنائكم ونسائكم، فان أصحاب الحرب المصابروها، وأهل التشمير فيها الذين لا ينوحون من سهر ليلهم ولا ظمأ نهارهم ولا خمص بطونهم ولا نصب أبدانهم، فنزلت طائفة منكم معي معذرة، ودخلت طائفة منكم المصر عاصية، فلا من بقي منكم ثبت وصبر، ولا من دخل المصر عاد إليّ ورجع، فنظرت إلى معسكري وليس فيه خمسون رجلا، فلما رأيت ما أتيتم دخلت إليكم فما قدرت على أن تخرجوا معي إلى يومنا هذا، فما تنتظرون؟ أما ترون إلى أطرافكم قد انتقصت، وإلى أمصاركم قد افتتحت، وإلى شعيتي بها بعد قد قتلت، وإلى مسالحكم تعرى، وإلى بلادكم تغزى، أنتم ذوو عدد كثير، وشوكة وبأس شديد، فما بالكم؟ الله أنتم! من أين تؤتون؟ وما لكم أنى تؤفكون؟! وأنى تسحرون؟! ولو أنكم عزمتم وأجمعتم لم تراموا، ألا ان القوم قد اجتمعوا وتناشبا وتناصخوا وأنتم قد ونيتم وتغاشستم وافترقتم، ما أنتم ان أتممت عندي على ذي سعاء، فأنبهوا نائمكم واجتمعوا على حقكم، وتجرّدوا

لحرب عدوكم ، قد بدت الرغوة عن الصريح وقد بينّ الصبح لذى عينين، انما تقاتلون
الطلاق وأبناء الطلقاء ، وأولي الجفاء ومن أسلم كرها ، وكان لرسول الله ﷺ أنف الاسلام
كله حربا ، أعداء الله والسنة والقرآن وأهل البدع والاحداث ، ومن كانت بوائقه تتقي ،
وكان على الاسلام وأهله مخوفا ، وأكلة الرشا وعبدية الدنيا ، لقد أنهى إليّ أن ابن النابغة لم
يباع حتى أعطاه ثمنا وشرط أن يؤتیه أتیة هي أعظم مما في يده من سلطانه ، ألا صفرت
يد هذا البائع دينه بالدنيا، وخزيت أمانة هذا المشتري نصرة فاسق غادر بأموال المسلمين
، وان فيهم لمن قد شرب فيكم الخمر وجلد الحد في الاسلام ، ويعرف بالفساد في الدين
والفعل السيئ ، وان فيهم لمن لم يسلم حتى رضح له على الاسلام رضيخة . فهؤلاء قادة
القوم ، ومن تركت ذكر مساويه من قادتهم مثل من ذكرت منهم ، بل هو شرّ منهم ، وهؤلاء
الذين ذكرت لو ولوا عليكم لأظهروا فيكم الفساد والكبر والفجور والتسلط بالجبرية
والفساد في الارض ، واتبعوا الهوى وحكموا بغير الحق ، ولانتم على ما كان فيكم من
تواكل وتخاذل خير منهم وأهدى سبيلا ، فيكم العلماء والفقهاء والنجباء والحكماء ،
وحملة الكتاب ، والمتهمجون بالاسحار ، وعمار المساجد بتلاوة القرآن، أفلا تسخطون
وتهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم ، والاشرار الاراذل منكم، فاسمعوا قولي -
هداكم الله - إذا قلت ، وأطيعوا أمرى إذا أمرت ، فوالله لئن أعطتموني لا تغوون ، وان
عصيتموني ، لا ترشدون ، خذوا للحرب اهبتها وأعدّوا لها عدتها ، وأجمعوا إليها فقد
شبت واوقدت نارها وعلا شئنها ، وتجرّد لكم فيها الفاسقون كي يعذبوا عباد الله ،
ويطفؤوا نور الله . ألا انه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاء والكبر بأولى بالجد
في غيهم وضلالهم وباطلهم من أولياء الله ، من أهل البر والزهادة والახبات في حقهم
وطاعة ربهم ومناصحة إمامهم ، اني والله لو لقيتهم فردا وهم ملء الارض ما باليت ولا
استوحشت ، واني من ضاللتهم التي هم فيها والهدى الذي نحن عليه لعلی ثقة وبينة
ويقين وصبر ، واني إلى لقاء ربي لمشتاق ولحسن ثواب ربي لمنتظر، ولكن أسفا يعتريني
، وحزنا يخامرني من أن يلي أمر هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا

وعباد الله خولا والصالحين حربا والفاسقين حزبا ، وأيم الله لولا ذلك ما أكثرت تأنيبكم وتأليبيكم وتحريضكم ، ولتركتكم إذ ونيتم وأبيتهم حتى ألقاهم بنفسي متى حُمّ لي لقاءهم ، فوالله انى لعلى الحق ، واني للشهادة لمحِب ، فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، ولا تناقلوا إلى الارض فتفترّوا بالخسف وتبوءوا بالذل ويكن نصيبكم الاخسر ، ان أخوا الحرب الیقظان الارق ، ومن نام لم ينم عنه ، ومن ضعف أودى ، ومن ترك الجهاد في الله كان كالمغبون المهين . اللهم اجمعنا وایاهم على الهدى ، وزهّدنا وایاهم في الدنيا ، واجعل الآخرة خيرا لنا ولهم من الاولى ، والسلام.^(١)

وبالاسناد عن السيد رضي الدين علي بن طاووس (ت / ٦٦٤ هـ) في كتابه «كشف المحجة لثمره المهجة»، ط / النجف، سنة ١٣٧٠ هـ وقد ورد بعض المقطع الاول الذي اختاره الرضي في الصفحة (١٧٤) وبعض المقطع الثاني من مختاره في الصفحة (١٨٠)، وقد رواها باسناده عن كتاب الرسائل للكليني (ت / ٣٢٨ هـ) ويظهر من الرضي انها خطبة للامام ومن رواية الكليني انها رسالة، وحيث ان المنيع لكلها هو الامام عليه السلام فمن الطبيعي ان تظهر مقاطع من افكاره تارة في الخطب واخرى في الرسائل والحكم كما تقدم، واليك نص كلام السيد ابن طاووس الحسيني في «كشف المحجة لثمره المهجة» قال في الفصل الخامس والخمسون والمائة : واعلم يا ولدي محمد - كَمَل الله جل جلاله هدايتك وفضل ولايتك - أنني رويت من طرق كثيرة واضحات قد ذكرت بعضها في الجزء الاول من كتاب المهمات والتتمات جميع ما صنفه الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ورواه عليه السلام وأرضاه في هذا الكتاب الرسائل رسالة أخرى من أبيك علي عليه السلام إلى شيعته وإلى من يعزّ عليه في ذكر المتقدمين في الخلاف عليه، وهي في معنى رسالة إليك كما أن رسالته إلى أبيك الحسن عليه السلام كأنها منهما إليك، فانظر بعين المنة عليك، قال محمد بن يعقوب في كتاب الرسائل: عن علي بن ابراهيم باسناده قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتابا

(١) الغارات : لابراهيم بن محمد الثقفي ٢ : ٢٢٠٤.

بعد منصرفه من النهروان وأمر أن يقرأ على الناس، وذلك أن الناس سألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان، فغضب عليه السلام وقال: قد تفرغتم للسؤال عما لا يعنكم، وهذه مصر قد انفتحت وقتل معاوية بن خديج ومحمد بن أبي بكر فيا لها من مصيبة ما أعظمها بمصيبي بمحمد، فوالله ما كان إلا كبعض بني، سبحان الله بينا نحن نرجو أن تغلب القوم على ما في أيديهم إذ غلبونا على ما في أيدينا، وأنا كاتب لكم كتابا فيه تصريح ما سألتكم إن شاء الله تعالى فدعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع فقال له: أدخل عليّ عشرة من ثقاتي، فقال: سمّهم لي يا أمير المؤمنين، فقال: أدخل أصبغ بن نباتة وأبا الطفيل عامر بن وائلة الكنانى ورزين بن حبيش الاسدي وجويرية بن مسهر العبدى وخندف بن زهير الاسدي وحارثة بن مضرب الهمداني والحارث بن عبد الله الاعور الهمداني ومصباح النخعي وعلقمة بن قيس وكميل بن زياد وعمير بن زرارة، فدخلوا عليه، فقال لهم: خذوا هذا الكتاب وليقرأه عبيد الله بن أبي رافع وأنتم شهود كل يوم جمعة، فإن شغب شاغب عليكم فانصفوه بكتاب الله بينكم وبينه .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى شيعته من المؤمنين والمسلمين ، فإن الله يقول: ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ وهو اسم شرفه الله تعالى في الكتاب، أنتم شيعه النبي محمد صلى الله عليه وآله كما أن محمدا من شيعه إبراهيم، اسم غير مختص وأمر غير مبتدع، وسلام عليكم والله هو السلام المؤمن لأوليائه من العذاب المهين، الحاكم عليهم بعدله، بعث محمدا صلى الله عليه وآله وأنتم معاشر العرب على شر حال ، يغدو أحدكم كلبه ويقتل ولده ، ويغير على غيره ، فيرجع وقد أغير عليه، تأكلون الهلغز والهيبة والميتة والدم، منيخون على أحجار خشن وأوثان مضلة، تأكلون الطعام الجشب وتشربون الماء الآجن، تسافكون دماءكم ويسبي بعضكم بعضا ، وقد خص الله قريشا بثلاث آيات وعم العرب بآية، فأما الآيات اللواتي في قريش فهو قوله تعالى: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات

لعلكم تشكرون»^(١)

والثانية: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني ولا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون»^(٢)

والثالثة: قول قريش لنبي الله تعالى حين دعاهم إلى الاسلام والهجرة فقالوا: «ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا»^(٣) فقال الله تعالى: «أولم نمكّن لهم حرما آمنا يجيبى إليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون»^(٤).

وأما الآية التي عم بها العرب فهو قوله تعالى: «واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون»^(٥) فيألها من نعمة ما أعظمها إن لم تخرجوا منها إلى غيرها، ويا لها من مصيبة ما أعظمها إن لم تؤمنوا بها وترغبوا عنها، فمضى نبي الله ﷺ وقد بلغ ما أرسل به، فيألها من مصيبة خست الاقربين وعمت المؤمنين، لم تصابوا بمثلها ولن تعانوا بعدها مثلها، فمضى لسبيله ﷺ وترك كتاب الله وأهل بيته إمامين لا يختلفان، وأخوين لا يتخاذلان ومجتمعين لا يتفرقان، ولقد قبض الله محمدا نبيه ﷺ ولأننا أولى الناس به مني بقميصي هذا، وما ألقى في روعي ولا عرض في رأيي، أن وجه الناس إلى غيري، فلما أبطأ عني بالولاية لهمهم وتببط الانصار وهم أنصار الله وكتيبة الاسلام، قالوا: ما إذا لم تسلموها لعلني فصاحبنا أحق لها من غيره، فوالله ما أدري إلى من أشكو إما أن يكون الانصار ظلمت حقها، وإما أن يكونوا ظلموني حقّي، بل حقي المأخوذ وأنا المظلوم، فقال قائل قريش: إن نبي الله ﷺ قال: «الائمة من قريش» فدفعوا الانصار عن

(١) الانفال: ٢٦.

(٢) النور: ٥٥.

(٣) القصص: ٥٧.

(٤) القصص: ٥٧.

(٥) آل عمران: ١٠٣.

دعوتها ومنعوني حقي منها، فأتاني رهط يعرضون عليّ النصر منهم أبناء سعيد والمقداد بن الاسود وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي والزبير بن العوام والبراء بن عازب، فقلت لهم: إن عندي من نبي الله ﷺ إلي وصية لست أخالفه عما أمرني به، فوالله لو خرموني بأنفي لأقررت الله تعالى سمعا وطاعة، فلما رأيت الناس قد اثنالوا على أبي بكر للبيعة أمسكت يدي وظننت أنني أولى وأحق بمقام رسول الله ﷺ منه ومن غيره، وقد كان نبي الله أمر أسامة بن زيد على جيش وجعلهما في جيشه، وما زال النبي ﷺ إلى أن فاضت نفسه يقول: «أنفذوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة» فمضى جيشه إلى الشام حتى انتهوا إلى أذرعات، فلقي جيشا من الروم فهزموهم وغنمهم الله أموالهم، فلما رأيت راجعة من الناس قد رجعت من الاسلام تدعوا إلى محو دين محمد وملة إبراهيم ﷺ خشيت إن أنا لم أنصر الاسلام وأهله أرى فيه ثلما وهدما تكون المصيبة عليّ فيه أعظم من فوت ولاية أموركم التي إنما هي متاع أيام قلائل ثم تزول وتتقشع كما يزول ويتقشع السحاب، فنهضت مع القوم في تلك الاحداث حتى زهق الباطل وكانت كلمة الله هي العليا وإن زعم الكافرون

ولقد كان سعد لما رأى الناس يبائعون أبا بكر نادى: أيها الناس إني والله ما أردتها حتى رأيتمكم تصرفونها عن علي عليه السلام، ولا أبايكم حتى يبائع علي ولعلي لا أفعل وإن بايع، ثم ركب دابته وأتى حوران، وأقام في خان حتى هلك ولم يبائع.

وقام فروة بن عمر الانصاري وكان يقود مع رسول الله ﷺ فرسين ويصرع ألفا ويشترى تمراً فيتصدق به على المساكين، فنادى: يا معشر قريش، أخبروني هل فيكم رجل تحلّ له الخلافة وفيه ما في علي عليه السلام؟ فقال قيس بن مخزومة الزهري: ليس فينا من فيه ما في علي، فقال له: صدقت، فهل في علي عليه السلام ما ليس في أحد منكم؟ قال: نعم، قال: فما يصدّكم عنه؟ قال: اجتماع الناس على أبي بكر، قال: أما والله لئن أصبتم سنتكم لقد أخطأتم سنة نبيكم، ولو جعلتموها في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم.

فولّي أبي بكر فقارب واقتصد فصحبته مناصحا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا، حتى إذا احتضر. قلت في نفسي: ليس يعدل بهذا الأمر عني ولولا خاصة بينه وبين عمر أمر كانا رضىاه بينهما لظننت أنه لا يعدله عني، وقد سمع قول النبي ﷺ لبريدة الأسلمي حين بعثني وخالد بن الوليد إلى اليمن وقال: «إذا افترقتما فكل واحد منكما على حياله، وإذا اجتمعتما فعليّ عليكم جميعا» فغزونا وأصبنا سبيا فيهم خولة بنت جعفر جار الصفا، وإنما سمّي جار الصفا من حسنه، فأخذت الخيفة خولة، واغتمتها خالد مني وبعث بريدة إلى رسول الله ﷺ محرّشا عليّ فأخبره بما كان من أخذي خولة، فقال: «يا بريدة حظّه في الخمس أكثر مما أخذ، إنه وليّكم بعدي» سمعها أبو بكر وعمر، وهذا بريدة حي لم يمّت، فهل بعد هذا مقال لقائل؟ فبايع عمر دون المشورة، فكان مرضي السيرة من الناس عندهم، حتى إذا احتضر قلت في نفسي ليس يعدل بهذا الأمر عني للذي قد رأى مني في المواطن، وسمع من الرسول ﷺ، فجعلني سادس ستة وأمر صهيبا أن يصلّي بالناس ودعا أبا طلحة زيد بن سعد الانصاري فقال له: كن في خمسين رجلا من قومك فاقتل من أبي أن يرضى من هؤلاء الستة، فالعجب من اختلاف القوم إذ زعموا أن أبا بكر استخلفه النبي ﷺ، فلو كان هذا حقا لم يخف على الانصار فبايعه الناس على الشورى، ثم جعله أبو بكر لعمر برأيه خاصة، ثم جعلها عمر برأيه شورى بين ستة، فهذا العجب من اختلافهم، والدليل على ما لا أحب أن أذكر قول هؤلاء الرهط الذين قبض رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فكيف يأمر بقتل قوم رضي الله عنهم ورسوله، إن هذا الأمر عجيب، ولم يكونوا لولاية أحد منهم أكره منهم لولايتي، كانوا يسمعون وأنا أحاجّ أبا بكر فأنا أقول: يا معشر قريش أنا أحق بهذا الأمر منكم ما كان منكم من يقرأ القرآن ويعرف السنة ويدّين دين الله الحق، وإنما حجّتي أنّي وليّ هذا الأمر من دون قريش، إن نبي الله ﷺ قال: «الولاء لمن أعتق» فجاء رسول الله ﷺ يعتق الرقاب من النار وأعتقها من الرق، فكان للنبي ﷺ ولاء هذه الامة، وكان لي بعده ما كان له، فما جاز لقريش من فضلها عليها بالنبي ﷺ جاز لبني هاشم على قريش، وجاز لي على بني هاشم يقول النبي ﷺ يوم غدير خم: «من كنت

مولاه فهذا عليّ مولاه» إلا أن تدعي قريش فضلها على العرب بغير النبي ﷺ، فإن شاؤا فليقولوا ذلك، فخشى القوم إن أنا وليت عليهم أن آخذ بأنفاسهم وأعرض في حلوقهم ولا يكون لهم في الامر نصيب، فأجمعوا عليّ إجماع رجل واحد منهم، حتى صرفوا الولاية عني إلى عثمان رجاء أن ينالوها ويتداولوها فيما بينهم، فبيناهم كذلك إذ نادى مناد لا يُدرى من هو، وأظنه جئيا فأسمع أهل المدينة ليلة بايعوا عثمان، فقال:

يا ناعي الاسلام قم فانه	قد مات عرف وبدا منكر
ما لقريش لا على كعبها	من قدموا اليوم ومن أخرّوا
إنّ عليا هو أولى به	منه فولّوه ولا تنكروا

فكان لهم في ذلك عبرة ولولا أن العامة قد علمت بذلك لم أذكره، فدعوني إلى بيعة عثمان فبايعت مستكرها، وصبرت محتسبا وعلمت أهل القنوت أن يقولوا: «اللهم لك أخلصت القلوب، وإليك شخصت الابصار، وأنت دعيت بالالسن، وإليك تحوكم في الاعمال، فافتح بيننا وبين قومنا بالحق، اللهم إنا نشكوا إليك غيبة نبينا، وكثرة عدوّنا، وقلة عددنا وهواننا على الناس، وشدة الزمان ووقوع الفتن بنا، اللهم ففرّج ذلك بعدل تظهره وسلطان حق تعرفه». فقال عبد الرحمن بن عوف: يا بن أبي طالب إنك على هذا الامر لحريص، فقلت: لست عليه حريصا، إنما أطلب ميراث رسول الله ﷺ وحقه وأنّ ولاء أمته لي من بعده وأنتم أحرص عليه مني إذ تحوّلون بيني وبينه، وتصرفون وجهي دونه بالسيف، اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمي وأضاعوا أيامي ودفعوا حقي، وصغّروا قدري، وعظّيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به منهم، فاستلبوني، ثم قالوا: اصبر مغموما أو مت متأسفا، وأيم الله لو استطاعوا أن يدفعوا قرابتي كما قطعوا سببي ففعلوا، ولكنهم لا يجدون إلى ذلك سبيلا، إنما حقّي على هذه الامة كرجل له حق على قوم إلى أجل معلوم، فإن أحسنوا وعجلوا له حقه قبله حامدا وإن أخرّوه إلى أجله أخذه غير حامد، وليس يعاب المرء بتأخير حقه إنما يعاب من أخذ ما ليس له، وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلي عهدا فقال: «يا بن أبي طالب لك ولاء أمتي، فإن ولّوك في

عافية وأجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم ، وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه؛ فإن الله سيجعل لك مخرجاً» فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا معي مساعد إلا أهل بيتي فظننت بهم عن الهلاك، ولو كان لي بعد رسول الله ﷺ عمي حمزة وأخي جعفر لم أبايع كرها، ولكنني بليت برجلين حديثي عهد بالاسلام: العباس وعقيل، فظننت بأهل بيتي عن الهلاك، فأغضيت عيني على القذى ، وتجرعت ريقى على الشجا، وصبرت على أمر من العلقم وآلم للقلب من حرّ الشفار .

وأما أمر عثمان، فكأنه علم من القرون الاولى «علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى» خذله أهل بدر وقتله أهل مصر، والله ما أمرت ولا نهيت، ولو أنني أمرت كنت قاتلاً ولو أنني نهيت كنت ناصراً، وكان الامر لا ينفع فيه العيان، ولا يشفي منه الخبر، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول هو: خذله من أنا خير منه، ولا يستطيع من خذله أن يقول: نصره من هو خير مني، وأنا جامع أمره: استأثر فأساء الاثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، والله يحكم بيننا وبينه، والله ما يلزمني في دم عثمان تهمة، ما كنت إلا رجلاً من المسلمين المهاجرين في بيتي، فلما قتلوه أتيتموني تباعوني فأبيت عليكم وأيتم عليّ، فقبضت يدي فبسطتموها، وبسطتها فمددتموها، ثم تداككتم علي تداكّ الابل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم قاتل بعض، حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووطي الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن حمل إليها الصغير وهدج إليها الكبير وتحامل إليها العليل، وحسرت لها الكعبات، فقالوا: بايعنا على ما بويح عليه أبو بكر وعمر فإننا لا نجد غيرك ولا نرضى إلا بك، فبايعنا لا نفترق ولا نختلف، فبايعتكم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ودعوت الناس إلى بيعتي، فمن بايعني طائعا قبلت منه، ومن أبي تركته، فكان أول من بايعني طلحة والزبير، فقالا: نبايعك على أنا شركاؤك في الامر، فقلت: لا ولكنكما شركائي في القوة وعوناي في العجز، فبايعاني على هذا الامر، ولو أبيا لم أكرهما كما لم أكره غيرهما، وكان طلحة يرجو اليمن، والزبير يرجو العراق، فلما علما أنني غير موليّهما استأذناني للعمرة يريدان الغدر، فاتبعنا عائشة واستخفاها مع

كل شئ في نفسها عليّ . والنساء نواقص الايمان نواقص العقول نواقص الحظوظ، فأما نقصان إيمانهن: فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن، وأما نقصان عقولهن: فلا شهادة لهن إلا في الدين وشهادة امرأتين برجل، وأما نقصان حظوظهن: فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال، وقادهما عبيد الله بن عامر إلى البصرة وضمن لهما الاموال والرجال، فبينهما يقودانها إذ هي تقودهما فاتخاذها فئة يقاتلان دونها، فأى خطيئة أعظم مما أتيا إخراجهما زوجة رسول الله ﷺ من بيتها، فكشفا عنها حجابا ستره الله عليها وصانا حلالهما في بيوتهما، ولا أنصفا الله ولا رسوله من أنفسهما، ثلاث خصال مرجعها على الناس: قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾ وقال: ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾ وقال: ﴿ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله﴾ فقد بغيا عليّ ونكثا بيعتي ومكراني، فمنيبت بأطوع الناس في الناس عايشة بنت أبي بكر، وبأشجع الناس الزبير وبأخصم الناس طلحة، وأعانهم عليّ يعلى بن منبه بأصواع الدنانير، والله لئن استقام أمري لأجعلن ماله فينا للمسلمين . ثم أتوا البصرة وأهلها مجتمعون على بيعتي وطاعتي، وبها شيعتي خزائن بيت مال الله ومال المسلمين، فدعوا الناس إلى معصيتي وإلى نقض بيعتي وطاعتي، فمن أطاعهم أكفروه ومن عصاهم قتلوه، فناجزهم حكيم بن جبلة فقتلوه في سبعين رجلا من عبّاد أهل البصرة ومخبيتهم يسمّون المثقنين كأنّ راح أكفهم ثفات الابل، وأبى أن يبايعهم يزيد بن الحارث الشكري، فقال: اتقيا الله إن أولكم قادنا إلى الجنة فلا يقودنا آخركم إلى النار، فلا تكلفونا أن نصدّق المدّعي ونقضي على الغائب، أما يميني فشغلها علي بن أبي طالب عليه السلام ببيعتي إياه وهذه شمالي فارغة، فخذها إن شئتما. فخنق حتى مات عليه السلام. وقام عبد الله بن حكيم التميمي فقال: يا طلحة من يعرف هذا الكتاب قال: نعم، هذا كتابي إليك، قال: هل تدري ما فيه؟ قال: اقرأه عليّ فإذا فيه عيب عثمان، دعاؤه إلى قتله، فسيّروه من البصرة. وأخذوا عاملي عثمان بن حنيف الانصاري غدرا، فمثّلوا به كل المثلة وشتفوا كل شعرة في رأسه ووجهه، وقتلوا شيعتي طائفة صبرا وطائفة غدرا وطائفة عضّوا بأسيا فمهم حتى لقوا الله، فوالله لو لم يقتلوا منهم إلا رجلا واحدا

لحل لي به دماؤهم ودماء ذلك الجيش لرضاهم بقتل من قتل . دع، مع أنهم قد قتلوا أكثر من العدة التي دخلوا بها عليهم وقد أزال الله منهم فبعدا للقوم الظالمين، فأما طلحة فرماه مروان بسهم فقتله . وأما الزبير فذكرته قول رسول الله ﷺ: «إنك تقاتل عليا عليه السلام وأنت ظالم له» . وأما عيشة فإنها كان نهاها رسول الله ﷺ عن مسيرها فعصت يديها نادمة على ما كان منها . وقد كان طلحة لما نزل ذا قارقام خطيبا فقال: أيها الناس إنا قد أخطأنا في عثمان خطيئة ما يخرجنا منها إلا الطلب بدمه، وعليّ قاتله وعليه دمه وقد نزل «دارن» مع شكّاك اليمن ونصارى ربيعة ومنافقي مضر . فلما بلغني قوله وقول كان عن الزبير قبيح، بعثت إليهما أناشدهما بحق محمد وآله ما أتيتماني وأهل مصر محاصروا عثمان، فقلتما: اذهب بنا إلى هذا الرجل فإننا لا نستطيع قتله إلا بك لما تعلم أنه سير أبا ذر عليه السلام، وفتق عمارا، وآوى الحكم بن العاص وقد طرده رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، واستعمل الفاسق على كتاب الله الوليد بن عقبة، وسلط خالد بن عرفطة العذري على كتاب الله تعالى يمزّقه ويحرقه . فقلت: كل هذا قد علمت، ولا أرى قتله يومي هذا، وأوشكت سقاؤه أن يخرج المخيض زبدته . فاقرا بما قلت .

وأما قولكما إنكما تطلبان بدم عثمان، فهذان ابناه عمرو وسعيد، فخلوا عنهما يطلبان دم أبيهما . متى كان أسد وتيم أولياء بني أمية . فانقطعا عند ذلك .

فقام عمران بن الحصين الخزاعي صاحب رسول الله ﷺ - وهو الذي جاءت فيه الاحاديث - وقال: يا هذان لا تخرجانا ببيعتكما من طاعة علي ولا تحملانا على نقض بيعته فإنها لله رضا، أما وسعتكما بيوثكما حتى أتيتمنا بأمر المؤمنين، فالعجب لاختلافها إياكما ومسيرها معكما، فكفّا عنا أنفسكما وارجعا من حيث جئتما فلسنا عبيد من غلب ولا أول من سبق . فهما به ثم كفّا عنه . وكانت عائشة قد شكت في مسيرها وتعاضلها القتال فدعت كاتبها عبيد الله بن كعب النميري فقالت: اكتب: من عائشة بنت أبي بكر . إلى علي بن أبي طالب . فقال: هذا أمر لا يجري به القلم . قالت: ولم؟ قال: لأن علي بن أبي طالب في الاسلام أول، وله بذلك البدء في الكتاب، فقالت: اكتب إلى علي بن أبي طالب

من عائشة بنت أبي بكر . أما بعد : فإني لست أجهل قرابتك من رسول الله ﷺ ولا قدمك في الاسلام . ولا غناك من رسول الله ، وإنما خرجت مصلحة بين بني لا أريد حربك إن كفت عن هذين الرجلين - في كلام لها كثير - فلم أجبها بحرف . وأخرت جوابها لقتالها . فلما قضى الله لي الحسنى سرت إلى الكوفة ، واستخلفت عبد الله بن عباس على البصرة فقدمت الكوفة وقد اتسقت لي الوجوه كلها إلا الشام فأحببت أن أتخذ الحجة وأقضي العذر وأخذت بقول الله تعالى : ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾ فبعثت جرير بن عبد الله إلى معاوية معذراً إليه متخذاً الحجة عليه ، فرد كتابي وجحد حقّي ودفع بيعتي . وبعث إليّ أن ابعث إليّ قتلة عثمان ، فبعثت إليه : ما أنت وقتلة عثمان ؟ ، أولاده أولى به ، فادخل أنت وهم في طاعتي ، ثم خاصموا القوم لأحملكهم وإياهم على كتاب الله ، وإلا فهذه خدعة الصبي عن رضاع الملي ، فلما يس من هذا الامر بعث إليّ أن اجعل الشام لي حياتك ، فإن حدث بك حادث من الموت لم يكن لأحد عليّ طاعة وإنما أراد بذلك أن يخلع طاعتي من عنقه ، فأبيت عليه ، فبعث إليّ إن أهل الحجاز كانوا الحكماء على أهل الشام ، فلما قتلوا عثمان صار أهل الشام الحكماء على أهل الحجاز ، فبعثت إليه : إن كنت صادقاً فسمّ لي رجلاً من قريش للشام تحل له الخلافة ويقبل في الشورى ونظرت إلى أهل الشام فإذا هم بقية الاحزاب فراش نار ، وذئاب طمع تجتمع من كل أوب ممن ينبغي له أن يؤدّب ويحمل على السنة ، ليسوا من المهاجرين ولا الانصار ولا التابعين بإحسان ، فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة ، فأبوا إلا فراقي وشقاقي ، ثم نهضوا في وجه المسلمين ينضحونهم بالنبل ويشجرونهم بالرماح ، فعند ذلك نهضت إليهم فلما عضّتهم السلاح ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعوكم إلى ما فيها ، فأنبأتكم أنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن ، وإنما رفعوا بها مكيدة وخديعة فامضوا لقتالهم ، فقلتم : اقبل منهم واكف عنهم ، فإنهم إن أجابوا إلى ما في القرآن إن حاجونا على ما نحن عليه من الحق . فقبلت منهم وكفت عنهم ، فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين حكيمين ليحييا ما أحياه القرآن ، ويميتا ما أماته القرآن فاختلف

رأيهما واختلف حكمهما، فنبذا ما في الكتاب وخالفنا ما في القرآن وكانا أهله، ثم إن طائفة اعتزلت فتركناهم، ما تركونا حتى إذا عاثوا في الأرض يفسدون ويقتلون، وكان فيمن قتلوه أهل ميرة من بني أسد وقتلوا خبابا وابنه وأمّ ولده والحارث بن مرة العبدى، فبعثت إليهم داعيا فقلت: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا، فقالوا: كلنا قتلتهم. ثم شدت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله مصارع الظالمين، فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم فقلتم: كلت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصيرا فأذن لنا فلنرجع ولنستعد بأحسن عدتنا، وإذا نحن رجعنا زدنا في مقاتلتنا عدة من قتل منا، حتى إذا ظللت على النخيلة أمرتكم أن تلزموا معسكركم وأن تضموا إليه نواصيكم وأن توطئوا على الجهاد نفوسكم ولا تكثرُوا زيارة آبائكم ونسائكم فإن أصحاب الحرب مصايروها وأهل التشمير فيها، والذين لا يتوجدون من سهر ليلهم ولا ظمأ نهارهم ولا فقدان أولادهم ولا نسائهم، وأقامت طائفة منكم معدة وطائفة دخلت المصر عاصية، فلا من دخل المصر عاد إلي، ولا من أقام منكم ثبت معي ولا صبر فلقد رابنتي وما في عسكري منكم خمسون رجلا، فلما رأيت ما أنتم عليه دخلت عليكم فما قدر لكم أن تخرجوا معي إلى يومكم هذا، الله أبوكم، ألا ترون إلى مصر قد افتتحت وإلى أطرافكم قد انتقصت، وإلى مسالحكم ترقى، وإلى بلادكم تغزى؟ وأنتم ذووا عدد جم وشوكة شديدة، وأولوا بأس قد كان مخوفا، الله أنتم أين تذهبون؟ وأنى توفكون؟ ألا إن القوم جدوا وبأسوا وتناصروا، وتناصخوا وإنكم أبيتم وونيتم وتخاذلتم وتغاشستم، ما أنتم إن بقيتم على ذلك سعداء، فنبهوا رحمكم الله نائمكم وتحزّزوا لحرب عدوكم فقد أبدت الدعوة عن الصريح وأضاء الصبح لذي عينين. فانتبهوا، إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء وأهل الجفاء ومن أسلم كرها وكان لرسول الله أنفا، وللإسلام كله حربا، أعداء السنة والقرآن، وأهل البدع والاحداث، ومن كانت نكايته تنقى وكان على الإسلام وأهله مخوفا، وأكلة الرشا وعبيد الدنيا، ولقد أنهى إليّ أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتية آتية وهي أعظم مما في يديه من سلطانه، فصغرت يد هذا البائع دينه بالدنيا.

وخزيت أمانة هذا المشتري بنصرة فاسق غادر بأموال المسلمين، وأي سهم لهذا المشتري بنصرة فاسق غادر وقد شرب الخمر وضرب حدا في الاسلام، وكلكم يعرفه بالفساد في الدين، وإن منهم من لم يدخل في الاسلام وأهله حتى رضخ عليه رضيخة، فهؤلاء قادة القوم. ومن تركت لكم ذكر مساويه أكثر وأنور. وأنتم تعرفونهم بأعيانهم وأسمائهم، كانوا على الاسلام ضدا، ولنبي ﷺ حربا وللشيطان حزبا، لم يتقدم إيمانهم ولم يحدث نفاقهم، وهؤلاء الذين لو ولّوا عليكم لأظهروا فيكم الفخر والتكبر والتسلط بالجبرية والفساد في الارض، وأنتم على ما كان منكم من تواكل وتخاذل خير منهم وأهدى سبيلا؛ منكم الفقهاء والعلماء والفهاء وحملة الكتاب والمتهمجون بالاسحار، ألا تسخطون وتنقمون أن ينازعكم الولاية السفهاء البطاة عن الاسلام، الجفاة فيه. اسمعوا قولي يهديكم الله إذا قلت. وأطيعوا أمري إذا أمرت، فوالله لئن أطعتموني لا تغفوا. وإن عصيتموني لا ترشدوا، قال الله تعالى: ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ فالهادي بعد النبي ﷺ هاد لأمته على ما كان من رسول الله ﷺ، فمن عسى أن يكون الهادي إلا الذي دعاكم إلى الحق وقادكم إلى الهدى؟ خذوا للحرب أهبتّها وأعدّوا لها عدتها فقد شبت وأوقدت نارها، وتجرّدوا لكم الفاسقون لكيما يطفؤوا نور الله بأفواههم ويغفوا عباد الله، ألا ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاء أولى بالحق من أهل البر والاحسان في طاعة ربهم ومناصحة إمامهم، إني - والله لو لقيتهم وحدي وهم وأهل الارض ما استوحشت منهم، ولا باليت، ولكن أسف يريني وجزع يعتريني من أن يلي هذه الامة فجارها وسفهاؤها، يتخذون مال الله دولا، وكتابه دخلا، والفاسقين حزبا، والصالحين حربا. وأيم الله لولا ذلك ما أكثر تأنيبكم وتحريضكم ولتركتكم إذا أبيتم حتى ألقاهم متى حمّ لي لقاءهم، فوالله إني لعلّ الحق وإني للشهادة لمحّب، وإني إلى لقاء الله ربي لمشتاق. ولحسن ثوابه لمنتظر، إني نافر بكم فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ولا تشاقلوا في الارض فتعمّوا بالذل وتقروا بالخسف،

ويكون نصيبكم الخسران. إنَّ أخ الحرب اليقظان الارق إن نام لم تتم عينه، ومن ضعف أُوذِي، ومن كره الجهاد في سبيل الله كان المغبون المهيّن، إني لكم اليوم على ما كنت عليه أمس، ولستم لي على ما كنتم عليه، من تكونوا ناصريه أخذ بالسهم الاخيبي، والله لو نصرتم الله لنصركم وثبت أقدامكم، إنه حق على الله أن ينصر من نصره ويخذل من خذله، أترون الغلبة لمن صبر بغير نصر؟ وقد يكون الصبر جبنا ويكون حمية، وإنما الصبر بالنصر والورود بالصدر، والبرق بالمطر. اللهم اجمعنا وإياهم على الهدى وزهدنا وإياهم في الدنيا، واجعل الآخرة خيرا لنا من الأولى.^(١)

(١) كشف المحجة لثمره المهجة؛ للسيد ابن طاووس الحسني: ١٧٣ - ١٨٨.

[الخطبة (٢٧)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: قوله عليه السلام: «أما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة... الى آخره»، هذه الخطبة من مشاهير خطبه، وقال الشارح العلامة هذه الخطبة مشهورة، وأقول: هي مروية في كتاب الجهاد من كتاب الكافي، وقد ذكرها الجاحظ في كتاب البيان والتبيين مع اختلاف يسير، وذكرت في كتاب الاخبار الطوال، وفي الكامل للمبرد وفي عقد ابن عبد ربه مع اختلاف في بعض الالفاظ والفقرات، وقوله: «فيا عجباً والله يميت القلب... الى آخره» مروي في كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة؛ قال: خطب عليّ حين قتل عامله في الانبار، فقال في خطبته... الى آخره»، وقال الشارح الفاضل بعد ذكر أن أبا العباس المبرد ذكرها في الكامل، وأنه أسقط من هذه الرواية ألفاظاً وزاد فيها ألفاظاً، وكان فيها «وسيم الخسف» قال: ونحن نقول: إن السماع الذي حكاه ابو العباس غير مرضي، والصحيح ما تضمنه نهج البلاغة وهو «وسيم الخسف» فعل مالم يسم فاعله - والخسف منصوب لانه مفعول... الى آخر ما ذكره، وهو كما قال؛ لأن رواية السيد أصح وأعلى، وأما ما ذكره من التعليل فيحتاج الى ملاحظة^(١).

وقال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الجاحظ بتغير يسير في البيان والتبيين ج ١ ص ١٧٠ والمبرد في الكامل ج ١ ص ١٣، ابن قتيبة في عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٦، وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ١٦٣، وأبو الفرج الاصبهاني في كتاب الأغاني ج ١٥ ص ٤٣ والشيخ الصدوق في معاني الأخبار (ص ١١٣)، والشيخ المفيد في الارشاد (١٦٠ - ١٦٤)». (انتهى).^(٢)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الشيخ الكليني في

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٧.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

«الكافي» عن أحمد بن محمد بن سعيد ، عن جعفر بن عبد الله العلوي ، وأحمد بن محمد الكوفي ، عن علي بن العباس ، عن إسماعيل بن إسحاق جميعا ، عن أبي روح فرج بن قرّة ، عن مسعدة بن صدقة قال: حدثني ابن أبي ليلى ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : أما بعد ، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه وسوّغهم كرامة منه لهم ونعمة ذخرها ، والجهاد هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء ، وفارق الرضا وديث بالصغار والقماء ، وضرب على قلبه بالاسداد ، وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسئم الخسف ومنع النصف ، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وإعلانا ، وقلت لكم : اغزوه قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلّا ذلّوا ، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شئت عليكم الغارات وملكت عليكم الاوطان ، هذا أخو غامد ، قد وردت خيله الانبار وقتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها ، وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والآخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلاندها ورعاثها ، ما تمنع منه إلّا بالاسترجاع والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا اريق له دم ، فلو أن امرءاً مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما ، بل كان عندي به جديرا ، فيا عجباً عجباً ، والله يميث القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفريقكم عن حقكم ، فقبحا لكم وترحاً حين صرتم غرضا يرمى ، يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون ، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم : هذه حمارة القيظ ، أمهلنا حتى يسيخ عنا الحر . وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم : هذه صبارة القر ، أمهلنا حتى ينسلخ عنا البرد ، كل هذا فرارا من الحر والقر ، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر ، يا أشباه الرجال ولا رجال ، حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال ، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم - معرفة - والله جرت ندما وأعقبت ذما ، قاتلكم الله ، لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا ، وجرّ عتموني نغب التهمام أنفاسا وأفسدتم علي رأيي بالعصيان

والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب،
لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراسا وأقدم فيها مقاما مني، لقد نهضت فيها ما بلغت
العشرين وها أنا قد ذرفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع.^(١)

وبالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «معاني الأخبار» في باب معاني
الالفاظ التي ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته بالنخيلة حين بلغه قتل حسان بن حسان
عامله بالانبار حدثنا أبو العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني (عليه السلام) قال: حدثنا
عبد العزيز بن يحيى الجلودي، قال: حدثنا هشام بن علي، ومحمد بن زكريا الجوهري،
قالا: حدثنا ابن عائشة بإسناد ذكره أن عليا (عليه السلام) انتهى إليه أن خيلا لمعاوية وردت الانبار
فقتلوا عاملا له يقال له: "حسان بن حسان" فخرج مغضبا يجرّ ثوبه حتى أتى النخيلة
وأتبعه الناس، فرقى رباوة من الارض، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم
قال:

أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى
ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وسيما الخسف
وديث الصغار، وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلا ونهار وسرا وإعلانا، وقلت لكم:
اغزوهم من قبل أن يغزوكم، فوالذي نفسي بيده ما غزى قوم قط في عقد يارهم إلا ذلوا،
فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قلبي، واتخذتموه وراءكم ظهريا، حتى شئت عليكم
الغارات، هذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار، وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم
كثيرا ونساء، والذي نفسي بيده لقد بلغني أنه كان يدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة
فتنتزع أحجالهما ورعتهما، ثم انصرفوا موفورين، لم يكلم أحد منهم كلاما، فلو أن امرءا
مسلم مات من دون هذا أسفا ما كان عندي فيه ملوما، بل كان عندي به جديرا! يا عجب
كل العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلهم عن حقكم! إذا قلت لكم:
اغزوهم في الشتاء قلت: هذا أوان قرّ وصر! وإذا قلت لكم: اغزوهم في الصيف قلت: هذه

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ٥: ٦٥.

حمارة القيظ أنظرنا ينصرم الحر عنا ! فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون فأنتم والله من السيف أفر . يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طغام الاحلام، ويا عقول ربات الحجال، والله لقد أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان، ولقد ملأتم جوفي غيظاً حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب شجاع ولكن لا رأي له في الحرب . لله درهم ! ومن ذا يكون أعلم بها وأشدّها مراساً مني ؟ فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع - يقولها ثلاثاً - فقام إليه رجل ومعه أخوه فقال: يا أمير المؤمنين أنا وأخي هذا كما قال الله عز وجل: حكاية عن موسى: ﴿ رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي ﴾ فمرنا بأمرك فوالله لتنتهين إليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد . فدعا له بخير، ثم قال: وأين تقعان مما أريد ؟ ! ثم نزل ﷺ .^(١)

وبالاسناد عن الهاروني (ت / ٤٢٤ هـ) في «تيسير المطالب» قال: أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد البغدادي، قال: حدثنا عبد العزيز بن اسحاق بن جعفر الكوفي، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن يحيى، قال: حدثنا أحمد بن الوليد، عن سيابة عن قيس بن الربيع، عن عمرو بن قيس الملاي، عن أبي صادق، قال: بلغ علي بن أبي طالب ﷺ أن خيلاً لمعاوية أغارت الأنبار وقتلوا بها عامله حسان بن حسان البكري، فقام علي ﷺ يجرّ ثوبه حتى أتى النخيلة، فقالوا: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين، فقال: ما يكفوني ولا تكفوني أنفسكم، قال: واجتمع الناس إليه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا الجهاد باب من أبواب الجنة من تركه ألبسه الله الذلة وسيم الخسيف وديث بالصغار، وقد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلاً نهاراً وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلّوا فتناقلتكم وتواكلتم وثقل عليكم ذلك حتى شنت عليكم الغارات، هذا أخو غامد قد نزلت خيله الأنبار، وقتلوا حسان بن حسان ورجالاً صالحين ونساء، ولقد بلغني أنه كان يدخل [الرجل منهم] على المرأة المسلمة والآخرى (أي المعاهدة) فينتزع رائها وحجلها، ثم انصرفوا موزورين لم يكلم أحد منهم كلمة، والله لو أن امرءاً

(١) معاني الأخبار؛ للشيخ الصدوق: ٣١٠٣٠٩.

مسلمًا مات من دون هذا أسفًا لما كان عندي بذلك ملومًا، بل كان عندي جديرًا، فبما عجبًا - والله - يميم القلب ويكثر الهم ويبيح الأحرار من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وفشلهم عن حَقِّكم، حتى صرتم عرضًا تُرمون ولا ترمون، وتغزون ولا تغزون، ويغار عليكم ولا تغيرون، ويعصى الله وترضون، يا أشباه الرجال لا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال، اذا قلت لكم: اغزوهم في البرد قلت: هذه أيام قرّ، امهلنا حتى ينسلخ القرّ عنا، فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون فأتتم والله من السيف أقرّ، أما والله لو ددت اني لم أركم لم أعرفكم معرفة - والله جرّت ندمًا، قاتلكم الله، لقد ملئت قلبي غيظًا، وأفسدت عليّ ربي بالخذلان، حتى لقد بلغني ان قرشيًا تقول: ان أبي طالب رجل شجاع ولكن لا رأي له بالحروب، لله ابوهم، وهل احد منهم أشد لها مراسًا منّي؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها انا الآن قد ذرفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع.

قال: فقام رجل، فقال: يا أمير المؤمنين انا وأخي كما قال الله تعالى: ﴿لا املك الا نفسي أخي﴾ فها أنا وهذا أخي فمرنا بأمرك، فوالله لنضرب دونك ولو حال بيننا جمر الغضا وشوك القتاد، قال: فقال علي: يرحمكما الله، واين تقعان مما أريد»^(١).

وقال البلاذري (ت / ٢٧٩ هـ) في «أنساب الأشراف»: قالوا: ودعا معاوية سفيان بن عوف بن المغفل الأزدي ثم الغامدي، فسرحه في ستة آلاف من أهل الشام ذوي بأس وإناء [كذا] وأمره أن يلزم جانب الفرات الغربي حتى يأتي هيت فيغير على مسالح علي وأصحابه بها، وبنواحيها، ثم يأتي الانبار فيفعل بها مثل ذلك حتى ينتهي إلى المدائن، وحذّره أن يقرب الكوفة، وقال له: إن الغارة تنخب قلوبهم وتكسر حدّهم وتقوي أنفس أوليائنا ومنّتهم. فشخص سفيان في الستة آلاف المضمومين إليه، فلما بلغ أهل هيت قربه منهم قطعوا الفرات إلى العبر الشرقي [كذا] فلم يجد سفيان بها أحدا، وأتى الانبار فأغار عليها، فقاتله من بها من قبل عليّ فأتى على كثير منهم، وأخذ أموال الناس، وقتل أشرس بن حسان البكري عامل عليّ، ثم انصرف. وأتى عليا عالج، فأخبره الخبر، وكان عليًّا لا

(١) تيسير المطالب: ١٨٧، ط / ١٣٩٥ هـ.

يمكنه الخطبة، فكتب كتابا قرئ على الناس، وقد أدني علي من السدة التي كان يخرج منها ليسمع القراءة، وكانت نسخة الكتاب هكذا:

أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه أليس ثوب الذلة، وشملة البلاء، وديث بالصغار، وسيم الخشف، ومنع النصف، وقد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وعلانية وسرا، وأمرتكم أن تغزوهم قبل أن يغزوكم؛ فإنه ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي، وعصيتم أمري واتخذتموه وراءكم ظهريا، حتى شئت عليكم الغارات من كل ناحية، هذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار، فقتل ابن حسان البكري، وأزال مسالحكم عن مواضعها، وقتل منكم رجالا صالحين. ولقد بلغني أن الرجل من أهل الشام كان يدخل بيت المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فيأخذ حجلها وقلبها ورعاها وقلادتها، فيأعجبا عجبا يميت القلب، ويجلب الهم، ويسعر الاحزان من جد هؤلاء القوم في باطلهم، وفشلكم عن حقكم، فقبحا وترحا حيث صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، ويعصى الله فترضون، إذا قلت لكم: اغزوا عدوكم في الحر، قلت: هذه حمارة القيط من يغزوا فيها؟! أمهلنا ينسلخ عنا الحر، وإذا قلت: أغزوهم في أنف الشتاء، قلت: الصر والقر، أفكل هذا منكم فرار من الحر والقر؟ فأنتم والله من السيف أفر؟ يا أشباه الرجال - ولا رجال - يا أحلام الاطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم وأن الله أخرجني من بين أظهركم، فلقد ورّيتم صدري غيظا، وجرّعتُموني نغب التهام أنفاسا، وأفسدتُم علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب شجاع ولكنه لا علم له بالحرب. لله أبوهم وهل منهم أحد أشد لها مراسا ومقاساة مني، لقد نهضت فيها وقد بلغت العشرين، فما أناذا قد ذرفت على الستين، ولكنه لا رأي لمن لا يطاع، والسلام^(١)

(١) انساب الاشراف؛ للبلاذري: ٤٤١.

[الخطبة (٢٨)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت ... الخ، هذه الخطبة رواها الجاحظ في كتاب البيان والتبيين والمسعودي في مروج الذهب وابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار مع اختلاف في بعض الفقرات ورواها صاحب كتاب إعجاز القرآن ورواها في كتاب تحف العقول من جملة الخطبة المعروفة بالديباج ورواها ابن عبد ربه في عقده.

قال الشارح العلامة هذا الفصل من الخطبة التي في اولها «الحمد لله غير مقنوط من رحمته ... الخ» وسيجيئ بعدو إنما قدمه الرضي عليها لما سبق من اعتذاره في خطبة الكتاب انه لا يراعي التالي والنسق في كلامه»^(١).

وقال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الجاحظ في البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٣٥، الثقفى في كتاب «الغارات» إبحار الأنوار ج ١٧ ص ١٢٦، وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ١٦٣، وأبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني المتوفى ٤٣٢ (٩٤٣ م) في تحف العقول (٣٥)، والقاضى أبوبكر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ (١٣ - ١٠١٢ م) في إعجاز القرآن المطبوع على حاشية الاتقان للسيوطى ج ١ ص ١٩٤، والشيخ المفيد في الارشاد (١٣٨). (انتهى)»^(٢).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما اروي به بالاسناد عن نصر بن مزاحم المنقري في «وقعة صفين»، وفيه: أنبأنا نصر بن مزاحم التميمي، قال عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي عن الحارث بن حصيرة عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود وغيره قالوا: لما قدم علي بن أبي طالب من البصرة إلى الكوفة يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة مضت من

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٧.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

رجب سنة ست وثلاثين ، وقد أعزّ الله نصره وأظهره على عدوّه ، ومعه أشراف الناس وأهل البصرة ، استقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرافهم ، فدعوا له بالبركة ، وقالوا : يا أمير المؤمنين ، أين تنزل ؟ أتتزل القصر ؟ فقال : لا ، ولكنني أنزل الرحبة . فنزلها وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلّى فيه ركعتين ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله وقال :

أما بعد ، يا أهل الكوفة فإن لكم في الإسلام فضلا ما لم تبدّلوا وتغيّروا . دعوتكم إلى الحق فأجبتم ، وبدأتم بالمنكر فغيّرتم . ألا إن فضلكم فيما بينكم وبين الله في الأحكام والقسم . فأنتم أسوة من أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه . ألا إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى ، وطول الأمل . فأما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة . ألا إن الدنيا قد ترحّلت مدبرة ، والآخرة ترحّلت مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة . اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل .^(١)

وبالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في «الأمالى» : قال : أخبرني أبو بكر محمد بن عمر الجعابي قال : حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي قال : حدثنا مسلم بن عبد الله البصري قال : حدثني أبي قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن النهدي قال : حدثنا شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن حبة العرنى ، قال : سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : إني أخشى عليكم اثنتين : طول الأمل ، واتباع الهوى . فأما طول الأمل فينسي الآخرة ، وأما اتباع الهوى ، فيصدّ عن الحق ، وإن الدنيا قد ترحّلت مدبرة ، والآخرة قد جاءت مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا . فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل .^(٢)

وبالاسناد عن أبي نعيم الاصفهاني (ت / ٤٣٠ هـ) قال : حدثنا ابو بكر الضحي ، ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا عون من سلام ، ثنا ابو مريم زبيد عن مهاجر بن عمير ، قال :

(١) وقعة صفّين ؛ لنصر بن مزاحم المنقري : ٣ .

(٢) الأمالى ؛ للشيخ المفيد : ٩٣٩٢ .

قال علي بن أبي طالب: ان أخوف ما أخاف: اتباع الهوى وطول الامل... فذكر مثل ما تقدم عن المفيد، وفي آخره: رواه الثوري وجماعة عن زبيد مثله عن علي مرسلًا ولم يذكروا مهاجر بن عمير»^(١).

وبالاسناد عن الشيخ المفيد الثاني ابي علي الحسن بن محمد الطوسي (ت / ٥١٥ هـ) رحمه الله قال: حدثنا الشيخ السعيد الوالد رحمه الله قال: أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرني أبو بكر محمد بن عمر الجعابي، قال: حدثنا محمد بن الوليد، قال: حدثنا غندر بن محمد، قال: حدثنا شعبة، عن سلمة بن جميل، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكنانى، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن أخوف ما أخاف عليكم طول الامل واتباع الهوى، فأما طول الامل فينسى الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق، ألا وإن الدنيا قد تولّت مدبرة، والآخرة قد أقبلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، والآخرة حساب ولا عمل»^(٢).

وبالاسناد عن الموفق الخوارزمي (ت / ٥٦٨ هـ) في المناقب، قال: أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي الخوارزمي، أخبرني القاضي الإمام شيخ القضاة اسماعيل بن أحمد الواعظ، أخبرنا والدي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرني محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو عبد الله علي بن عبد الله العطار ببغداد، حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن عطاء بن سائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: خطب علي بن طالب عليه السلام بالكوفة، فقال: أيها الناس، ان أخوف ما أخاف عليكم: طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الامل فينسى الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق، ألا ان الدنيا قد ولّت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل»^(٣).

(١) حلية الاولياء ١: ٧٦.

(٢) الأمالي؛ للشيخ الطوسي: ١١٧.

(٣) المناقب؛ للموفق الخوارزمي: ٣٦٣.

وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق» قال: أخبرنا أبو القاسم العلوي أنا رشأ بن نظيف أنا الحسن بن إسماعيل أنا أحمد بن مروان أنا أحمد بن يوسف التغلبي نا ابن نمير عن وكيع عن عمر بن منبه عن أوفي بن دلهم عن علي بن أبي طالب أنه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغدا السباق، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه من أجل، فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خيب عمله، ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة، ألا وأني لم أر كالجنة نام طالبيها ولم أر كالنار نام هاربيها، ألا وأنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حار به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتهم على الزاد، ألا أيها الناس، إنما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرّ والفاجر، وأن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، ألا إن «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم» أيها الناس أحسنوا في عمركم تحفظوا في عقبكم، فإن الله وعد جنته من أطاعه وأوعد ناره من عصاه، إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يفك أسيرها، ولا يجبر كسيرها، حرّها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل.^(١)

وعن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق» أيضاً، قال: ونا أحمد بن مروان نا محمد بن عبد العزيز نا الفضل بن موفق نا السري نا القاسم عن حبيب بن أبي ثابت عن عاصم بن ضمرة قال: ذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب فقال علي: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غناء لمن تزود منها، مهبط وحي الله ومصلّى ملائكته ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا يذمّها وقد اذنت بينها ونادت بفراقها، وشبهت بشروورها السرور، وبيلائها إليه ترهيباً وترغيباً فيها.

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٤٩٧-٤٩٨.

أيها الذام للدنيا المعلل نفسه، متى خدعتك الدنيا؟ أو متى استدنت إليك؟ أبعصارع آباءك في البلى، أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم مَرَضت بيديك وعللت بكفيك تطلب لها الشفاء وتستوصف له الأطباء، لا يغني عنك داوؤك، ولا ينفعك بكاؤك.^(١)

وأيضاً بالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»: أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن علي الزجاجي أنا أبو أحمد عبيد الله بن محمد بن أحمد بن أبي مسلم الفرضي، حدثني أبو عبد الله علي بن سليمان صاحب الحكيمي، نا علي بن حرب.

ح، وأخبرنا أبو القاسم الشحامي أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ نا أبو عبد الله علي بن عبد الله العطار ببغداد نا علي بن حرب الموصلي سنة ست وستين ومائتين بالموصل.

ح، وأخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم أنا أبو بكر بن خلف أنا الحاكم أبو عبد الله قال: سمعت أبا عبد الله علي بن عبد الله العطار صاحب الحكم ببغداد يقول: حدثنا علي بن حرب الموصلي نا وكيع عن سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: خطب علي بن أبي طالب على منبر الكوفة، وقال الشحامي بالكوفة، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة وأما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق ألا إن الدنيا قد ولّت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.^(٢)

وبالاسناد عن ابن عساكر، قال: أخبرنا أبو غالب بن البنا أنا أبو محمد الجوهري أنا أبو عمر بن حيوية وأبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس، قالوا: نا يحيى بن محمد بن صاعد

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٤٩٧، ٤٩٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٤٩٥.

أنا الحسين بن الحسن بن حرب أنا عبد الله بن المبارك أنا إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد اليامي عن رجل من بني عامر قال: قال علي بن أبي طالب: إنما أخشى عليكم اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل»^(١) وبالسناد عن ابن عساكر، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن شجاع أنا أبو الفضل العباس بن محمد بن عبد الواحد الرازي وسليمان بن إبراهيم بن محمد ومحمد بن أحمد بن محمد بن هارون وأحمد بن عبد الرحمن بن محمد الذكواني وسهل بن عبد الله بن علي وعبد الرزاق بن عبد الكريم بن عبد الواحد، وأخبرنا أبو محمد بن طاوس نا سليمان بن إبراهيم قالوا: نا محمد بن إبراهيم بن جعفر أملاء أنا محمد بن الحسين بن الحسن نا علي بن الحسن الدرابجردي نا عبيد الله بن موسى أنا إسماعيل بن زبيد قال: قال علي: إنما أخاف عليكم خصلتين: طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة وإن الآخرة قد قربت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل»^(٢).

وبالسناد عن العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن مناقب ابن الجوزي (ت / ٥٩٧ هـ) مائنه: خطبة وتعرف بالبالغة، روى ابن أبي ذئب عن أبي صالح العجلي قال: شهدت أمير المؤمنين كرم الله وجهه وهو يخطب، فقال بعد أن حمد الله تعالى وصلى على محمد رسوله ﷺ: أيها الناس، إن الله أرسل إليكم رسولاً ليزيح به علتكم، ويوقظ به غفلتكم، وإن أخوف ما أخاف عليكم: اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصدكم عن الحق، وأما طول الأمل فينسيكم الآخرة.

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٤٩٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٤٩٥.

ألا وإن الدنيا قد ترحّلت مدبرة وإن الآخرة قد أقبلت مقبلة ، ولكل واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل ، واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت ، ومحاسبون على أعمالكم ومجازون بها ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ ، فإنها دار بالبلاء محفوفة وبالعناء والغدر موصوفة ، وكل ما فيها إلى زوال ، وهي بين أهلها دول وسجال ، لا تدوم أحوالها ، ولا يسلم من شرّها نزالها ، بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم في بلاء وغرور ، العيش فيها مذموم ، والرخاء فيها لا يدوم ، أهلها فيها أهداف وأغراض مستهدفة ، وكل فيها حتفه مقدور وحظه من نوائبها موفور ، وأنتم عباد الله على محجة من قد مضى ، وسبيل من كان ثم انتضى ممن كان أطول منكم أعمارا ، وأشد بطشا وأعمر ديارا ، أصبحت أجسادهم بالية ، وديارهم خالية ، وآثارهم عافية ، فاستبدلوا بالقصور المشيدة ، والنمارق الموسّدة بطون اللحود ومجاورة اللدود في دار ساكنها مغترب ، ومحللها مقترب . بين قوم مستوحشين متجاوزين غير متزاورين لا يستأنسون بالعرمان ، ولا يتواصلون تواصل الجيران . على ما بينهم من قرب الجوار ودّو الدار ، وكيف يكون بينهم تواصل ، وقد طحتهم البلى ، وأظلمتهم الجنادل والثرى . فأصبحوا بعد الحياة أمواتا ، وبعد غضارة العيش رفاتا . قد فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب ، وظعنوا فليس لهم إياب ، وتمنّوا الرجوع فحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴿ كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ .

وقد أخرج أبو نعيم طرفا من هذه الخطبة في كتابه المعروف بالحلية .^(١)

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال» عن علي أنه خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد ! فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم وغدا السباق ، ألا ! وإنكم في أيام أمل ، من ورائه أجل ، فمن قصر في أيام أملة قبل حضور أجله فقد خيب عمله ، ألا !

(١) بحار الأنوار ؛ للعلامة المجلسي ٢٩٥ : ٧٤ .

فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة، ألا! وإني لم أركالجنة نائم طالها، ولم أر كائنار نائم هاريها، ألا! وإنه من لم ينفعه الحق ضرّه الباطل، ومن لم يستقم به الهدى جار به الضلال، ألا! وإنكم قد أمرتم بالظعن، ودلتم على الزاد، ألا أيها الناس! إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، ألا! إن «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم» أيها الناس! أحسنوا في عمركم تحفظوا في عقبكم، فإن الله تبارك وتعالى وعد جنته من أطاعه، ووعد ناره من عصاه، إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يفك أسيرها، ولا يجبر كسيرها، حرّها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد، وإن أخوف ما أخاف عليكم: اتباع الهوى وطول الامل. (الدينوري، كر)^(١)

وأيضاً: عن علي عليه السلام قال: إنما أخشى عليكم من اثنتين: طول الامل، واتباع الهوى، فإن طول الامل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصدّ عن الحق، وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل. (ابن المبارك، حم في الزهد، وهناد وابن أبي الدنيا وفي قصر الامل، حل ق في الزهد، كر).^(٢)

(١) كنز العمال: للمتقي الهندي ١٦: ٢٠٢، ح ٤٤٢٢.

(٢) كنز العمال: للمتقي الهندي ٣: ٨١٨، ح ٨٨٥٦.

[الخطبة (٢٩)]

قال كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج مانصّه: «ذكرت هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين مع اختلاف وزيادة وروى بعض فقراتها ابن قتيبة وروى قسماً منها في مطالب السؤل ورواها في العقد الفريد مع اختلاف يسير وقال الشارح هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام في غارة الضحاك بن قيس»^(١).

وقال العرشي في التخريج مانصّه: «الخطبة الثامنة والعشرون، يعاتب فيها أمير المؤمنين أتباعه فيقول: «أيها الناس، المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتُم حيدى حباد» ... إلى آخره. [ج ١ ص ٦٩] رواها الجاحظ في البيان والتبيين [ج ١ ص ١٧١]، وابن قتيبة في الامامة والسياسة (١٤٢)، والكليني في كتابه [ابن أبي الحديد ج ١ ص ٨٥]، وابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ١٦٤]، والشيخ المفيد في الارشاد [١٨٥]، وشيخ الطائفة في الأمالي (١١٣). (انتهى).^(٢)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص في رواية الاسكافي (ت / ٢٤٠) في «المعيار والموازنة» ص ٩٩، ط / ١٤٠٢ مرسلاً.

و روى البلاذري (ت / ٢٧٩ هـ) في «أنساب الأشراف»، قال: وحدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن أبي مخنف، عن الحرث بن حصيرة، عن أبي صادق، عن جندب بن عبد الله الأزدي: ان علياً خطبهم حين استنفرهم إلى الشام بعد النهروان، فلم ينفروا فقال: أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة قلوبهم وأهواؤهم، ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهن الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم،

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٨.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

إذا دعوتكم إلى الجهاد قلتم: كيت وكيت وذيت وذيت أعاليل بأباطيل، وسألتموني التأخير، فعل ذي الدين المطول، حيدي حياد، لا يدفع الضيم الدليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد والعزم واستشعار الصبر، أي دار بعد داركم تمنعون، ومع أي إمام بعدي تقاتلون؟، المغرور - والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيبي، أصبحت لا أطمع في نصركم ولا أصدق قولكم، فرّق الله بيني وبينكم وأبدلني بكم من هو خير لي منكم. أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيفا قاطعاً، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة، فيفرق جماعتكم ويبيكي عيونكم ويدخل الفقر بيوتكم، وتتمنون عن قليل أنكم رأيتموني فنصرتموني، فستعلمون حق ما أقول لكم، ولا يبعد الله إلا من ظلم وأثم.^(١)

وبالاسناد عن ابراهيم بن محمد الثقفي (ت / ٢٨١ هـ) في «الغارات»: عن أبي مسلم قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: لولا بقية المسلمين لهلكتم. عن اسماعيل بن رجاء الزبيدي أن علياً خطبهم بعد هذا الكلام، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المتفرقة أهواؤهم، ما عزّ من دعاكم، ولا استراح من قاساكم، كلامكم يوهن الصمّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم، ان قلت لكم: سيروا إليهم في الحر، قلت: أمهلنا ينسلخ عنا الحر، وان قلت لكم: سيروا في الشتاء، قلت: أمهلنا حتى ينسلخ عنا البرد، فعل ذي الدين المطول، من فاز بكم فاز بالسهم الاخيبي، أصبحت لا اصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم، فرّق الله بيني وبينكم، أي دار بعد داركم تمنعون؟! ومع أي امام بعدي تقاتلون؟! أما إنكم ستلقون بعدي أثره يتخذها عليكم الضلال سنة، وفقر يدخل بيوتكم، وسيفا قاطعاً، وتتمنون عند ذلك أنكم رأيتموني وقتلتكم معي وقتلتكم دوني وكأن قد.^(٢)

عن الاعمش عن ابن عطية قال: قال لهم علي عليه السلام: إن بالكوفة مساجد مباركة ومساجد ملعونة، فأما المباركة فإن منها مسجد غني وهو مسجد مبارك، والله إن قبلته

(١) أنساب الاشراف ٢: ٣٨٠.

(٢) كذا في الغارات. والعبارة غير كاملة.

لقاسطة، ولقد أسسه رجل مؤمن، وإنه لفي سرّة الارض، وإن بقعته لطيبة، ولا تذهب الليالي والايام حتى تنفجر فيه عين وحتى تكون على جنبه جنتان وأهله ملعونون، وهو مسلوب منهم، ومسجد جعفي مسجد مبارك وربما اجتمع فيه اناس من الغيب يصلون فيه ومسجد ابن ظفر مسجد مبارك، والله إن اطباقه لصخرة خضراء ما بعث الله من نبي إلا فيها تمثال وجهه وهو مسجد السهلة، ومسجد الحمراء وهو مسجد يونس بن متى عليه السلام ولتنفجرن فيه عين تظهر على السبخة وما حوله.

وأما المساجد الملعونة: فمسجد الاشعث بن قيس، ومسجد جرير بن عبد الله البجلي، ومسجد ثقيف، ومسجد سماك بني على قبر فرعون من الفراعنة. فكانت غارة معاوية في أداني الكوفة»^(١).

عن ثعلبة بن يزيد الحماني أنه قال: بينما أنا في السوق إذ سمعت مناديا ينادي: الصلاة جامعة، فجئت أهرول والناس يهرعون، فدخلت الرحبة فإذا علي عليه السلام على منبر من طين مجصص وهو غضبان قد بلغه أن ناسا قد أغاروا بالسواد فسمعته يقول: أما ورب السماء والارض، ثم رب السماء والارض، إنه لعهد النبي صلى الله عليه وآله إلي أن الامة ستغدر بي.^(٢)

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «الأمالى»: أخبرني جماعة، عن أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا محمد بن سهل، قال: أخبرنا هشام، قال: حدثني أبو مخنف، قال: حدثني الحارث بن حصيرة، عن أبي صادق، عن جندب بن عبد الله الأزدي، قال: قام علي بن أبي طالب عليه السلام في الناس ليستنفرهم إلى أهل الشام، وذلك بعد انقضاء المدة التي كانت بينه وبينهم، وقد شن معاوية على بلاد المسلمين الغارات، فاستنفرهم بالرغبة في الجهاد والرهبة فلم يتفروا، فأضجره ذلك فقال: أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهن الصم الصلاب، وتثاقلكم عن

(١) كذا في الغارات.

(٢) الغارات؛ لبراهيم بن محمد الثقفي ٢: ٤٨٢ ٤٨٨.

طاعتي يطمع فيكم عدوكم، إذا أمرتكم قلتكم: كيت وكيت، وليت وعسى، أعاليل أباطيل، وتسألوني التأخير دفاع ذي الدين المطول، هيهات هيهات، لا يدفع الضيم الدليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد والصبر. أي دار بعد داركم تمتعون، ومع أي إمام بعدي تقاتلون؟! المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيبي، أصبحت لا أطمع في نصرتكم، ولا أصدق قولكم، فرق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم. أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة، تفرق جماعتكم، وتبكي عيونكم، وتمنون عما قليل أنكم رأيتموني فنصرتُموني، وستعرفون ما أقول لكم عما قليل، ولا يبعد الله إلا من ظلم.

قال: فكان جندب لا يذكر هذا الحديث إلا بكى، وقال: صدق والله أمير المؤمنين عليه السلام، قد شملنا الذل، ورأينا الأثرة، ولا يبعد الله إلا من ظلم. ^(١)

وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي أنا أبو الحسن علي بن الحسين بن أيوب أنا أبو علي بن شاذان أنا أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن بنخاب الطيبي نا أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين بن علي الكسائي نا أبو سعيد يحيى بن سليمان الجعفي حدثني أبو داود نا أبو معاوية عن عمر بن حسان البرجمي عن خباب بن عبد الله أن معاوية بعث خيلاً فأغار على هيت والأنبار فاستنفر علي الناس فابطئوا وتناقلوا فخطبهم فقال: أيها الناس المجتمعة أبدانهم المتفرقة أهواؤهم، ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم، فإذا دعوتكم إلى المسير أبطأتم وتناقلتم وقلتم كيت وكيت، أعاليل أباطيل، سألتُموني التأخير دفاع ذي الدين المطول، حيدي حياء، لا يمنع الضيم الدليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد والصدق، فأأي دار بعد داركم تمتعون، ومع أي إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه، ومن قاربكم فازبا لسهم الأخيبي أصبحتم والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصركم، فرق

(١) الأُمالي؛ للشيخ الطوسي: ١٨٠ ١٨١.

الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم، وأعقبكم مني من هو شر لكم مني،
 أما إنكم ستلقون بعدي ثلاثاً: ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرة قبيحة يتخذها فيكم
 الظالمون سنة، فتبكي لذلك أعينكم، ويدخل الفقر بيوتكم، وستذكرون عند تلك المواطن
 فتودون أنكم رأيتموني وهرقتم دماءكم دوني، ولا يبعد الله إلا من ظلم، والله لوددت أني
 أقدر أن أصرفكم صرف الدينار بالدرهم عشرة منكم برجل من أهل الشام.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنا وإياك كما قال الأعشى:

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجل
 علقتا بحبك وعلقت أنت بأهل الشام وعلق أهل الشام معاوية.^(١)

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ١: ٣٢٠-٣٢١.

[الخطبة (٣٠)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما رواه محمد بن عبدالله الاسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) مرسلًا في «المعيار والموازنة» بعنوان: خطبة أمير المؤمنين عليه السلام لما أخبره أكابر أصحاب رسول الله ﷺ بأن طلحة والزبير التقيا ببني أمية ممن كان منهم بمدينة ، فأجمع رأيهم على نقض بيعتك، قال الاسكافي: وذكروا أن عليا عليه السلام لما قسم بينهم بالسوية ، وأعطى الاسود والاحمر عطية واحدة ، أنكر ذلك من فعله قوم ووجدوا من ذلك ، ومشى بعضهم إلى بعض بالعتب والطعن . فبلغ ذلك أصحابه من المهاجرين والانصار ، فاجتمع أبو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وعمار بن ياسر ، ورفاعة بن رافع ، وأبو حية وخالد بن زيد وسهل بن حنيف ، فتشاوروا ، فاجتمع رأيهم على أن يركبوا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، ويخبروه أن طلحة والزبير ومن كان من بني أمية بالحجاز قد اجتمع رأيهم واشتملت عداوتهم ، وهم مصرّون على أمر لا نأمنهم عليه . فركبوا إلى علي بن أبي طالب ، فقالوا : يا أمير المؤمنين انظر في أمرك ، وعاتب قومك هذا الحي من قريش ، فإنهم قد نقضوا عهدك ، وأخلفوا وعدك ، وقد دعونا في السر إلى رفضك ، هداك الله لرشدك ، وذلك لانهم فقدوا الاثرة ، وكرهوا الاسوة ، فلما استتب بينهم وبين الاعاجم ، أنكروا ، واستشاروا عدوك ، فاجتمع رأيهم على أن يطلبوا بدم عثمان ، فرقة للجماعة ، وائتلافا لاهل الجهالة ! . فرأيك .

فأقبل علي راکبا بغلة رسول الله الشهباء ، فدخل المسجد ، فركب المنبر مغضبا وعليه عمامة خز سوداء ، مرتديا بطاق ، متزرا ببرد قطري ، متوشحا سيفا ، متوكئا على قوس ، فقال:

أما بعد، أيها الناس ، فإننا نحمد الله ربنا وإلهنا ووليّ النعمة علينا ، الذي أصبحت نعمه علينا ظاهرة وباطنة ، بغير حول منا ولا قوة إلا امتنانا علينا ، وفضلا ليلبونا أنشكر أم نكفر ، فمن شكر زاده ومن كفر عذبه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحدا صمدا . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، بعثه رحمة للعباد والبلاد والبهاائم والانعام ، نعمة أنعم به علينا ومنا وفضلا ﷺ .
فأفضل الناس - أيها الناس - عند الله منزلة ، وأعظمهم شرفا ، وأقربهم من رسول الله قريبا ، وأعظمهم عند الله خطرا ، أطوعهم لامر الله ، وأعلمهم بطاعة الله ، أعلمهم وأتبعهم لسنة رسول الله ﷺ ، وأحياهم لكتاب الله ، فليس لاحد ممن خلق الله عندنا فضل إلا بطاعة الله وطاعة رسوله واتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ .

هذا كتاب الله بين أظهركم ، وعهد نبي الله وسيرته فينا لا يجهلها إلا جاهل معاند عن الحق ، يقول الله في كتابه : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ^(١) فمن أتقى فهو الشريف المكرم المحب . وكذلك أهل طاعة الله وطاعة رسوله ، لقول الله في كتابه : ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ الآية . ويقول الله : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتهم فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ .

ثم صاح بأعلى صوته : يا معشر المهاجرين ، يا معشر الانصار ، يا معشر المسلمين ، أتمنّون على الله ورسوله بإسلامكم ؟ والله ولرسوله المن عليكم إن كنتم صادقين .
ثم نادى : ألا إنه من استقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أجرينا عليه أحكام القرآن ، وأقسام الاسلام ، ليس لاحد على أحد فضل إلا بتقوى الله وطاعته ، جعلنا الله وإياكم من المتقين ، وأوليائه وأحبابه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ثم قال : ألا إن هذه الدنيا التي أصبحت تطلبونها ، وترغبون فيها ، وأصبحت تغضبكم وترضيك ، ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتكم له ، ولا الذي دعيتم إليه . ألا وإنها ليست بباقية لكم ، ولا تبقون عليها ، ولا تغرنكم فقد حذرتموها ، ووصفت لكم وجربتموها ، فأصبحت لا تحمدون عواقبها . فسابقوا إلى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها ، فهي العامرة التي لا تخرب أبدا والباقية التي لا تنفد ، وهي التي رغبكم الله فيها ، ودعاكم

(١) آل عمران : ٣١ .

إليها ، وجعل لكم الثواب فيها . فانظروا يا معشر المهاجرين والانصار وأهل دين الله ما وصفتكم به في كتاب الله ونزلتم به عند رسول الله وجاهدتم عليه فبم فضلتكم ؟ أبحسب أو نسب ؟ أو بعمل وطاعة ؟ فاستتموا نعم الله عليكم - يرحمكم الله بالصبر لانفسكم على طاعة الله ، والذل لحكم الله ، والمسارة في رضوان الله ، والمحافظة على ما استحفظكم الله من كتابه ألا وإنه لا يضركم تضييع شئ من دنياكم بعد حفظكم وصية رسول الله ﷺ . ألا وإنه لا ينفعكم شئ حافظتم عليه من دنياكم بعد تضييع ما أمرتم به من التقوى . عليكم عباد الله بتقوى الله ، والتسليم لامره ، والرضا بقضائه والصبر على بلائه . فأما هذا الفئ ، فليس لاحد على أحد فيه أثره ، قد فرغ الله من قسمه ، فهو مال الله ، وأنتم عباد الله المسلمون . وهذا كتاب الله به أقررنا ، وعليه شهدنا وله أسلمنا ، وعهد نبينا ﷺ بين أظهرنا . فسلّموا رحمكم الله لامر الله ، فمن لم يرض بهذا فليتبوأ حيث شاء وكيف شاء ، فإن العامل بطاعة الله ، والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه ، «أولئك حزب الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» ، وأولئك هم المفلحون .

نسأل الله ربنا وإلهنا أن يجعلنا وإياكم من أهل طاعته ، وأن يجعل رغبتنا ورغبتكم فيما عنده ، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم .

ثم نزل عن المنبر وصلى ركعتين ، وبعث بعمار إلى طلحة والزبير وهما في ناحية من المسجد ، فقاما فجلسا إليه ، فقال لهما : أنشدكما الله ، هل جئتماني تبايعاني طائعين ، ودعوتماني إليها وأنا كاره ؟ قالوا : ألهم نعم . قال : غير مجبورين ولا مقسورين فأسلمتما لي بيعتكما ، وأعطيتماني عهد كما ؟ قالوا : ألهم نعم . فقال : علي : الحمد لله رب العالمين على ذلك . ثم قال : لهما : فما عدا مما بدا ؟ قالوا : أعطيناك بيعتنا على أن لا تقطع الامر دوننا وأن تستشيرنا في الامور ، ولا تستبد بها عنا ، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت ! فأنت تقسم القسوم ، وتقطع الامور ، وتمضي الاحكام بغير مشاورتنا ولا رأينا ولا علمنا . فقال علي ﷺ : لقد نعمتما يسيرا ، وأرجئتما كثيرا ، استغفر الله لي ولكم .

ثم قال لهما : ألا تخبراني أفي شئ لكما فيه حق دفعتكما عنه ؟ أم في قسم استأثرت به عليكما ؟ قالوا : معاذ الله . قال : ففي حق رفعه إلي أحد من المسلمين ضعفت عنه أو جهلته ،

أو حكم أخطأت فيه؟ قالوا: اللهم لا . قال: ففي أمر دعوتاني إليه من أمر عامة عامة المسلمين فقصرت عنه وخالفتكما فيه؟ قالوا: اللهم لا . قال: فما الذي كرهتما من أمري ، ونقمتما من تأميري ، ورأيتما من خلافي؟ قالوا: خلافاً لك عمر بن الخطاب وأئمتنا وحقنا في الفئ جعلت حقنا في الاسلام كحق غيرنا ، وسويت بيننا وبين من أفاء الله به علينا بسيفنا ورمحنا واولجفنا عليه بخيلنا وظهرت عليه دعوتنا ، وأخذناه قسراً ممن لم يأتوا الاسلام إلا كرها . فقال: علي - رحمة الله عليه - الله أكبر الله أكبر، اللهم إني أشهدك عليهما ، وأشهد من حضر مجلسي هذا اليوم عليهما .

ثم قال: أما ما احتججتما به علي من أمر الاستشارة، فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ، ولا لي فيها محبة ولكنكم دعوتوني إليها ، وحملتوني عليها ، وأنا كاره ، فخفت أن تختلفوا وان أردكم عن جماعتكم . فلما أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمر بالحكم فيه وما قسم واستن النبي ﷺ فأمضيته واتبعته ، فلم أحتج إلى رأيكما ولا دخولكما معي ، ولا غيركما ، ولم يقع حق جهلته فأثق برأيكما فيه وأستشيركما وإخواني من المسلمين ، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما إذا كان أمر ليس في كتاب الله بيانه وبرهانه ، ولم يكن فيه سنة من نبينا ﷺ ولم يمض فيه أحكام من إخواننا ممن يقتدى برأيه ويرضى بحكمه .

وأما ما ذكرتما من الاسوة . فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه ولم أقسمه ، قد وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله ﷺ قسماً قد فرغ الله من قسمته وأمضى فيه حكمه .

وأما قولكم: جعلت لهم فيئنا وما أفاءت رماحنا وسيفونا، فقدما ما سبق إلى الاسلام قوم لم يضرهم في شئ من الاحكام إذا استؤثر عليهم ، ولم يضرهم حين استجابوا لربهم والله موفيههم يوم القيامة أعمالهم . ألا وإنا مجرون عليهم أقسامهم، فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبا . أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر . ثم قال: رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه ، أو رأى جوراً فردّه ، وكان عوناً للحق على صاحبه .^(١)

(١) المعيار والموازنة؛ لأبي جعفر الإسكافي : ١٠٩ - ١١٤ .

[الخطبة (٣١)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «لاتلقين طلحة، فانك إن تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه، يركب الصعب ويقول: هو الذلول» [ج ١ ص ٧٢] رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار [ج ١ ص ١٩٥] (١).

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) مانصه: وروى جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه عن جدّه، عليهم السلام، قال: سألتُ ابن عباس عليه السلام عن ذلك، فقال: إني قد أتيت الزبير، فقلت له، فقال: قل له إني أريد ما تريد - كأنه يقول: الملك - لم يزدني على ذلك. فرجعت إلى علي عليه السلام فأخبرته.

وروى محمد بن إسحاق والكلبي، عن ابن عباس عليه السلام، قال: قلت الكلمة للزبير فلم يزدني على أن قال: قل له إنا مع الخوف الشديد لنطمع. قال: وسئل ابن عباس عما يعنى بقوله هذا، فقال: يقول: إنا على الخوف لنطمع ن نلى من الأمر ما وليتم.

وقد فسرّه قوم تفسيراً آخر، وقالوا: أراد إنا مع الخوف من الله، لنطمع أن يغفر لنا هذا الذنب.

قلت: وعلى كلا التفسيرين لم يحصل جواب المسألة (٢).

وبالاستناد عن العلامة المجلسي في بحار الأنوار، عن الكافي، باسناده عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى؛ وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد جميعاً عن الحسن بن محبوب عن يعقوب السراج، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام وبأسانيد مختلفة، عن الأصمغ بن نباتة قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام في داره - أو قال في القصر - ونحن مجتمعون ثم أمر صلوات الله عليه فكتب في كتاب

(١) راجع استناد نهج البلاغة.

(٢) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٢: ١٦٦.

وقرئ على الناس ؛ وروى غيره أن ابن الكوا سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن صفة الاسلام والايمن والكفر والنفاق فقال : أما بعد فان الله تبارك وتعالى شرع الاسلام ، وسهل شرايعه لمن ورده ، وأعز أركانه لمن جأ به ، وجعله عزا لمن تولاه ، وسلما لمن دخله ، وهدى لمن ائتم به ، وزينة لمن تجلله ، وعذرا لمن انتحلله ، وعروة لمن اعتصم به ، وحبلا لمن استمسك به ، وبرهانا لمن تكلم به ، ونورا لمن استضاء به ، وشاهدا لمن خاصم به ، وفلجا لمن حاج به ، وعلمنا لمن وعاه ، وحديثا لمن روى ، وحكما لمن قضى ، وحلما لمن جرب ، ولباسا لمن تدبر ^(١) وفهما لمن تظن ، ويقينا لمن عقل ، وبصيرة لمن عزم ، وآية لمن توسم ، وعبرة لمن اتعظ ، ونجاة لمن صدق ، وتوذة لمن أصلح ، وزلفى لم اقترب ، وثقة لمن توكل ، ورجاء لمن فوض ، وسبقة لمن أحسن ، وخيرا لمن سارع ، وجنة لمن صبر ، ولباسا لمن اتقى ، وظهيرا لمن رشد ، وكهفا لمن آمن ، وأمنة لمن أسلم ، ورجاء لمن صدق وغنى لمن قنع . فذلك الحق سبيله الهدى ، ومأثرته المجد ، وصفته الحسنى ، فهو أبلج المنهاج مشرق المنار ، ذاكي المصباح ، رفيغ الغاية ، يسير المضمار ، جامع الحلبة ، سريع السبقة ، أليم النعمة ، كامل العدة ، كريم الفرسان . فالايمن منهاجه ، والصالحات مناره ، والفقه مصايحه ، والدنيا مضماره والموت غايته ، والقيامة حليته ، والجنة سبقته ، والنار نقمته ، والتقوى عدته ، والمحسنون فرسانه ، فالايمن يستدل على الصالحات ، وبالصالحات يعمر الفقه وبالفقه يهرب الموت ، وبالموت يختم الدنيا ، وبالدنيا تجوز القيامة ، وبالقيامة تزلف الجنة ، والجنة حسرة أهل النار ، والنار موعظة للمتقين ، والتقوى سنخ الايمان» ^(٢)

وبالاسناد عن العلامة المجلسي في بحار الأنوار، عن الكافي، بالاسناد المتقدم ^(٣) عن أبي جعفر عليه السلام قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الايمان فقال : إن الله عزوجل جعل الايمان

(١) في نسخة النهج : «ولبا لمن تدبر» وهو الصحيح ، وبين النسخ كما سيأتي من المصنف اختلافات ، والصحيح في بعض نسخة الكافي، وفي بعض نسخة النهج .

(٢) الكافي ٢ : ٤٩ - ٥٠ .

(٣) في المصدر : بالاسناد الاول ، عن ابن محبوب ، عن يعقوب السراج ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام

على أربع دعائم : على الصبر ، واليقين ، والعدل ، والجهد . فالصبر من ذلك على أربع شعب : على الشوق ، والاشفاق ، والزهد ، والترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق عن النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات . واليقين على أربع شعب : تبصرة الفطنة ، وتأول الحكمة ، ومعرفة العبرة وسنة الاولين ، فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة ، ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة عرف السنة ، ومن عرف السنة فكأنما كان مع الاولين واهتدى إلى التي هي أقوم ، ونظر إلى من نجا بما نجا ، ومن هلك بما هلك ، وإنما أهلك الله من هلك بمعصيته ، وأنجا من أنجا بطاعته . والعدل على أربع شعب غامض الفهم ، وغمر العلم ، وزهرة الحكم ، وروضة الحلم ، فمن فهم فسر جميع العلم ، ومن علم عرف شرايع الحكم ، ومن حلم لم يفرط في أمره ، وعاش في الناس حميدا . والجهد على أربع شعب : على الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصدق في المواطن ، وشن آن الفاسقين ، فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن ، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق ، وأمن كيده ، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه ، ومن شئ الفاسقين غضب الله ومن غضب الله غضب الله له فذلك الايمان ودعائمه وشعبه»^(١)

وبالاسناد عن العلامة المجلسي في بحار الأنوار، عن أمالي المفيد ، باسناده عن المرزباني ، عن أحمد بن سليمان الطوسي ، عن الزبير بن بكار ، عن عبد الله بن وهب ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن جابر الاسدي قال : قام رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسأله عن الايمان فقام عليه السلام خطيبا فقال : الحمد لله الذي شرع الاسلام وساق نحوه إلى قوله غضب الله ، ومن غضب الله تعالى فهو مؤمن حقا فهذه صفة الايمان ودعائمه ، فقال له السائل : لقد هديت يا أمير المؤمنين وأرشدت فجزاك الله عن الدين خيرا^(٢).

(١) الكافي ٢ : ٥٠ و ٥١ .

(٢) بحار الأنوار ؛ للعلامة المجلسي ٦٩ : ٣٥٠ - ٣٥٢ . عن أمالي المفيد : ١٧٠ ، أمالي الطوسي ١ : ٣٥ ، راجع : تحف العقول : ١٥٨ .

[الخطبة (٣٢)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله عليه السلام: أيها الناس إنا قد أصبحنا... الخ» نسبت الى معاوية، وهي من كلامه عليه السلام كما نص على ذلك الشريف الرضي وعمر بن بحر الجاحظ^(١).

وقال العرشي في التخريج مانصه: «وقد ذكرناها في بداية المقال، عند ذكر مصادر الكتاب، ورواها الجاحظ في البيان والتبيين إج ١ ص ١٧٢ وابن قتيبة في عيون الأخبار إج ٢ ص ٢٣٧، وابن عبد ربه في العقد الفريد إج ٢ ص ١٧٢، ورواها الباقلاني في إعجاز القرآن إج ١ ص ١٩٧ عن شعيب بن صفوان عن معاوية عليه السلام». (انتهى)^(٢)

وقال حفظه الله في استناد نهج البلاغة: «والخطبة موجودة في البيان والتبيين إج ١ ص ١٧٢ مع نقد الجاحظ كما أشار إليه جامع نهج البلاغة^(٣) والجاحظ شخصية شهيرة في الأدب العربي، واسمه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المعتزلي، وتوفي في شهر محرم ٢٥٥ هـ [٨٦٨ م]»^(٤).

قال الجلاي: تقدم البحث عن هذه الخطبة في المقدمة، ومن الغريب جداً عدّ الاستاذ العرشي حفظه الله هذا الكتاب من مصادر الرضي، مع انه ليس كذلك، بل هو من مراجع الرضي، والفرق: أن المصدر هو ما يعتمد عليه في الرواية، بينما المرجع هو ما يرجع إليه في الرأي، وكتاب التبيين والتبيين ليس من الاول بل من الثاني كما يظهر ذلك من المقارنة التي اشرت اليها في فهرس التراث، فليراجع^(٥).

(١) مدارك نهج البلاغة: ٣٢.

(٢) راجع استناد نهج البلاغة.

(٣) راجع منتخبات البيان والتبيين، للثعالبي: ١١٠.

(٤) تاريخ بغداد ١٢: ٢٢٠ والكامل لابن الاثير ٧: ٧٧ والياضي ٢: ١٦٢، وفي شذرات الذهب

(٢: ١٢١) انه توفي سنة ٢٥٠ هـ.

(٥) راجع استناد نهج البلاغة: المقدمة.

(٦) راجع فهرس التراث ١: ٧٥.

[الخطبة (٣٣)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: ان الله بعث محمداً ... الى آخره. روى هذه الخطبة الشيخ في الارشاد مع زيادة بيتين من الشعر في آخرها، وتوجد في النهج الذي عليه شرح ابن أبي الحديد زيادة [والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فادخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الاول:

أدمت لعمرى شربك المحض صابحاً وأكلك بالزبد المقشرة التمر
ونحن وهبناك العلا ولم تكن علياً وحطنا حولك الجرد والسمرا
ولا توجد هذه الزيادة في النهج الذي عليه شرح العلامة ابن ميثم، ولا في الذي عليه شرح الشيخ محمد عبده، ولا في نسخة رأيناها مطبوعة في ايران»^(١).

وقال العرشي في التخريج مانصه: «الخطبة الثانية والثلاثون وهي التي أوردها الجامع في محل آخر برواية مختلفة (الخطبة ١٠٠): ثم قال: رواها الشيخ المفيد في الارشاد (ص ١٤٤)». (انتهى)^(٢).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما اروي به بالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في الارشاد قال: ولما توجه أمير المؤمنين ﷺ إلى البصرة، نزل الربرة فلقية بها آخر الحاج، فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه وهو في خبائه. قال ابن عباس رحمة الله عليه: فأتيته فوجدته يخفض نعلًا، فقلت له: نحن إلى أن تصلح أمرنا أحوج منا إلى ما تصنع، فلم يكلمني حتى فرغ من نعله ثم ضمها إلى صاحبته ثم قال لي: قومها، فقلت: ليس لها قيمة، قال: على ذاك. قلت: كسر درهم، قال: والله لهما أحب إليّ من أمركم هذا، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً، قلت: إن الحاج قد اجتمعوا ليسمعوا من كلامك، فتأذن لي أن أتكلم، فإن كان حسنا كان منك، وإن كان غير ذلك كان مني، قال: لا، أنا أتكلم. ثم وضع

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٨.

(٢) راجع استناد نهج البلاغة.

يده في صدري - وكان شن^(١) الكف - فألمني ، ثم قام ، فأخذت بثوبه فقلت : نشدتك الله والرحم ، قال : لا تشدني ، ثم خرج ، فاجتمعوا عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد ، فإن الله بعث محمداً ﷺ وليس في العرب أحد يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة ، فساق الناس إلى منجاتهم ، أم والله ما زلت في ساقتها ما غيرت ولا خنت ، حتى تولت بحذافيرها . مالي ولقريش ، أم والله لقد قاتلتهم كافرين ولا قاتلتهم مفتونين ، وإن مسيري هذا عن عهد إلي فيه . أم والله ، لأبقرن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته . ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا . وأنشد :

وذنب لعمرى شربك المحض خالصاً وأكلك بالزبد المقشرة البجرا^(٢)
ونحن وهبتاك العلاء ولم تكن عليا وحطنا حولك الجرد والسمر^(٣)

(١) شن كفه : أي خشت وغلظت . الصحاح - شن - ٢١٤٢ : ٥ .

(٢) المقشرة : الرطب المقشر . والبحر : جمع بجراء ، وهي المنتفخة البطن ، يعني النمر الجيد الكبار . أنظر : لسان العرب - بحر - (٤٠ : ٤) .

(٣) الارشاد ، للشيخ المفيد ١ : ٢٤٧ . والجرد والسمر : يعني الخيل .

[الخطبة (٣٤)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ : أف لكم، لقد سئمت عتابكم ... الخ. روى الطبري شيئاً منها، وقال الشارح الفاضل: إن قوله: أنت فكن ذاك، وردت الرواية بأنه خاطب بذلك الاشعث بن قيس؛ ثم قال: إن أمير المؤمنين خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج»^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: رواها الطبري في تاريخه [ج ٦ ص ٥١] باختلاف بسيط. (انتهى).^(٢)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما رواه البلاذري (ت / ٢٧٩ هـ) في «أنساب الأشراف»، قال ما لفظه: «قالوا: وأمر علي ﷺ الناس بالرحيل من النهروان فقال لهم: إن الله قد أعزكم وأذهب ما كنتم تخافون عنكم فامضوا من وجهكم هذا إلى الشام. فقال الاشعث بن قيس: يا أمير المؤمنين نفذت سهامنا وكلت سيوفنا ونصلت رماحنا ، فلو أتينا مصرنا حتى نريح ونستعد ثم نسير إلى عدونا . فركن الناس إلى ذلك ، وكان الاشعث طنيناً^(٣) وسمّاه علي: عرف النار .

قالوا : وسار علي حتى أتى المدائن ثم مضى حتى نزل النخيلة ، وجعل أصحابه يدخلون الكوفة حتى بقي في أقل من ثلاثمائة ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة وقد بطل عليه ما دبر من اتیان الشام قاصداً إليها من النهروان ، فخطب الناس فقال:

أيها الناس استعدّوا للمسير إلى عدوكم ففي جهاده القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده «وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلاً «وكفى بالله نصيراً» فلم يصنعوا شيئاً .

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٨.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) أي رفيع الصوت فسمع الناس قوله هذا فركنوا إليه .

فتركهم أياما حتى إذا يئس منهم خطبهم، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ
ثم قال: يا عباد الله ما بالكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله اناقلتم إلى الارض ،
أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا، وبالذل والهوان من العز والكرامة خلفا ، أكلما
دعوتكم إلى الجهاد دارت أعينكم في رؤوسكم كأنكم من الموت في سكرة ، وكأن
قلوبكم قاسية، فأنتم أسود الشرى عند الدعة ، وحين تنادون للبأس ثعالب روعة ،
تنتقص أطرافكم فلا تتحاشون، ولا ينام عدوكم عنكم وأنتم غفلة ساهون . إن لكم عليّ
حقا، وإن لي عليكم حقا، فأما حقكم: فالنصيحة لكم ما نصحتهم ، وتوفير فيئكم عليكم،
وأن أعلمكم كيلا تجهلوا ، وأؤدّبكم كيما تعلموا. وأما حقّي عليكم: فالوفاء بالبيعة ،
والنصح في المغيب والمشهد ، والاجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم .^(١)

وروى ابراهيم بن محمد الثقفي (ت / ٢٨٤ هـ) في «الغارات» قال: حدثنا محمد قال:
حدثنا الحسن قال: حدثنا ابراهيم قال: حدثنا ابراهيم بن عمرو بن المبارك البجلي قال:
حدثني أبي عن بكر بن عيسى قال: حدثني مالك بن أعين عن زيد بن وهب أن عليا عليه السلام
قال للناس - وهو أول كلام له بعد النهروان وامور الخوارج التي كانت - فقال:

يا أيها الناس استعدوا إلى عدوّ في جهادهم القربة من الله وطلب الوسيلة إليه ، حيارى
عن الحق لا يبصرونه ، وموزعين بالكفر والجور لا يعدلون به ، جفاة عن الكتاب ، نكب
عن الدين ، يعمهون في الطغيان ، ويتسكعون في غمرة الضلال، فأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا وكفى بالله نصيرا .

قال: فلم ينفروا ولم ينتشروا ، فتركهم أياما حتى أيس من أن يفعلوا ، فدعا رؤوسهم
ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي يبتطهم ، فمهم المعتل ومنهم المنكر، وأقلهم
النشيط، فقام فيهم ثانية فقال: عباد الله، ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا اناقلتم إلى الارض،
أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ثوبا؟ وبالذل والهوان من العزّ خلفا؟! أو كلما ناديتكم
إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة يرتج عليكم فتبكمون ، فكان

قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون ، وكأن أبصاركم كمه فأنتم لا تبصرون ، لله أنتم ؟! ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة ، وتعالب روَاعة حين تدعون ، ما أنتم بركن يصال به ، ولا زوافر عزّ يعتصم إليها ، لعمر الله لبئس حشاش نار الحرب أنتم ، انكم تكادون ولا تكيدون ، وتنتقص أطرافكم ولا تتحاشون ، ولا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون ، ان أخوا الحرب اليقظان ، أودى من غفل ، ويأتى الذل من وادع ، غلب المتخاذلون والمغلوب مقهور ومسلوب . أما بعد ، فان لي عليكم حقاً ولكم عليّ حق ، فأما حقي عليكم : فالوفاء بالبيعة ، والنصح لي في المشهد والمغيب ، والاجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم . وان حقكم عليّ : النصيحة لكم ما صحبتكم ، والتوفير عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كي تعلموا ، فان يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره وترجعوا إلى ما أحب ، تناولوا ما تحبون وتدرکوا ما تأملون .^(١)

وما نقله ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في «شرح نهج البلاغة» بقوله : وروى نصر بن مزاحم ، عن عمر بن سعد ، عن نمير بن وعلة ، عن أبي وداك ، قال : لما كره القوم المسير إلى الشام عقيب واقعة النهروان ، أقبل بهم أمير المؤمنين ، فأنزلهم النخيلة ، وأمر الناس أن يلزموا معسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقلّوا زيارة النساء وأبنائهم ، حتى يسير بهم إلى عدوّهم ، وكان ذلك هو الرأي لو فعلوه ، لكنهم لم يفعلوا ، وأقبلوا يتسللون ويدخلون الكوفة ، فتركوه عليه السلام وما معه من الناس إلا رجال من وجوههم قليل ، وبقي المعسكر خالياً ، فلا من دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أقام معه صبر . فلما رأى ذلك دخل الكوفة .

قال نصر بن مزاحم : فخطب الناس بالكوفة ، وهي أول خطبة خطبها بعد قدومه من حرب الخوارج ، فقال : أيها الناس ، استعدوا لقتال عدو في جهادهم القربة إلى الله عزوجل ، ودرك الوسيلة عنده ، قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه ، موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به ، جفاة عن الكتاب ، نكبّ عن الدين ، يعمهون في الطغيان ، ويتسكّعون في

(١) الغارات ؛ لأبراهيم بن محمد الثقفي ١ : ٣٣ - ٣٧ .

غمرة الضلال، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلا.

قال: فلم ينفروا ولم ينشروا، فتركهم أياما، ثم خطبهم، فقال:
أفّ لكم! لقد سئمت عتابكم، أَرْضَيْتُمْ بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا؟... الفصل
الذي شرحناه آنفا إلى آخره. وزاد فيه: «أنتم أسود الشرى في الدعة، وثعالب رواغة حين
البأس، إن أخوا الحرب اليقظان، ألا إن المغلوب مقهور ومسلوب».^(١)

(١) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد ٢: ١٩٣.

[الخطبة (٣٥)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح... الخ» رواها الطبري في المجلد السادس، وفي هذه زيادة على ما رواه الطبري كما أن فيه زيادة لم تذكر هنا، وقال الشارح الفاضل: هذه الالفاظ من خطبه خطب بها ﷺ بعد خديعة ابن العاص لابي موسى وافتراقهما قبل وقعة النهروان، قال نصر: وكان علي ﷺ لما خدع عمرو أبا موسى بالكوفة، وكان قد دخلها منتظراً ما يحكم به الحكماء، فلما تمّ على أبي موسى ما تمّ من الحيلة غمّ ذلك علياً، وساءه ووجم له، فقال: «الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدث الجليل...» الخطبة التي ذكرها الرضي رحمه الله، وهي التي نحن في شرحها، وزاد في آخرها بعد الاستشهاد ببيت دريد: «ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب... الخ»^(١)

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفيين لابن أبي الحديد ج ١ ص ١١٠»، كما رواها ابن قتيبة في الامامة والسياسة (١٣٥)، والطبري في تاريخه (ج ٦ ص ٤٣)، وأبو الفرج الاصبهاني في الأغاني [ج ٩ ص ١٥] ولو لم يروها الأخير بكلماته إلا أنه أشار إلى الشعر الأخير. (انتهى)^(٢)

وبالاسناد عن سبط ابن الجوزي (ت / ٦٥٤ هـ) قال: قال الشعبي: ولما فصل الحكماء عن دومة الجندل عزم عليّ على قتالهم، فقام خطيباً وقال: ايها الناس قد كنت أمرتكم بأمر في هذه الحكومة فخالفتُموني وعصيتُموني، ولعمري ان المعصية تورث الندم، فكنت أنا وأنتم كما قال أخوهوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا الرشداً إلا ضحى الغد

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٩.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

ألا إن هذين الحكمين قد نبذا كتاب الله وراء ظهورهما، فاماتا ما أحيا القرآن وأحييا ما أمات واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير بينة ولا سنة ماضية وكلاهما لم يرشدا، فبرئا من الله ورسوله وصالح المؤمنين فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير وأصبحوا في مواقفكم.^(١)

وفي روايه المسعودي (ت/٣٤٦هـ) ما نصه: «ولما بلغ علياً ما كان من أمر أبي موسى وعمر و قال: إني كنت تقدمت إليكم في هذه الحكومة ونهيتكم عنها فأيتتم إلا عصياني، فكيف رأيتم عاقبة أمركم إذا أيتتم علي؟. إني لأعرف من حملكم على خلافي والترك لأمرى، ولو أشاء أخذه لفعلت، ولكن الله من ورائه، يريد بذلك الأشعث بن قيس، والله أعلم، وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بني خثعم:

أمرتهم أمري بمنعطف اللوى فلم يستبينوا الرشدا إلا ضحى الغد
من دعا إلى هذه الحكومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتي هذه، ألا إن هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم الله، وحكما يهوى أنفسهما بغير حجة ولا حق معروف فاماتا ما أحيا القرآن، وأحييا ما أماته، واختلف في حكمهما كلامهما، ولم يرشدهما الله ولم يوفقهما، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين، فتأهبوا للجهاد واستعدوا للمسير، وأصبحوا في عساكرهم إن شاء الله تعالى».^(٢)

(١) تذكرة الخواص: ٩٩، ص / ١٤٠١ هـ.

(٢) مروج الذهب ٢: ٤٠٢، ط / دار الاندلس.

[الخطبة (٣٦)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: قوله عليه السلام «فانا نذيركم ... الخ»
روى بعض فقراتها الطبري في «ج ٦»^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: رواها ابن قتيبة في الامامة والسياسة (١٤٠)،
والطبري في تاريخه [ج ٦ ص ٤٧] إلا مستهلها، وقال ابن أبي الحديد [ج ١ ص
١١٤]: «وروى محمد بن حبيب البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥ (٨٥٩ م) قال خطب
على الخوارج يوم النهر». (انتهى)^(٢)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما اروي به بالاسناد عن سبط ابن الجوزي (ت /
٦٥٤ هـ) قال: وقال السدي: لما وقف علي عليه السلام عليهم قال لهم: أيتها العصابة التي اخرجها
المراء واللجاج عن الحق، وطمح بها الهوى الى الباطل، اني نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم
الامة وأنتم صرعى بافناء هذا النهر، بغير بينة من ربكم ولا برهان، ألم انهكم عن الحكومة،
واخبرتكم انها مكيدة من قوم لا دين لهم، ومتى فارقتهم سعيتم الحزم، والآن فارجعوا،
فان حكم الحكماء بكتاب الله وإلا فنحن على الرأي الأول، فقالوا: تب من الكفر كما تبنا،
فقال: ويحكم ابعد ايماني برسول الله وجهادي معه في سبيل الله وهجرتي اشهد على
نفسي بالكفر؟ لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين».

وقال هشام بن محمد: لما أراد علي عليه السلام ان يبعث أبا موسى للحكومة أتاه من الخوارج
زرعة بن برح الطائي وحرقوق بن زهير السعدي فقالا: لا حكم الا لله، فقال حرقوق:
تب من خطيئتك وارجع عن حكومتك، وقم بنا الى القوم نقاتلهم حتى نلقى ربنا، فقال
علي عليه السلام: قد أردتكم على ذلك فعصيتهموني، وقد كتبنا بيننا وبين القوم شروطاً واعطيناهم
عهوداً، فقال حرقوق: ذلك ذنب وينبغي أن تتوب منه، فقال: ما هو ذنب، وانما هو عجز

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٩.

(٢) راجع استناد نهج البلاغة.

من الرأي، وأنتم سببه. فقال له زرعة بن برح: أما والله لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك، اطلب بذلك وجه الله ورضوانه. فقال له علي عليه السلام: بؤساً لك، ما اشقاك، كأني بك قتيلاً تسفي عليك الرياح. فكان كما قال»^(١).

هذا وقد ورد بالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في الارشاد قال : ومن كلامه عليه السلام بعد كتب الصحيفة بالموادعة والتحكيم، وقد اختلف عليه أهل العراق في ذلك : والله ، ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا ، فإذا أبيتم إلا أن ترضوا فقد رضيت ، وإذا رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ، ولا التبديل بعد الاقرار ، إلا أن يعصى الله بنقض العهد ، ويتعدى كتابه بحلّ العقد ، فقاتلوا حينئذ من ترك أمر الله . واما الذي ذكرت من الاشتراك من تركه أمر بخط يده في الكتاب وخلافه ما أنا عليه ، فليس من أولئك ، ولا أخافه على ذلك ، وليت فيكم مثله اثنين ، بل ليت فيكم مثله واحدا يرى في عدوكم ما يرى ، إذا خفّت عليّ مؤونتكم ، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم ، وقد نهيتكم عما أتيتكم فعصيتُموني ، فكنت - أنا وأنتم - كما قال أخوهوازن :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد^(٢)

(١) تذكرة الخواص: ٩٦، ط / ١٤٠١ هـ.

(٢) الارشاد: للشيخ المفيد ١: ٢٦٩ - ٢٧٠.

[الخطبة (٣٧)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: فقمت بالامر... الخ ، ذكر الشارح في الشرح أن هذا الكلام مركب من فصول أربعة لا يمتزج بعضها ببعض، التقطه السيد الرضي من كلام لأمير المؤمنين ﷺ قاله بعد وقعة النهروان، وتبعه الشيخ محمد عبده، وهو محتمل»^(١).

وقال العرشي في التخريج مائنه: «الخطبة السادسة والثلاثون، وهي التي تبدأ بقوله: «فقمت بالامر» وتنتهي بقوله ﷺ: «فنظرت في أمرى فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى» [ج ١ ص ١٨٥]. روى البيهقي هذه الجملة الأخيرة من الخطبة في كتاب المحاسن [ج ١ ص ٣٧]. (انتهى).»^(٢).

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص في ما رواه الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «الأمالي»: حدثنا أبي ﷺ، قال: حدثنا سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري، قالوا: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد البرقي، عن أحمد بن يزيد النيسابوري، قال: حدثني عمر بن إبراهيم الهاشمي، عن عبد الملك بن عمير، عن أسيد بن صفوان صاحب رسول الله ﷺ، قال: لما كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين ﷺ ارتج الموضع بالبكاء، ودهش الناس كيوم قبض فيه النبي ﷺ. وجاء رجل باك وهو متسرع [مسترجع]، وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين ﷺ، فقال: رحمك الله أبا الحسن، كنت أول القوم إسلاما، وأخلصهم إيمانا، وأشدّهم يقينا، وأخوفهم لله عز وجل، وأعظمهم عناء، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وآمنهم على أصحابه، وأفضلهم مناقب، وأكرمهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله ﷺ، وأشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفعلا، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيرا. قويت حين

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٩.

(٢) راجع استناد نهج البلاغة.

ضعف أصحابه، وبرزت حين استكانوا، ونهضت حين وهنوا، ولزمت منهاج رسوله إذ هم أصحابه، كنت خليفته حقا، لم تنازع ولم تضرع برغم المنافقين وغيظ الكافرين وكره الحاسدين وضغن الفاسقين، فقامت بالامر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتموا، ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتبعوك فهدوا. وكنت أخفضهم صوتا، وأعلاهم فوتا، وأقلهم كلاما، وأصوبهم منطقا، وأكثرهم رأيا، وأشجعهم قلبا، وأشد هم يقينا، وأحسنهم عملا، وأعرفهم بالامور - كنت والله للدين يعسوبا، أو لا حين تفرق الناس، وآخر حين فشلوا، كنت للمؤمنين أبا رحيمًا إذ صاروا عليك عيالا، فحملت أثقال، ما عنه ضعفوا، وحفظت ما أضاعوا، ووعيت ما أهملوا، وشمرت إذ اجتمعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ أسرعوا، وأدركت ما عنه تخلفوا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا. كنت للكافرين عذابا صبا، وللمؤمنين غيثا وخصبا، فطرت - والله بنعماها، وفزت بحباثها وأحرزت سوابقها، وذهبت بفضائلها، لم تقلل حاجتك، ولم يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك ولم تخن، كنت كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف. وكنت - كما قال ﷺ - ضعيفا في بدنك، قويا في أمر الله، متواضعا في نفسك، عظيما عند الله عز وجل، كبيرا في الارض، جليلا عند المؤمنين، لم يكن لأحد فيك مهمز، ولا لقائل فيك مغمز، ولا لأحد فيك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة. الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء، شأنك الحق والصدق والرفق، وقولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، فاقلعت وقد نهج السبيل، وسهل العسير، وأطفئت النيران، فاعتدل بك الدين، وقوي بك الاسلام والمؤمنون، وسبقت سبقا بعيدا، وأتعبت من بعدك تعبًا شديدا، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء، وهدت مصيبتك الانام، فإن الله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه، وسلمنا لله أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبدا. كنت للمؤمنين كهفا حصينا، وعلى الكافرين غلظة وغيظا، فألحقك الله نبييه، ولا حرما أجرك، ولا أضلنا بعدك. وسكت القوم حتى انتقضى كلامه، وبكى وأبكى أصحاب رسول الله ﷺ، ثم طلبوه فلم يصادفوه. (١)

(١) الأماي؛ للشيخ الصدوق: ٣١٢ ٣١٤.

[الخطبة (٣٩)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: منيت بمن لا يطيع... الى آخره، قال الشارح العلامة: يروي ان هذه الخطبة خطب بها ﷺ في غزوة النعمان بن بشير بعين الثمر، ثم ذكر السبب في ذلك»^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الثقفى في كتاب الغارات لابن أبي الحديد ج ١ ص ١١٨»^(٢). (انتهى)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما ارويه عن ابراهيم بن محمد الثقفى (ت / ٢٨٣ هـ) في «الغارات»: قال: وحزن علي عليه السلام على محمد بن أبي بكر حتى رئي ذلك فيه، وتبين في وجهه، وقام في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا وان مصر قد افتتحتها الفجرة أولياء الجور والظلم، الذين صدّوا عن سبيل الله، وبغوا الاسلام عوجا، ألا وان محمد بن أبي بكر قد استشهد ﷺ فعند الله نحتسبه، أما - والله لقد كان ما علمت لمؤمن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب هين المؤمن، وإني والله ما ألوم نفسي على تقصير ولا عجز، واني بمقاساة الحرب لجذب بصير، وإني لأقدم على الامر، وأعرف وجه الحزم، وأقوم بالرأي المصيب، فأستصرخكم معلنا، وانا ديكم نداء المستغيث معربا، فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي أمراً، تصيرون الامور إلى عواقب المساءة، فأنتم القوم لا يدرك بكم النار ولا تنقض بكم الاوتار، دعوتكم إلى غياث الإخوانكم منذ بضع وخمسين يوما فجر جرت عليّ جرجرة الجمل الاشدق، وتثاقلتم إلى الارض تثاقل من ليس له نية في جهاد العدو، ولا رأي له في اكتساب الاجر، ثم خرج إليّ منكم جنيد متدائب ضعيف كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، فأف لكم. ثم نزل فدخل رحله^(٣).

(١) مدارك نهج البلاغة: ٧٩.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) الغارات؛ لابراهيم بن محمد الثقفى ١: ٢٩٥ - ٢٩٨.

[الخطبة (٤٠)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «الكلام التاسع والثلاثون، رداً على قول الخوارج: لاحكم الآ لله: كلمة حق يراد بها الباطل إجماع ١ ص ٨٧، روى المبرد القول المذكور في الكامل إجماع ٢ ص ١٣١ باختلاف في اللفظ». (انتهى)^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن نصر بن مزاحم المنقري (ت / ٢١٢ هـ) في «وقعة صفين» قال: وفي حديث عمر بن سعد قال: لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال علي عليه السلام:

عباد الله، إني أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمر بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب ابن مسلمة، وابن سرح، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال. إنها كلمة حق يراد بها باطل. إنهم والله ما رفعوها أنهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيذة. أعيروني سواعدكم وجماعكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا.

فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودت جباههم من السجود، يتقدمهم مسعر بن فدكي، وزيد بن حصين، وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا علي، أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فو الله لنفعلنها إن لم تجبهم.

فقال لهم: ويحكم، أنا أول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه، وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إني إنما أقاتلهم ليدنيوا بحكم

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

القرآن؛ فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، وتقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكنني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليسوا بالعمل بالقرآن يريدون.
قالوا: فابعث إلى الأشر ليأتيك. وقد كان الأشر صبيحة ليل الهرير قد أشرف على
عسكر معاوية ليدخله. (١)

ورواها الاسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) مرسلاً في «المعيار والموازنة»: ٩٦، ط ١٤٠٢ هـ
وبالاسناد إلى المزني (ت / ٧٤٢ هـ) قال ما نصه: «حديث: أن الحروية لما خرجت
على علي بن أبي طالب، وهو معه، فقالوا: لا حكم إلا لله. قال علي: كلمة حق أريد بها
باطل، إن رسول الله ﷺ وصف لنا ناساً، إني لأعرف صفتهم في هؤلاء... الحديث بطوله.
م: في الزكاة ٣ / ١١٦ (١٠٦٦) (١٥٧) عن أبي الطاهر بن السرح ويونس بن
عبد الأعلى؛ كلاهما عن عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن بكير بن عبد الله بن
الأشج، عن بسر بن سعيد، عنه، به». (٢)

وبالاسناد عن ابن كثير (ت / ٧٧٤ هـ) قال: حدثني أبو الطاهر ويونس بن عبد الأعلى.
قالا: أخبرنا عبد الله بن وهب. أخبرني عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج، عن بسر بن
سعيد، عن عبيد الله بن أبي رافع، مولى رسول الله ﷺ؛ أن الحروية لما خرجت، وهو مع
علي بن أبي طالب عليه السلام، قالوا: لا حكم إلا لله. قال علي: كلمة حق أريد بها باطل. إن
رسول الله ﷺ وصف ناساً. إني لأعرف صفتهم في هؤلاء. «يقولون الحق بالسنتهم
لا يجوز هذا، منهم. (و أشار إلى حلقه) من أبغض خلق الله إليه منهم أسود. إحدى يديه
طبي شاة أو حلقة ندي». فلما قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام قال: انظروا. فنظروا فلم
يجدوا شيئاً. فقال: ارجعوا. فوالله! ما كذبت ولا كذبت. مرتين أو ثلاثاً. ثم وجدوه في
خربة. فأتوا به حتى وضعوه بين يديه. قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم. وقول
علي فيهم. زاد يونس في روايته: قال بكير: وحدثني رجل عن ابن حنين أنه قال: رأيت

(١) وقعة صفين؛ لنصر بن مزاحم المنقري: ٤٨٩ - ٤٩٠.

(٢) تحفة الاشراف ٧: ١٠٢، ط / ١٤٠٥ هـ.

ذلك الأسود. (١)

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ): عن علي قال: إن معاوية سيظهر عليكم، قالوا: فلم تقاتل إذا؟ قال: لا بد للناس من أمير بر أو فاجر. (نعيم ش). (٢)

وعنه أيضاً عن قتادة قال: لما سمع علي المحكّمة قال: من هؤلاء؟ قيل له: القراء. قال: بل هم الخيالون العيابون. قال: إنهم يقولون: لاحكمم إلا الله، قال: كلمة حق عني بها باطل. فلما قتلهم قال رجل: الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم، فقال علي: كلا، والذي نفسي بيده، إنّ منهم لمن في أصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد، وليكونن آخرهم لصاصا حرا دين». (عب). (٣)

(١) جامع المسانيد ٢٠: ١٣٣-١٣٤، ط / ١٤١٥ هـ.

(٢) كنز العمال ٥: ٧٧٩، ح ١٤٣٦٦.

(٣) كنز العمال ١١: ٢٨٧-٢٨٨، ح ٣١٥٤٢.

[الخطبة (٤٢)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: ايها الناس إن اخوف ما اخافه عليكم ... الخ» هذا الكلام من خطبة رواها الكليني في روضة الكافي؛ ومن جملة خطبة ذكرها نصر بن مزاحم في كتاب صفين (ص ٤) طبع ايران، وذكر في تذكرة السبط منه فقرات في ضمن خطبة قال: إنها تعرف بالبلاغة»^(١).

وقال العرشي في التخريج مانصه: «رواها ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفين (٤)، وأبو جعفر البرقي في كتاب المحاسن (الورق ٨١ ب)، وابن قتيبة فيعيون الأخبار [ج ٢ ص ٣٥٣] والكليني في فروع الكافي [ج ٣ ص ٢٩]، والحراني في تحف العقول (٣٥)، (٤٧)، الشيخ المفيد في الارشاد (١٣٨)، وأبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ (١٠٣٨ م) في حلية الأولياء [ج ١ ص ٧٦]، وشيخ الطائفة في الأمالي (٧٣، ١٤٥) منسوبة إلى أمير المؤمنين. وعزاها أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي المتوفى ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) في أماليه [ج ١ ص ١٨] إلى عتبة بن غزوان. ورواها الوزير أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري المتوفى ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) في سمط اللآلى [ج ١ ص ٧٧] عن عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ وأوعزها إلى كتاب الحكم والأمثال لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى ٤٨٢ (٩٩٢ م)». (انتهى)^(٢)

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن نصر بن مزاحم المنقري (ت / ٢١٢ هـ) في «وقعة صفين» ونصه: أنبأنا نصر بن مزاحم التميمي، قال: عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي عن الحارث بن حصيرة عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود وغيره، قالوا: لما قدم على بن أبي طالب من البصرة إلى الكوفة يوم الاثنين لثنتي عشرة

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٠.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين ، وقد أعزّ الله نصره وأظهره على عدوّه ، ومعه أشراف الناس وأهل البصرة ، استقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرافهم ، فدعوا له بالبركة وقالوا : يا أمير المؤمنين ، أين تنزل ؟ أتتزل القصر ؟ فقال : لا ، ولكني أنزل الرحبة . فنزلها وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلّى فيه ركعتين ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال :

أما بعد ، يا أهل الكوفة فإن لكم في الإسلام فضلا ما لم تبدّلوا وتغيّروا . دعوتكم إلى الحق فأجبتكم ، وبدأتم بالمنكر فغيّرتكم . ألا إن فضلكم فيما بينكم وبين الله في الأحكام والقسم . فأنتم أسوة من أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه . ألا إن أخوف ما أخاف عليكم : اتباع الهوى ، وطول الأمل . فأما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة . ألا إن الدنيا قد ترحّلت مدبرة ، والآخرة ترحّلت مقبلة ، ولكل واحدة منها بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة . اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل .

الحمد لله الذي نصر وليّه ، وخذل عدوه ، وأعزّ الصادق المحق ، وأذلّ الناكث المبطل . عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم ، الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه ، من المنتحلين المدعين المقابلين إلينا ، يتفضلون بفضلنا ، ويجاهدونا أمرنا ، وينازعوننا حقنا ، ويدافعونا عنه . فقد ذاقوا وبال ما اجتروا فسوف يلقون غيّا . ألا إنه قد قعد عن نصرتي منكم رجال فأنا عليهم عاتب زارٍ . فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ، ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة .

فقام إليه مالك بن حبيب البربوعي - وكان صاحب شرطته - فقال : والله إني لأرى الهجر وإسماع المكروه لهم قليلا . والله لئن أمرتنا لنقتلنهم .

فقال عليّ : سبحان الله يا مال ، جزت المدى ، وعدوت الحد ، وأغرقت في النزاع ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لبعض الغشم أبلغ في أمور تنوبك من مهادنة الأعادي . فقال عليّ : ليس هكذا قضى الله يا مال ، قتل النفس بالنفس فما بال الغشم . وقال :

«ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا»^(١). والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك ، فقد نهى الله عنه ، وذلك هو الغشم^(٢). وقال نصر أيضاً: «فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي - وكان ممن تخلف عنه - فقال: يا أمير المؤمنين ، أرايت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة ، بم قتلوا ؟ قال: قتلوا شيعتي وعمالي ، وقتلوا أبا ربيعة العبدي ، رحمة الله عليه ، في عصابة من المسلمين قالوا : لا نكت كما نكتهم ، ولا نغدر كما غدرتم . فوثبوا عليهم فقتلوهم ، فسألتهم أن يدفعوا إليّ قتلة إخواني أقتلهم بهم ، ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم ، فأبوا عليّ ، فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ، ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي ، فقتلتهم بهم ، أفي شك أنت من ذلك ؟ . قال: قد كنت في شك ، فأما الآن فقد عرفت ، واستبان لي خطأ القوم ، وأنت أنت المهدي المصيب . وكان أشياخ الحي يذكرون أنه كان عثمانيا ، وقد شهد مع عليّ على ذلك صفين ، ولكنه بعد ما رجع كان يكاذب معاوية ، فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلوجة ، وكان عليه كريما .

ثم إن عليا تهيأ لينزل ، وقام رجال ليتكلموا ، فلما رأوه نزل جلسوا وسكتوا.^(٣) وبالاسناد عن البخاري (ت / ٢٥٦ هـ) في صحيحه - باب في الامل وطوله ، وقول الله تعالى: «فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور» . وقوله: «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون» - وقال علي: ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل» بمزحه: بمباعدة.^(٤)

قال البلاذري (ت / ٢٧٩ هـ) في «أنساب الأشراف»: حدثني علي بن ابراهيم الطالبي ،

(١) الاسراء: ٣٣.

(٢) وقعة صفين ؛ لنصر بن مزاحم المنقري : ٤٣ .

(٣) وقعة صفين ؛ لنصر بن مزاحم المنقري : ٥٣ .

(٤) صحيح البخاري ٧: ١٧١ .

عن أشياخه قال: قال علي بن أبي طالب: إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: طول الامل واتباع الهوى، فإن [كذا] طول الامل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يضل عن الحق. ألا وإن الدنيا قد ولّت مدبرة، والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، فإن اليوم عمل والآخرة حساب. (١)

وروي عن موسى بن جعفر، عن آبائه أن عليا قال: لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل. (٢)

قال: وكان يقول: الفرص تمر مر السحاب فانتبهزوا فرص الخير. وكان علي يقول: قيمة كل إنسان علمه. (٣)

وبالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي»، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عثمان، عن سليم بن قيس الهلالي قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال:

ألا إن أخوف ما أخاف عليكم خلتان: اتباع الهوى وطول الامل، أما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق، وأما طول الامل فينسي الآخرة، ألا إن الدنيا قد ترحلت مدبرة وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، لكل واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وإن غدا حساب ولا عمل، وإنما بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله، يتولى فيها رجال رجالا، ألا إن الحق لو خلص لم يكن اختلاف، ولو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجب لكنه يؤخذ من هذا ضعف ومن هذا ضعف (٤) فيمزجان فيجللان (٥) معا فهناك يستولي الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم

(١) انساب الاشراف ٢: ١١٤، ط / ١٣٩٤ هـ.

(٢) انساب الاشراف ٢: ١١٤، ط / ١٣٩٤ هـ.

(٣) انساب الاشراف ٢: ١١٤، ط / ١٣٩٤ هـ.

(٤) الضغث - بالكسر - : قبضة من حشيش مخالطة الرطب باليابس .

(٥) جللت الشيء : إذا غطيته . وفي بعض النسخ: فيجتمعان، وفي بعضها: فيجلبان .

إذا البستم فتنة يربو فيها الصغير^(١) ويهرم فيها الكبير ، يجري الناس عليها ويتخذونها سنة ، فإذا غير منها شئ قيل : قد غيرت السنة وقد أتى الناس منكراً ، ثم تشتدّ البلية وتسبى الذرية وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب وكما تدق الرحا بثقالها^(٢) ، ويتفقهون لغير الله ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة .

ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته فقال : قد عملت الولاية قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمدين لخلافه ، ناقضين لعهد مغيرين لسنته ، ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله ﷺ لتفرّق عني جندي ، حتى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي ، وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ ، رأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام^(٣) فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ ، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام ، ورددت صاع رسول ﷺ كما كان^(٤) ، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله ﷺ لاقوام لم تمض لهم ولم تنفذ^(٥) ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد^(٦) ، ورددت قضايا من الجور قضي بها^(٧) ، ونزعت نساءً تحت رجال بغير حق ، فرددتهم إلى

(١) أي يكبر وهو كناية عن امتدادها .

(٢) بالمثلثة والفاء في النهاية : في حديث علي عليه السلام : " وتدقهم الفتن دق الرحا بثقالها " الثفال - بالكسر - : جلدة تبسط تحت رحا اليد ليقع عليها الدقيق ، ويسمى الحجر الأسفل : ثفالاً بها والمعنى أنها تدقهم دق الرحا للحب إذا كانت مثقلة ولا تثقل إلا عند الطحن .

(٣) إشارة إلى ما فعله عمر من تغيير المقام عن الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ إلى الموضع الذي كان فيه في الجاهلية ، رواه الخاصة والعامة . راجع كتاب النص والاجتهاد للعلامة الجليل سماحة السيد شرف الدين العاملي .

(٤) الصاع في النهاية هو مكيال يسع أربعة أمداد والمد عند الشافعي وفقهاء الحجاز رطل ثلث بالعراقي وعند أبو حنيفة المد رطلان وبه أخذ فقهاء العراق فيكون الصاع خمسة أطلان وثلثا أو ثمانية أطلان وعند الشيعة على ما في كتاب الخلاف في حديث زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان رسول الله ﷺ يتوضأ بمد ويغتسل بصاع والمد رطل ونصف والصاع ستة أطلال يعني رطل المدينة أهد . وهو تسعة بالعراقي .

(٥) القطيعة : قطعة من أرض الخراج " أقطعها " أي عينها وعزلها . (الوافي) .

(٦) كأنهم غصبوها وادخلوها في المسجد . (الوافي) .

(٧) ذلك كقضاء عمر بالعول والتعصيب في الإرث وكقضائه بقطع السارق من معصم الكف ومفصل ساق الرجل خلافاً لما أمر به النبي ٩ ومن ترك الكف والعقب ، وإنفاذه في الطلاق الثلاث

أزواجهن، واستقبلت بهن الحكم في الفروج والارحام ، وسبيت ذراري بني تغلب ، ورددت ما قسم من أرض خيبر ، ومحوت دواوين العطايا، وأعطيت كما كان رسول الله ﷺ يعطي بالسوية ولم اجعلها دولة بين الاغنياء، والقيت المساحة، وسويت بين المناكح، وانفذت خمس الرسول كما انزل الله وفرضه، ورددت مسجد رسول الله ﷺ إلى ما كان عليه، وسددت ما فتح فيه من الابواب وفتحت ما سد منه، وحرمت المسح على الخفين، وحددت على النبيذ، وأمرت باحلال المتعتين وأمرت بالتكبير على الجناز خمس تكبيرات، وألزمت الناس الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم، وأخرجت من أدخل مع رسول الله ﷺ في مسجده ممن كان رسول الله ﷺ أخرجه ، وأدخلت من اخرج بعد رسول الله ﷺ ممن كان رسول الله ﷺ أدخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة ، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها ، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها ، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم ، ورددت سبايا فارس وسائر الامم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ إذ أنتفرقوا عني، والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي : يا أهل الاسلام غيرت سنة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعا. ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري ما لقيت من هذه الامة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار . وأعطيت من ذلك سهم ذي القربى الذي قال الله عز وجل: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقْيِ الْجَمْعَانِ﴾ فنحن والله عنى بذي القربى الذي قرننا الله بنفسه وبرسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ فينا خاصة ﴿كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله﴾ في ظلم آل محمد ﴿إن الله شديد العقاب﴾ لمن ظلمهم

المرسلة، ومنعه من بيع امهات الاولاد وان مات الولد، وقال: هذا رأى رأيته فأَمْضَاهُ عَلَى النَّاسِ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قَضَايَاهُ وَقَضَايَا الْآخَرَى . (الوافي) .

رحمة منه لنا، وغنى أغنانا الله به ووصى به نبيه ﷺ ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً، أكرم الله رسوله ﷺ وأكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أوساخ الناس، فكذبوا الله وكذبوا رسوله وجحدوا كتاب الله الناطق بحقنا، ومنعونا فرضاً فرضه الله لنا، ما لقي أهل بيت نبي من أمته ما لقينا بعد نبينا ﷺ، والله المستعان على من ظلمنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. (١)

وعن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «الخصال»، قال: حدثنا محمد بن أحمد الاسدي قال: حدثنا محمد بن أبي عمران قال: حدثنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري قال: حدثنا علي بن أبي علي اللهبي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل، أما الهوى فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، وهذه الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وهذه الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فإن استطعتم أن تكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فافعلوا، فإنكم اليوم في دار عمل ولا حساب وأنتم غدا في دار حساب ولا عمل».

وعنه ﷺ قال: حدثنا أبي ﷺ قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن عمر بن أذينة، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين ﷺ: «عن النبي ﷺ أنه قال في كلام له: العلماء رجلان: رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج، ورجل عالم تارك لعلمه فهذا هالك. وإن أهل النار ليتأذون بريح العالم التارك لعلمه. وإن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله عز وجل فاستجاب له وقبل منه وأطاع الله عز وجل فأدخله الله الجنة وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى، ثم قال أمير المؤمنين ﷺ: ألا إن أخوف ما أخاف عليكم خصلتين: اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة».

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ٨: ٥٨، ٦٠.

وعنه، قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن جعفر البندار الشافعي الفرغاني بفرغانة، قال: حدثنا أبو العباس الحمادي قال: حدثنا أحمد بن محمد الشافعي قال: حدثنا عمي إبراهيم بن محمد قال: حدثنا علي بن أبي علي اللهبي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إن أخوف ما أتخوف على امتي: الهوى وطول الأمل، أما الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، وهذه الدنيا مرتحلة ذاهبة وهذه الآخرة مرتحلة قادمة، ولكل واحدة منهما بنون، فإن استطعتم أن تكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فافعلوا، فانكم اليوم في دار العمل ولا حساب، وأنتم غدا في دار الحساب ولا عمل.^(١)

وبالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في «الأمال» بثلاثة اسانيد منها: عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفار، عن ابن معروف عن ابن مهزيار، عن عاصم، عن فضيل الرسان، عن يحيى بن عقيل قال: قال علي عليه السلام: إنما أخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة.^(٢)

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) بالاسناد عن الشيخ المفيد ابو علي الحسن بن محمد الطوسي عليه السلام (ت / ٥١٥ - ح) قال حدثنا الشيخ السعيد الوالد عليه السلام (ت / ٤٦٠ هـ) قال: أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرني أبو بكر محمد بن عمر الجعابي، قال: حدثنا محمد بن الوليد، قال: حدثنا غندر بن محمد، قال: حدثنا شعبة، عن سلمة بن جميل، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكنانى عليه السلام، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا وإن الدنيا قد تولّت مدبرة، والآخرة قد أقبلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، والآخرة حساب ولا عمل.^(٣)

(١) الخصال؛ للشيخ الصدوق: ٥٢٥١.

(٢) بحار الأنوار؛ للعلامة المجلسي ٧٤: ٤٢٣ عن الامالي ٥٥ و ١٢١ و ٢٠٣.

(٣) الأمال؛ للشيخ الطوسي: ١١٧.

وقال: أخبرنا الشيخ الاجل المفيد ابو علي الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي رحمه الله بمشهد مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه في جمادى الاولى، سنة تسع وخمس مائة، قال: حدثنا الشيخ السعيد الوالد ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي رحمه الله في صفر سنة ست وخمسين واربعمئة قال: أخبرنا الشيخ السعيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله، قال: أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد الصيرفي، قال: حدثنا محمد بن مخلد بن حفص، قال: حدثنا محمد بن الوليد، قال: حدثنا غندر بن محمد، قال: حدثنا سعيد، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الطفيل، قال: قال أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام في خطبة له: إن أخوف ما أخاف عليكم طول الامل واتباع الهوى، فاما طول الامل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيضل عن الحق، ألا وإن الدنيا قد تولّت مدبرة وان الآخرة قد أقبلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل. (١)

وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»: أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن علي الزجاجي أنا أبو أحمد عبيد الله بن محمد بن أحمد بن أبي مسلم الفرضي حدثني أبو عبد الله علي بن سليمان صاحب الحكيمي نا علي بن حرب.

ح، وأخبرنا أبو القاسم الشحامى أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ نا أبو عبد الله علي بن عبد الله العطار ببغداد نا علي بن حرب الموصلي سنة ست وستين ومائتين بالموصل.

ح، وأخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم أنا أبو بكر بن خلف أنا الحاكم أبو عبد الله قال: سمعت أبا عبد الله علي بن عبد الله العطار صاحب الحكم ببغداد يقول: حدثنا علي بن حرب الموصلي نا وكيع عن سفيان عن عطاء بن السائب عن

(١) الأمالي؛ للشيخ الطوسي: ٢٣١.

أبي عبد الرحمن السلمي قال: خطب علي بن أبي طالب على منبر الكوفة - وقال الشحامي: بالكوفة - فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.

أخبرنا أبو غالب بن البنا أنا أبو محمد الجوهري أنا أبو عمر بن حيوية وأبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس قالوا: نا يحيى بن محمد بن صاعد أنا الحسين بن الحسن بن حرب أنا عبد الله بن المبارك أنا إسماعيل بن أبي خالد عن زييد اليامي عن رجل من بني عامر قال: قال علي بن أبي طالب: إنما أخشى عليكم اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة وإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.^(١)

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٤٩٤ ٤٩٥.

[الكلام (٤٣)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن نصر بن مزاحم المنقري (ت / ٢١٢ هـ) في «وقعة صفين»: وفي حديث صالح بن صدقة قال: أبطأ جرير عند معاوية حتى اتهمه الناس وقال: على: وقت لرسولي وقتا لا يقيم بعده إلا مخدوعا أو عاصيا! وأبطأ على على حتى أيس منه.

وفي حديث محمد وصالح بن صدقة، قالوا: وكتب علي إلى جرير بعد ذلك: «أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيره بين حرب مجلية، أو سلم محظية. فإن اختار الحرب فانبذ له، وإن اختار السلم فخذ بيعته».^(١)

(١) وقعة صفين؛ لنصر بن مزاحم المنقري: ٥٥.

[الكلام (٤٤)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما رواه البلاذري (ت / ٢٧٩ هـ) في «أنساب الأشراف»، قال مالفظه: وكان مصقلة بن هبيرة الشيباني عاملاً على أرد شيرخنة من فارس، فمّر بهم عليه وهم خمسمائة إنسان فصاحوا: إيه يا أبا الفضل يافكاك العنة، وحملّ الاثقال، وغيّث المعصيين، امنن علينا وافتدنا فأعتقنا، وكانت كنية مصقلة أبو الفضيل، ولكنهم كرهوا تصغيرها - فوجّه مصقلة إلى معقل بن قيس من يسأل بيعهم منه، فسامه معقل بهم ألف ألف درهم، فلم يزل يراوضه ويستنقصه حتى سلمهم إليه بخمسمائة ألف درهم، ويقال: بأربعمائة ألف درهم، ودفعهم إليه، فلما صاروا إلى مصقلة، قال له معقل: عليّ بالمال. فقال: أنا باعته منه في وقتي هذا بصدور ثم متبعه صدرا حتى لا يبقى عليّ شيء منه. وقدم معقل على عليّ فأخبره الخبر، فصوّبه فيما صنع، وامتنع مصقلة من البعثة بشيء من المال وكسره وخلّى سبيل الأسرى، فكتب عليّ في حمله وأنفذ الكتاب مع أبي حرة الحنفي وأمره بأخذه بحمل ذلك المال، فإن لم يفعل أشخصه إلى ابن عباس ليأخذه به، لانه كان عاملاً على البصرة والاهواز وفارس، والمتولّي لحمل ما في هذه النواحي من الاموال إليه، فلم يدفع إليه من المال شيئاً، فأشخصه إلى البصرة، فلما وردها قيل له: إنك لو حملت هذا الشيء قومك لاحتملوه، فأبى أن يكلفهم إياه، ودافع ابن عباس به، وقال: أما والله لو أني سألت ابن عفان أكثر منه لوهب لي، وقد كان أطعم الأشعث خراج آذربيجان.

ثم انه احتال حتى هرب فلحق بمعاوية، فقال علي: ماله؟ ترحه الله، فعل فعل السيد وفرّ فرار العبد.

وقد يقال: إن أمر الخريت كان قبل شخوص ابن عباس إلى الشام في أمر الحكومة

ويقال أيضاً: انه كان بعد انصرافه من الحكومة.^(١)

وروى ابراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣ / هـ) في «الغارات» في خبر بني ناجية، قال: حدثني ابن أبي سيف عن أبي الصلت عن ذهل بن الحارث قال: دعاني مصقلة إلى رحله، فقدم عشاءاً فطعمنا منه ثم قال: والله إن أمير المؤمنين يسألني هذا المال ووالله لا أقدر عليه، فقلت له: لو شئت لا يمضى عليك جمعة حتى تجمع هذا المال، فقال: والله ما كنت لاحملها قومي ولا أطلب فيها إلى أحد.

ثم قال: أما والله لو أن ابن هند يطالبني بها، أو ابن عفان لتركها لي، ألم تر إلى ابن عفان حيث أطعم الاشعث بن قيس مائة ألف درهم من خراج آذربيجان في كل سنة؟ فقلت: ان هذا لا يرى ذلك الرأي، وما هو بتارك لك شيئاً، فسكت ساعة وسكت عنه، فما مكث ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية، فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال: ماله؟! ترحه الله، فعل فعل السيد، وفرّ فرار العبد، وخان خيانة الفاجر، أما انه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه، فان وجدنا له شيئاً أخذناه، وان لم نقدر له على مال تركناه، ثم سار إلى داره فهدمها. وكان أخوه نعيم بن هبيرة الشيباني شيعياً ولعليّ مناصحاً، فكتب إليه مصقلة من الشام مع رجل من النصارى من بني تغلب يقال له حلوان: أما بعد، فاني كلّمت معاوية فيك فوعدك الكرامة ومثّاك الامارة، فأقبل ساعة تلقى رسولي ان شاء الله، والسلام.

فلما وصل الكوفة علم به على عليه السلام فأخذ النصراني فقطع يده فمات. فكتب نعيم إلى أخيه مصقلة جواب كتابه، شعراً:

لا ترميني - هداك الله - معترضا	بالظن منك فما بالي وحلوانا ؟
ذاك الحريص على ما نال من طمع	وهو البعيد فلا يورثك أحزاناً
ما ذا أردت إلى إرساله سفها	ترجو سقاط امرئ لم يلف وسانا
عرضته لعلي إنه أسد	يمشى العرضنة من آساد خفانا

(١) انساب الاشراف؛ للبلاذري: ٤١٦ ٤١٧.

قد كنت في منظر عن ذا ومستمع تحمي العراق وتدعى خبر شيبانا
 حتى تقحمت أمرا كنت تكرهه للراكبين له سرا وإعلانا
 لو كنت أديت مال الله مصطبرا للحق أحييت أحيانا وموتانا
 لكن لحقت بأهل الشام ملتصبا فضل ابن هند وذاك الرأي أشجانا
 فالיום تفرع سن العجز من ندم ماذا تقول وقد كان الذي كانا
 أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة لم يرفع الله بالبغضاء انسانا

فلما وقع الكتاب إليه علم أن النصراني قد هلك ، ولم يلبث التغليبيون إلا قليلا حتى بلغهم هلاك صاحبهم ، فأتوا مصقلة فقالوا : أنت أهلكنا صاحبنا ، فإما أن تحييه ، وإما أن تديه ، فقال : أما أن أحييه ، فلا أستطيع ، وأما أن أديه ، فنعم ، فودّاه .

وحدثني ابن أبي سيف عن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه قال : قيل لعلي عليه السلام حين هرب مصقلة : اردد الذين سبوا ولم تستوف أثمانهم في الرق ، فقال : ليس ذلك في القضاء بحق ، قد عتقوا إذ أعتقهم الذي اشتراهم وصار مالي دينا على الذي اشتراهم .^(١)

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي في «تهذيب الأحكام» عن حماد وصفوان عن معاوية بن عمار عن أبيه عن أبي الطفيل : ان بني ناجية قوما كانوا يسكنون الاسياف ، وكانوا قوما يدعون في قريش نسبا ، وكانوا نصارى ، فاسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ، فبعث امير المؤمنين عليه السلام معقل بن قيس التميمي ، فخرجنا معه ، فلما انتهينا الى القوم جعل بيننا وبينه امارة ، فقال : إذا وضعت يدي على رأسي فضعوا فيهم السلاح ، فأتاهم فقال : ما ائتم عليه ؟ فخرجت طائفة فقالوا : نحن نصارى لا نعلم دينا خيرا من ديننا فنحن عليه ، قال : فعزلهم ، قال : ثم قالت طائفة منهم : نحن كنا نصارى فأسلمنا فنحن مسلمون لا نعلم دينا خيرا من ديننا فنحن عليه ، وقالت طائفة : نحن كنا نصارى ثم اسلمنا ثم عرفنا انه لا خير من الدين الذي كنا عليه فرجعنا إليه ، فدعاهم الى الاسلام ثلاث مرات ، فأبوا ، فوضع يده على رأسه ، قال : فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ، قال : فأتى بهم عليا عليه السلام فاشتراهم مصقلة بن هبيرة

(١) الغارات ؛ لابراهيم بن محمد الثقفي ١ : ٣٦٥ - ٣٧٠ .

بمائة ألف درهم فأعتقهم، وحمل الى علي أمير المؤمنين عليه السلام خمسين ألفاً، فأبى ان يقبلها، قال : فخرج بها فدفنها في داره ولحق بمعاوية لعنه الله، قال : فأخرب أمير المؤمنين عليه السلام داره واجاز عتقهم»^(١).

وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»، قال : أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو بكر أحمد بن علي الأصبهاني الحافظ أنا أبو عمرو بن حمدان نا الحسن بن سفيان نا أبو بكر بن أبي شيبة نا عبد الرحيم بن سليمان عن عبد الملك بن سعيد بن حمان عن عمار الدوسي حدثني أبو الطفيل قال: كنت في الجيش الذي بعثهم علي بن طالب إلى بني ناجية قال: فانتبهنا إليهم فوجدناهم على ثلاث فرق قال: فقال أميرنا لفرقة منهم: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم كنا نصارى فأسلمنا فثبتنا على إسلامنا، قال: ثم قال الثانية: من أنتم؟ قالوا: نحن قوم كنا نصارى فثبتنا على نصرانيتنا، قال الثالثة: من أنتم؟ قالوا: نحن قوم كنا نصارى فأسلمنا فرجعنا فلم نر ديناً أفضل من ديننا فتنصرنا، فقال لهم: أسلموا، فأبوا، فقال لأصحابه: إذا مسحت رأسي ثلاث مرات فشدوا عليهم ففعلوا، فقتلوا المقاتلة وسبوا الذراري، فجئ بالذراري إلى عليّ وجاء مصقلة بن هبيرة فاشتراهم بمائتي ألف، فجاءه بمائة ألف إلى علي فأبى أن يقبل، فانطلق مصقلة بدارهمهم وعمد مصقلة إليهم فأعتقهم، ولحق بمعاوية. فقيل لعلي: ألا تأخذ الذرية؟ فقال: لا، فلم يعرض لهم.

قرأت على أبي الفضل بن ناصر عن جعفر بن يحيى أنا أبو نصر الوائلي أنا الخصيب بن عبد الله أخبرني عبد الكريم بن أبي عبد الرحمن أخبرني أبي أنا أحمد بن سليمان نا محمد بن عبيد نا العلاء بن راشد عن زيد بن عبيد أبي حاتم قال: مر بنا علي بن طالب وهو يدعو الله على مصقلة بن هبيرة وقد هدم داره.

قرأت على أبي الوفاء حفاظ بن الحسن بن الحسين عن عبد العزيز بن أحمد أنا عبد الوهاب الميداني أنا أبو سليمان بن زبر أنا عبد الله بن أحمد بن جعفر نا أبو جعفر الطبري

(١) تهذيب الأحكام؛ للشيخ الطوسي ١٠ : ١٣٩.

قال: ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف حدثني الحارث بن كعب عن عبد الله بن فقيم، قال: ثم إنه - يعني معقل بن قيس - أقبل بهم - يعني نصارى بني ناجية - حتى مرّ بهم على مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامل عليّ على أردشير خرة وهم خمس مائة إنسان فبكى النساء والصبيان وصاح الرجال: يا أبا الفضل يا حامي الرجال ومأوى المعصب وفكاك العناة، أمنن علينا واشترنا فأعتقنا، فقال مصقلة: أقسم بالله لأتصدقنّ عليكم، إن الله يجزي المتصدقين. فبلغنا عنه علي فقال: والله لو لا أني أعلمه قالها توجّعاً لهم لضربت عنقه، ولو كان في ذلك تفاني تميم وبكر بن وائل.

ثم إن مصقلة بعث ذهل بن الحارث الذهلي إلى معقل بن قيس فقال له: بعني بني ناجية، فقال: نعم، أبيعكمهم بألف ألف، فأبى عليه، فلم يزل يراوضه حتى باعهم بخمس مائة ألف. ودفعهم إليه، وقال له: عجل بالمال إلى أمير المؤمنين، فقال له: أنا باعث الآن بصدر ثم أبعث لك بصدر آخر، ثم كذلك حتى لا يبقى منه شيء إن شاء الله. وأقبل معقل بن قيس إلى أمير المؤمنين فأخبره بما كان منه، فقال له: أحسنت وأصبت. وانتظر علي مصقلة أن يبعث إليه بالمال فأبطأ به وبلغ علياً أن مصقلة خلّى سبيل الأسارى ولم يسألهم أن يعينوه في فكاك أنفسهم بشيء، فقال علي: ما أظن مصقلة إلا وقد يحمل حمالة لا أراكم إلا سترونه عن قريب منها ملبداً.

ثم إنه كتب إليه: أما بعد، فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأعظم الغش على أهل المصر غش الإمام، وعندك من حق المسلمين خمس مائة ألف، فابعث بها إليّ ساعة يأتيك رسولي وإلا فأقبل حين تنظر في كتابي فإني قد تقدّمت إلى رسولي إليك ألا يدعك تقيم ساعة واحدة بعد قدومه عليك إلا أن تبعث بالمال، والسلام عليك.

وكان الرسول إليه أبو جرّة الحنفي فقال له أبو جرّة: إن بعثت بالمال الساعة وإلا فأشخص إلى أمير المؤمنين، فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة فمكث بها أياماً. ثم إن ابن عباس سأله المال - وكان عمال البصرة يحملون من كور البصرة إلى ابن عباس، فيكون ابن عباس هو الذي يبعث بها إلى علي - فقال له: نعم، أنظرنى أياماً، ثم أقبل حتى

أتى عليا فأقره عليّ أياما، ثم سأله المال فأدى إليه مائتي ألف .
ثم إنه عجز عنها ولم يقدر عليها .

قال أبو مخنف: وحدثنى أبو الصلت الأعور عن ذهل بن الحارث قال: دعاني مصقلة إلى رحله فقدم عشاؤه فطعمنا منه ثم قال: والله إن أمير المؤمنين ليسألني هذا المال وما أقدر عليه، فقلت: والله لو شئت ما مضت عليك جمعة حتى تجمع هذا المال، فقال لي: والله ما كنت لأحملها قومي ولا أطلب فيها إلى أحد، ثم قال: أما والله لو أن ابن هند هو طالبني بها أو ابن عفان لتركها لي، ألم تر إلى ابن عفان حيث أطعم الأشعث من خراج أذربيجان مائة ألف في كل سنة؟ فقلت له: إن هذا لا يرى ذاك الرأي، لا والله ما هو بتارك شيئا، فسكت ساعة وسكت عنه، فلا والله ما مكث إلا ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية، وبلغ ذلك عليا فقال: ما له؟ يرحمه الله، فعل فعل السيد وفر فرار العبد، وخان خيانة الفاجر، أما أنه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه؛ فإن وجدنا له شيئا أخذناه وإن لم نقدر على مال تركناه .

ثم سار علي إلى داره فهدمها، وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعيا ولعلي مناصحا، فكتب إليه مصقلة من الشام مع رجل من النصارى من بني تغلب يقال له: حلوان: أما بعد، فإنني قد كلمت معاوية فيك فوعدك الإمارة ومثلك الكرامة، فأقبل إليّ ساعة يلتاقك رسولي إن شاء الله، والسلام عليك. فيأخذه مالك بن كعب الأرحبي فيسرحه إلى عليّ فأخذ كتابه فقرأه ففقطعه يده فمات، وكتب نعيم إلى مصقلة :

لا ترمين هداك الله معترضا	بالظن منك فما بالي وحلوانا
ذاك الحريص على ما نال من طمع	وهو البعيد فلا يحزنك إن خانا
ماذا أردت إلى إرساله سفها	ترجو سقاط امرئ لم يلف وسنانا
حتى تتحمت أمرا كنت تكرهه	للاركبين له سرا وإعلانا
عرضته لعلي إنه أسد	يمشي العرضنة من آساد خفانا
قد كنت في منظر عن ذا ومستمع	تحمي العراق وتدعى خير شيبانا

لو كنت أدبت مال القوم مصطبرا للحق أحييت أحيانا وموتانا
 لكن لحقت بأهل الشام ملتصبا فضل ابن هند وذاك الرأي أشجانا
 فاليوم تفرع سن العجز من ندم ماذا تقول وقد كان الذي كانا
 أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة لم يرفع الله بالبغضاء إنسانا
 فلما وقع الكتاب إليه علم أنه قد هلك ولم يلبث التغليبون إلا قليلا حتى بلغهم هلاك
 صاحبهم حلوان، فأتوا مصقلة فقالوا: إنك بعثت صاحبنا فأهلكته فإمّا أن تحييه وإما تديه،
 قال: أما أن أحييه فلا أستطيع، ولكن سأديه فودّاه .

وبلغني أن مصقلة قال في ذلك:

لعمري لئن عاب أهل العراق عليّ انتعاشي بني ناجية
 لأعظم من عتقهم رقهم وكفى بعتقهم عالية
 وزايدت فيهم لإطلاقهم وغاليت إن العلى عالية
 ثم إن معاوية بعد ذلك ولّى مصقلة طبرستان وبعثه في جيش عظيم فأخذ العدو عليه
 المضايق فهلك وجيشه، فقبل في المثل: حتى يرجع مصقلة من طبرستان.^(١)

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٥٨ : ٢٠٧ ٢٧٣.

[الخطبة (٤٥)]

ليس لعرشي تخريج في هذا الموضع.

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١هـ) في من لا يحضره الفقيه، قال: وخطب أمير المؤمنين عليه السلام يوم الفطر فقال: «الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، لا نشرك بالله شيئا، ولا نتخذ من دونه ولية، و﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الدنيا والاخرة وهو الحكيم الخبير، يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور﴾، كذلك الله لا إله إلا هو إليه المصير، والحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الارض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم، اللهم ارحمنا برحمتك وأعممنا بمغفرتك، إنك أنت العليّ الكبير، والحمد لله الذي لا مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته، ولا مؤيس من روحه، ولا مستنكف عن عبادته، الذي بكلمته قامت السماوات السبع واستقرت الارض المهاد، وثبتت الجبال الرواسي، وجرت الرياح اللواقح، وسار في جو السماء السحاب، وقامت على حدودها البحار، وهو إله لها وقاهر، يذل له المتعززون، ويتضاءل له المتكبرون، ويدين له طوعا وكرها العالمون، نحمده كما حمد نفسه وكما هو أهله، ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له، يعلم ما تخفي النفوس، وما تجنّ البحار وما توارى منه ظلمة، ولا تغيب عنه غائبة، وما تسقط من ورقة من شجرة ولا حبة في ظلمات إلا يعلمها، لا إله إلا هو، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، ويعلم ما يعمل العاملون وأي مجرى يجرون، وإلى أي منقلب ينقلبون، ونستهدي الله بالهدى، ونشهد أن محمدا عبده ونبيه ورسوله إلى خلقه، وأمنيه على وحيه، وأنه قد بلغ رسالات ربه، وجاهد في الله الحائدين عنه، العادلين به، وعبد الله حتى أتاه

اليقين ﷺ .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي لا تبرح منه نعمة ، ولا تنفد منه رحمة ، ولا يستغني العباد عنه ، ولا يجزي أنعمه الاعمال ، الذي رغب في التقوى ، وزهد في الدنيا ، وحذر المعاصي ، وتعزز بالبقاء ، ودلل خلقه بالموت والفناء ، والموت غاية المخلوقين ، وسبيل العالمين ، ومعقود بنواصي الباقين ، لا يعجزه إياق الهاربين ، وعند حلوله يأسر أهل الهوى ، يهدم كل لذة ، ويزيل كل نعمة ، ويقطع كل بهجة ، والدنيا دار كتب الله لها الفناء ، ولاهلها منها الجلاء ، فأكثرهم ينوي بقاءها ويعظم بناءها ، وهي حلوة خضرة ، وقد عجلت للطالب ، والتبست بقلب الناظر ، ويضن ذو الثروة الضعيف ، ويجتويها الخائف الوجل ، فارتحلوا منها يرحمكم الله بأحسن ما بحضرتكم ، ولا تطلبوا منها أكثر من القليل ، ولا تسألوا منها فوق الكفاف ، وارضوا منها باليسير ، ولا تمدن أعينكم منها إلى ما متع المترفون به ، واستهينوا بها ، ولا توطنوها ، وأضروا بأنفسكم فيها ، وإياكم والتنعيم والتلهي والفكاهات ؛ فإن في ذلك غفلة واغترار ، ألا إن الدنيا قد تنكرت وأدبرت واحلوت وأذنت بوداع ، ألا وإن الآخرة قد رحلت أقبلت وأشرفت وآنت باطلاع ألا وإن المضمار اليوم والسباق غدا ، ألا وإن السبقة الجنة والغاية النار ، ألا فلا تأب من خطيئته قبل يوم منيته ، ألا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه وفقره ، جعلنا الله وإياكم ممن يخافه ويرجو ثوابه .

ألا وإن هذا اليوم يوم جعله الله لكم عيداً ، وجعلكم له أهلاً ، فاذكروا الله يذكركم ، وادعوه يستجب لكم ، وأدوا فطرتكم ، فإنها سنة نبيكم وفريضة واجبة من ربكم ، فليؤدها كل امرئ منكم عنه وعن عياله كلهم ذكرهم واثناهم ، صغيرهم وكبيرهم ، وحرهم ومملوكهم ، عن كل إنسان منهم صاعاً من بر ، أو صاعاً من تمر ، أو صاعاً من شعير ، وأطيعوا الله فيما فرض الله عليكم وأمركم به من إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم شهر رمضان ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والاحسان إلى نساءكم وما ملكت أيما نكم ، وأطيعوا الله فيما نهاكم عنه من قذف المحصنة ، وإتيان الفاحشة ، وشرب الخمر ، وبخس المكيال ، وتقص الميزان ، وشهادة الزور ، والفرار من

الزحف . عصمنا الله وإياكم بالتقوى ، وجعل الآخرة خيرا لنا ولكم من الأولى ، إن أحسن الحديث وأبلغ موعظة المتقين كتاب الله العزيز الحكيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد.^(١)

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في مصباح المتعبد: روى أبو مخنف عن جندب بن عبد الله الأزدي عن أبيه ، أن علياً عليه السلام كان يخطب يوم الفطر ، فيقول: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ ، لا نشرك بالله شيئا ولا نتخذ من دونه وليا ، ﴿والحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور﴾ ، كذلك ربنا جل ثناؤه لا أمد ولا غاية ولا نهاية ، ولا إله إلا هو وإليه المصير ، والحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم . اللهم ارحمنا برحمتك ، واعمنا بعافيتك ، وامددنا بعصمتك ، ولا تخلصنا من رحمتك إنك أنت الغفور الرحيم ،

والحمد لله لا مقنوطا من رحمته ولا مخلوفا من نعمته ، ولا مؤيسا من روحه ، ولا مستكفا عن عبادته ، الذي بكلمته قامت السموات السبع وقرت الأرضون السبع ، وثبتت الجبال الرواسي ، وجرت الرياح اللواقيح ، وسار في جو السماء السحاب ، وقامت على حدودها البحار ، فتبارك الله رب العالمين ،

إله قاهر قادر ، ذلّ له المتعززون ، وتضاءل له المتكبرون ، ودان طوعا وكرها له العالمون ، نحمده بما حمد نفسه وكما هو أهله ونستعينه ونستغفره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يعلم ما تخفي الصدور وما تجن البحار وما توارى الأسراب وما تغيب الأرحام وما تزدد وكل شئ عنده بمقدار ، لا توارى منه ظلمات ، ولا تغيب عنه

(١) من لا يحضره الفقيه ؛ للشيخ الصدوق ١: ٥١٤ - ٥١٧ ، الحديث ١٤٨٢ .

غائبة، ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾، ويعلم ما يعمل العاملون وإلي أي منقلب ينقلبون، ونستهدي الله بالهدى، ونعوذ به من الضلالة والردى، ونشهد أن محمدا عبده ونبيه ورسوله إلى الناس كافة وأمينه على وحيه، وأنه بلغ رسالة ربه وجاهد في الله المدبرين عنه، وعبده حتى أتاه اليقين ﷺ.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي لا تبرح منه نعمة، ولا تفقد له رحمة، ولا يستغني عنه العباد ولا تجزي أنعمه الأعمال، الذي رغب في الآخرة وزهد في الدنيا، وحذر المعاصي، وتعزز بالبقاء، وتفرد بالغز والبهاء، وجعل الموت غاية المخلوقين وسبيل الماضيين، فهو معقود بنواصي الخلق كلهم، حتم في رقابهم، لا يعجزه لحوق الهارب ولا يفوته ناء ولا آئب، يهدم كل لذة، ويزيل كل بهجة، ويقشع كل نعمة.

عباد الله! إن الدنيا دار رضي الله لاهلها الفناء، وقدّر عليهم بها الجلاء، فكل ما فيها نافذ، وكل من يسلكها بائد، وهي مع ذلك حلوة خضرة، رائقة نضرة، قد زينت للطالب ولاطت بقلب الراغب، يطيبها الطامع ويحتويها الوجل الخائف، فارتحلوا رحمكم الله منها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد، ولا تطلبوا منها سوى البلغة، وكونوا فيها كسفر نزلوا منزلا فتمتعوا منه بأدنى ظل ثم ارتحلوا الشأنهم، ولا تمدّوا أعينكم فيها إلى ما متّع به المترفون، وأضروا فيها بأنفسكم فإن ذلك أخف للحساب وأقرب من النجاة.

ألا إن الدنيا قد تنكرت وأدبرت وأذنت بوداع، ألا وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت ونادت باطلاع، ألا وإن المضمار اليوم وغدا السباق، ألا وإن السبقة الجنة والغاية النار، أفلا تائب من خطيئته قبل هجوم منيته، أولا عامل لنفسه قبل يوم فقره وبؤسه جعلنا الله وإياكم ممن يخافه ويرجو ثوابه.

ألا وإن هذا اليوم يوم جعله الله عيدا وجعلكم له أهلا، فاذكروا الله يذكركم، وكبروه وعظموه وسبحوه ومجدوه وادعوه يستجب لكم، واستغفروه يغفر لكم، وتضرعوا وابتهلوا وتوبوا وأنيبوا وأدوا فطرتكم فإنها سنة نبيكم وفريضة واجبة من ربكم، فليخرجها كل

امرئ منكم عن نفسه وعن عياله كلهم ذكرهم وأنشاهم، صغيرهم وكبيرهم، حرهم ومملوكهم، يخرج كل واحد منهم صاعا من شعير أو صاعا من تمر أو نصف صاع من بر من طيب كسبه طيبة بذلك نفسه .

عباد الله ! وتعاونوا على البر والتقوى وتراحموا وتعاطفوا وأدوا فرائض الله عليكم فيما أمركم به من: إقامة الصلوات المكتوبات وأداء الزكوات وصيام شهر رمضان وحج البيت والامر بالمعروف والتناهي عن المنكر والاحسان إلى نساءكم وما ملكت أيما نكم، واتقوا الله فيما نهاكم عنه، وأطيعوه في اجتناب قذف المحصنات وإتيان الفواحش وشرب الخمر وبخس المكيال ونقص الميزان وشهادة الزور والفرار من الزحف ، عصمنا الله وإياكم بالتقوى وجعل الآخرة خيرا لنا ولكم من هذه الدنيا ، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كلام الله تعالى، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ﴾ إلى آخرها ، ثم جلس وقام ، فقال: الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله..» وذكر باقي الخطبة الصغيرة في يوم الجمعة. (١)

[الكلام (٤٦)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: اللهم إني أعوذ... إلى آخره. قيل ذكر هذا نصر بن مزاحم في كتاب صفين وذكره غيره أيضاً من رواة السير»^(١). قال العرشي في التخريج مانصه: «ولا يخفى على أهل العلم أن كلمات الدعاء إلى قوله «الأهل» مما نطق بها النبي ﷺ ورواها أبو عبيد في غريب الحديث (الورق ٣٨ ب) في ضمن الأحاديث المرفوعة كما روى ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفين (٧١ و ٢٨٨) الكلام كله». (انتهى)^(٢).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه عن المنقري (ت / ٢١٢ هـ) وجاء السند في أول الحديث بما لفظه: أخبرنا الشيخ الثقة شيخ الإسلام أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطي، قال: أخبرنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي بقراءة عليه في ربيع الآخر من سنة أربع وثمانين وأربعمائة، قال أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر، قال أبو الحسن محمد بن ثابت بن عبد الله بن محمد بن ثابت الصيرفي، قال أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عقبة، قال أبو محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدي الخزاز، قال أبو الفضل نصر بن مزاحم: [خروج علي ﷺ من النخيلة] عمرو بن شمر، وعمر بن سعد، ومحمد بن عبد الله، قال عمر: حدثني رجل من الأنصار عن الحارث بن كعب الوالبي، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود، قال: لما أراد علي الشخوص من النخيلة قام في الناس لخمس مضيئ من شوال يوم الأربعاء، فقال:

الحمد لله غير مفقود النعم ولا مكافأ الإفضال، وأشهد ألا إله إلا الله ونحن على ذلكم

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٠.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

من الشاهدين ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد ذلکم ، فإنی قد بعثت مقدماتي ، وأمرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى يأتيهم أمري ، فقد أردت أن أقطع هذه النطفة إلى شزيمة منكم موطنين بأكناف دجلة ، فأنهضهم معكم إلى أعداء الله ، إن شاء الله ، وقد أمرت على مصر عقبة بن عمرو الأنصاري ، ولم آلكم ولا نفسي . فإياكم والتخلف والترص ، فإنی قد خلّفت مالك بن حبيب اليربوعي ، وأمرته ألا يترك متخلفا إلا ألحقه بكم عاجلا إن شاء الله .

فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال: يا أمير المؤمنين ، والله لا يتخلف عنك إلا ظنين ، ولا يترص بك إلا منافق . فأمر مالك بن حبيب أن يضرب أعناق المتخلفين . قال عليّ : قد أمرته بأمری ، وليس مقصرا في أمري إن شاء الله .

وأراد قوم أن يتكلموا فدعا بدابته فجاءته ، فلما أراد أن يركب وضع رجله في الركاب وقال: بسم الله . فلما جلس على ظهرها قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون . ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحيرة بعد اليقين ، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد . اللهم أنت صاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، ولا يجمعهما غيرك ، لأن المستخلف لا يكون مستصحباً ، والمستصحب لا يكون مستخلفاً»^(١).

وأيضاً في الصفحة ٥٢٨ ما يلي: نصر ، عن عمر ، عن عبد الرحمن بن جندب قال: لما أقبل على من صفين أقبلنا معه ، فأخذ طريقا غير طريقنا الذي أقبلنا فيه ، فقال عليّ : آتبون عائدون ، لربنا حامدون . اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في المال والأهل»^(٢).

ومن الشواهد: ما ورد بالاسناد عن الطبري (ت / ٣١٠ هـ) في ذكر الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ بما كان يقول إذا أراد السفر بما نصّه: «وقد روى عن رسول الله ﷺ في

(١) وقعة صفين ؛ لنصر بن مزاحم المنقري : ١٣١ - ١٣٣ .

(٢) وقعة صفين ؛ لنصر بن مزاحم المنقري : ٥٢٨ .

ذلك أشياء نذكر ما حضرنا من ذلك ذكره، فمن ذلك: ما حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج في السفر قال: اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من الضيعة في السفر، والكآبة في المنقلب، اللهم اقض لنا الارض، وهون علينا السفر. فإذا أراد الرجوع قال: آييون تائبون، لرّبنا حامدون. فإذا دخل بيته قال: توباً توباً، لرّبنا أوباً، لا يغادر علينا حوباً».

وقال: حدثنا أبو كريب قال، حدثنا إسماعيل بن أبان قال، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر يقول: اللهم إني أعوذ بك من الضيعة في السفر، والكآبة في المنقلب، اللهم اقض لنا الأرض، وهون علينا السفر، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل. فإذا جاء مقبلاً قال: تائبون آييون حامدون لرّبنا عابدون. فإذا كان يوم يدخل المدينة قال: توباً إلى ربنا توباً، لا يغادر عليه منّا حوباً».

وقال: وحدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عاصم، عن عبدالله بن سرجس قال: كان النبي ﷺ إذا سافر قال: اللهم إني أعوذ بك من وعناء السفر، وكآبة المنقلب، والهور بعد الكون، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال.

حدثنا أبو هشام الرّفاعي قال، حدثنا أبو معاوية قال، حدثنا عاصم، عن عبدالله بن سرجس قال: كان النبي ﷺ إذا أراد سفرأ قال: اللهم إني أعوذ بك من وعناء السفر، وكآبة المنقلب، والهور بعد الكون، ودعوة المظلوم، والمنظر في الأهل والمال. وإذا رجع قال مثل ذلك، إلا أنّه يقول: وسوء المنظر من الأهل والمال».

وقال: وحدثنا أبو كريب قال، حدثنا المحاربى، عن عاصم الأحول، عن عبدالله بن سرجس: أن رسول الله ﷺ كان يقول: اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، أعوذ بك من وعناء السفر، وكآبة المنقلب، والهور بعد الكون، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال».

وقال: حدثنا عمرو بن علي الباهلي قال، حدثنا ابن أبي عدي قال، حدثنا سعيد، عن عبد الله بن بشر الخثعمي، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا قال: اللهم أنت صاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا بنصح، وأقربنا بدمّة، اللهم أزولنا الأرض، وهون علينا السفر، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب.

وحدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن ابن عجلان، قال، حدثني سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر قال: اللهم أنت صاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال، اللهم اطولنا الأرض، وهون علينا السفر». وقال: حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن فطر، عن أبي اسحاق، عن البراء قال: كان النبي ﷺ إذا خرج في سفر قال: اللهم بلاغا يبلغ خيراً، مغفرة منك ورضواناً، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير، اللهم أنت صاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم هون علينا السفر، واطولنا الأرض، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب». وقال: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي قال، حدثني أبي قال، حدثنا ابن جريج، عن أبي الزبير، عن علي الأزدي، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر، كبر ثلاثاً ثم قال: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾^(١) اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البرّ والتقوى، والعمل بما ترضى، اللهم هون علينا السفر، واطو عثاً بعده، اللهم أنت صاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال. وإذا رجع قالها، وزاد فيها: آييون تائبون، لربنا حامدون».

وقال: وحدثني يونس بن عبد الأعلى الصدقي قال: أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني ابن جريج، أن أبا الزبير أخبره، أن عليّاً الأزدي أخبره، أن عبد الله ابن عمر علّمه: أن رسول

(١) الزخرف: ١٣ و ١٤.

الله ﷺ كان يقول: فذكر نحوه، إلا أنه قال: ومن العمل ما ترضى».

وقال: وحدثني هلال بن العلاء الرقي قال، حدثنا سعيد بن عبد الملك الحراني، قال، حدثنا محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، عن زيد، عن أبي الزبير، عن علي بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ كان إذا استوت به دابته كبر ثلاثاً، ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين»^(١)، اللهم إنا نسألك البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم أنت صاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطولنا عتاً بعده، اللهم أعوذ بك من وعشاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال. وكان إذا دخلها قالها أيضاً، ثم قال: آيئون تائبون، لرّبنا حامدون».^(٢)

(١) الزخرف: ١٣ و ١٤.

(٢) تهذيب الآثار ٤: ٩٣-٩٧، الأحاديث ١٥٥-١٦٥، ط / سنة ١٤٠٢ هـ.

[الكلام (٤٧)]

من التعقيبات: بالاسناد عن العلوي (ت / ٤٤٥ هـ) في «فضل الكوفة»، قال: أنا محمد بن العباس، قال: نا احمد، قال: نا الحسين، قال: نا ابوبكر بن أبي شيبة، قال: نا ابن نمير، عن سفيان عن عبدالله، عن شريك، قال: حدثني جندب عن سلمان، قال: «الكوفة قبة الاسلام».

وقال: أنا محمد قال: نا محمد بن عبدالله الجعفي، قال: نا ابو جعفر أحمد بن علي الخياط العابد، قال: نا جعفر بن محمد بن ملك الأهوازي، قال: قدم سلمان الكوفة واشرف على اتيانها فقال: كوفان معدن العلم وجامع العرب، وقبة الاسلام، البركة فيها على اثني عشر ميلاً، منها فار التنّور، وفيها سفينة نوح، وفيها شجرة يقطين، وعصا موسى، وفيها اربعة أنهار من الجنة: نهر من لبن، ونهر من عسل، ونهر من خمر، ونهر من ماء ليتطهر به المسلمون. سمعت حبيبي رسول الله ﷺ: نجى الله وليه هول الحشر (كذا) من ظهر الكوفة سبعون ألفاً، وجوههم كدائرة القمر ليلة البدر، فقال امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: هم والله شيعتك وانت امامهم.^(١)

(١) فضل الكوفة: ٢٨ - ٢٠١، مكتبة الظاهرية - دمشق.

[الخطبة (٤٨)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١) في التخريج: «قوله ﷺ: الحمد لله كلما وقب ليل وغسق ... الخ ، هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين ﷺ وهو بالنخيلة، خارجا من الكوفة متوجهاً إلى صفين، لخمس بقين من شوال سنة ٣٧، وذكرها جماعة من أصحاب السير وزادوا فيها»^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: «الخطبة السابعة والأربعون، عند المسير إلى الشام: الحمد لله كلما وقب ليل وغسق، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق»... إلى آخره. ج ١ ص ٩٣. رواها ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفين (٧٠ و ٧٢) كما رواها كتاب السيرة الآخرين في كتبهم [ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥٩]. (انتهى).^(٢)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما ارويّه عن المنقري، وقد تقدمت في اول الحديث في الخطبة السابقة رقم (٤٦) وحدّ الحديث تاريخ الخطبة بخمس مضيّن من شوال يوم الاربعاء سنة ٣٧ هـ فليراجع. هذا، وقد ذكر تفصيلها محمد بن عبد الله الاسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) مرسلًا في «المعيار والموازنة» تحت عنوان إقيام أمير المؤمنين ﷺ في الناس ومشاورته إياهم للمسير إلى حرب معاوية: ثم حثه إياهم على قتال أهل الشام لما وافاه أصحابه . ومن كتب إليه بالقدوم عليه من عماله، قال الاسكافي: «فلما توافى أصحابه قام في الناس يحرضهم على قتال أهل الشام ، فقال:

أيها الناس سيروا إلى أعداء الاسلام ، سيروا إلى من حارب محمداً قديماً وجماع طغام، سيروا إلى المؤلفة قلوبهم كيما تكفوا عن المسلمين بأسهم، فطال - والله ما صدوا عن سبيل الله وبغوا الاسلام عوجا ، وتحالفوا وتحاربوا على رسول الله ﷺ والمسلمين ،

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٠.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

وجعلوا لهم المراصد ، ووضعوا لهم المسالحي ، ورموهم بالمناسر والكتائب ، وصدوا رسول الله ﷺ والمسلمين عن المسجد الحرام ، وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وجدوا في إطفاء نور الله حتى أظهره الله وهم له كارهون .

وأيم الله ما زلنا لهم على الاسلام متهمين ولأحداثهم فيه خائفين ، حتى نجمت منهم هذه الامور التي ترون .

فأشيروا عليّ ، فإنكم ميامين الرأي راجحي العقل ، مقاويل بالحق ، مباركي الفعل والامر .

فقام إليه الاشر فقال: إن جميع من ترى من الناس شيعتك وليسوا يرغبون بأنفسهم عن نفسك ، وإذا شئت فسر بنا إلى عدوك ، فوالله ما ينجو من الموت من خافه ، ولا يعطى البقاء من أحبه ، ولا يعيش بالامل إلا الاشقياء ، وإنّا لعلّى يقين من ربنا أن نفسا لن تموت حتى يأتي أجلها . بل كيف لا تقاتل قوما هم كما وصف أمير المؤمنين ، والله ما ازدادوا للاسلام إلا غشا ولا لاهله إلا بغضا ، ولقد وليت عصابة منهم على طوائف من المسلمين فأسخطوا الرب ، وأظلمت بأعمالهم الارض ، وأماتوا السنة ، وأحيوا البدعة ، وباعوا خلاقتهم بعرض من الدنيا يسير ، فعجلّ النهوض بنا إليهم نحاكمهم إلى الله فيما اختلفنا فيه حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين . ثم قعد .

فقام عدي بن حاتم الطائي فقال: يا أمير المؤمنين ما قلت إلا بعلم ، ولا دعوت إلا إلى الحق ، وما أمرت إلا برشد؛ فإن رأيت أن تستأنني هؤلاء القوم وتستديمهم حتى يقدم عليهم رسلك ، ويقدم عليهم كتبك فعلت ، فإن يقبلوا يصيبوا رشدهم ، والعافية أوسع لنا ولهم ، وإن يتمادوا في غيهم ، ولم ينزعوا عن شقاقهم القانا ذلك وقد تقدمنا إليهم بالعدر ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق . ولعمري لهم أهون علينا من قوم قاتلناهم أمس بناحية البصرة لما جهرت لهم الحق فتركوه ناجزناهم القتال حتى رأينا فيهم ما نحب ، وبلغ الله فيهم رضاه .

فقام زيد بن حصين الطائي - وكان من أصحاب البرانس - فقال: لعمري لئن كنا في

شك من قتال من خالفنا ولا تصلح لنا النية في قتالهم حتى نستأنبهم ونستديمهم ما الاعمال إلا في تباب ولا السعي إلا في ضلال، ووالله - وبنعمة ربي أحدث ، وببلائه الحسن الجميل أنبئ - ما ارنبت طرفة عين في غي من يبتغون دمه، فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم القليل في الاسلام حظهم، أعداء الحق وأعوان الظلم، ومشددي أساس العدوان ، ليسوا من المهاجرين ولا الانصار ولا التابعين بإحسان .

فقام إليه رجل من طي فقال: يا زيد، أكلام سيدنا عدي تهجن ؟ فقال: إنكم والله ما أنتم أعرف بحق عدي مني ، ولا أدع الحق وإن سخط الناس .

فقال عدي : الطريق مشترك والناس في الحق سواء ، ومن اجتهد رأيه ونصيحته للعامة فقد قضى ما عليه وله .

قالوا : ثم قام عمار بن ياسر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن استطعت فلا تقم يوما واحدا ، أشخص بنا قبل استعار نار حرب الفجرة ، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة ، فادعهم إلى حظهم ورشدهم، فإن قبلوا سعدوا ، وإن أبوا إلا حربنا ناجزناهم، فوالله إن سفك دماهم والجد في جهادهم لقربة من الله وكرامة منه . ثم قعد .

فقام قيس بن سعد بن عبادة الانصاري فقال: يا أمير المؤمنين انكمش إلى عدونا ولا تعرج، فوالله إن جهادهم أحب إلي من جهاد الترك والروم؛ لادهائهم في دين الله واستذلالهم أولياء الله من أصحاب رسول الله ﷺ وآله والتابعين بإحسان إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو سيروه أو حرموه ، وفيئنا لهم في أنفسهم حلال .

فقام يزيد بن قيس الارجبي فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس على جهاز وعدة ، وأكثرهم أهل قوة ، ومن ليس به ضعف وليست به علة ، فمر مناديك أن ينادي فليخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة، فإن أخا الحرب ليس بالسئوم ولا النوم ، ولا الذي إذا أمكنته الفرص أملى لها واستشار فيها ، ولا الذي يؤخر عمل الحرب في اليوم إلى غد وبعد غد .

فقال: زياد بن النضر الحارثي : يا أمير المؤمنين لقد نصح لك يزيد بن قيس وقال ما عرفناه ، فسر على بركة الله إلى عدوك راشدا معانا ، فإن يرد الله بهم خيرا لا يدعوك رغبة

عنك إلى من ليس مثلك في السابقة مع النبي ﷺ والقدم في الاسلام والقراة من رسول الله ﷺ، وإن لا ينيبوا ويقبلوا ويأبوا إلا حاربنا يجدوا بهم علينا هوانا ورجونا أن يصرعهم الله إلى مصارع إخوانهم بالامس .

فقال عبد الله بن بديل الخزاعي : إن القوم والله لو كانوا يريدون الله أو الله يعملون ما خالفونا ، ولكن القوم إنما يقاتلوننا فرارا من الاسوة وحبًا للأثرة ، وضنا بسلطانهم، وكراهية لفراق دنياهم التي في أيديهم، وغلا ووحرا في صدورهم، وعداوة يجدونها في أنفسهم . وكيف يبايع معاوية عليا وقد قتل أخاه وخاله وجده ؟ والله ما أظن أن يفعل دون أن تقصد فيهم المران، وتقطع على هامهم السيوف ، وتنثني حواجبهم بعمد الحديد، فتكون أمور جمة بين الفريقين .

فخرج علي عليه السلام فعسكر بالبخيلة ، فلما توفي أصحابه بالبخيلة قام رجل يقال له: جندب بن زهير الازدي والحارث الاعور الهمداني فقالا : قد آن للذين أخرجوا من ديارهم بغير حق أن يؤبوا فيغيروا ، وللمظلومين والمحرومين أن ينتصروا، وللمنكرين الجور بقلوبهم أن ينطقوا .

ألا إن المؤمنين استذلوا فقهروا ، وقلّو فستروا ، وأخرجوا من أموالهم وأخلوا عن أبنائهم ونسائهم فصلحاء من عباد الله بالمشرق منفيون إلى المغرب ، وصلحاء أسلافنا السابقين بالخيرات منفيون من حرم رسول الله ﷺ إلى جوار الوحش والسباع بمنزلة الغربة والوحدة والوحشة ، فالحدود معطلة، والولاية فجرة ، ودين الله مفقود ، وكتابه ممزق، وعهده منبوذ، فما تنتظرون - عباد الله - من جهاد قوم لا يكفون عن الظلم ، ولا يعطون حق الرب ، ولا يحكمون بما أنزل الله، فأولئك هم الفاسقون .

فقال الحارث بن عبيد الاعور في عراض كلام حذب، كالمستجيب لقوله والمحرض معه : وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا وأموالنا، الذين يشربون الخمر ويلبسون الحرير ، ويفترشون الديباج ، ويزعمون أن فيئنا لهم حلال .

ثم قام عمرو بن الحمق فقال: يا أمير المؤمنين والله ما بايعتك ولا أجبتك على عرض

من الدنيا تؤتنيه ، ولا التماس سلطان ترفع ذكرى به ، ولكني أجبتك لخصال خمس : إنك ابن عم رسول الله ﷺ ، وأولى الناس بالمؤمنين بالله ، وزوج سيده نساء الأمة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله ﷺ ، وأعظم رجل من المهاجرين والانصار سهما في الاسلام ، فوالله لو كلفت نقل الجبال الرواسي ونزع البحار الطوامي أبدا حتى يأتي عليّ يومي في شئ أو هن به عدوك وأقوي به وليك ، ويعلي الله كعبك ، ويفلج الله علي به حجتك ، ما ظننت أني أديت كل الذي يحق عليّ من حقك . فقال علي : ألهم نور قلبه باليقين ، واهده الصراط المستقيم ، ليت في جندي مائة مثلك .

ثم قام حجر بن عدي فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن أبناء الحرب وأهلها الذين لم نزل نلقحها ونتنجها ، وقد ضرستنا الحرب وضرسناها ومارسناها ، ولنا إخوان ذو صلاح وعشيرة ذات عدد ورأي مجرب ، وبأس محمود ، والله علينا النعماء والطول ، فأزمتنا منقاد لك بالسمع والطاعة ، فإن شرقت شرقنا ، وإن غربت غربنا ، وما هويت من أمر فعلنا

فقال علي : أكل قومك على مثل رأيك ؟ فقال : ما يظهرون إلّا حسنا ، وهذه يدي على قومي بحسن الطاعة والاجابة . فدعا له أمير المؤمنين بخير .

وذكروا أنه قدم عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي إلى الانبار وأتبعه كتابا منه ، وهذا نصه :

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن بديل : سلام عليك . أما بعد ، فإنه بدا لي المقام بشاطئ الفرات لحمام عبد الله ، فليجئني عبد الله بن عباس بمن ، معه وحريث بن جابر ، وانظر جندك فأقم بهم بالمكان الذي أنت به ، وإياك ومواقعة أحد من خيل العدو حتى أتقدم عليك ، وأذك العيون نحوهم ، وليكن مع عيونك من السلاح ما يباشرون به القتال ، ولتكن عيونك الشجعان من جندك ، فإن الجبان لا يأتيك بصحة الامر . وائته إلى أمري ومن قبلك بإذن الله ، والسلام .

فلما أراد المسير قام في الناس فقال:

الحمد لله غير مفقود بالنعم ، ولا مكافأً بالافضال . وأشهد أن لا إله إلا الله ونحن على ذلك من الشاهدين ، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ . أما بعد ، ذلكم فإني قدمت مقدماتي وأمرتهم بلزوم هذا المكان حتى يأتيهم أمري ، وقد أردت أن أقطع هذه النطقة إلى شزيمة موطنين أكناف دجلة فأنهضهم معكم إلى عدوكم إن شاء الله . وقد أمرت على مصركم عقبة بن عمرو الانصاري ، ولم آلكم ولا نفسي نصحا ، فإياكم والتخلف والتريص فإني قد خلفت مالك بن حبيب اليربوعي وأمرته أن لا يترك متخلفاً إلا ألحقه بكم عاجلاً إن شاء الله ، ثم دعا بدابته فجاء بها قنبر ، فلما ركب أخذ مالك بعنانها فقال: يا أمير المؤمنين أخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد والقتال وتخلفني في حشر الناس ؟ فقال: يا مالك إنهم لن يصيبوا من الاجر شيئاً إلا كنت شريكهم فيه ، وأنت هاهنا أعظم غناء عنهم منك لو كنت معهم . فقال مالك : فسمعا وطاعة يا أمير المؤمنين .

فسار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وسار أمامه الحر بن سهم بن طريف التميمي ، وهو يقول :

يا ناق سيري بي وأمي الشاما	وقطعي الاحاد والآكما
ونابذي من خالف الاماما	إني لارجو إن لقيت العاما
جمع بني أمية الطغاما	أن يقتل العاصي والهماما

وأن نزيل من رجال هاما

فلما انتهى الحر إلى آثار الكسرى وقف ينظر إليها ويتمثل بقول الأسود بن يعفر :
جرت الرياح على محل ديارهم وكأنما كانوا على ميعاد
فقال له علي ﷺ : فلو لا قلت : «كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم» إن هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين . إن هؤلاء لم يشكروا النعم فسلبوها بالمعصية ، فإياكم وكفر النعم لا تحل بكم التقم ، ثم قال : انزلوا بنا هذه الفجوة .

ثم أمر الحارث الاعور فنأدى في أهل المدائن : أن وافوا أمير المؤمنين صلاة العصر

فوافوه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فإنني قد عجبت لتخلفكم عن إخوانكم وانقطاعكم عن مصركم في هذه المساكن الظالم أهلها، أكثر سكانها لا معروف يأمرون به، ولا منكر ينهون عنه. فقالوا: يا أمير المؤمنين كنا ننتظر أمرك.

فخرج ثم نزل الانبار، فاستقبله دهقان من رؤسائها يقود البراذين في جمع من الدهاقنة وقد اتخذوا له ولاصحابه طعاما وعلفا، فلما استقبلوه ترجّلوا له واشتدوا بين يديه، فقال لهم: ما هذه الدواب التي معكم، وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟ فقالوا: أما ما صنعنا فإنه شيء كنا نعظم به الامراء، وأما هذه البراذين فأهديناها لك، وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاما، وهيينا لدوابكم علفا.

فقال علي عليه السلام: أما هذا الذي زعمتم أنه منكم خلق تعظمون به الامراء، فوالله ما ينفع ذلك الامراء، وإنكم لتشقون على أنفسكم وأبدانكم، فلا تعودوا له، وأما دوابكم هذه فإن أحببتهم أخذناها منكم وحسبناها لكم من خراجكم، وأما الذي صنعتم من الطعام والعلف، فإننا نكره أن نأكل من أموالكم شيئا إلا بثمن.

فقالوا: يا أمير المؤمنين إن لنا من العرب موالي ومعارف، أفتمنعنا أن نهدي لهم؟ وتمنعهم أن يقبلوا هديتنا؟

فقال عليه السلام: وكل العرب لكم موالي ومعارف، ليس أحد من العرب بأحق منكم من أحد، ولست أمنعكم أن تهديوا لمعرفة، ولا لاحد من المسلمين أن يقبل هدية، وإن غضبكم أحد فأعلمونا.

فقالوا: إنا نحب يا أمير المؤمنين أن تقبل كرامتنا، فقال: ويحكم نحن أغنى منكم.^(١)

(١) المعيار والموازنة؛ لأبي جعفر الإسكافي: ١٢٥ ١٣٢.

[الكلام (٤٩)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت) / ٣٢٨هـ في «الكافي» عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن أحمد بن النضر وغيره، عن ذكره، عن عمرو بن ثابت، عن رجل سماه، عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث الاعور قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام خطبة بعد العصر، فعجب الناس من حسن صفته وما ذكره من تعظيم الله جل جلاله، قال أبو إسحاق: فقلت للحارث: أو ما حفظتها؟ قال: قد كتبتها، فأملأها علينا من كتابه:

الحمد الذي لا يموت ولا تنقضي عجائبه، لانه كل يوم في شأن من إحداث بديع لم يكن، الذي لم يلد فيكون في العرّ مشاركا، ولم يولد فيكون موروثا هالكا، ولم تقع عليه الاوهام فتقدره شبعا مائلا، ولم تدركه الابصار فيكون بعد انتقالها حائلا، الذي ليست في أوليته نهاية ولا لآخريته حد ولا غاية، الذي لم يسبقه وقت ولم يتقدمه زمان، ولا يتعاوره زيادة ولا نقصان، ولا يوصف بأين؟ ولا بيم؟ ولا مكان، الذي بطن من خفيات الامور وظهر في العقول بما يرى في خلقه من علامات التدبير، الذي سئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحد ولا ببعض، بل وصفته بفعاله ودلت عليه بآياته، لا تستطيع عقول المتفكرين جحده، لان من كانت السماوات والارض فطرته وما فيهن وما بينهن وهو الصانع لهن، فلا مدفع لقدرته، الذي نأى من الخلق فلا شيء كمثلته، الذي خلق خلقه لعبادته وأقدرهم على طاعته، بما جعل فيهم، وقطع عذرهم بالحجج، فعن بيتة هلك من هلك، وبمنه نجا من نجا، والله الفضل مبدءا ومعيدا، ثم إن الله وله الحمد - افتتح الحمد لنفسه وختم أمر الدنيا ومحل الآخرة بالحمد لنفسه، فقال: «وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» ^(١).

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ١: ١٤١.

وأيضاً عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي»: بالنص الاتي، قال: «الحمد لله اللابس الكبرياء بلا تجسيد، والمردي بالجلال بلا تمثيل، والمستوي على العرش بغير زوال، والمتعالى على الخلق بلا تباعد منهم ولا ملامسة منه لهم، ليس له حد ينتهى إلى حده ولا له مثل فيعرف بمثله، ذلّ من تجبر غيره، وصغر من تكبر دونه وتواضعت الاشياء لعظمته، وانتقادت لسلطانه وعزته، وكلّت عن إدراكه طروف العيون، وقصرت دون بلوغ صفته أوهام الخلائق، الأوّل قبل كل شيء ولا قبل له، والآخر بعد كل شيء ولا بعد له، الظاهر على كل شيء بالقهر له، والمشاهد لجميع الاماكن بلا انتقال اليها، لا تلمسه لامسة ولا تحسّه حاسة، هو الذي في السماء إله وفي الارض إله وهو الحكيم العليم، أتقن ما أراد من خلقه من الاشباح كلها، لا بمثال سبق إليه ولا لغوب دخل عليه في خلق ما خلق لديه، ابتداء ما أراد ابتداءه، وأنشأ ما أراد إنشاءه على ما أراد من الثقلين الجن والانس، ليعرفوا بذلك ربوبيته وتمكن فيهم طاعته. نحمده بجميع محامده كلها على جميع نعمائه كلها، ونستهديه لمرشد امورنا، ونعوذ به من سيئات أعمالنا، ونستغفره للذنوب التي سبقت منا، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، بعثه بالحق نبياً دالاً عليه وهادياً إليه، فهدى به من الضلالة واستنقذنا به من الجهالة» «من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً» ونال ثواباً جزيلاً، ومن يعص الله ورسوله فقد خسر خسراناً مبيناً، واستحق عذاباً اليماً، فأنجعوا بما يحق عليكم من السمع والطاعة، وإخلاص النصيحة، وحسن المؤازرة، وأعينوا على أنفسكم بلزوم الطريقة المستقيمة وهجر الامور المكروهة، وتعاطوا الحق بينكم، وتعاونوا به دوني، وخذوا على يد الظالم السفية، ومروا بالمعروف، وانهاوا عن المنكر، واعرفوا لذوي الفضل فضلهم، عصمنا الله وإياكم بالهدى، وثبتنا وإياكم على التقوى، وأستغفر الله لي ولكم»^(١).

وبالاسناد عن القاضي النعمان بن محمد المغربي في «شرح الأخبار» عن جعفر بن سليمان، باسناده، عن علي عليه السلام أن قوماً ذكروا التشبيه في مجلسه، فزجر القوم،

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ١: ١٤٢.

ونهاهم عن الكلام في ذلك فأمسكوا . ثم قال : الحمد لله الذي بطن بخفيات الأمور ، ودلت عليه أعلام الظهور واستتر بلطفه عن عين البصيرة ، فلا عين من لم يره تنكره ، ولا قلب من أثبتته يبصره ، سبق في العلو فلا شيء أعلا منه ، وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه . فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ، ولا قربيه ساواهم بالمكان به ، لم تطلع العقول على تحديد صفته ، ولم يحجبها السواتر عن يقين معرفته ، فهو الذي تشهد له عين الوجود على إقرار قلب ذي الجحود ، تعالى عما يقول المشبهون به الجاحدون له علواً كبيراً^(١)

(١) شرح الأخبار، للقاظمي النعمان المغربي ٢: ٣١١-٣١٢.

[الكلام (٥٠)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التنخريج: «قوله ﷺ: إنما بدؤ وقوع الفتن ... الخ، هذا من خطبة مروية في روضة الكافي وهو مروي في أصول الكافي أيضاً»^(١).
قال العرشي في التنخريج مائنه: رواها البرقي في كتاب المحاسن والأدب (الورق ٧٩ ب و ٨٤ ألف)، كما رواها الكليني في أصول الكافي (١٣) وكتاب الروضة من فروع الكافي [ج ٣ ص ٢٩]، وعاصم بن حميد في كتابه إبحار الانوار ج ١ ص ١٥٩ و ١٦٦. (انتهى)^(٢).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويّه عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) بالاسناد المتقدم في الخطبة (٤٢)، فراجع.

وبالاسناد عن الشيخ الكليني في «الكافي»، عن الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال جميعاً، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر ﷺ قال: خطب أمير المؤمنين ﷺ الناس فقال: أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولى فيها رجال رجالاً، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجب، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضعف ومن هذا ضعف فيمزجان فيجيئان معاً، فهناك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى^(٣).

ورواه الاسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) رسلاً في «المعيار والموازنة» ص ٢٩١، وبالاسناد الثالث عن الهاروني (ت / ٤٢٤ هـ) في «تيسير المطالب» قال: «أخبرنا أبو عبدالله محمد

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨١.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) الكافي؛ للشيخ الكليني ١: ٥٤.

بن زيد الحسني، قال: اخبرنا الناصر للحق الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه، قال: حدثنا أخي الحسين بن علي عن محمد بن الوليد، عن ابن أبي عمير، عن هشام عن اسماعيل الجعفي، قال: قال لي ابو جعفر محمد بن علي عليهما السلام: خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد ان استخلف بستة أيام، فحمد الله واثني عليه وافاض في الصلاة على رسول الله ﷺ، ثم قال:

أيها الناس، إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى فيها رجال رجالاً، فلو ان الحق خلص لم يكن اختلاف، ولو ان الباطل خلص لم يخف على ذي حجب، ولكن يؤخذ من هذا ضعف ومن هذا ضعف فيميز جان وهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه، دون الذين سبقت لهم من الله الحسنى، اليوم عمل ولا ثواب، ولا عمل كأداء مفاتيح الهدى، بنا نفى الله ريق الذل عن اعناقكم، وبنا يفتح ويختم، لا بكم. والله أيها الناس، لقد أدركت أقواماً كانوا يبيتون سجداً لله وقياماً، كأن صرير النار في آذانهم، واذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة يوم الريح العاصف. ايها الناس، ان الله حدّ حدوداً فلا تعتدوها، وفرض فروضاً فلا تنقصوها، وامسك عن أشياء - لم يمسك عليها نسياناً، بل رحمة من الله لكم - فأقبلوها ولا تكلفوها، حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك، فمن ترك ما اشتبه عليه فهو لما استبأن له اترك، والمعاصي حمي الله، فمن رتع حولها يوشك ان يقع فيها»^(١).

وأيضاً بالاسناد عن الهاروني (ت / ٤٢٤ هـ) في «تيسير المطالب»، قال: «اخبرنا ابو عبدالله احمد بن محمد البغدادي، قال: اخبرنا ابو القاسم عبد العزيز بن اسحاق، قال: حدثني احمد بن الحسين الحربي، قال: حدثنا محمد بن الأزهر الطائي الكوفي، قال: حدثنا سلمة بن عامر عن أبي اسحاق السبيعي، عن الحرث عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: انه خطب فقال:

ألا، فان الحق لو اخلص لم يخف على ذي حجا، ألا وان الباطل لو اخلص لم يخف

(١) تيسير المطالب: ١٩١، ط / ١٣٩٥.

على ذي حجا، ولكنه يؤخذ من هذا ضغت ومن هذا ضغت فيمتزجان فحينئذ استولى الشيطان على حزبه ونجا حزب الله «الذين سبقت لهم منا الحسنى»، ألا وان الباطل خيل شمس ركبها أهلها وأرسلوا أزمته فسارت حتى انتهت بهم نار وقودها الناس والحجارة، ألا وان الحق مطايا ذلل ركبها أهلها واعطوا أزمته فسارت بهم الهوينا حتى اتت ظلاً ظليلاً، فعليكم بالحق فاسلكوا سبيله واعلموا به تكونوا من أهله، ألا وان من خاف حذر، ومن حذر جانب السيئات، ألا وانه من جانب السيئات ادلج الى الخيرات في السراء، ومن أراد سفرأ أعد له زاداً، فأعدوا الزاد ليوم المعاد، واعملوا لجزاء باق، فاني - والله لم ار كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها^(١)

ونقل العلامة المجلسي في البحار عن كتاب عاصم بن حميد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام عن امير المؤمنين صلوات الله عليه قوله: «انما بدء وقوع الفتن... الى آخره». ^(٢)

وروى البرقي في المحاسن عن ابن فضال عن عاصم بن حميد بنفس السند والنص المتقدمان ^(٣)

(١) تيسير المطالب: ١٨٩، ط / ١٣٩٥.

(٢) بحار الانوار ٢: ٢٩١.

(٣) بحار الانوار ٢: ٣١٥.

[الخطبة (٥١)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله عليه السلام قد استطعموكم القتال في شرح انفاضل حدث عمرو بن شر عن جابر قال خطب علي عليه السلام يوم الماء فقال: «أما بعد فإن القوم قد بدوكم بالظلم وفاتحوكم بالبغي واستقبلوكم بالعدوان وقد استطعموكم القتال حيث منعوكم الماء، فاقروا على مذلة وتأخير مهلة...الفصل الى آخره».^(١)

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفين ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٠».^(٢)

قال الجلالى: لم أجدها في المطبوعة، وأنّ المنقول عن نصر هو مجرد الواقعة، لا الخطبة.

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٠.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

[الخطبة (٥٢)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: قوله عليه السلام: «إن الدنيا قد تصرمت ... الى آخره». وقوله عليه السلام بعد: ومن كمال الاضحية ... الخ ؛ ملتقط من خطبة طويلة خطبها عليه السلام يوم الاضحى وقد رواها الشيخ في المصباح وهي بسندها مذكورة فيه مع اختلاف في الالفاظ بين رواية السيد هنا وبين رواية الشيخ هناك.^(١)

قال الجلالى: وقد تقدم الاسناد الى المقاطع في الخطبة (٤٥)، فليراجع.

وبالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في «الأمالى»: قال: أخبرني أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال: أخبرنا أحمد بن محمد المكي قال: حدثنا أبو العيناء، عن محمد بن الحكم، عن لوط بن يحيى، عن الحارث بن كعب، عن مجاهد قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ازهدوا في هذه الدنيا التي لم يتمتع بها أحد كان قبلكم، ولا تبقى لاحد من بعدكم، سبيلكم فيها سبيل الماضين، قد تصرمت، وأذنت بانقضاء، وتنكر معروفها، فهي تخبر أهلها بالفناء، وسكانها بالموت. وقد أمر منها ما كان حلوا، وكدر منها ما كان صفوا، فلم تبق منها إلا سملة كسملة الاداوة، أو جرعة كجرعة الاناء، لو تمزّزها العطشان لم ينقع بها. فأزمعوا بالرحيل عن هذه الدار المقدور على أهلها الزوال، الممنوع أهلها من الحياة، المذللة فيها أنفسهم بالموت، فلا حي يطمع في البقاء، ولا نفس إلا مدعنة بالمنون، ولا يعللكم الامل، ولا يطول عليكم الامد، ولا تغرّوا منها بالآمال. ولو حننتم حنين الوله العجال، ودعوتم مثل حنين الحمام، وجأرتم جأر متبتل الرهبان، وخرجتم إلى الله تعالى من الاموال والاولاد التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده، أو غفران سيئة أحصتها كتبته، وحفظتها ملائكته، لكان قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه، وأتخوف عليكم من عقابه. جعلنا الله وإياكم من التائبين العابدين

خطب أمير المؤمنين / الخطبة (٥٢) ٥٦٥

(١)

[الخطبة (٥٣)]

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن الصدوق (ت / ٣٨١هـ) قال في من لا يحضره الفقيه: وخطب أمير المؤمنين عليه السلام في عيد الاضحى فقال: «الله أكبر، الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، وله الشكر فيما أولانا، والحمد لله على ما رزقنا من بهيمة الانعام. وكان علي عليه السلام يبدأ بالتكبير إذا صلى الظهر من يوم النحر، وكان يقطع التكبير آخر أيام التشريق عند الغداة، وكان يكبر في دبر كل صلاة فيقول: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد» فإذا انتهى إلى المصلى تقدم فصلّى بالناس بغير أذان ولا إقامة، فإذا فرغ من الصلاة صعد المنبر، ثم بدأ فقال:

الله أكبر، الله أكبر الله أكبر زنة عرشه ورضى نفسه وعدد قطر سمائه وبحاره، له الاسماء الحسنى، والحمد لله حتى يرضى، وهو العزيز الغفور، الله أكبر كبيرا متكبيرا، وإلهها متعززا، ورحيما متحننا يعفو بعد القدرة، ولا يقنط من رحمته إلا الضالون، الله أكبر كبيرا، ولا إله إلا الله كثيرا، وسبحان الله حنانا قديرا، والحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونشهد أن لا إله إلا هو، وأن محمدا عبده ورسوله، من يطع الله ورسوله فقد اهتدى وفاز فوزا عظيما، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله وكثرة ذكر الموت، والزهد في الدنيا التي لم يتمتع بها من كان فيها قبلكم، ولن تبقى لأحد من بعدكم، وسبيلكم فيها سبيل الماضين، ألا ترون أنها قد تصرمت وأذنت بانقضاء، وتنكر معروفها، وأدبرت حذاء فهي تخبر بالفناء، وساكنها يحدى بالموت، فقد أمر منها ما كان حلوا، وكدر منها ما كان صفوا، فلم يبق منها إلا سلمة كسلمة الاداوة، وجرعة كجرعة الاناء، ولو يتميزها الصديان لم تنفع غلته، فأزمعوا عباد

الله بالرحيل من هذه الدار المقدور على أهلها الزوال ، الممنوع أهلها من الحياة ، المذلة أنفسهم بالموت ، فلا حي يطمع في البقاء ، ولا نفس إلا مدعنة بالمنون ، فلا يغلبكم الامل ، ولا يطل عليكم الامد ، ولا تغتروا فيها بالآمال ، وتعبدوا الله أيام الحياة ، فوالله لو حننتم حنين الواله العجلان ، ودعوتهم بمثل دعاء الانام ، وجأرتهم جوار متبتل الرهبان ، وخرجتم إلى الله من الاموال والاولاد التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده أو غفران سيئة أحصتها كتبته وحفظتها رسله لكان قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه وأتخوف عليكم من أليم عقابه ، وبالله ، لو انما ثقت قلوبكم انميائا وسالت عيونكم من رغبة إليه ورهبة منه دما ، ثم عمرتم في الدنيا ما كانت الدنيا باقية ما جزت أعمالكم ولو لم تبقوا شيئا من جهدكم لنعمه العظام عليكم وهداه إياكم إلى الايمان ما كنتم لتستحقوا أبد الدهر ما الدهر قائم بأعمالكم جنته ولا رحمته ، ولكن برحمته ترحمون وهداه تهتدون ، وبهما إلى جنته تصيرون ، جعلنا الله وإياكم من التائبين العابدين .

وإن هذا يوم حرمة عظيمة وبركته مأمولة ، والمغفرة فيه مرجوة ، فأكثرُوا ذكر الله تعالى واستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم .

ومن ضحى منكم بجذع من المعز فإنه لا يجزي عنه ، والجذع من الضأن يجزي . ومن تمام الاضحية استشراف عينها وأذنها وإذا سلمت العين والاذن تمت الاضحية ، وإن انت عضباء القرن أو تجر برجليها إلى المنسك فلا تجزي . وإذا ضحيتكم فكلوا وأطعموا واهدوا واحمدوا الله على ما رزقكم من بهيمة الانعام وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأحسنوا العبادة ، وأقيموا الشهادة وارغبوا فيما كتب عليكم وفرض من الجهاد والحج والصيام ، فإن ثواب ذلك عظيم لا ينفد ، وتركه وبال لا يبيد ، وأمروا بالمعروف ، وإنهوا عن المنكر ، وأخيفوا الظالم ، وانصروا المظلوم ، وخذوا على يد المريب ، وأحسنوا إلى النساء وما ملكت أيمانكم ، واصدقوا الحديث ، وأدّوا الامانة ، وكونوا قوامين بالحق ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، إن أحسن الحديث ذكر الله ، وأبلغ موعظة المتقين كتاب الله ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد .

الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد . » ويقراً « قل يا أيها الكافرون... » إلى آخرها ، أو « الهيكم التكاثر... » إلى آخرها أو « والعصر » ، وكان مما يدوم عليه « قل هو الله أحد » ، فكان إذا قرأ إحدى هذه السور جلس جلسة كجلسة العجلان ، ثم ينهض ، وهو ﷺ كان أول من حفظ عليه الجلسة بين الخطبتين ، ثم يخطب بالخطبة التي كتبناها بعد الجمعة .^(١)

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠) عن أبي مخنف باسناده ، وقد ذكره في الفهرست بقوله : « لوط بن يحيى ، يكنى أبا مخنف ، من اصحاب امير المؤمنين ﷺ ، ومن اصحاب الحسن والحسين ﷺ ، على ما زعم الكشي ، والصحيح ان اباه كان من اصحاب علي ﷺ ، وهو لم يلقه . له كتب كثيرة في السير ، منها : كتاب مقتل الحسين ﷺ ، وكتاب اخبار المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، وكتاب مقتل محمد بن أبي بكر ﷺ ، وكتاب مقتل عثمان ، وكتاب الجمل ، وكتاب صفين ، وغير ذلك من الكتب ، وهي كثيرة . اخبرنا بها أحمد بن عبدون والحسين بن عبيد الله جميعاً ، عن أبي بكر الدوري ، عن القاضي أبي بكر احمد بن كامل ، عن محمد بن موسى بن حماد ، عن ابن أبي السري محمد ، قال : اخبرنا هشام بن محمد الكلبي ، عنه . وله كتاب خطبة الزهراء عليها السلام ، اخبرنا بها احمد بن محمد بن موسى ، عن ابن عقدة ، عن يحيى بن زكريا بن شيبان ، عن نصر بن مزاحم ، عن مخنف ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن ابيه ، قال : خطب امير المؤمنين ﷺ وذكر الخطبة بطولها . »^(٢)

وعن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في « مصباح المتعبد » في خطبة يوم الأضحى ، قال : روى أبو مخنف ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه : أن علياً ﷺ خطب يوم الأضحى ، فكبر ، وقال : الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر ، والله الحمد الله أكبر على ما هدانا ، وله الشكر على ما أبلانا ، والحمد لله على ما رزقنا من بهيمة الانعام

(١) من لا يحضره الفقيه ؛ للشيخ الصدوق ١ : ٥١٧ - ٥٢٢ ، الحديثان ١٤٨٣ و ١٤٨٤ .

(٢) الفهرست : ١٥٦ ، ط / النجف ، سنة ١٣٨١ هـ .

، الله أكبر زنة عرشه ورضا نفسه ومداد كلماته وعدد قطر سماواته، ونطف بحوره، له الأسماء الحسني، وله الحمد في الآخرة والأولى حتى يرضى ويعد الرضى، إنه هو العلي الكبير ، الله أكبر كبيرا متكبرا، وإلهها عزيزا متعززا، ورحيما عظوفا متحننا، يقبل التوبة ويقيّل العثرة، ويعفو بعد القدرة ، ولا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون. الله أكبر كبيرا، ولا إله إلا الله مخلصا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، والحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، من يطع الله ورسوله فقد اهتدى وفاز فوزا عظيما، ومن يعصهما فقد ضل ضلالا بعيدا .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله وكثرة ذكر الموت، وأحذركم الدنيا التي لم يمتنع بها أحد قبلكم ولا بقي لأحد بعدكم ، فسبيل من فيها سبيل الماضين من أهلها ، ألا وإنها قد تصرمت واذنت بانتقضاء وتكرّ معروفةا وأصبحت مدبرة مولية، فهي تهتف بالفناء وتصرخ بالموت، قد أمرّ منها ما كان حلوا، وكدر منها ما كان صفوا، فلم يبق منها إلا شفاقة كشفافة الاناء، وجرعة كجرعة الاداوة، لو تمزّزها الصديان لم تنقع غلته، فأزمعوا عباد الله على الرحيل عنها وأجمعوا متاركتها فما من حيّ يطمع في بقاء ولا نفس إلا وقد أذعنت للمنون ولا يغلبنكم الامل ، ولا يطل عليكم الامل فتقسو قلوبكم، ولا تغتروا بالمنى وخدع الشيطان وتسويفه ، فإن الشيطان عدوكم حريص على إهلاككم ، تعبّدوا لله عباد الله أيام الحياة، فوالله لو حننتم حنين الواله المعجال، ودعوتكم دعاء الحمام وجأرتكم جوار مبتلي الرهبان، وخرجتم إلى الله عزوجل من الأموال والأولاد التماس القربة إليه في ارتفاع درجة وغفران سيئة أحصتها كتبته وحفظتها رسله لكان قليلا فيما ترجون من ثوابه وتخشون من عقابه ، وتالله لو انماثت قلوبكم انميّا وسالت من رهبة الله عيونكم دما ثم عمرتم عمر الدنيا على أفضل اجتهاد وعمل ، ما جزت أعمالكم حق نعمة الله عليكم ولا استحققتكم الجنة بسوى رحمة الله ومّنه عليكم ، جعلنا الله وإياكم من المقسطين التائبين الأوّابين .

ألا وإن هذا اليوم يوم حرّمته عظيمة وبركته مأمولة، والمغفرة فيه مرجوة، فأكثرُوا ذكر

الله وتعرضوا لثوابه بالتوبة والانابة والخضوع والتضرع، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وهو الرحيم الودود، ومن ضحى منكم فليضحّ بجذع من الضأن، ولا يجزئ عنه جذع من المعز، ومن تمام الأضحية استشراف أذنيها وسلامة عينيها، فإذا سلمت الأذن والعين سلمت الأضحية وتمت، وإن كانت عضباء القرن، تجر رجلها إلى المنسك، فإذا ضحيتم فكلوا منها وأطعموا وأدّخروا واحمدوا الله على ما رزقكم من بهيمة الانعام، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأحسنوا العبادة، وأقيموا الشهادة بالقسط، وارغبوا فيما كتب الله لكم، وأدّوا ما افترض عليكم من الحج والصيام والصلاة والزكاة ومعالم الايمان؛ فإن ثواب الله عظيم وخيره جسيم، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وأعينوا الضعيف، وانصروا المظلوم، وخذوا فوق يد الظالم أو المريب، وأحسنوا إلى نساءكم وما ملكت أيمانكم، واصدقوا الحديث وأدّوا الأمانة، وأوفوا بالعهد، وكونوا قوامين بالقسط وأوفوا الكيل والميزان، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، إن أبلغ الموعظة وأحسن القصص كلام الله.

ثم تعوّذ قرأ سورة الاخلاص، وجلس كالرائد العجلان، ثم نهض، فقال: الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه... وذكر باقي الخطبة القصيرة نحواً من خطبة الجمعة. (١)

ومن الشواهد: بالاسناد عن الدارقطني (ت / ٣٨٥ هـ) بالاسناد عن أبي حُجبة بن عدي عن علي في حديث: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والاذن [الحديث]. قال: تفرد به يزيد بن مروان عن داود بن الزبرقان عن محمد بن جحادة عن سلمة بن كهيل عنه. ورواه رقية بن مصقلة عن سلمة وتفرد به أبو حمزة الشكري. ورواه محمد بن عبيد الله عن سلمة. (٢)

وفي الهامش ما يلي: الحديث أخرجه عن علي أبو داود (٣: ٩٧) كتاب: الأضاحي

(١) مصباح المتعبد؛ للشيخ الطوسي: ٦٦٢ - ٦٦٥.

(٢) أطراف الغرائب والافراد ١: ٨٦، ط / ١٤١٩ هـ.

باب: ما يكره من الضحايا رقم (٢٨٠٤)، والترمذي (٤: ٨٦) ٢٠- كتاب: الأضاحي ٦-
 باب: ما يكره من الأضاحي رقم (١٤٩٨) وقال: حسن صحيح، النسائي (٧: ٢١٧) كتاب:
 الضحايا باب: الشرقاء وهي مشقوقة الأذن، ابن ماجه (١: ٩٥، ١٠٥، ١٢٥، ١٥٢) كتاب:
 الأضاحي باب: ما يكره أن يضحي به رقم (٣١٤٣)، أحمد بن حنبل في مسنده (١):
 (١٥٢)، البيهقي (٩: ٢٧٥) كتاب: الضحايا باب: ما ورد النهي عن التضحية به، الحاكم في
 المستدرك (١: ٤٦٨) كتاب: المناسك وأيضاً في الأضاحي (٤: ٢٢٤) وقال الحاكم:
 صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ابن الجارود في المنتقى (ص ٣٠٣) رقم
 (٩٠٦) باب: ما جاء في الضحايا، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤: ١٦٩) كتاب:
 الصيد والذبائح والأضاحي باب: العيوب التي لا تجوز.

وقال المزي (ت / ٧٤٢هـ): «شريح بن النعمان الصائدي الكوفي، عن علي. دت س ق:
 حديث: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن... الحديث.

د: في الأضاحي (٢٨٠٤) عن النفيلي، عن زهير، عن أبي إسحاق، عن شريح بن
 النعمان، وكان رجل صدق، به.

ت: فيه (١٤٩٨) عن الحسن بن علي الحلواني، عن يزيد بن هارون، عن
 شريك. (١٤٩٨ م) عن الحسن بن علي، عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل؛ كلاهما عن
 أبي إسحاق نحوه، وقال: حسن صحيح.

س: فيه ٧: ٢١٦ (٤٤٦٢) عن محمد بن آدم، عن عبدالرحيم بن سليمان، عن زكريا
 بن أبي زائدة. و٧: ٢١٦ (٤٤٦٣) عن أبي داود الحراني، عن الحسن بن محمد بن أعين،
 عن زهير؛ كلاهما عن أبي إسحاق، به، وزاد: وأن لا نضح بعوراء ولا مقابلة ولا مدابرة
 ولا شرقاء ولا خرقاء. و٧: ٢١٧ (٤٤٦٤) عن أحمد ابن ناصح، عن أبي بكر بن عياش.
 و٧: ٢١٧ (٤٤٦٥) عن هارون بن عبدالله، عن شجاع بن الوليد، عن زياد بن خيثمة؛
 كلاهما عن أبي إسحاق، بالزيادة دون المزيد عليه.

ق: فيه (٣١٤٢) عن محمد بن الصباح، عن أبي بكر بن عياش نحوه.

وفي الهامش ما يلي: «أخرجه أحمد ١: ٨٠ و ١٠٨ و ١٢٨ و ١٤٩، والدارمي (١٩٥٨). وانظر المسند الجامع ١٣: ١٥ حديث (١٠٢٠٧).^(١)

وقال: فائدة، قال الإمام الدارقطني في «العلل» ٣ (السؤال ٣٨٠): «لم يسمع هذا الحديث أبو إسحاق من شريح. حدث به أبو كامل مظفر بن مدرك، عن قيس بن الربيع، قال: قلت لأبي إسحاق: سمعته من شريح؟ قال: حدثني ابن أشوع عنه (أخرجه الحاكم ٤: ٢٢٤). ورواه الجراح بن الضحاك عن أبي إسحاق عن سعيد بن أشوع، سمعه منه مرفوعاً. ورواه الثوري عن ابن أشوع، عن شريح، عن علي موقوفاً. ويشبه أن يكون القول الثوري، والله أعلم».

وبالاسناد عن ابن كثير (ت / ٧٧٤ هـ) قال: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن سلمة، عن حجر [بن عدي الكندي] عن علي [بن أبي طالب] قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن.^(٢)

حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن حجية قال: سأل رجل علياً عن البقرة؟ فقال: عن سبعة، فقال: مكسورة القرن؟ فقال: لا يضرك، قال: العرجاء؟ قال: إذا بلغت المنسك فاذبح، أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن.^(٣)

حدثنا عفان حدثنا شعبة قال: سلمة بن كهيل أنبأني، قال: سمعت حجية بن عدي، رجلاً من كندة، قال: سمعت رجلاً سأل علياً قال: إني اشتريت هذه البقرة للأضحى؟ قال: عن سبعة، قال: القرن؟ قال لا يضرك، قال: العرج؟ قال: إذا بلغت المنسك فانحر، ثم قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن.^(٤)

حدثنا عبد الرحمن عن سفيان وشعبة وحماد بن سلمة عن سلمة بن كهيل عن حجية بن عدي: أن رجلاً سأل علياً عن البقرة؟ فقال: عن سبعة، قال: القرن؟ قال: لا يضرك، قال:

(١) تحفة الاشراف ٧: ٤٧، ط / ١٤٠٥ هـ.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (١: ٩٥)، وطبعة شاكر رقم (٧٣٢)، وإسناده صحيح.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (١: ٩٥)، وطبعة شاكر رقم (٧٣٤)، وإسناده صحيح.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (١: ١٠٥)، وطبعة شاكر رقم (٨٢٦)، وإسناده صحيح.

فالعرجاء؟ قال: إذا بلغت المنسك، قل: وأمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن.^(١)
حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سلمة بن كهيل قال: سمعت حجية بن عدي
قال: سمعت علي بن أبي طالب وسأله رجل، فذكر الحديث.^(٢)

حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سلمة بن كهيل قال سمعت حجية بن عدي
قال: سمعت علي بن أبي طالب وسأله رجل عن البقرة؟ فقال: عن سبعة، وسأله عن
الأعرج؟ فقال: إذا بلغت المنسك، وسئل عن القرن؟ فقال: لا يضره، وقال علي: أمرنا
رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن.^(٣)

حدثنا بهز بن أسد حدثنا حماد بن سلمة أنا سلمة بن كهيل عن حجة بن عدي: ان
علياً سئل عن البقرة؟ فقال: عن سبعة، وسئل عن العرج؟ فقال: إذا بلغت المنسك، ثم قال:
أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العينين والأذنين.^(٤)

رواه الترمذي في الأضاحي عن علي بن حجر، عن شريك، عن سلمة ابن كهيل، عنه
به. وقال: حسن صحيح، وقد رواه الثوري، عن سلمة ابن كهيل.

والنسائي في (الضحايا) عن محمد بن عبد الأعلى، عن خالد، عن شعبة، عن سلمة به
- مختصراً كما ههنا.

وابن ماجة (الأضاحي) عن عثمان بن أبي شيبة، عن وكيع بن الجراح، عن سفيان
الثوري، عن سلمة به.

حدثنا سعيد بن منصور حدثنا إسماعيل بن زكريا عن حجاج بن دينار عن الحكم عن
حجية بن عدي عن علي: أن العباس بن عبد المطلب سأل النبي ﷺ في تعجيل صدقته
قبل أن تحل، فرخص له في ذلك.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١: ١٢٥)، وطبعة شاكر رقم (١٠٢١)، وإسناده صحيح.
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند في موضع الحديث السابق، وطبعة شاكر رقم (١٠٢٢) إسناده
صحيح، وهو مكرر ما قبله.
(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند (١: ١٥٢)، وطبعة شاكر (١٣٠٨)، وإسناده صحيح.
(٤) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند (١: ١٥٣)، وطبعة شاكر (١٣١١)، وإسناده صحيح.

رواه أبو داود في الزكاة عن سعيد بن منصور، عن إسماعيل بن زكريا، عن الحجاج بن دينار، عن الحكم، عن حجية به. وقال: رواه هشيم، عن منصور بن زاذان، عن الحكم، عن الحسن بن مسلم، عن النبي ﷺ - وحديث هشيم أصح.

والترمذي فيه (الزكاة) عن عبدالله بن عبد الرحمن.

وابن ماجة فيه (= الزكاة) عن محمد بن يحيى - كلاهما عن سعيد بن منصور به. (١)

حدثنا أبو بكر بن عياش حدثنا أبو اسحاق عن شريح بن النعمان الهمداني عن علي بن أبي طالب قال: نهى رسول الله ﷺ أن يضحي بالمقابلة أو بمدبرة أو شرقاء أو خرقاء أو جدعاء.

حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو اسحاق عن شريح بن النعمان. قال أبو اسحاق: وكان رجل صدق، عن علي قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن، وأن لا نضحي بعوراء ولا مقابلة ولا مدبرة ولا شرقاء ولا خرقاء. قال زهير: قلت لأبي اسحاق: أذكر عضباء؟ قال: لا، قلت: ما المقابلة؟ قال: يقطع طرف الأذن، قلت: ما المدبرة؟ قال: يقطع مؤخر الأذن، قلت: ما الشرعاء؟ قال: تشق الأذن، قلت: ما الخرقاء؟ قال: تخرق أذن السمة.

حدثنا وكيع عن إسرائيل وعلي بن صالح عن أبي اسحاق عن شريح بن النعمان عن علي قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن، ولا نضحي بشرعاء ولا خرقاء ولا مقابلة ولا مدبرة.

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا زهير أنبأنا أبو اسحاق عن شريح بن النعمان، قال: وكان رجل صدق، عن علي قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن، وأن لا نضحي بعوراء ولا مقابلة ولا مدبرة ولا شرقاء ولا خرقاء، قال زهير: فقلت لأبي اسحاق: أذكر عضباء؟ قال: لا، قلت: ما المقابلة؟ قال: هي التي يقطع طرف أذنها، قلت: فالمدبرة؟ قال: التي يقطع مؤخر الأذن، قلت: ما الشرعاء؟ قال: التي يشق أذنها. قلت: فما الخرقاء؟ قال:

(١) جامع المسانيد ١٩: ١٥٢ - ١٥٥، ط / ١٤١٥ هـ.

التي تخرق أذنها السمة.

رواه أبو داود في الأضاحي عن النفيلى، عن زهير، عن أبي إسحاق، عن شريح بن النعمان - وكان رجل صدق - به.

والترمذي فيه (=الأضاحي) عن الحسن بن علي الحلواني، عن يزيد بن هارون، عن شريك - وعن الحسن بن علي، عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل - كلاهما عن أبي إسحاق نحوه، وقال: حسن صحيح.

والنسائي فيه (الضحايا) عن محمد بن آدم، عن عبد الرحيم بن سليمان، عن زكريا بن أبي زائدة - وعن أبي داود الحراني، عن الحسن ابن محمد بن أعين، عن زهير - كلاهما عن أبي إسحاق به - وزاد: وأن لا نضحى بعوراء ولا مقابلة ولا مدبرة ولا شرقاء ولا خرقاء. عن أحمد ابن ناصح، عن أبي بكر بن عياش - وعن هارون بن عبد الله، عن شجاع بن الوليد، عن زياد بن خيثمة - كلاهما عن أبي إسحاق - بالزيادة دون المزيد عليه.

وابن ماجة فيه (=الأضاحي) عن محمد بن الصباح، عن أبي بكر بن عياش نحوه.^(١) وبالإسناد إلى ابن حجر العسقلاني (ت / ٨٥٢ هـ) في حديث: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن... الحديث. مانصّه: «مي: في الأضاحي، أنا أبو الوليد، ثنا شعبة، عن سلمة بن كهيل، سمعت حجية بن عدي، به.

خز: في الحج: ثنا محمد بن عبد الأعلى، ثنا خالد بن الحارث. (ح) وثنا محمد بن بشار، ثنا محمد - يعني غندراً - قالاً: ثنا شعبة (ح) وثنا أبو موسى، ثنا عبد الرحمن، عن سفيان وشعبة، عن سلمة بن كهيل، سمعت حجية، بهذا. لفظة: محمد بن عبد الأعلى - وعن محمد بن معمر، عن وهب بن جرير، حدثني أبي، عن أبي إسحاق، عن سلمة بن كهيل، نحوه. وفيه قصة. ليس في السماع.

طح: في الصيد والذبائح: عن يونس، عن ابن وهب، أخبرني سفيان الثوري، به. وعن فهد، ثنا أبو نعيم، ثنا حسن بن صالح. وعن فهد، عن محمد بن سعيد، عن شريك، قالاً: عن

(١) جامع الاساتيد ١٩: ٢٤١ - ٢٠٤٣، ط / ١٤١٥ هـ.

سلمة بن كهيل، به.

حب: في السادس والثمانين من الأول: أنا الفضل بن الحباب، ثنا محمد بن كثير، أنا الثوري، به.

كم: في أواخر الحج: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن عبيد الله بن المنادي، ثنا وهب بن جرير، به. وبه عن وهب بن جرير وأبي النضر، قالوا: ثنا شعبة، به. وعن أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا محمد بن جعفر غندر، به. وفي الأضاحي: أنا أبو بكر بن عتاب، ثنا يحيى بن جعفر، ثنا وهب بن جرير، به. وعن محمد بن عبد الله الصفار، ثنا أسيد بن عاصم، ثنا الحسين بن حفص، عن سفيان، به. وعن علي بن حمشاذ، ثنا إسماعيل بن إسحاق، ثنا أبو الوليد الطيالسي وأبو عمر الحوضي، قالوا: ثنا شعبة، به. وقال: هذه الأسانيد صحيحة، إلا أنهما لم يحتجا بحجية بن عدي وهو من كبار أصحاب علي بن أبي طالب. انتهى.

رواه أحمد: ثنا وكيع، عن سفيان، عن سلمة، به. وعن عفان ومحمد جعفر، كلاهما عن شعبة، به. وعن عبد الرحمن، عن سفيان وشعبة وحمام سلمة. وعن بهز، عن حماد بن سلمة، كلهم عن سلمة بن كهيل، به. (١)

وعن ابن حجر أيضا (ت / ٨٥٢ هـ) أيضا في حديث: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن... الحديث. مانصّه: «مي في الاضاحي: أنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عنه، به.

طح: في الذبائح: عن محمد بن بحر بن مطر، عن شجاع بن الوليد، عن زياد ابن خيثمة. عن روح بن الفرج، عن عمرو بن خالد، عن زهير. وعن سليمان بن شعيب، عن علي بن معبد، ثنا أبو بكر بن عياش، ثلاثتهم عن أبي إسحاق، به.

كم: فيه: أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا سعيد بن مسعود، ثنا عبيد الله بن موسى، به. وفيه التفسير من قول إسحاق. وقال: صحيح. وعن أحمد بن كامل القاضي، ثنا

(١) اتحاف المهرة ١١: ٣٣٦، ط / ١٤١٧ هـ.

أبو إسحاق، به. قال قيس: فقلت لأبي إسحاق: أسمعته من شريح؟ قال: حدثني ابن أشوع،
عنه. قال الحاكم: أظن الشيخين، أعرضا عن هذا الحديث لهذه الزيادة، إلا أنهما لم يحتجا
بقيس بن الربيع، فكيف يعللان به الخبر الذي يرويه من هو أوثق منه؟! انتهى.

رواه أحمد: ثنا وكيع، عن إسرائيل. وعن علي بن صالح، عن أبي إسحاق، عنه، به.
وفيه: «ولا يضحى بشرقاء ولا خرقاء ولا مقابلة ولا مدابة». وعن أبي بكر بن عياش،
عن أبي إسحاق، نحوه. ولم يذكر أوله. وعن حسن بن موسى ويحيى بن أبي بكر، كلاهما
عن زهير، ثنا أبو إسحاق، عن شريح بن النعمان وكان رجل صدق مثل حديث إسرائيل،
وزاد: قال زهير: فقلت: لأبي إسحاق أذكر عضباء؟ قلت: ما المقابلة؟ فذكر الشرح.^(١)

(١) اتحاف المهرة ١١: ٤١٨، ط / ١٤١٧ هـ.

[الخطبة (٥٤)]

ليس للعرشي تخريج في هذا الموضع.
قال الجلالي: وقد تقدم الاسناد الى مقاطع منها في الخطبة رقم (٢٦) عن السيد رضي الدين بن طاوس باسناده، فليراجع.

[الخطبة (٥٥)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن أبي الفرج الاصفهاني (ت / ٣٥٦ هـ) في مقاتل الطالبين قال: حدثني محمد بن الحسين الاشعري. قال: حدثني إسماعيل بن موسى. قال: حدثني رجل، عن سفيان بن عيينة، عن جعفر بن محمد قال: حدثني امرأة منا قالت: رأيت الاشعث بن قيس دخل على علي عليه السلام فأغلظ له علي، فعرض له الاشعث بأن يفتك به. فقال له علي عليه السلام: إيا الموت تهددني؟ فوالله ما أبالي وقعت على الموت، أو وقع الموت عليّ.
حدثني أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمل الصيرفي بهذين الحديثين، عن فضل المصري عن إسماعيل [ابن بنت السدي] (١).
وبالاسناد عن العلامة المجلسي (ت / ١١١١ هـ) في بحار الأنوار عن عيون الأخبار: المفسر باسناده إلى أبي محمد العسكري عن آبائه عليه السلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ما الاستعداد للموت؟ قال: أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والاشتغال على المكارم، ثم لا يبالي إن وقع على الموت أو وقع الموت عليه، والله ما يبالي إن وقع على الموت أو وقع الموت عليه. (٢)

(١) مقاتل الطالبين؛ لابي الفرج الاصفهاني: ٢٠.

(٢) بحار الأنوار؛ للعلامة المجلسي ٤١: ٧.

[الكلام (٥٦)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ ولقد كنا مع رسول الله نقتل آباءنا... إلى آخره»، قيل: إن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين ﷺ في قصة ابن الحضرمي، وقيل أنه صدر منه يوم صفين حين أقر بالصلح، وأوله: إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى حق ولا ليحيبوا إلى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر... إلى آخر ما ذكر من كلامه المتصل بقوله: «ولقد كنا مع رسول الله ﷺ».^(١)

وقال العرشي في التخريج مانصه: رواها ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفين (٢٨٣) والشيخ المفيد في الارشاد (١٥٥)^(٢) قال الجاللي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه عن نصر بن مزاحم المنقري في «وقعة صفين» بالاسناد عن عمر بن سعد، عن إسحاق بن يزيد، عن الشعبي، أن عليا قال: يوم صفين حين أقر الناس بالصلح: إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحق، ولا ليحيبوا إلى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر، وحتى يرحموا بالكتائب تفقوها الجلائب، وحتى يجز ببلادهم الخميس يتلوه الخميس، وحتى يدعوا الخيل في نواحي أرضهم وبأحناء مساربهم ومسارحهم، وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج، وحتى يلقاتهم قوم صدق صبر، لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلهم وموتاهم في سبيل الله إلا جدا في طاعة الله، وحرصا على لقاء الله. ولقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيمانا وتسليما ومضيا على أمض الألم، وجدا على جهاد العدو، والاستقلال بمبارزة الأقران. ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقى صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا. فلما رأنا الله صبورا صدقا أنزل الله بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر. ولعمري لو كنا نأتى مثل الذين أتيتم ما قام الدين ولا عز الإسلام. وإيم الله لتحلبنها دما، فاحفظوا ما أقول لكم - يعني الخوارج.^(٣)

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨١.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) وقعة صفين؛ لنصر بن مزاحم المنقري: ٥٢٠ - ٥٢١.

[الكلام (٥٧)]

قال العرشي في التخريج مانصه: رواها الكليني في اصول الكافي (٢٠٧) والشقي في كتاب الغارات باختلاف ضئيل [ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٠٣] وشيخ الطائفة في الامالي (١٣١ و ٢٣٢) والامام ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى ٤٠٥ هـ (١٠١٤ م) في المستدرک [ج ٢ ص ٣٥٨] والشيخ المفيد في الارشاد (١٨٤).^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما رواه البلاذري (ت / ٢٧٩ هـ) في «أنساب الأشراف»، قال ما لفظه: حدثنا أبو قلابة الرقاشي، حدثنا أبو عاصم النبيل، حدثنا هشام ابن حسان، عن محمد بن سيرين: عن مولى لعلي قال: قال علي: «يهلك في رجلا ن: محب مفرط، ومبغض مفرط».

وحدثت عن يونس بن أرقم، عن أبيه، عن شهاب مولى علي عليه السلام بمثله، وزاد فيه: «وإنكم مستعرضون علي سبي والبراءة مني، أما السب فسيوئي ولا تبرؤا مني».^(٢)

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) أنساب الأشراف؛ للبلاذري: ١١٩. هذا وقال الشيخ الانصاري في «رسائل فقهية» ص ١٠٠، في أخبار التقية: ثم لا بأس بذكر بعض الاخبار الواردة مما اشتمل على بعض الفوائد، منها: ما عن الاحتجاج بسنده عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في بعض الرواية، احتجاجه على بعض، وفيه: «وأمر أن تستعمل التقية في دينك فإن الله عز وجل يقول: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ وقد أذنت لك في تفضيل أعدائنا إن ألجأك الخوف إليه، وفي إظهار البراءة منا إن حملك الوجل عليه، وفي ترك المكتوبات إن خشيت على حشاشتك الآفات والعاهات، وتفضيلك أعداءنا عند خوفك، لا ينفعهم ولا يضرنا، وإن إظهار براءتك عند تقيتك لا يقدر علينا، ولئن تبرأت منا ساعة بلسانك وأنت موال لنا بجنانك، لثبقي على نفسك روحها التي بها قوامها، ومالها الذي به قيامها، وجاها الذي به تمكنها، وتصون بذلك من عرف من أوليائنا وإخواننا، فإن ذلك أفضل من أن تتعرض للهلاك، وتنقطع به عن عمل في الدين، وصلاح إخوانك المؤمنين، وإياك ثم إياك أن تترك التقية التي أمرت بها، فإنك شاحط بدمك ودماء إخوانك، معرض لنفسك ولنفسهم للزوال، مدل لهم في أيدي أعداء الدين وقد أمرك الله بإعزازهم، فإنك إن خالفت وصيتي كان ضررك على إخوانك ونفسك أشد من ضرر الناصب لنا الكافر بنا». وفيها دلالة على أرجحية اختيار البراءة على العمل، بل تؤكد وجوبه. لكن في أخبار كثيرة خلاف ذلك؛ للرواية عن أمير

وبالاسناد عن ابراهيم بن محمد الثقفي (ت / ٢٨١ هـ) في «الغارات»، باسناده عن عبد الله بن الحارث بن سليمان عن أبيه قال: قال علي عليه السلام: «لا أرى هؤلاء القوم إلا ظاهرين عليكم بتفرقكم عن حقكم واجتماعهم على باطلهم، وإن الامام ليس يساق شعره، وأنه يخطئ ويصيب، فإذا كان عليكم إمام يعدل في الرعية، ويقسم بالسوية، فاسمعوا له وأطيعوا، فإن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر، فإن كان برا فللراعي والرعية، وإن كان فاجرا عبد المؤمن ربه فيها وعمل فيها الفاجر إلى أجله، وإنكم ستعرضون بعدي على سبي والبراءة مني فمن سبني فهو في حل من سبي، ولا تتبرأوا مني، فإن ديني الاسلام»^(١).

وبالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن علي بن ابراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، قال: قيل لابي عبد الله عليه السلام: إن الناس يروون أن

المؤمنين عليه السلام أنه قال: ستعرضون من بعدي على سبي، فسبوني، ومن عرض عليه البراءة فليمدد عنقه، فإن يرى مني فلا دنيا له ولا آخرة». وظاهرها حرمة التقية فيها كالدماء. ويمكن حملها على أن المراد الاستمالة والترغيب إلى الرجوع حقيقة عن التشيع إلى النصب. مضافا إلى أن المروي في بعض الروايات أن النهي من التبري مكذوب على أمير المؤمنين عليه السلام وأنه لم ينه عنه، ففي موثقة مسعدة بن صدقة: قلت لابي عبد الله عليه السلام الناس يروون أن عليا عليه السلام قال على منبر الكوفة: «أيها الناس إنكم ستدعون إلى سبي فسبوني، ثم تدعون إلى البراءة مني فلا تبرؤا مني». جواز البراءة الصورية من علي عليه السلام فقال عليه السلام: «ما أكثر ما يكذب الناس على علي»، ثم قال: «إنما قال: ستدعون إلى سبي فسبوني ثم تدعون إلى البراءة مني، وإنسي لعلي دين محمد ﷺ، ولم يقل: لا تبرؤا مني». فقال له السائل: أرايت إن اختار القتل دون البراءة؟ فقال: «والله ما ذاك عليه ولا له، إلا ما مضى عليه عمار بن ياسر حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالإيمان، فأنزل الله تعالى: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ فقال النبي ﷺ عندها: يا عمار إن عادوا فعد». وفي رواية محمد بن مروان: قال: لي أبو عبد الله عليه السلام: ما منع ميثم عن التقية، فوالله لقد علم أن هذه الآية نزلت في عمار وأصحابه: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن﴾... الآية». وفي رواية عبد الله بن عطاء، عن أبي جعفر عليه السلام في رجلين من أهل الكوفة أخذوا وامرا بالبراءة عن أمير المؤمنين عليه السلام فتبرأ واحد منهما وأبى الآخر، فخلي سبيل الذي تبرأ وقتل الآخر - فقال عليه السلام: «أما الذي برئ فرجل فقيه في دينه، وأما الذي لم يتبرأ، فرجل تعجل إلى الجنة». وعن كتاب الكشي بسنده إلى يوسف بن عمران الميثمي قال: سمعت ميثم الهرواني يقول: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «يا ميثم كيف أنت إذا دعاك دعي بني أمية - عبيد الله بن زياد - إلى البراءة مني؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أنا والله لا أبرأ منك. قال: إذا والله يقتلك ويصلبك! قال: قلت: أصبر؛ فإن ذلك في الله قليل. قال عليه السلام: يا ميثم فإذا ن تكون معي في روضتي».

(١) الغارات: لابراهيم بن محمد الثقفي ٢: ٦٣٦ - ٦٣٧.

عليه السلام قال على منبر الكوفة : أيها الناس إنكم ستدعون إلى سبّي فسبوني ، ثم تدعون إلى البراءة مني فلا تبرؤوا مني ، فقال : «ما أكثر ما يكذب الناس على علي عليه السلام ، ثم قال : إنما قال : إنكم ستدعون إلى سبّي فسبوني ، ثم ستدعون إلى البراءة مني وإني لعلى دين محمد ، ولم يقل : لا تبرؤوا مني» . فقال له السائل : رأيت إن اختار القتل دون البراءة ؟ فقال : «والله ما ذلك عليه وماله ، إلا ما مضى عليه عمار بن ياسر حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالإيمان ، فأنزل الله عز وجل فيه : ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ فقال له النبي ﷺ عندها : يا عمار إن عادوا فعد ، فقد أنزل الله عز وجل عذرَكَ وأمرَكَ أن تعود إن عادوا» .^(١)

وبالاسناد الى الكشي (ت / ٣٢٨ هـ) في ترجمة سفيان بن ليلى الهمداني قال مانصه : روى عن علي بن الحسين الطويل : عن علي بن النعمان ، عن عبد الله بن مسكان ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر قال : جاء رجل من أصحاب الحسن عليه السلام يقال له : سفيان بن ليلى ، وهو على راحلة له ، فدخل على الحسن عليه السلام وهو محتب في فناء داره ، قال : فقال له : السلام عليك يا مذل المؤمنين . فقال له الحسن عليه السلام : انزل ولا تعجل ، فنزل فعقل راحلته في الدار ، وأقبل يمشي حتى انتهى إليه ، قال : فقال له الحسن عليه السلام : ما قلت ؟ قال : قلت : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، قال : وما علمك بذلك ؟ قال : عمدت إلى أمر الامة فخلعته من عنقك وقلدته هذه الطاغية يحكم بغير ما أنزل الله . قال : فقال له الحسن عليه السلام : ما خبرك لم فعلت ذلك ؟ قال : سمعت أبي يقول : قال رسول الله ﷺ : لن تذهب الايام والليالي حتى يلي أمر هذه الامة رجل واسع البلعوم رحب الصدر يأكل ولا يشبع وهو معاوية ، فلذلك فعلت .^(٢)

وبالاسناد عن الحاكم النيسابوري (ت / ٤٠٥ هـ) في المستدرک ، قال : حدثنا أبو أحمد بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو من كتابه ، ثنا محمد بن عبيد بن قنفذ البزار ، ثنا

(١) الكافي ؛ للشيخ الكليني ٢ : ٢١٩ .

(٢) رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال ؛ للشيخ الطوسي) ١ : ٣٢٧ - ٣٢٩ .

يحيى بن عبد الحميد الحماني، ثنا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن طاووس عن أبيه قال: كان حجر بن قيس المدري من المختصين بخدمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له عليُّ يوماً: يا حجر انك تقام بعدي فتؤمر بلعني فالعني ولا تبرأ مني، قال طاووس: فرأيت حجر المدري وقد أقامه أحمد بن إبراهيم خليفة بنى أمية في الجامع ووكّل به ليلعن علياً أو يقتل، فقال حجر: أما إن الأمير أحمد بن إبراهيم أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله. فقال طاووس: فلقد أعمى الله قلوبهم حتى لم يقف أحد منهم على ما قال. ^(١)

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «الأمالي»: أخبرنا محمد بن محمد، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عمر الجعابي، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد، قال: حدثنا يحيى بن زكريا بن شيبان، قال: حدثنا بكير بن سلم، قال: حدثني محمد بن ميمون، قال: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: استدعون إلى سبّي فسبوني، وتدعون إلى البراءة مني فمدّوا الرقاب، فإني على الفطرة. ^(٢) وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»: أخبرنا أبو سعد بن البغدادى نا أبو منصور بن شكرويه وأبو بكر السمسارقالا: أنا إبراهيم بن عبد الله نا الحسين بن إسماعيل نا أحمد بن محمد نا محمد بن بحر نا الفضل نا كثير بن مارويدا قال: سمعت أبا عياض مولى عياض بن ربيعة الأسدي قال: أتيت علي بن أبي طالب وأنا مملوك فقلت: يا أمير المؤمنين أبسط يدك أبايعك، فرفع رأسه إلي فقال: ما أنت؟ قلت: مملوك، قال: لا إذاً. قلت له: يا أمير المؤمنين إنما أقول إني إذا شهدتك نصرتك وإن غبت نصحتك، قال: نعم إذاً، قال: فبسط يده فبايعني، قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: إنه سيأتيكم رجل يدعوكم إلى سبّي وإلى البراءة مني، فأما السب فإنه لكم نجاة ولي زكاة، وأما البراءة فلا تبرءوا منّي فإني على الفطرة. ^(٣)

ونقل العلامة المجلسي (ت / ١١١١ هـ) في بحار الأنوار، عن تفسير العياشي عن

(١) المستدرک؛ للحاكم النيسابوري ٢: ٣٥٨.

(٢) الأمالي؛ للشيخ الطوسي: ٢١٠.

(٣) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٥٨٧ - ٥٨٨.

معمر بن يحيى بن سالم قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: إن أهل الكوفة يروون عن علي عليه السلام أنه قال: ستدعون إلى سبي والبراءة مني، فإن دعيتم إلى سبي فسبوني وإن دعيتم إلى البراءة مني فلا تتبرؤوا مني، فإني على دين محمد صلى الله عليه وآله. فقال أبو جعفر: ما أكثر ما يكذبون على علي عليه السلام! إنما قال: إنكم ستدعون إلى سبي والبراءة مني، فإن دعيتم إلى سبي فسبوني وإن دعيتم إلى البراءة مني فإني على دين محمد صلى الله عليه وآله، ولم يقل: فلا تتبرؤوا مني. قال: قلت: جعلت فداك فإن أراد رجل يمضي على القتل ولا يتبرأ؟ فقال: لا والله إلا على الذي مضى عليه عمار، إن الله يقول: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾^(١).

وروى العلامة المجلسي (ت / ١١١١ هـ) في بحار الأنوار عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في «الأمال» عن المرزباني، عن محمد بن الحسين، عن هارون بن عبيد الله، عن عثمان بن سعيد، عن أبي يحيى التميمي، عن كبير، عن أبي مريم الخولاني، عن مالك بن ضمرة قال: سمعت عليا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أما إنكم تعرضون على لعني ودعائي كذابا، فمن لعني كارها مكرها يعلم الله أنه كان مكرها وردت أنا وهو على محمد صلى الله عليه وآله معا، ومن أمسك لسانه فلم يلعني سبقني كرمية سهم أو لمحة بالبصر، ومن لعني منشرا صدره بلعنتي فلا حجاب بينه وبين الله ولا حجة له عند محمد صلى الله عليه وآله، ألا إن محمدا أخذ بيدي يوما فقال: من بايع هؤلاء الخمس ثم مات وهو يحبك فقد قضى نحبه، ومن مات وهو يبغضك مات ميتة جاهلية يحاسب بما عمل في الاسلام^(٢).

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن أبي صادق مولى عياض بن ربيعة الاسدي قال: أتيت علي بن أبي طالب وأنا مملوك فقلت: يا أمير المؤمنين! أبسط يدك أبايعك، فرفع رأسه إلي فقال: ما أنت؟ فقلت: مملوك، قال: لا إذن، قلت: يا أمير المؤمنين! إنما أقول: إني [إن] شهدتك نصرتك وإذا غبت نصحتك، قال: فنعم إذن، فبسط يده فبايعته، وسمعته يقول: إنه سيأتيكم رجل يدعوكم إلى سبي وإلى البراءة

(١) بحار الأنوار: للعلامة المجلسي ٣٩: ٣٢٢.

(٢) بحار الأنوار: للعلامة المجلسي ٣٩: ٣٢٣ - ٣٢٤.

مني ، فأما السب فانه لكم نجاة ولي زكاة ، وأما البراءة فلا تبرؤا مني ؟ فاني على الفطرة.
(المحامي ، كر ، وروي الحاكم في الكنى آخره).^(١)

وبالاستناد الى ابن حجر (ت / ٨٥٢ هـ) في موضوع: حجر بن قيس المدري، عن علي.
حديث: كان حجر بن قيس من المختصين بخدمة علي، فقال له علي يوما: يا حجر إنك
تقام بعدي، فتؤمر بلعني فالعني ولا تبرأ مني...

كم: في تفسير النحل: ثنا بكر بن محمد الصيرفي، ثنا عبيد بن قنفذ، ثنا يحيى الحماني،
ثنا سفيان بن عيينة، عن عبدالله بن طاوس، عن أبيه، به.^(٢)

وعنه في أبي صادق، عن علي. حديث: قال علي: إنكم ستعرضون على سبي
فتسبونني، فإن عرضت عليكم البراءة مني فلا تتبرءوا مني، فإني على الإسلام... الحديث.
كم: في تفسير النحل: ثنا أبو بكر بن إسحاق، ثنا محمد بن أحمد بن النضر، ثنا معاوية
بن عمرو، ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عنه، به.^(٣)

(١) كنز العمال ؛ للمتقي الهندي ١١ : ٣٠٢ ، ح ٣١٥٧٥ .

(٢) اتحاف المهرة ١١ : ٣٣٣ ، ط / ١٤١ هـ .

(٣) اتحاف المهرة ١١ : ٦٨٣ ، ط / ١٤١٧ هـ .

[الخطبة (٥٨)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: أصابكم حاصب...، رويت فقرات منه في تاريخ الطبري»^(١).
قال العرشي في التخريج مانصه: «روى الطبري هذا الكلام في تاريخه [ج ٦ ص ٤٨]»^(٢).

[الخطبة (٥٩)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: مصارعهم دون النطفة... الى آخره. قال الشارح الفاضل: هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة لاشتهاره؛ ونقل الناس كافة له وهو من معجزاته وأخباره المفصلة عن الغيوب»^(٣).
قال الجلاي: قال ابراهيم الثقفي (ت / ٣٢٠ - ح) في محاسن الصدق ما لفظه: «ومنهم عليّ بن أبي طالب ﷺ، قال يوم النهروان لأصحابه: شدّوا عليهم، فوالله لا يقتلون عشرة، ولا ينجو منهم عشرة. فشدّوا عليهم، فوالله ما قتل من أصحابه تمام عشرة، ولا نجا منهم تمام عشرة. ثم قال: اطلبوا ذا النديّة، فطلبوه، فقالوا: لم نجده، فقال: والله ما كذبت قط، ولا كذّبت، والله لقد أخبرني رسول الله ﷺ أنّه يقتل مع شرّ جيلٍ، يقتلهم خير جيل. ثم دعا ببعلة رسول الله ﷺ فركبها، فسار حتى وقفت على قليبٍ فيه قتلى، فقال: اقلبوا القتلى، واطلبوه بينهم، فإذا هو سابع سبعة، فلمّا أخرجه قال: الله أكبر! لولا أن تنكلوا فتركوا العمل لأخبرتكم بما جعل الله جلّ وعزّ لمن قتلهم على لسان نبيّه ﷺ»^(٤).

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨١.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) مدارك نهج البلاغة: ٨١.

(٤) المحاسن والمساوي ٢: ٩٩، ط / القاهرة، سنة ١٣٨٠ هـ.

و قال ابوالحسن المسعودي (ت / ٣٤٦ هـ) في مروج الذهب ما لفظه: «اجتماع الخوارج ومسير علي اليهم: واجتمعت الخوارج في أربعة آلاف، فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي، ولحقوا بالمدائن، وقتلوا عبد الله بن خباب عامل علي عليها، ذبحوه ذبحاً، وبقروا بطن امرأته وكانت حاملاً، وقتلوا غيرها من النساء، وقد كان علي انفصل عن الكوفة في خمسة وثلاثين ألفاً، وأتاه من البصرة، من قبل ابن عباس - وكان عامله عليها - وذلك في سنة ثمان وثلاثين، فنزل علي الأنبار، والتأمت اليه العساكر، فخطب الناس، وحرضهم على الجهاد، وقال: سيروا الى قتلة المهاجرين والأنصار قدماً، فانهم طالما سعوا في اطفاء نور الله، وحرضوا على قتال رسول الله ﷺ ومن معه، الا ان رسول الله امرني بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا اليهم، والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم، والمارقين ولم نلقهم بعد، فسيروا الى القاسطين، فهم أهم علينا من الخوارج، سيروا الى قوم يقاتلونكم كما يكونوا جبارين يتخذهم الناس ارباباً ويتخذون عباد الله خولاً وما لهم دولاً، فأبوا إلا ان يبدأوا بالخوارج، فسار علي اليهم، حتى أتى النهر، فبعث اليهم بالحرث بن مرة العبدي رسولا يدعوهم الى الرجوع، فقتلوه، وبعثوا الى علي: إن تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بالكفر بايعناك، وإن أبيت فاعتزلنا حتى نختار لأنفسنا إماماً، فإننا منك براء، فبعث اليهم علي: أن ابعثوا الي بقتلة اخواني فأقتلهم ثم أترككم الى أن أفرغ من قتال اهل المغرب، ولعل الله يقلب قلوبكم، فبعثوا اليه: كلنا قتلة اصحابك، كلنا مستحل لدمائهم، مشتركون في قتلهم، وأخبره الرسول - وكان من يهود السواد - ان القوم قد عبروا نهر طبرستان وهذا النهر عليه قنطرة، تعرف بقنطرة طبرستان، بين حلوان وبغداد، من بلاد خراسان، فقال علي: والله ما عبروه ولا يقطعونه، حتى تقتلهم بالرميلة دونه، ثم تواترت عليه الأخبار بقطعهم لهذا النهر، وعبروهم هذا الجسر، وهو يأبى ذلك، ويحلف انهم لم يعبروه، وأن مصارعهم دونه. ثم قال: سيروا الى القوم، فوالله لا يفلت منهم الا عشرة، ولا يقتل منكم عشرة، فسار علي، فأشرف عليهم، وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على حسب ما قال لاصحابه. فلما أشرف فتصاف القوم، ووقف عليهم

بنفسه، فدعاهم الى الرجوع والتوبة، فأبوا ورموا أصحابه، فقتل له: قد رمونا، فقال: كفوا، فكرروا القول عليه ثلاثاً، وهو يأمرهم بالكف، حتى أتى برجل قتيل متشحط بدمه، فقال علي: الله اكبر، الآن حل قتالهم، احملوا على القوم... إلى آخر كلامه.^(١)

(١) مروج الذهب ١: ٤٠٥، ط / داغر.

[الخطبة (٦٠)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالا... إلى أن قال: [لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان] من قوله: [لم يخلق ما خلقه... إلى آخر قوله: [لم يحلل]، مذكور في خطبته الشهيرة المسماة بالغراء، ومن قوله: [لم يحلل] إلى قوله: [باين] موجود في الخطبة المعروفة بالوسيلة، وعليه فهذه الخطبة ملتقطة من خطب متعددة، اختار منها السيد ما أثبتته هنا، والله العالم. واحتمال أنها رواية وقف عليها الشريف غير بعيد». (انتهى)^(١)

وقال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «هذا الخبر من الاخبار التي تكاد تكون متواترة؛ لاشتهارهم ونقل الناس كافة له، وهو من معجزاته وأخباره المفصلة عن الغيوب». (٢)
قال الجلالى: قال المسعودي (ت / ٣٤٦ هـ) ما لفظه: «ثم ركب ومر بهم وهم صرعى، فقال: لقد صرعكم من غرركم، قيل: ومن غرهم؟ قال: الشيطان وأنفس السوء، فقال أصحابه: قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر، فقال: كلا والذي نفسي بيده، وإنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، لا تخرج خارجة إلا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأشمط، يخرج إليه رجل منا أهل البيت فيقتله، ولا تخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة». (٣)

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ٣، ط / ١٣٧٩ هـ.

(٣) مروج الذهب ٢: ٤٠٧، ط / داغر.

[الخطبة (٦١)]

من التعقيبات في المعنى ما أرويه بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في علل الشرائع قال : حدثنا محمد بن الحسن عليه السلام قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار عن ابراهيم بن هاشم عن ابن المغيرة عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام ، قال: ذكرت الحرورية عند علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «ان خرجوا مع جماعة أو على امام عادل فقاتلوهم ، وان خرجوا على امام جائر فلا تقاتلوهم فان لهم في ذلك مقالا»^(١) وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في تهذيب الأحكام عن الصفار عن ابراهيم بن هشام عن النوفلي عن السكوني عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من اهل النهروان قال: لا يقاتلهم بعدي إلا من هم اولى بالحق منه^(٢) وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: في مسند علي، عن عبد الله بن الحارث عن رجل من بني نضر ابن معاوية عن علي أنه سمع رجلا يسب الخوارج فقال: لا تسبوا الخوارج! إن كانوا خالفوا إماما عادلا أو جماعة فقاتلوهم! فانكم تؤجرون في ذلك ، وإن خالفوا إماما جائرا فلا تقاتلوهم! فان لهم بذلك مقالا. (خشيش في الاستقامة وابن جرير).

و باسناده عن عبد الله بن الحارث عن رجل من بنى نضر بن معاوية قال: ذكرت الخوارج فسبواهم فقال علي : أما إذا خرجوا على إمام هدى فسبواهم! وأما إذا خرجوا على إمام ضلالة فلا تسبواهم! فان لهم بذلك مقالا. (ابن جرير).^(٣)

(١) علل الشرائع؛ للشيخ الصدوق ٢: ٦٠٣.

(٢) تهذيب الأحكام؛ للشيخ الطوسي ٦: ١٤٤.

(٣) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١١: ٣٢٠.

[الخطبة (٦٢)]

قال الجلالي: أروي بالمعنى بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أبي حمزة ، عن سعيد بن قيس الهمداني قال: نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان، فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام، فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟ فقال: نعم يا سعيد بن قيس، إنه ليس من عبد إلا وله من الله حافظ وواقية، معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بحر، فإذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء»^(١).

وأيضاً عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن عبد الرحمن العزمي ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان قنبر غلام علي يحب علياً عليه السلام حبا شديداً، فإذا خرج علي صلوات الله عليه خرج على أثره بالسيف ، فرآه ذات ليلة، فقال: يا قنبر مالك؟ فقال: جئت لامشي خلفك يا أمير المؤمنين، قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أو من أهل الأرض؟! فقال: لا ، بل من أهل الأرض، فقال: إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلا بإذن الله من السماء، فارجع ، فارجع»^(٢).

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ٢: ٥٩.

(٢) الكافي؛ للشيخ الكليني ٢: ٥٩.

[الخطبة (٦٤)]

قال العرشي في التخريج مانصّه: «الكلام الواحد والستون يشتمل على الجمل التالية: «فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى، [ج ١ ص ١٠٦] رواها ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفيين (٧) ضمن خطبة طويلة». (انتهى).^(١)

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه عن نصر بن مزاحم المنقري (ت / ٢١٢ هـ) في «وقعة صفين» بما لفظه: قال أبو عبد الله، عن سليمان بن المغيرة، عن علي بن الحسين: خطبة علي بن أبي طالب في الجمعة بالكوفة والمدينة: إن الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستهديه، وأعوذ بالله من الضلالة. من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أنتجبه لأمره، واختصه بالنبوة، أكرم خلقه وأحبهم إليه، فبلغ رسالة ربه، ونصح لأمته، وأدى الذي عليه. وأوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خير ما تواسى به عباد الله وأقربه لرضوان الله، وخيره في عواقب الأمور عند الله. ويتقوى الله أمرتم، وللإحسان والطاعة خلقتكم. فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه، فإنه حذر بأسا شديدا. واخشوا الله خشية ليست بتعذير، واعملوا في غير رياء ولا سمعة، فإن من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل له، ومن عمل لله مخلصا تولى الله أجره. وأشفقوا من عذاب الله، فإنه لم يخلقكم عبثا، ولم يترك شيئا من أمركم سدى، قد سمي آثاركم، وعلم أعمالكم، وكتب آجالكم. فلا تغروا بالدنيا فإنها غرارة بأهلها، مغرور من اغتر بها، وإلى فناء ما هي. وإن الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون. أسأل الله منازل الشهداء، ومرافقة الأنبياء، ومعيشة السعداء، فإنما نحن له وبه.^(٢)

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) وقعة صفين؛ لنصر بن مزاحم المنقري: ١٠.

وقال الموفق الخوارزمي في «المناقب»: وبهذا الاسناد عن أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان، حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا، حدثنا الحسين بن عبد الرحمان، حدثنا عبيد الله بن محمد التقى عن شيخ من بني عدي قال: قال: رجل لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا، قال: وما أصف لك من دار من صح فيها أمن، ومن سلم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، في حلالها حساب وفي حرامها النار.^(١)

(١) المناقب؛ للموفق الخوارزمي: ٣٦٤.

[الخطبة (٦٦)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: معاشر المسلمين استشعروا الخشية ... الخ، رواه ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار عن ابن عباس بنحو أخصر مما هنا مع اختلاف في بعض الالفاظ والفقرات، ورواه في الحداثق الوردية بالاسناد الى ابن عباس ايضاً، وقال الشارح الفاضل: إن هذا الكلام خطب به أمير المؤمنين ﷺ في اليوم الذي كانت عشيته ليلة الهرير في كثير من الروايات، وفي رواية نصر بن مزاحم انه خطب به في اول ايام اللقاء والحرب بصفين، وذلك في صفر من سنة ٣٧»^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواه ابن قتيبة في عيون الاخبار [ج ١ ص ١١٠، ١٣٣] كما رواه البيهقي في كتاب المحاسن والمساوى [ج ١ ص ٣٢]»^(٢). انتهى (٢)
وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»: أخبرنا أبو القاسم إسماعيل نا أحمد بن الحسن بن خيرون أنا أبو علي بن شاذان ... أبو جعفر أحمد بن يعقوب الأصبهاني نا محمد بن علي بن دعبل بن علي الخزاعي عن ... ابن هشام الكلبي عن أبيه عن ابن عباس قال: عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والله ما رأيت ولا سمعت رئيساً يوزن به، لرأيته يوم صفين وعلى رأسه عمامة قد أرخى طرفيها كأن عينيه سراجا سليط، وهو يقف على شردمة شردمة يحضهم حتى انتهى إليّ وأنا في كنف من الناس، فقال:

معاشر المسلمين استشعروا الخشية وعضوا الأصوات وتجلببوا السكينة واعملوا الأسنة وأقلقوا السيوف قبل السلة، واطعنوا الرخر، ونافحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطا، والنبال بالرماح، فإنكم بعين الله ومع ابن عم نبيه ﷺ، عاودوا الكرّ، واستحيوا من الفر، فإنه عار باق في الأعقاب والأعناق ونار يوم الحساب، وطيبوا عن أنفسكم أنفسا، وامشوا إلى الموت أسححا، وعليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطيب، فاضربوا ثبجه،

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨١.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

فإن الشيطان راكب صعبه ومفرش ذراعيه، قد قدم للوثبة يدا وأخر للنكوص رجلا، فصمداً صمداً حتى يتجلّى لكم عمود الدين ﴿ وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ﴾

أخبرنا أبو طالب عبد القادر بن محمد بن يوسف أنا إبراهيم بن عمر.
ح، وأخبرنا أبو المعمر المبارك بن أحمد الأنصاري أنا المبارك بن عبد الجبار أنا
إبراهيم بن عمر البرمكي وعلي بن عمر بن الحسن قالوا: أنا أبو عمر بن حيوية أنا عبيد
الله بن عبد الرحمن السكري قال: قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في حديث
علي: أن ابن عباس قال: ما رأيت رئيساً محرباً يزن به، لرأيته يوم صفين وعلى رأسه
عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجا سليط، وهو يحمس أصحابه إلى أن انتهى إليّ وأنا في
كثف، فقال: معشر المسلمين استشعروا الخشية، ورعموا الأصوات وتجلّبوا السكينة،
وأكملوا اللؤم، وأخفوا الجنن، وأقلقوا السيوف في الغمد قبل السلة، والحظوا الشرز،
وأطعنوا الشرز، أو البتر واليسر - كلا قد سمعت - وناقحوا بالظباء، وصلوا السيوف بالخطأ،
والريماح بالنبل، وأمشوا إلى الموت مشية سححا أو سجحاء، وعليكم بالرواق المطنب
فاضربوا ثبجه، فإن الشيطان راكد في كسره، نافج حضنيه، مفترش ذراعيه، قد قدّم للوثبة
يدا وأخر للنكوص رجلا.^(١)

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٤٥٩، ٤٦١.

[الخطبة (٦٧)]

قال العرشي في التخريج مانصّه: «رواه ابوحيان على بن محمد بن العباس التوحيدي البغدادي، المتوفى ٤٠٤ هـ تقريباً (١٠١٣ م) في كتاب البصائر (٥٩ ب) والسيد المرتضى في «الأمالى» [ج ١ ص ١٩٨] بتغيير يسير. (انتهى).^(١)

قال الجلالى: قال السيد المرتضى (ت / ٤٣٦ هـ) في «الأمالى»: وروى أنه ﷺ لما فرغ من دفن النبي ﷺ سأل عن خبر السقيفة، فقليل له: إن الانصار قالت: منا أمير ومنكم أمير، فقال ﷺ: فهلاً ذكرت الانصار قول النبي ﷺ: تقبل من محسنهم وتتجاوز عن مسيئهم، فكيف يكون الأمر فيهم والوصاة بهم؟^(٢)

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) الأمالى؛ للسيد المرتضى ١: ١٩٨.

[الخطبة (٦٨)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: وقد أردت تولية مصر... إلى آخره. روي عن المدائني أن علياً عليه السلام قال: رحم الله محمداً كان غلاماً حدثاً، لقد كنت أردت أن أولي المرقال هاشم بن عتبة مصرأً، فانه - والله - لو وليها لما خلى لابن العاص وأعوانه العرصة، ولا قتل إلا وسيفه في يده، بلا ذم لمحمد، فلقد أجهد نفسه وقضى ما عليه. والاعتماد على ما رواه السيد. (انتهى)^(١).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه عن إبراهيم بن محمد الثقفي (ت / ٢٨٣ هـ) في «الغارات»، قال: وأخبرني ابن أبي سيف أن عبد الله بن عباس قدم على علي عليه السلام من البصرة فعزاه بمحمد بن أبي بكر عليه السلام.

عن مالك بن الجون الحضرمي أن علياً عليه السلام قال: رحم الله محمداً، كان غلاماً حدثاً، أما والله لقد كنت أردت أن أولي المرقال: هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مصر، والله لو أنه وليها لما خلى لعمر بن العاص وأعوانه العرصة، ولما قتل إلا وسيفه في يده، بلا ذم لمحمد بن أبي بكر، فلقد أجهد نفسه وقضى ما عليه.

قال: فليل لعلي عليه السلام: لقد جزعنت على محمد بن أبي بكر جزعاً شديداً يا أمير المؤمنين...! قال: وما يمنعني؟ انه كان لي ربيباً وكان لبني أخي، وكنت له والدًا، أعدده ولدًا.^(٢)

قال الجلاي: قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في «شرح نهج البلاغة» مانصه: قال إبراهيم: فحدثنا محمد بن عبد الله، عن المدائني، قال: كتب علي إلى عبد الله بن عباس وهو على البصرة:

من عبد الله على أمير المؤمنين عليه السلام، إلى عبد الله بن عباس:

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨١.

(٢) الغارات: لإبراهيم بن محمد الثقفي ١: ٣٠٠-٣٠١.

سلام عليك ورحمة الله وبركاته : أما بعد ، فإن مصر قد افتتحت ، وقد استشهد محمد بن أبي بكر ، فعند الله عز وجل نحتسبه . وقد كنت كتبت إلى الناس ، وتقدمت إليهم في بدء الامر ، وأمرتهم بإغاثته قبل الواقعة ، ودعوتهم سرا وجهرا وعودا وبدءا ، فمنهم الاتي كارها ومنهم المتعلل كاذبا ، ومنهم القاعد خاذلا . أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجا ، وأن يريحني منهم عاجلا ، فوالله لولا طمعي عند لقاء عدوى في الشهادة وتوطيني نفسي عند ذلك لاحتببت ألا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا .

عزم الله لنا ولك على تقواه وهداه ، إنه على كل شيء قدير . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قال: فكتب إليه عبد الله بن عباس :

نعبد الله على أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس . سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر وهلاك محمد بن أبي بكر ، وأنت سألت الله ربك أن يجعل لك من رعيتك التي ابتليت بها فرجا ومخرجا ، وأنا أسأل الله أن يعلي كلمتك ، وأن يغشيك بالملائكة عاجلا . واعلم أن الله صانع لك ، ومعزّ دعوتك ، وكابت عدوك . وأخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تباطئوا ثم نشطوا ، فافرق بهم يا أمير المؤمنين ودارهم ومثهم ، واستعن بالله عليهم . كفاك الله الهم ! والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قال إبراهيم : وروى عن المدائني ، أن عبد الله بن عباس قدم من البصرة على علي فعزّاه عن محمد بن أبي بكر .

وروى المدائني ، أن عليا قال: رحم الله محمدا كان غلاما حدثا ، لقد كنت أردت أن أولي المرقال ^(١) هاشم بن عتبة مصر ، فإنه والله لو وليها لما خلى لابن العاص وأعوانه

(١) الارقال: ضرب من العدو ، يقال: أرقلت الناقة فهي مرقل ومرقال: ، قال: في اللسان : (والمرقال: لقب هاشم بن عتبة الزهري ، لأن عليا عليه السلام دفع إليه الراية يوم صفين ، فكان يرقل بها إرقالا .

العرصة ، ولا قتل إلا وسيفه في يده ، بلا ذمّ لمحمد ، فلقد أجهد نفسه ففضى ما عليه .
قال المدائني : وقيل لعلي عليه السلام : لقد جزعت على محمد بن أبي بكر يا أمير المؤمنين .
فقال : وما يمنعني ! إنه كان لي ريبيا ، وكان لبني أخي ، وكنت له والدا ، أعده ولدا .

[خطبة علي بعد مقتل محمد بن أبي بكر]

وروى إبراهيم ، عن رجاله ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه قال : خطب علي عليه السلام بعد فتح مصر ، وقتل محمد بن أبي بكر ، فقال :

أما بعد ، فإن الله بعث محمدا نذيرا للعالمين ، وأمينا على التنزيل ، وشهيدا على هذه الامة ، وأنتم معاشر العرب يومئذ على شرّ دين ، وفي شرّ دار ، منيخون على حجارة خشن وحيات صم ، وشوك ميثوث في البلاد ، تشربون الماء الخبيث ، وتأكلون الطعام الخبيث ، تسفكون دماءكم ، وتقتلون أولادكم ، وتقطعون أرحامكم ، وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل . سبلكم خائفة ، والاصنام فيكم منصوبة ، ولا يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون . فمنّ الله عز وجل عليكم بمحمد ، فبعثه إليكم رسولا من أنفسكم ، فعلمكم الكتاب والحكمة والفرائض والسنن ، وأمركم بصلة أرحامكم وحقق دماءكم ، وصالح ذات البين ، وأن تؤدوا الامانات إلى أهلها ، وأن توفوا بالعهد ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ، وأن تعاطفوا وتباروا ، وتراحموا . ونهاكم عن التناهب والتظالم والتحاسد والتباغي والتقاذف ، وعن شرب الخمر وبخس المكيال ، ونقص الميزان . وتقدم إليكم فيما يتلى عليكم ألا تزنا ولا تربوا ، ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلما ، وأن تؤدوا الامانات إلى أهلها ، ولا تعثوا في الارض مفسدين ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، وكل خير يدني إلى الجنة ، ويباعد عن النار أمركم به ، وكل شرّ يدني إلى النار ويباعد عن الجنة نهاكم عنه ، فلما استكمل مدته ، وفاء الله إليه سعيدا حميدا ، فيا لها مصيبة خست الاقربين ، وعمت المسلمين ! ما أصيبوا قبلها بمثلها ، ولن يعاينوا بعدها أختها .

فلما مضى لسبيله عليه السلام ، تنازع المسلمون الامر بعده ، فوالله ما كان يلتقى في روعي ، ولا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الامر بعد محمد عن أهل بيته ، ولا أنهم منحوه

عني من بعده . فما راعني إلا انشغال الناس على أبي بكر ، وإجفاله^(١) إليه ليبياعوه ، فأمسكت يدي ، ورأيت أنني أحق بمقام محمد ﷺ في الناس ممن تولى الأمر من بعده ، فلبثت بذلك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام ، يدعون إلى محق دين الله وملة محمد ﷺ ، فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثلما وهما يكون المصاب بهما عليّ أعظم من فوات ولاية أموركم ، التي إنما هي متاع أيام قلائل ، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، وكما يتقشع السحاب ، فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ، ونهضت في تلك الاحداث ، حتى زاع الباطل وزهق ، وكانت كلمة الله هي العليا ، ولو كره الكافرون . فتولى أبو بكر تلك الامور ، فيسرّ وسدد ، وقارب واقتصد ، وصحبته مناصحا ، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا ، وما طمعت - أن لو حدث به حادث وأنا حيّ أن يرد إلى الأمر الذي نازعته فيه طمع مستيقن ، ولا يئست منه يأس من لا يرجوه ، ولو لا خاصة ما كان بينه وبين عمر ، لظننت أنه لا يدفعها عني ، فلما احتضر بعث إلى عمر فولّاه فسمعنا وأطعنا وناصحنا ، وتولّى عمر الأمر ، فكان مرضي السيرة ، ميمون النقيية ، حتى إذا احتضر ، فقلت في نفسي : لن يعدلها عنيّ ، ليس يدافعها عني ، فجعلني سادس ستة ، فما كانوا لولاية أحد منهم أشد كراهة لولايتي عليهم ، كانوا يسمعون عند وفاة رسول الله ﷺ لجاج أبي بكر ، وأقول : يا معشر قريش ، إنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا من يقرأ القرآن ، ويعرف السنة ، ويدين بدين الحق .

فخشى القوم إن أنا وليت عليهم ألا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا ، فأجمعوا إجماعا واحدا ، فصرفوا الولاية إلى عثمان ، وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها ، ويتداولوها إذ يئسوا أن ينالوا بها من قبلي ، ثم قالوا : هلم فبايع وإلا جاهدناك ، فبايعت مستكرها ، وصبرت محتسبا ، فقال قائلهم : يابن أبي طالب ، إنك على هذا الأمر لحريص ، فقلت : أنتم أحرص مني وأبعد ، أينما أحرص ، أنا الذي طلبت ميراثي وحقّي الذي جعلني الله ورسوله أولى به ، أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه ، وتحولون بيني وبينه ! فبهتوا والله لا

(١) أجفل الناس وانجفوا ، أي ذهبوا مسرعين .

يهدى القوم الظالمين .

اللهم إني أستعديك على قريش، فإنهم قطعوا رحمي، وأضاعوا إياي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به منهم، فسلبوني، ثم قالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تمنعه، فاصبر كمداً أو مت. أسفاً حنقاً.

فنظرت فإذا ليس معي رافد ولا ذاب ولا ناصر ولا ساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن المنية، وأغضيت على القذى وتجرّعت ريقى على الشجى، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب من حز الشفار، حتى إذا تقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه، ثم جئتموني لتبايعوني فأبيت عليكم، وأمسكت يدي فنازعتموني ودافعتموني، وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، وازدحمت عليّ حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم، أو أنكم قاتلي، فقلتم: بايعنا لا نجد غيرك، ولا نرضى إلا بك، بايعنا لا نفترق ولا تختلف كلمتنا. فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتي، فمن بايع طوعاً قبلت، ومن أبي لم أكرهه وتركته.

فبايعني فيمن بايعني طلحة والزبير، ولو أيما ما أكرهتهما، كما لم أكره غيرهما، فما لبثنا إلا يسيراً حتى بلغني أنهما خرّجا من مكة متوجهين إلى البصرة، في جيش ما منهم رجل إلا قد أعطاني الطاعة، وسمح لي بالبيعة، فقدمنا على عاملي وخزان بيت مالي وعلى أهل مصري الذين كلهم على بيعتي وفي طاعتي، فشتتوا كلمتهم، وأفسدوا جماعتهم، ثم وثبوا على شيعتي من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدرا، وطائفة صبرا^(١). ومنهم طائفة غضبوا لله ولي، فشهبوا سيوفهم وضربوا بها حتى لقوا الله عز وجل صادقين، فوالله لو لم يصيبوا منهم إلا رجلاً واحداً متعمّدين لقتله لحلّ لي به قتل ذلك الجيش بأسره، فدع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التي دخلوا بها عليهم، وقد أدال الله منهم فبعداً للقوم الظالمين!

ثم إني نظرت في أمر أهل الشام، فإذا أعراب أحزاب وأهل طمع جفاة طغاة، يجتمعون

(١) صبرا، أي حبسا.

من كل أوب، من كان ينبغي أن يؤدّب وأن يؤلّى عليه، ويؤخذ على يده، ليسوا من الانصار ولا المهاجرين ولا التابعين بإحسان.

فسرت إليهم، فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة، فأبوا إلا شقاقا وفراقا، ونهضوا في وجوه المسلمين ينضحونهم بالنبل، ويشجرونهم بالرماح^(١)، فهناك نهدت^(٢) إليهم بالمسلمين فقاتلتهم، فلما عضّهم السلاح. ووجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، فأنبأتكم أنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن، وأنهم رفعوها مكيدة وخديعة ووهنا وضعها، فامضوا على حقكم وقتالكم، فأبيتهم عليّ وقتلتهم: أقبل منهم، فإن أجابوا إلى ما في الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحق، وإن أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم. فقبلت منهم، وكففت عنهم، إذ ونيتهم وأبيتهم، فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين، يحييان ما أحيا القرآن، ويميتان ما أمات القرآن، فاختلف رأيهما، وتفرق حكمهما، ونبذا ما في القرآن، وخالفا ما في الكتاب، فجنبهما الله السداد، ودلاهما في الضلالة، فأنحرفت فرقة منا فتركناهم ما تركونا، حتى إذا عثوا في الأرض يقتلون ويفسدون، أتيناهم فقلنا: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا، ثم كتاب الله بيننا وبينكم.

قالوا: كلنا قتلهم، وكلنا استحل دماءهم. وشدّت علينا خيلهم ورجالهم، فصرعهم الله مصارع الظالمين.

فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم، فقلتم: كلّت سيوفنا ونفدت نبالنا، ونصّلت أسنة رماحنا، وعاد أكثرها قصدا^(٣)، فارجع بنا إلى مصرنا لنستعد بأحسن عدتنا، فإذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك منا وفارقنا، فإن ذلك أقوى لنا على عدونا. فأقبلت بكم، حتى إذا أطللتكم على الكوفة أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة، وإن تلزموا معسكركم، وأن تضموا قواصبيكم، وأن توطنوا على الجهاد أنفسكم، ولا تكثرُوا زيارة أبنائكم، ونسائكم، فإن أهل الحرب المصابروها، وأهل التشمير فيها

(١) يشجرونهم بالرمح: يطعنونهم.

(٢) نهدت للقتال: نهض.

(٣) القصد: جمعه قصدة، وهي القطعة المتكسرة.

الذين لا يثقون: من سهر ليلهم ولا ظمأ نهارهم، ولا خمص بطونهم، ولا نصب أبدانهم، فنزلت طائفة منكم معي معذرة، ودخلت طائفة منكم المصر عاصية، فلا من بقي منكم صبر وثبت، ولا من دخل المصر عاد ورجع، فنظرت إلى معسكري، وليس فيه خمسون رجلا، فلما رأيت ما أتيتكم، دخلت إليكم فلم أقدر على أن تخرجوا معي إلى يومنا هذا، فما تنتظرون! أما ترون أطرافكم قد انتقصت، وإلى مصر قد فتحت، وإلى شيعتي بها قد قتلت، وإلى مسالحكم تعرى، وإلى بلادكم تغزى! وأنتم ذوو عدد كثير، وشوكة وبأس شديد، فما بالكم! الله أنتم من أين تؤتون! وما لكم توفكون! وأنى تسحرون!

ولو أنكم عزمتم وأجمعتم لم تراموا، إلا أن القوم تراجعوا وتناشبا وتناصحوا، وأنتم قد ونيتم وتغاشستم وافترقتم، ما إن أنتم إن ألمتم عندي على هذا بسعداء، فانتهوا بأجمعكم وأجمعوا على حقكم، وتجردوا لحرب عدوكم، وقد أبدت الرغوة عن الصريح، وبين الصبح لذي عينين، إنما تقا تلون الطلقاء، وأبناء الطلقاء وأولي الجفاء، ومن أسلم كرها، وكان لرسول الله واله أنف^(١) الاسلام كله حربا، أعداء الله والسنة والقرآن، وأهل البدع والاحداث، ومن كان بوائقه تتقى، وكان عن الاسلام منحرفا، أكلة الرشا، وعبدة الدنيا، لقد أنهى إلي أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى أعطاه، وشرط له أن يؤتبه ماهي أعظم مما في يده من سلطانه. ألا صفر يد هذا البائع دينه بالدنيا، وخزيت أمانة هذا المشتري نصره فاسق غادر بأموال المسلمين، وإن فيهم من قد شرب فيكم الخمر وجلد الحد، يعرف بالفساد في الدين، والفعل السيئ، وإن فيهم من لم يسلم حتى رضخ له رضىخة^(٢).

فهؤلاء قادة القوم، ومن تركت ذكر مساوئه من قادتهم مثل من ذكرت منهم، بل هو شر، ويود هؤلاء الذين ذكرت لو ولوا عليكم فأظهروا فيكم الكفر والفساد والفجور والتسلط بجبرية، واتبعوا الهوى وحكموا بغير الحق. ولأنتم على ما كان فيكم من تواكل

(١) أنف كل شيء: أوله.

(٢) الرضىخة: العطية القليلة.

وتخاذل خير منهم وأهدى سبيلا ، فيكم العلماء والفقهاء ، والنجباء والحكماء ، وحملة الكتاب والمتهجدون بالاسحار ، وعمار المساجد بتلاوة القرآن . أفلا تسخطون وتهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم ، والاشرار الاراذل منكم ! فاسمعوا قولي ، وأطيعوا أمرى ، فوالله لئن أطعتموني لا تغوون ، وإن عصيتموني لا ترشدون ، خذوا للحرب أهبتها وأعدوا لها عدتها ، فقد شبت نارها ، وعلا سنانها وتجرد لكم فيها الفاسقون ، كى يعذبوا عباد الله ، ويظفئوا نور الله . ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجفاء بأولى في الجد في غيهم وضلاتهم ، من أهل البر والزهادة والابخات في حقهم وطاعة ربهم ، إني والله لو لقيتهم فردا وهم ملا الارض ، ما باليت ولا استوحشت ، وإني من ضلاتهم التي هم فيها والهدى الذى نحن عليه ، لعلى ثقة وبينة ، ويقين وبصيرة ، وإني إلى لقاء ربي لمشتاق ، ولحسن ثوابه لمنتظر ، ولكن أسفا يعترينى ، وحزنا يخامرني ، أن يلي أمر هذه الامة سفهاؤها وفجارها ، فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا ، والفاسقين حزبا . وإيم الله لولا ذلك لما أكثرت تأنيبكم وتحريضكم ، ولتركتكم إذ ونيتم وأيتم حتى ألقاهم بنفسى ، متى حم لى لقاءهم . فوالله إني لعلى الحق ، وإني للشهادة لمحب ، «فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» ولا تناقلوا إلى الارض فتقروا بالخسف ، وتبوءوا بالذل ، ويكن نصيبكم الخسران .

إن أخا الحرب اليقظان ، ومن ضعف أودى ، ومن ترك الجهاد كان كالمغبون المهين . اللهم اجمعنا وإياهم على الهدى ، وزهدنا وإياهم في الدنيا ، واجعل الآخرة خيرا لنا ولهم من الأولى .

[مقتل محمد بن أبي حذيفة]

قال إبراهيم : وحدثني محمد بن عبد الله بن عثمان ، عن المدائني ، أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أصيب لما فتح عمرو بن العاص مصر ، فبعث به إلى معاوية بن أبي سفيان وهو يومئذ بفلسطين ، فحبسه معاوية في سجن له ، فمكث فيه غير كثير ، ثم هرب - وكان ابن خال معاوية - فأرى معاوية الناس أنه كره انفلاته من

السجن، وكان يحب أن ينجو فقال لاهل الشام: من يطلبه؟ فقال رجل من خثعم - يقال له عبيد الله بن عمرو بن ظلام، وكان شجاعا وكان عثمانيا: أنا أطلبه، فخرج في خيل فلحقه بحوارين^(١)، وقد دخل بغار هناك، فجاءت حمر فدخلته، فلما رأت الرجل في الغار فزعت ونفرت، فقال حمارون كانوا قريبا من الغار: إن لهذه الحمر لسانا، ما نفرها من هذا الغار إلا أمر! فذهبوا ينظرون، فإذا هم به فخرجوا به، فوافاهم عبد الله بن عمرو بن ظلام، فسألهم ووصفه لهم فقالوا: ها هو هذا، فجاء حتى استخرجه، وكره أن يصير به إلى معاوية فيخلى سبيله، فضرب عنقه عليه السلام^(٢).

(١) حوارين، من قرى حلب، أو حصن بناحية حمص (مرصد الاطلاع).

(٢) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد ٦: ٩٢-١٠٢.

[الخطبة (٦٩)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما رواه البلاذري (ت / ٢٧٩ هـ) في «أنساب الأشراف»، مالفظة: قالوا: وجه معاوية الضحاك بن قيس الفهري - ويكنى أبا أنيس، حين بلغه أن عليا يدعو الناس إلى الخروج إليه وأن أصحابه مختلفون عليه - في جيل كثيفة جريدة، وأمره أن يمر بأسفل واقصة فيغير على الاعراب ممن كان على طاعة علي وعلى غيرهم ممن كان في طاعته ممن لقيه مجتازا، وأن يصبح في بلد ويمسي في آخر، ولا يقيم لخييل إن سرحت إليه، وإن عرضت له قاتلها، وكانت تلك أول غارات معاوية.

فأقبل الضحاك إلى الققططانة فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف، وجعل يأخذ أموال الناس من الاعراب وغيرهم ويقتل من ظن أنه على طاعة علي أو كان يهوي هواه حتى بلغ الثعلبية، وأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثم صار إلى الققططانة منصرفا، ولقيه بالققططانة على طريق الحاج عمرو بن عميس بن مسعود، ابن أخي عبد الله بن مسعود فقتله - فلما ولاه معاوية الكوفة كان يقول: يا أهل الكوفة أنا أبو أنيس قاتل ابن عميس. يعلمهم بذلك أنه لا يهاب القتل وسفك الدماء - وأخذ طريق السماوة منصرفا، فلما بلغ عليا خبره قام في أهل الكوفة خطيبا فدعاهم إلى الخروج لقتال عدوهم ومنع حريمهم، فردوا عليه ردا ضعيفا ورأى منهم فشلا وعجزا، فقال:، وددت والله أن لي بكل عشرة منكم رجلا من أهل الشام، وأني صرفتكم كما يصرف الذهب، ولوددت أني لقيتهم على بصيرتي فأراحي الله من مقاساتكم ومداراتكم كما يدارى البكار العمدة والثياب المنهزمة كلما خيطة من جانب تهتكت من جانب.

ثم خرج يمشي إلى نحو الغريين، حتى لحقه عبد الله بن جعفر، بدابة فركبها ولحقه الناس بعد، فسرح لطلبه حجر بن عدي الكندي في أربعة آلاف أعطاهم خمسين درهما خمسين درهما. فسار حجر حتى لحق الضحاك نحو تدمر فقاتله فأصاب من أصحابه

تسعة عشر رجلا - ويقال: سبعة عشر رجلا - وقتل من أصحاب علي رجلان يقال: إنهما عبد الله وعبد الرحمان ابنا حوزة - وهما من الازد - وحجز الليل بينهم فهرب الضحاك في الليل ، وأقام حجر يوما أو يومين فلم يلق أحدا فانصرف .

قالوا : وبعث معاوية النعمان بن بشير الانصاري ، وأبا هريرة الدوسي بعد أبي مسلم الخولاني إلى علي يدعوانه إلى أن يسلم لمعاوية قتلة عثمان بن عفان ليقتلوا به فيصلح أمر الناس ويكف الحرب ، وكان معاوية عالما بأن عليا لا يفعل ذلك ، ولكنه أحب أن يشهد عليه عند أهل الشام بامتناعه من إسلام أولئك ، والتبري منهم ، فيشرع له أن يقول : إنه قتله ، فيزداد أهل الشام غيظا عليه وحنقا وبصيرة في محاربته وعداوته ، فلما صارا إليه فأبلغاه ما سأله معاوية امتنع من إجابتهما إلى شيء مما قدما له فانصرف أبو هريرة إلى الشام فأمره معاوية بأن يعلم الناس ما كان بينه وبين علي ، وأقام النعمان بعد أبي هريرة أشهراً وهو يظهر لعلي أنه معه ، ثم خرج فمرّ بعين التمر وعليها مالك بن كعب الهمداني فحبسه ليكتب إلى علي بخبره ، فركب إليه قرظة بن كعب الانصاري - وكان على جباية الخراج بالنهرين والفلايح ونواحيها وما والا ذلك من الطساسيج - فكلّمه فيه فخلّى سبيله فأتى معاوية ، فأخبره ومن قبله بمثل ما أخبرهم به أبو هريرة . وهذا في أول الامر .

قالوا : ثم إن معاوية ندب أصحابه لغارة نحو العراق فانتدب لها النعمان بن بشير ، فسرّحه في ألفين وأمره بتجنّب المدن والجماعات ، وأن لا يغير على مسلحة وأن يكون إغارته على من بشاطئ الفرات ثم تعجل الرجعة .

فسار النعمان حتى دنا من عين التمر ، وبها مالك بن كعب في مائة وقد كان في أكثر منها إلا أنه أذن لأصحابه في الانصراف إلى الكوفة في حوائج لهم فانصرفوا ، فكتب مالك إلى قرظة يستنجده ، فقال قرظة : إنما أنا صاحب خراج وليس معي إلا من يقوم بأمرى فقط . ووجه إليه مخنف بن سليم الازدي عبد الرحمان بن مخنف في خمسين رجلا واليا على الحرب فيما يليه قرظة ، فقاتل مالك بن كعب النعمان حتى دفعه عن القرية ، فظن أهل الشام حين رأوا عبد الرحمان بن مخنف بن سليم ومن معه أنه قد أتى مالكا مدد كثيف ،

فانهزموا حتى لحقوا بمعاوية ، وقتل منهم ثلاثة نفر ، ومن أصحاب علي رجل ، وقال النعمان : سرت ليلة فضلت ، ثم إني دفعت إلى ماء لبني اليقين وإذا امرأة تطحن في خباء لها وهي تقول :

شربت على الجوزاء كأساً روية وأخرى على الشعراء إذا ما استقلت
مشعشة كانت قريش نفافها فلما استحلت قتل عثمان حلت
قال النعمان : فعلت أني في حد الشام ، وأنه قد بلغت مأمني واهتديت .

ويقال: إن هذه الغارة كانت قبل غارة سفيان بن عوف . وقد كان علي حين أتاه خبر النعمان بالكوفة ، خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

عجبا لكم يا أهل الكوفة، أكلما أطلت عليكم سرية وأتاكم منسر من مناسر أهل الشام أغلق كل امرء منكم بابه قد انجحر في بيته انجحر الضب في جحره والضبع في وجارها ، الذليل والله من نصرتموه ، ومن رضي بكم رمى بأفوق ناصل، فقبحا لكم وترحا ، قد ناديتكم وناجيتكم ، فلا أحرار عند النداء ، ولا إخوان عند النجاء ، قد منيت منكم بسم لا يسمعون ، وبكم لا يعقلون ، وكمه لا يبصرون .

فيقال: إن علياً أتبع النعمان عدي بن حاتم الطائي فمضى حتى شارف قنسرين ثم انصرف . ويقال: إن عبد الرحمان بن حوزة الازدي قتل مع مالك بن كعب يومئذ ، وإن أخاه عبد الله قتل حين لقي حجر بن عدي الضحاك بن قيس الفهري . ويقال: إن عبد الرحمان بن حوزة قاتل الحسين مع من قاتله . والثبت: أن الذي قاتل الحسين رجل من بني تميم يقال له : عبد الله بن حوزة ، وهو غير هذا^(١) .

وبالاسناد عن ابراهيم بن محمد الثقفي (ت / ٢٨٣ هـ) في «الغارات» أيضاً، قال : حدثنا محمد قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ابراهيم قال: ومن حديث الكوفيين عن نمير بن وعلة عن أبي وداك الشاذي قال: قدم زرارة بن قيس الشاذي فخير علياً عليه السلام بالعدة التي خرج فيها بسر، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(١) انساب الاشراف؛ للبلاذري : ٤٤٥ - ٤٤٧ .

أما بعد، أيها الناس فإن أول فرقتكم وبدء نقصكم ذهاب أولي النهى وأهل الرأي منكم، الذين كانوا يلقون فيصدقون ، ويقولون فيعدلون ، ويدعون فيجيئون ، وأنا والله قد دعوتكم عودا وبدءا وسرا وجهارا، وفي الليل والنهار والغدو والاصال، فما يزيدكم دعائي إلا فرارا وادبارا ، أما تنفعكم العظة والدعاء إلى الهدى والحكمة ، واني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم ولكني والله لا اصلحكم بافساد نفسي، ولكن أمهلوني قليلا فكأنكم والله بامرئ قد جاءكم يحرمكم ويعذبكم فيعذبه الله كما يعذبكم ،

إن من ذل المسلمين وهلاك الدين أن ابن أبي سفيان يدعو الاراذل والاشرار فيجواب ، وأدعوكم وأنتم الافضلون الاخيار فتراوغون وتدافعون ، ما هذا بفعل المتقين ، ان بسر بن أبي أرطاة وجه إلى الحجاز، وما بسر ؟ ! لعنه الله لينتدب إليه منكم عصابة حتى تردوه عن شنته، فانما خرج في ست مائة أو يزيدون .

قال: فسكت الناس مليا لا ينطقون ، فقال: مالكم أمخسون أنتم، لا تتكلمون ؟ فذكر عن الحارث بن حصيرة عن مسافر بن عفيف قال: قام أبو بردة بن عوف الأزدي فقال: ان سرت يا أمير المؤمنين سرنا معك فقال: اللهم مالكم ؟ ! لاسدتم لمقال الرشد ، أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج ؟ ! انما يخرج في مثل هذا رجل ممن ترضون من فرسانكم وشجعانكم ، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الارض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق الناس ثم أخرج في كتيبة أتبع اخري في الفلوات وشعف الجبال، هذا والله الرأي السوء ، والله لولا رجائي عند لقاءهم - لو قد حم لي لقاءهم - لقربت ركابي ثم لشخصت عنكم، فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال ، فوالله ان في فراقكم لراحة للنفس والبدن .

فقام إليه جارية بن قدامة السعدي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، لأعدمنا الله نفسك ، ولا أرانا الله فراقك ، أنا لهؤلاء القوم، فسرحتني إليهم ، قال: فتجهز فانك ما علمت ميمون النقيبة ، وقام إليه وهب بن مسعود الخثعمي فقال: أنا أنتدب إليهم يا أمير المؤمنين ؟ قال: فانتدب بارك الله فيك ونزل .

فدعا جارية بن قدامة فأمره أن يسير إلى البصرة فخرج منها في ألفين وندب مع الخثعمي من الكوفة ألفين، فقال لهما: اخرجا في طلب بسر بن أبي أرطاة حتى تلحقاه فأينما لحقتماه فناجزاه، فإذا التقيتما فجارية بن قدامة على الناس، فخرج في طلب بسر فخرج وهب بن مسعود من الكوفة ومضى جارية إلى البصرة فخرج من أرض البصرة فالتقيا بأرض الحجاز فذهبا في طلب بسر.^(١)

وبالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي»: مطلع خطبة لامير المؤمنين عليه السلام بالاسناد عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن علي جميعا، عن إسماعيل بن مهران، وأحمد بن محمد بن أحمد، عن علي بن الحسن التيمي، وعلي بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن خالد جميعا، عن إسماعيل بن مهران، عن المنذر بن جيفر، عن الحكم بن ظهير، عن عبد الله بن جرير العبدى، عن الأصبع بن نباتة قال: أتى أمير المؤمنين عبد الله بن عمر وولد أبي بكر وسعد بن أبي وقاص يطلبون منه التفضيل لهم، فصعد المنبر ومال الناس إليه، فقال:

الحمد لله وليّ الحمد ومنتهى الكرم، لا تدركه الصفات، ولا يحد باللغات، ولا يعرف بالغايات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا رسول الله ﷺ نبيّ الهدى وموضع التقوى ورسول الرب الأعلى، جاء بالحق من عند الحق لينذر بالقرآن المنير، والبرهان المستنير، فصعد بالكتاب المبين ومضى على ما مضت عليه الرسل الاولون أما بعد، أيها الناس فلا يقولن رجال قد كانت الدنيا غمرتهم فاتخذوا العقار وفجروا الانهار وركبوا أفره الدواب ولبسوا ألين الثياب فصار ذلك عليهم عارا وشنارا، إن لم يغفر لهم الغفار إذا منعتهم ما كانوا فيه يخوضون وصيرتهم إلى ما يستوجبون فيفقدون ذلك فيسألون ويقولون: ظلمنا ابن أبي طالب وحرمنا ومنعنا حقوقنا، فالله عليهم المستعان. من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا وآمن بنبينا وشهد شهادتنا ودخل في ديننا اجرنا عليه حكم القرآن وحدود الاسلام، ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى، ألا وإن للمتقين

(١) الغارات: لابراهيم بن محمد الثقفي ٢: ٦٢٤ - ٦٢٧.

عند الله تعالى أفضل الثواب وأحسن الجزاء والمآب، لم يجعل الله تبارك وتعالى الدنيا للمتقين ثواباً وما عند الله خير للابرار ، انظروا أهل دين الله فيما أصبتم في كتاب الله وتركتم عند رسول الله ﷺ وجاهدتم به في ذات الله، أبحسب أم بنسب؟ أم بعمل أم بطاعة؟ أم زهادة وفيما أصبحتم فيه راغبين؟ فسارعوا إلى منازلكم - رحمكم الله - التي امرتم بعمارتها ، العامرة التي لا تخرب ، الباقية التي لا تنفد ، التي دعاكم إليها وحضّكم عليها ورغّبكم فيها، وجعل الثواب عنده عنها، فاستتموا نعم الله عزّ ذكره بالتسليم لقضائه والشكر على نعمائه ، فمن لم يرض بهذا فليس منا ولا إلينا، وإن الحاكم يحكم بحكم الله ولا خشية عليه من ذلك، أولئك هم المفلحون - وفي نسخة ولا وحشة وأولئك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون - .

وقال: وقد عاتبتكم بدرّتي التي اعاتب بها أهلي فلم تبالوا، وضربتكم بسوطي الذي أقيم به حدود ربّي فلم ترعوا، أتريدون أن أضربكم بسيفي؟ أما إني أعلم الذي تريدون وقيم أودكم، ولكن لا أشتري صلاحكم بفساد نفسي، بل يسلط الله عليكم قوما فينتقم لي منكم، فلا دنيا استمتعتم بها، ولا آخرة صرتم إليها، فبعدا وسحقا لأصحاب السعير. ^(١)

(١) الكافي ؛ للشيخ الكليني ٨ : ٣٦٠ - ٣٦٢ .

[الخطبة (٧٠)]

قال العرشي في التخريج مانصّه: «رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٩٨] وأبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبين (١٦) وأبو علي القالي في كتاب ذيل «الأمالى» والنوادر (١٩٠). (انتهى)»^(١).

قال الجلالى وردت مقاطع من النص فيما أرويه عن أبي الفرج الاصفهاني (ت/٣٥٦هـ) في مقاتل الطالبين قائلاً: حدثني أحمد بن محمد بن دنان ، وأحمد بن الجعد ، ومحمد بن جرير الطبري قالوا : حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال: حدثنا أبو أسامة ، قال: حدثني أبو جناب قال: حدثني أبو عون الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن الحسن بن علي ، قال: خرجت أنا وأبي نصلي في هذا المسجد ، فقال لي : يا بني إني بت الليلة أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة يوم بدر لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، فملكنتي عيناى ، فسنح لي رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الاود والدد ؟ فقال لي : ادع عليهم . فقلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم ، وأبدلهم بي من هو شر لهم مني .

وجاء ابن النباح . فأذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه ، فاعتوره الرجال ، فأما أحدٌ فوقعت ضربته في الطاق ، وأما الآخر فأثبتها في رأسه .

قال أبو الفرج: الاود: العوج ، والدد: الخصومات^(٢).

وقال السيد المرتضى (ت / ٤٣٦هـ) في «الأمالى» مانصّه: تأويل خبر: إن سأل سائل عن الخبر الذى يرويه شريك عن عمار الذهبى عن أبي صالح الحنفى عن أمير المؤمنين علي رضى الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام وأنا أشكو إليه ما لقيت من الاود والدد

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) مقاتل الطالبين ؛ لابي الفرج الاصفهاني : ٢٥.

الجواب يقال: له أما - الاود - فهو الميل تقول العرب لاقيمن ميلك وحنفك وأودك وذراك وضلعك وصعرك وصدغك وظلعك بالطاء وصعوك وصدعك كل هذا المعنى واحد . . وقال ثعلب: الاود إذا كان من الانسان في كلامه ورأيه فهو عوج وإذا كان في الشيء المنتصب مثل عصا وما أشبهها فهو عوج، وهذا قول الناس كلهم إلا أبا عمرو الشيباني، فانه قال: العوج - بالكسر - الاسم، والعوج - بالفتح - المصدر، وقال ثعلب: كأنه مصدر عوج يعوج عوجا، ويقال: عصا معوجة وعود معوج وليس في كلامهم معوج . وأما اللدد، فقيل: هو الخصومات، وقال ثعلب: يقال: رجل ألد وقوم لد: إذا كانوا شديدي الخصومة، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^(١).

وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»: أخبرنا أبو محمد بن طاووس أنا النقيب أبو الفوارس طراد بن محمد أنا أبو الحسين بن بشران أنا أبو علي بن صفوان أنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني عبد الرحمن بن صالح نا عمرو بن هاشم الجنبى عن أبي جناب عن أبي عون الثقفي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال لي الحسن بن علي، قال لي أبي علي: إن رسول الله ﷺ سنع لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود والدد قال: ادع عليهم قلت اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم وأبدلهم بي من هو شر مني، فخرج فضربه الرجل.

هذه مختصرة وأخبرنا بالحكاية بتمامها أبو غالب بن البنا.

أخبرنا أبو غالب بن البنا أنا أبو الحسين بن الابنوسي أنا أحمد بن عبد الرحمن بن جعفر بن خشان نا محمد بن عبد الله بن غيلان نا أبو هشام نا أبو أسامة نا أبو جناب قال: وحدثني أبو عون الثقفي قال: كنت أقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وكان الحسن بن علي يقرأ عليه، قال أبو عبد الرحمن: فاستعمل أمير المؤمنين علي رجلا من بني تميم يقال له: حبيب بن مرة على السواد، وأمره أن يدخل الكوفة من السواد من المسلمين، فقلت للحسن بن علي: إن لي ابن عم في السواد يحب أن يقوم مكانه، فقال لي: تغدو غدا

(١) الأماي؛ للسيد المرتضى ٤ : ٧٧.

على كتابك وقد ختم، فغدوت من الغد فإذا الناس يقولون: قتل أمير المؤمنين، فقلت للغلام: أبعدي إلى القصر، فدخلت القصر فإذا الحسن بن علي قاعد في مسجد في الحجرة وإذا صوائح، فقال: ادن إلي يا أبا عبد الرحمن، فجلست إلى جنبه فقال لي: خرجت البارحة وأمير المؤمنين يصلي في هذا المسجد، فقال لي: يا بني إني بت الليل أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر لسبع عشرة من رمضان، فملكنتي عينايا فسنح لي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللد؟ قال: والأود العوج واللد الخصومات، فقال لي: ادع عليهم، قال: قلت: ألهم أبدلني بهم من هو خير منهم وأبدلهم بي من هو شر مني. فجاء ابن النباح فأذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فاعتوره رجلان، فأما أحدهما فوقعت ضربته في الطاق وأما الآخر فأثبتها في رأسه.

قال أبو هشام: قال لي أبو أسامة: إني أغار عليه كما يغار الرجل للمرأة الحسناء لا

تحدثن به ما دمت حيا

قال: ونا أبو هشام قال: سمعت أبا أسامة يقول في هذا الحديث: ثلاثة عشر حديثا، فيه أن الحسن بن علي قرأ على أبي عبد الرحمن، وأن أبا عبد الرحمن سأل الحسن بن علي حاجة وهو يقرأ عليه، وأن عليا كره أن يدخل المسلمون السواد، وأن الحسن شفع في أن يترك رجل بالسواد من المسلمين، وأن علي بن أبي طالب كان إذا كتب ختم كتابه، وأنه أتخذ مسجدا في حجرته، وأنه صيح عليه فلم ينكره الحسن، وأن عليا نام وهو جالس فلم يتوضأ، وأنه قال: الأود العوج واللد الخصومات، وأنه كان له مؤذن يؤذنه بالصلاة، وأنه كان لباب داره طاق، وأنه قتل فيه»^(١).

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٥٥٦-٥٥٧.

[الخطبة (٧٢)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: اللهم داحي المدحوات... إلى آخره. ذكر هذه كثير من الناس، وهي مذكورة في الصحيفة العلوية، وفي تذكرة ابن الجوزي، وذكرها أبو علي القالي البغدادي في نوادر الامالي مع اختلاف في بعض الالفاظ وزيادة وتقصان، وفي البحار: ان الحسن بن عرفة ذكرها عن سعيد بن عمر... إلى آخره..^(١) قال العرشي في التخريج مانصه: «رواه أبو علي القالي في ذيل الامالي والنوادر (١٧٥٠)». (انتهى)^(٢)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاستناد عن ابراهيم الثقفي (ت / ٢٨٢ هـ) عن أبي سلام الكندي، قال: «كان عليّ ﷺ يعلمنا الصلاة على النبي ﷺ يقول: قولوا: اللهم داحي المدحوات، وبارئ المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك ونبيك، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدافع جيشات الأباطيل، والدامغ صولات الاضاليل، كما حمل فاضطلع قائما بأمرك لطاعتك، مستوفزا في مرضاتك، غير نكل عن قدم، ولا واه في عزم، واعيا لوحيك، حافظا لعهدك، ماضيا على نفاذ أمرك، حتى أوري قبس القابس، وأضاء الطريق للخابط، وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والآثام، وأنار موضحات الاعلام ونيرات الاحكام، فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك بالحق، ورسولك إلى الخلق، اللهم فاجزه مضاعفات الخير من فضلك، اللهم أعل على بناء البانين بناءه، وأكرم مثواه لديك ومنزلته وأتمم له نوره، واجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة مرضي المقالة، ذا منطق عدل وحظ فصل وحجة وبرهان عظيم آمين رب العالمين.^(٣) ورواه

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨١.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) الغارات: لابراهيم بن محمد الثقفي ١: ١٥٩ - ١٦٠.

الاسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) مرسلًا في «المعيار والموازنة»: ٢٧٢، ط / ١٤٠٢ هـ.
وبالاسناد عن العلامة المجلسي (ت / ١١١١ هـ) في بحار الأنوار عن مناقب ابن
الجوزي (ت / ٥٩٧ هـ) مانصه: خطبة في مدح رسول الله ﷺ، ذكرها الحسن بن عرفة،
عن سعيد بن عمير، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

الحمد لله داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها
وسعيدها وغويها ورشيدها، اللهم واجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على سيدنا
محمد عبدك ورسولك وحبيبك، الخاتم لما سبق، والفتاح لما انغلق، المعلن بالحق،
الناطق بالصدق، الدافع جيئات الابطال، والدامغ هيئات الاضاليل، فاضطلع قائما
بأمرك، مستوفزا في مرضاتك، غير ناكل عن قدم، ولاواه في عزم، مراعيًا لعهدك، محافظًا
لودك، حتى أوري قبس القابس وأضاء الطريق للخابط، وهدى به الناس بعد خوض الفتن
والاثام، والخبط في عشو الظلام، فأنارت نيرات الاحكام بارتفاع الاعلام، فهو أمينك
المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيد يوم الدين، وحجتك على العالمين، وبعيتك
بالحق، ورسولك الصدق إلى الخلق. اللهم فافسح له مفسحا في ظلك. واجزه بمضاعفات
الخير من فضلك، اللهم اجمع بيننا وبينه في برد العيش، وقرار النعمة، ومنتهى الرغبة،
ومستقر اللذة، ومنتهى الطمأنينة، وأرجاء الدعة وأفناء الكرامة. (١)

وبالاسناد عن سبط ابن الجوزي (ت / ٦٥٤ هـ) قال: اخبرنا عبدالله بن أبي المجد
الحري، أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، أنبأنا ابو الفتح ابن اسحاق، أنبأنا عبدالله بن سليمان
بن الأشعث، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عباد بن الحبيب بن المهلب بن صفرة، عن
مجالد، عن سعيد بن عمير، قال: خطب أمير المؤمنين يوماً فقال: الحمد لله داحي
المدحوات وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها وغويها
ورشيدها، اللهم واجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على سيدنا محمد عبدك
ورسولك وحبيبك، الخاتم لما سبق، والفتاح لما انغلق، المعلن بالحق، الناطق بالصدق،
الدافع جيئات الابطال والدامغ هيئات الاضاليل، فاضطلع قائما بأمرك، مستوفرا في

(١) بحار الأنوار: للعلامة المجلسي ٧٤: ٢٩٧ - ٢٧٨.

مرضاتك ، غير ناكل عن قدم ، ولاواه في عزم ، مراعيًا لعهدك ، محافظًا لودك ، حتى أوري قبس القابس ، وأضاء الطريق للخابط ، وهدي به الناس بعد خوض الفتن والاثام ، والخبط في عشو الظلام ، وأنارت نيرات الاحكام بارتفاع الاعلام ، فهو أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وحجتك على العالمين ، وبعيثك بالحق ورسولك الصديق إلى الخلق . اللهم فافسح له مفسحا في ظلك ، واجزه بمضاعفات الخير من فضلك ، اللهم اجمع بيننا وبينه في برد العيش . وقرار النعمة ، ومنتهى الرغبة ، ومستقر اللذة ، ومنتهى الطمأنينة ، وأرجاء الدعة وأفناء الكرامة» .^(١)

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥هـ) في «كنز العمال» عن سلامة الكندي قال: كان علي يعلم الناس الصلاة على النبي ﷺ يقول : اللهم داحي المدحوات ، وبارئ المسموعات ، وجبار أهل القلوب على خطراتها شقيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ، ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك ، الخاتم لما سبق ، والفتاح لما اغلق ، والمعين على الحق بالحق ، والواضع والدامغ لجيشت الاباطيل ، كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك غير نكل عن قدم ، ولا وهن في عزم ، واعيا لوحيك ، حافظا لعهدك ، ماضيا على نفاذ أمرك ، حتى أوري قبسا لقابس ، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم بموضحات الاعلام ومسرات الاسلام ونائرات الاحكام ، فهو أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعيثك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة ، اللهم افسح له مفسحا في عدنك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك ، مهنات له غير مكدرات ، من فوز ثوابك المعلول وجزيل عطائك المخزون ، اللهم اعل على بناء الناس بناءه ، وأكرم مثواه لديك ونزله ، وأتمم له نوره ، وأجزه من ابتغائك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ، ذا منطق عدل ، وكلام فصل ، وحجة وبرهان . (طس وأبو نعيم في عوالي سعيد بن منصور) .^(٢)

(١) تذكرة الخواص: ١٢٠، ط / بيروت، سنة ١٤٠١ هـ، القدم - بتسكين الدال - التقدم ، والجيشتات، من جاشت القدر تجيش: إذا غلت . والهيشات: الجماعات، وهاشوا: إذا تحركوا .
(٢) كنز العمال : للمتقي الهندي ٢ : ٢٧٠ ، ح ٣٩٨٩ .

[الخطبة (٧٣)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: أولم يبايعني قبل قتل عثمان... إلى آخره.» روي هذا الخبر من طرق كثيرة، ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب نهج البلاغة، وهى قوله ﷺ في مروان: «يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه». (انتهى)^(١)

قال الجلالى: روى محمد بن سعد (ت / ٢٠٣ هـ) في الطبقات الكبرى بقوله: أخبرني موسى بن إسماعيل قال: حدثني جويرية بن أسماء عن نافع، قال: ضرب مروان يوم الدار ضربة جدت أذنيه، فجاء رجل وهو يريد أن يجهز عليه قال: فقالت له أمه: سبحان الله تمثّل بجسد ميت؟ فتركه، قالوا: فلما قتل عثمان وسار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة يطلبون بدم عثمان خرج معهم مروان بن الحكم، فقاتل يومئذ أيضا قتالا شديدا، فلما رأى انكشاف الناس نظر إلى طلحة بن عبيد الله واقفا فقال: والله إن دم عثمان إلا عند هذا، هو كان أشد الناس عليه، وما أطلب أثرا بعد عين ففوق له بسهم فرماه به فقتله، وقاتل مروان أيضا حتى ارتث فحمل إلى بيت امرأة من عنزة فداووه وقاموا عليه، فما زال آل مروان يشكرون ذلك لهم، وانهزم أصحاب الجمل، وتوارى مروان حتى أخذ له الامان من علي بن أبي طالب فأمنه، فقال مروان: ما تقرني نفسي حتى آتبه فأبايعه، فأتاه فبايعه ثم انصرف مروان إلى المدينة - إلى أن قال: - وكانت ولايته على الشام ومصر لم يعد ذلك ثمانية أشهر ويقال: ستة أشهر، وقد قال علي بن أبي طالب له يوما ونظر إليه: ليحملن راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه وله إمرة كلحسة الكلب أنفه.^(٢)

قال البلاذري (ت / ٢٧٩ هـ) في «أنساب الأشراف» ما لفظه: حدثنا محمد بن سعد، حدثنا روح بن عباد، قال: بلغني أن مروان صار يوم الجمل إلى قوم من ربيعة.

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٢.

(٢) الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد ٥: ٣٨ - ٤٣.

وقال: أبو مخنف في اسناده: ارتث مروان يوم الجمل، فصار إلى قوم من عنزة، وبعث إلى مالك بن مسمع يستجيره، فأشار عليه أخوه مقاتل أن يفعل فأجاره وسأل علياً له الأمان فأمنه، وعرض عليه أن يبايعه حين بايعه الناس بالبصرة، فأبى وقال: ألم تؤمني؟ قال: بلى. قال: فأني لا أبايعك حتى تكرهني. قال علي: فأني لا أكرهك، فوالله أن لو بايعتني بأستك لغدرت. ثم إنه مضى إلى معاوية.^(١)

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في «شرح نهج البلاغة»: قد روى هذا الخبر من طرق كثيرة، ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب نهج البلاغة، وهي قوله ﷺ في مروان: يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه، وإن له إمرة... إلى آخر الكلام.^(٢) وقوله: فاستشفع الحسن والحسين إلى أمير المؤمنين ﷺ، هو الوجه، يقال: استشفعت فلاناً إلى فلان، أي سألته أن يشفع لي إليه، وتشفعت إلى فلان في فلان فشفعني فيه تشفيعاً. وقول الناس: استشفعت بفلان إلى فلان - بالباء - ليس بذلك الجيد. وقول أمير المؤمنين ﷺ: أو لم يبايعني بعد قتل عثمان؟ أي وقد غدر، وهكذا لو بايعني الآن.^(٣)

(١) أنساب الأشراف ٢: ٢٦٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد ٦: ١٤٦.

(٣) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد ٦: ١٤٦.

[الخطبة (٧٥)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الممتقي الهندي (ت) / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن علي قال: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. (عد، طس وعبد الغني وابن سعيد في ايضاح الاشكال والاصبهاني في الحجة وابن منده في غرائب شعبة، كر من طرق).^(١)

وباسناده عن علي قال: أمرت بقتال ثلاثة: القاسطين، والناكثين والمارقين، فأما القاسطون فأهل الشام، وأما الناكثون فذكرهم، وأما المارقون فأهل النهروان - يعني الحروية - ك في الاربعين، كر).^(٢)

وباسناده أيضا عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري قال: جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها جلوس مرجعه من العراق ليالي قتل علي، فقالت له: يا عبد الله بن شداد! هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ تحدّثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي! قال: ومالي لا أصدقك؟ قالت: فحدّثني عن قصتهم! قال: فان عليا لما كاتب معاوية وحكم الحكماء خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها: حروراء من جانب الكوفة، وإنهم عتبوا عليه فقالوا: انسخت من قميص ألبسكه الله واسم سمالك الله به، ثم انطلقت فحكمت في دين الله؟ ولا حكم إلا الله، فلما أن بلغ عليا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه أمر مؤذنا فأذن: لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن! فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس، دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه، فجعل يصكّه بيده ويقول: أيها المصحف حدّث الناس! فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين! ما تسأل عنه، إنما هو مداد في ورق ونحن نتكلم بما رويانا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم

(١) كنز العمال: للممتقي الهندي ١١: ٢٩٢، ح ٣١٥٥٢.

(٢) كنز العمال: للممتقي الهندي ١١: ٢٩٢، ح ٣١٥٥٣.

هؤلاء الدين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله ، يقول الله في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدان إصلاحا يوفق الله بينهما﴾ فأمة محمد أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل؟، وتقموا علي أن كاتب معاوية : كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشا فكتب رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا تكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : فكيف نكتب ؟ فقال : اكتب : باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ : فاكتب : محمد رسول الله ! فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ! فكتب : هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشا ، والله تعالى يقول في كتابه : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (حم والمدني ع كر).^(١)

(١) كنز العمال ؛ للمتقي الهندي ١١ : ٢٩٢ ، ح ٣١٥٥٤ .

[الخطبة (٧٦)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: رحم الله امرءاً أسمع حكماً فوعى، في كنز الفوائد للشيخ الفقيه الثقة أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ انه جاء في الحديث عن الامام الصادق ﷺ انه قال تكلم أمير المؤمنين ﷺ بأربع وعشرين كلمة قيمة كل كلمة منها وزن السموات والارض قال ﷺ: «رحم الله امرءاً أستمع فوعى ودعى الى رشاد فدنى» الى آخر ما هنا مع زيادة تبلغ بها اربعاً وعشرين كلمة أي فقرة وذكرت هذه الكلمات عنه ﷺ في كتاب زهر الآداب ثمر الالباب لابي اسحاق الفقيه واني المالكي وذكرها غيره». (انتهى).^(١)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الكراجكى (ت / ٤٤٩ هـ) في «كنز الفوائد»، قال: وجاء في الحديث عن الامام الصادق ﷺ انه قال: «تكلم أمير المؤمنين صلوات الله عليه بأربع وعشرين كلمة قيمة، كل كلمة منها وزن السموات والارض، قال: رحم الله امرءاً أسمع فوعى، ودعى الى رشاد فدنا، واخذ بحجزه هاد فنجا، راقب ربه وخاف ذنبه، قدّم خالصاً وعمل صالحاً، اكتسب مذكوراً واجتنب محظوراً، رمى غرضاً واخذ عوضاً، كابر هواه وكذب مناه، حذر املاً ورثب عملاً، جعل الصبر رغبة حياته، والتقى عدة وفاته، يظهر دون ما يكتنم ويكتفي باقل مما يعلم، لزم الطريقة الغراء والمحجة البيضاء، اغتنم المهل وبادر الاجل، وتزود من العمل». ^(٢)

ونقل العلامة المجلسي (ت / ١١١١ هـ) في بحار الأنوار، من كتاب عيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمد الواسطي استنسخناه من أصل قديم في المواعظ وذكر الموت، وهو خمسمائة وثمانية وثمانون كلمة . قوله ﷺ : رحم الله عبداً سمع حكماً فوعى ،

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٢.

(٢) كنز الفوائد؛ للكراجكي: ١٦٢.

ودعي إلى الرشاد فدنا، وأخذ بحجزة هاد فنجى، وراغب ربه، وخاف ذنبه، قدم خالصا،
وعمل صالحا، اكتسب مذخورا، واجتنب محذورا، رمى غرضا، وأحرز عوضا، كابد
هواه، وكذب مناه، جعل الصبر مطية نجاته، والتقوى عدّة وفاته، ركب الطريقة الغراء،
ولزم المحجة البيضاء، اغتتم المهل، وبادر الاجل، وتزوّد من العمل»^(١).

(١) بحار الأنوار؛ للعلامة المجلسي ٧٧: ٤٢٣.

[الخطبة (٧٧)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ : «إن بني أمية ليفوقوني تراث... الخ» أصل هذا الخبر رواه أبو الفرج في كتاب الاغانى على ما يقال.^(١) قال العرشي في التخريج مانصه: رواه أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى في غريب الحديث (١٩٦ ب)، وأبو الفرج الاصفهاني في كتاب الأغاني ج ١١ ص ٢٩. (انتهى)^(٢)

[الدعاء (٧٨)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني... الخ، ذكر عبد الحميد في شرحه جملة من أدعية الصحيفة السجادية، وقال: إنها من ادعية أمير المؤمنين ﷺ، وإن الامام السجاد زين العابدين ﷺ كان يدعو بها، ولا نعلم مستنده في ذلك، ولعله وقف على ما يقضي بذلك، أو أنه عرف ذلك من جهة النفس والاسلوب والنظم والطريقة، ولكن كلامه شبيه بكلام جده أمير المؤمنين ﷺ في ذلك، والله العالم».^(٣)

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٢.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) مدارك نهج البلاغة: ٨٢.

[الكلام (٧٩)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «روى الشيخ الصدوق هذه المحادثة بتغيير يسير في الأُمالي (المجلس ٦٤)»^(١).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويهِ عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «الأُمالي» قال ما لفظه: حدثنا محمد بن علي ماجيلويه عليه السلام، قال: حدثني عمي محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي القرشي، عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، قال: لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى النهروان أتاه منجم، فقال له: يا أمير المؤمنين، لا تسرف في هذه الساعة، وسرفي ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ولم ذاك؟ قال: لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذى وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك ظفرت وظهرت وأصبت كل ما طلبت.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: تدري ما في بطن هذه الدابة، أذكر أم أنسى؟ قال: إن حسبت علمت. قال له أمير المؤمنين عليه السلام: من صدقك على هذا القول كذب بالقرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَى أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ما كان محمد عليه السلام يدعي ما ادعيت، أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء، والساعة التي من سار فيها حاق به الضر؟ من صدقك بهذا استغنى بقولك عن الاستعانة بالله عز وجل في ذلك الوجه، وأحوج إلى الرغبة إليك في دفع المكروه عنه، وينبغي له أن يوليكم الحمد دون ربه عز وجل، فمن آمن لك بهذا فقد اتخذك من دون الله ندا وضدا. ثم قال عليه السلام: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا ضير إلا ضيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك. ثم التفت إلى المنجم،

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

فقال: بل نكذبك ونخالفك، ونسير في الساعة التي نهيت عنها.^(١)

ومن الموافقات: ما أرويه بالاسناد عن سبط بن الجوزي (ت / ٦٥٤ هـ) قال: روى عكرمة عن ابن عباس والشعبي عن أبي أراكة قال: لما انصرف أمير المؤمنين من الأنبار أو من الكوفة لقتال الخوارج بالنهروان كان معه مسافر بن عوف بن الأحمر وكان ينظر في النجوم، فقال له: يا أمير المؤمنين لا تسرف في هذه الساعة، وسرفي ثلاث ساعات من النهار، قال: ولم؟ قال: لانك ان سرت الساعة اصابك ومن معك بلاء وشدة، وان سرت في الساعة الثالثة ظفرت، فقال: الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ وسمعت رسول الله ﷺ يقول: من صدق منجما أو كاهناً فكأنما كذب بما أنزل على محمد. وفي رواية: فقد كفر، وسمعت يقول: انما أخاف على امتي اثنين: التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، ثم قال: ما كان لمحمد ﷺ منجم، ولا للخلفاء بعده، ثم قال له: هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ فقال: ان حسبت علمت، فقال: من صدقك بهذا القول كذب بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ الآية، وما كان محمد ﷺ يدعي ما ادعيت علمه، فمن صدقك في قولك كان كمن اتخذ من دون الله انداداً، اللهم لا طائر إلا طائر ك ولا خير إلا من عندك، ولا إله غيرك، ثم قال: يا بن الأحمر نكذبك ونخالفك ونسير في ظلمات البر والبحر، المنجم كافر والكافر في النار؛ يا بن الأحمر والله لئن بلغني أنك بعدها تنظر في النجوم وتعمل فيها لأجلدك جلد المفتري، ولأخلدك في الحبس ما بقيت، ولأحرمنك العطاء ما عشت وكان لي سلطان. ثم سار أمير المؤمنين في الساعة التي نهى عن السير فيها فظفر بالخوارج وأبادهم، ثم قال: فتحنا بلاد كسرى وقيصروا وتبع وحمير وجميع البلدان بغير قول منجم. أيها الناس توكلوا على الله واتقوه واعتمدوا عليه، ألا تروا به لو سرننا في الساعة التي أشار اليها المنجم لقال الناس: انما ظفروا بقول المنجم، فثقوا بالله واعلموا ان هذه النجوم

(١) الأماشي؛ للشيخ الصدوق: ٥٠٠ - ٥٠١.

مصاييح، جعلت زينة ورجوماً للشياطين، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، والمنجمون أضداد الرسل يكذبون بما جاؤا به من عند الله، لا يرجعون الى قرآن ولا شرع، انما يتسترون بالإسلام ظاهراً ويستهزئون بالنبيين باطناً فهم الذين قال الله فيهم وما يؤمن أكثرهم بالله وهم مشركون».

وفي رواية: ان ابن احمر قال له: يا أمير المؤمنين لا تسرف في هذه الساعة، قال: ولم؟ قال: لأن القمر في العقرب، فقال: قمرنا أو قمرهم؟ وهذا من احسن الأجوبة. ^(١)

ورواه السيد ابن طاووس الحسني (ت / ٦٦٤ هـ) في كتاب النجوم، ثم قال في «فرج المهموم»: اني رأيت فيما وقفت عليه في كتاب عيون الجواهر؛ تأليف أبي جعفر محمد بن بابويه رضوان الله عليه حديث المنجم الذي عرض لمولانا علي صلوات الله عليه عند مسيره للنهروان مسنداً، وفي رجال روايته من لا يليق في منزلته العمل به والالتفات إليه. فقال ما هذا لفظه: حدثني محمد بن علي بن ما جيلويه عليه السلام قال: حدثني محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي القرشي عن نصر بن مزاحم المنقري عن عمر بن سعد عن يوسف بن يزيد عن مينا عن وجزين الاحمر قال: لما أراد أمير المؤمنين المسير الى النهروان اتاه منجم... ثم ذكر حديثه. ^(٢)

(١) تذكرة الخواص: ١٤٥، ط / ١٤٠١ هـ.

(٢) فرج المهموم؛ للسيد ابن طاووس الحسني: ٥٧.

[الخطبة (٨٠)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ معاشر الناس ان النساء نواقص الايمان... الى آخره.» رواه السبط في التذكرة ورواه غيره». (انتهى).^(١)

قال العرشي: «الخطبة السابعة والسبعون: روى الشيخ الصدوق في «الأمالي» (المجلس ٥٠) و الشيخ المفيد في كتاب الاختصاص إبحار الانوار ج ١٧ ص ٢٥ منها: فأتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر إجماع ١ ص ١٢٦». (انتهى).^(٢)

قال الجالي: روى الشيخ الكليني (ت / ٣٢٩ هـ) في «الكافي» عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن ذكره، عن الحسين ابن المختار، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال أمير المؤمنين ﷺ في كلام له: اتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر، وإن أمرنكم بالمعروف فخالفوهن كيلا يطمعن منكم في المنكر.^(٣)

وبالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٩ هـ)، قال في «الكافي»: وفي حديث مالك بن أعين قال: حرض أمير المؤمنين صلوات الله عليه الناس بصفين فقال: إن الله عز وجل دلکم على تجارة تنجيکم من عذاب أليم، وتشفي بکم على الخير: الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله، وجعل ثوابه مغفرة للذنوب ومساكن طيبة في جنات عدن، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِيَانِ مَرْصُوصٍ﴾ فسوّوا صفوفکم كالبنیان المرصوص، فقدموا الدارع وأخروا الحاسر، وعضوا على النواجذ فإنه أنبأ للسيوف على الهام، والتتوا على أطراف الرماح فإنه أمور للأسنة وغضوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب، وأمیتوا الأصوات فإنه أطرّد للفشل وأولى بالوقار، ولا تمیلوا برایاتکم ولا تزیلوهما ولا تجعلوهما إلا مع شجعانکم، فإن المانع للذمار والصابر

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨١.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) الكافي؛ للشيخ الكليني ٥: ٥١٧.

عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ، ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترًا، ولا تدخلوا دارًا، ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم إلا ما وجدتكم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمت أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم؛ فإنهن ضعاف القوى والأنفس والعقول، وقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة فيعير بها وعقبه من بعده، واعلموا أن أهل الحفاظ هم الذين يحفون برياتهم ويكتنفونها، ويصرون حفا فيها وورائها وأمامها ولا يضيعونها، لا يتأخرون عنها فيسلموها، ولا يتقدمون عليها فيفردوها، رحم الله امرءًا وأسى أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع قرنه وقرن أخيه، فيكتسب بذلك اللائمة، ويأتي بدناءة، وكيف لا يكون كذلك؟ وهو يقاتل الاثنين، وهذا ممسك يده قد خلى قرنه على أخيه هاربا منه ينظر إليه، وهذا فمن يفعله يمقته الله، فلا تعرضوا لمقت الله عز وجل، فإنما ممركم إلى الله، وقد قال الله عز وجل: ﴿لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا﴾ وأيم الله لن فررتم من سيوف العاجلة لا تسلمون من سيوف الآجلة فاستعينوا بالصبر والصدق، فانما ينزل النصر بعد الصبر، فجاهدوا في الله حق جهاده ولا قوة إلا بالله».

وقال ﷺ حين مّبراية لأهل الشام أصحابها لا يزولون عن مواضعهم فقال ﷺ: «إنهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم، وضرب يفلق الهام ويطيح العظام ويسقط منه المعاصم والأكف حتى تصدع جباههم بعمد الحديد، وتنتثر حواجبهم على الصدور والأذقان، أين أهل الصبر وطلاب الأجر؟! فسارت إليه عصابة من المسلمين فعادت ميمنته إلى موقفها ومصافها وكشفت من بإزائها، فأقبل حتى انتهى إليهم، وقال ﷺ: إني قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم، تحوزكم الجفأة والطغاة وأعراب أهل الشام، وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم، وعمّار الليل بتلاوة القرآن ودعوة أهل الحق إذ ضل الخاطئون، فلو لا إقبالكم بعد إدباركم وكرّكم بعد انحيازكم لوجب عليكم ما يجب على المولي يوم الزحف دبره، وكنتم فيما أرى من الهالكين، ولقد هوّن عليّ بعض وجدي وشفى بعض حاج صدري إذا رأيتمكم حزتموهم كما حازوكم،

فأزلموهم عن مصافهم كما أزالوكم وأنتم تضربونهم بالسيوف حتى ركب أولهم آخرهم كالإبل المطرودة إليهم الآن ، فاصبروا ، نزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين ، وليعلم المنهزم بأنه مسخط ربه وموبق نفسه ، إن في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقي وفساد العيش عليه وإن الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه ولا يرضى ربه ، ولموت الرجل محققا قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبيس بها والإقرار عليها . وفي كلام له آخر وإذا لقيتم هؤلاء القوم غدا فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم ، فإذا بدؤوا بكم فانهدوا إليهم وعليكم السكينة والوقار وعصوا على الأضراس فإنه أنبأ للسيوف عن الهام ، وغضوا الأبصار ومدوا جباه الخيول ووجوه الرجال ، وأقلوا الكلام فإنه أطردهم للفشل وأذهب بالوهل ، ووطنوا أنفسكم على المبارزة والمنازلة والمجادلة ، واثبتوا واذكروا الله عز وجل كثيرا ، فإن المانع للذمار عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ الذين يحقون براياتهم ويضربون حافتيها وأمامها ، وإذا حملتم فافعلوا فعل رجل واحد ، وعليكم بالتحامي فإن الحرب سجال ، لا يشدون عليكم كرة بعدفرة ولا حملة بعد جولة ، ومن ألقى إليكم السلم فاقبلوا منه ، واستعينوا بالصبر فإن بعد الصبر النصر من الله عز وجل ، ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾^(١)

وبالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «الأمالى» : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار رحمته الله ، قال : حدثنا أبي ، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن محمد بن سنان ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر الباقر ، عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام ، قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : من وقف نفسه موقف التهمة فلا يلوم من أساء به الظن ، ومن كتم سره كانت الخيرة بيده ، وكل حديث جاوز اثنين فشا ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك ، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوء وأنت تجد لها في الخير محملا ، وعليك بإخوان الصدق فأكثر من اكتسابهم ، فإنهم عدة عند الرخاء وجنة عند البلاء ، وشاور في حديثك الذين يخافون الله ، وأحبب الإخوان على قدر التقوى ، واتقوا

(١) الكافي ؛ للشيخ الكليني ٥ : ٤٣٣٩.

خطب أمير المؤمنين / الخطبة (٨٠) ٦٣١

شرار النساء ، وكونوا من خيارهنّ على حذر ، إن أمرنكم بالمعروف فخالقوهنّ ، كيلا
يطمعن منكم في المنكر»^(١).

(١) الأماي؛ للشيخ الصدوق : ٣٨٠.

[الكلام (٧٨١)]

قال العرشي: رواه الشيخ الصدوق باختلاف ضئيل في معاني الاخبار. (انتهى).^(١)
قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي»: «بل الزهد في الدنيا ان لاتكون بما في يدك اوتق منك بما عند الله عزوجل».

وبالاسناد عنه عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن مالك بن عطية عن معروف بن خربوذ ، عن أبي الطفيل قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: الزهد في الدنيا قصر الأمل، وشكر كل نعمة، والورع عن كل ما حرم الله عزوجل.^(٢)

وبالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «معاني الأخبار»: حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد عليه السلام قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن مالك بن عطية الاحمسي ، عن معروف بن خربوذ ، عن أبي الطفيل ، قال: سمعت أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: الزهد في الدنيا قصر الامل ، وشكر كل نعمة، والورع عما حرم الله عليك.^(٣)

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) الكافي ؛ للشيخ الكليني ٥ : ٧١.

(٣) معاني الأخبار؛ للشيخ الصدوق : ٢٥١.

[الكلام (٨٢)]

قال العرشي في التخريج مانصه: روى الكلام كله المبرّد في الكامل [ج ١ ص ١٨٨] وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري. المتوفى ٣٢١ (٩٣٣ م) في كتاب المجتني (١٣) والحراني في تحف العقول (٤٧) وأبو علي القالي في كتاب «الأُمالي» (ج ٢ ص ١٢٢). (انتهى).^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أروية عن ابن شعبة الحراني (ت / ٣٣٦ هـ) في تحف العقول، قال: وقال ﷺ في ذم الدنيا: أولها عناء وآخرها فناء، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب. من صح فيها أمن. ومن مرض فيها ندم. من استغنى فيها فتن. ومن افتقر فيها حزن. من ساعاها فاته. ومن قعد عنها أته. ومن نظر إليها أعمته. ومن نظر بها بصّرتة.^(٢)

و قال أبو الفتح الكراجكي (ت / ٤٤٦ هـ) في كنز الفوائد: ومن بديع كلام أمير المؤمنين ﷺ الذي حفظ عنه: ان رجلا قطع عليه خطبته وقال له: صف لنا الدنيا، فقال: أولها عناء وآخرها بلاء، حلالها حساب وحرامها عقاب، من صح فيها أمن، ومن مرض فيها ندم، ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاته، ومن قعد عنها اتته، ومن نظر إليها ألته، ومن تهاون بها نصرته. ثم عاد الى مكانه من خطبته صلوات الله عليه وهذه اعلى الرتب درجة في حضور الخاطب.^(٣)

وبالاسناد عن الموفق الخوارزمي (ت / ٥٦٨ هـ) في المناقب: وبهذا الاسناد عن أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان، حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا، حدثنا الحسين بن عبد الرحمان، حدثنا عبيد الله بن محمد

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) تحف العقول؛ لابن شعبة الحراني: ٢٠١.

(٣) كنز الفوائد؛ لأبي الفتح الكراجكي: ١٦٠.

التقى عن شيخ من بني عدي قال: قال رجل لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا، قال: وما أصف لك من دار من صح فيها أمن، ومن سلم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، في حلالها حساب، وفي حرامها النار.^(١)

وبالاسناد إلى المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن علي أنه سئل عن الدنيا؟ فقال: أطيل أم أقصر؟ فقيل: أقصر، فقال: حلالها حساب، وحرامها عذاب، فدعوا الحلال لطول الحساب، ودعوا الحرام لطول العذاب.

ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والدينوري كر. وعن شيخ من بني عدي قال: قال رجل لعلي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا، قال: وما أصف لك من دار، من صح فيها أمن، ومن سقم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، حلالها حساب وحرامها النار. (ابن أبي الدنيا والدينوري).^(٢)

(١) المناقب؛ للموفق الخوارزمي: ٣٦٤.

(٢) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ٣: ٧١٩، ح ٨٥٦٦ و٨٥٦٧.

[الخطبة (٨٣)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: «الحمد لله الذي علا بحوله ودنى بطوله...إلى آخره.» هذه الخطبة الجليلة في البلاغة والفصاحة وحسن الانسجام والجمع للمحسنات البديعية لاتجارى ولا تبارى، وفيها من اللطائف والدقائق ما عده الشارح الفاضل من معجزاته ﷺ التي فات بها البلغاء وأخرس الفصحاء. وقال السيد الشريف بعد انتهائها: وفي الخبر: انه ﷺ لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود وبكت العيون ورجفت القلوب. ومن الناس من يسمي هذه الخطبة: الغراء.

ونقل الشارح المذكور أن الشيخ أبا عثمان قال: حدثني تمامة قال: سمعت جعفر بن يحيى وكان من أبلغ الناس وأفصحهم يقول: الكتابة ضم الكلمة إلى أختها، ألم تسمعوا قول شاعر لشاعر وقد تفاخر: أنا أشعر منك؛ لاني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه. ثم قال: وناهيك حسناً بقول علي بن أبي طالب ﷺ: هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ.

قال أبو عثمان: وكان جعفر يعجب بقول علي ﷺ: أين من جد واجتهد وجمع واحتشد، وبنى فشيّد؛ وفرش فمهّد، قال: ألا ترى أن كل لفظة منها آخذة بعنق قرينتها، جاذبة إياها إلى نفسها؟ ثم ذكر الشارح فصاحته ﷺ وأنه أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الاولين والآخرين... إلى آخر ما كتبه في «ص ٩٩» من المجلد الثاني.

ويتجلى لك مما كتبناه هنا: أن هؤلاء الافاضل الاعلام يرون أن هذه الخطبة من كلام مولانا أمير المؤمنين لا يخالجهم في ذلك شك، ولا يخامرهم فيها ريب، وكفى بهؤلاء حجباً على صحة الاسناد، وأدلة على ثبوت الرواية. على أن هذه الخطبة تشهد بنفسها لنفسها، فان مفرداتها سهلة سلسلة، لا وحشية ولا معقّدة، وجملها حسنة المعاني، سريعة الوصول إلى الافهام، وقد اشتملت على أكثر المحسنات البديعية من المقابلة والمطابقة

وحسن التقسيم ورد الكلام على صدره والترصيع والتسليم والتوشيح والمائلة والاستعارة والموازنة والتكافؤ والتسميط والمشاكله، وغير ذلك.

قال الشارح الفاضل: ولا شبهة أن هذه الصفات كلها موجودة في خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) وكتبه، مبثوثة متفرقة في فرش كلامه (عليه السلام)، وليس يوجد هذان الامران [ما يعتبر في مفردات الكلام وما يعتبر في مركباته] في كلام أحد غيره... الى اخره.

وقد تلخص من ذلك أن من قرأ هذه الخطبة، وكان من أهل الذوق والتمييز والمعرفة بأساليب الكلام، وقد تذوق كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) واستضاء بنوره وأستشق أريج شذاه يكاد يجزم بأن هذا الثمر من ذلك الشجر، وهذه الغرفة من ذلك البحر، فالمتن شاهد لا يحتاج إلى تعديل، وسند عال للاخبار المراسيل، وقد ختم الشارح الفاضل شرحه لهذه الخطبة بقوله: واعلم إن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يتعب، وصاحبه منسوب إلى السفه، وليس جاحد الامور المعلومه علماً ضرورياً بأشد سفهاً ممن رام الاستدلال بالادلة النظرية عليها.

وقوله (عليه السلام): «عباد مخلوقون اقتداراً... الخ» رواه في تحف العقول للحسن بن علي بن شعبة المتوفى سنة ٣٣٢ هـ مرسل، قال: وقال (عليه السلام): «إنكم مخلوقون اقتداراً ومربوبون اقتساراً» ثم ذكر بعده جملة من الفقرات المذكورة في هذه الخطبة وكذلك القاضي القضاي، فانه ذكر في الباب الثالث فيما روي عنه (عليه السلام) من المواعظ قوله: إنكم مخلوقون، وأتبعه بجمل من هذه الخطبة، ثم أدخل فيما رواه جملاً من خطب أخرى مذكورة في النهج وجعل الجميع كلاماً واحداً^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: «روى أبو نعيم الاصفهاني أكثرها في الحلية ج ١ ص ٧٨، كما روى على بن محمد الواسطي جزءاً منها في عيون الحكم والمواعظ إبحار ج ١٧ ص ١١٢» (انتهى)^(٢).

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٥.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

قال الجلايلي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه عن العلامة المجلسي (ت/١١١١هـ) عن علي بن محمد الواسطي في كتابه عيون الحكم والمواعظ عن نسخة عتيقة، قال المجلسي عنها: «استنسخناه من أصل قديم في المواعظ وذكر الموت»^(١).
وبالاسناد عن سبط بن الجوزي (ت/٦٥٤هـ) قال: فصل ومن كلامه عليه السلام في المواعظ والرقائق. قال أبو نعيم الأصبهاني في كتاب الحلية: وقد تقدم اسناده حدثنا عمر بن محمد حدثنا الحسين بن محمد بن عفير، حدثنا الحسن بن علي حدثنا خلف بن تميم عن عمر ابن الرحال، عن العلاء بن المسيب عن عبد خير، قال: قال لي علي عليه السلام: «ليس الخيران يكثر مالك وولئك، ولكن الخيران يكثر عملك ويعظم حلمك، فلا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنباً، فهو يتدارك ذلك بتوبة، ورجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عملاً في تقوى، فكيف يقل ما يتقبل».

وقال أبو نعيم: حدثنا أبي ابراهيم بن محمد بن الحسن، قال: كتب الى احمد بن ابراهيم بن هشام الدمشقي، حدثنا ابن صفوان عن القاسم بن يزيد بن عوانة عن ابن حرب عن ابن عجلان، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده، قال: «شيع أمير المؤمنين جنازة، فلما وضعت في لحدّها عَجَّ أهلها وبكوا، فقال: مم تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين لأذهلهم ذلك عن البكاء عليه، أما والله ان له اليهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحد.

ثم قام فيهم فقال: أوصيكم بتقوى الله - عباد الله - الذي ضرب لكم الأمثال ووقّت الاجال، وجعل لكم اسماعاً تعي ما عناها وأفئدة تفهم ما دهاها، ان الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً، بل اكرمكم بالنعم السوانغ والآلاء السوايغ، فاتقوا الله عباد الله وحثوا في الطلب وبادروا بالعمل قبل الندم قبل هادم اللذات ومفرّق الجماعات، فان الدنيا لا يدوم نعيمها ولا يؤمن فجائعها، غرور حائل وسناد مائل، ونعيم زائل، وجيد عاطل، فاتعظوا عباد الله بالعبر، وازدجروا بالنذر، فكأن قد علقتكم مخالب المنية واحاطت بكم البليّة، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخ الصور وبعثرة القبور، وسياق الحشر

والموقف للحساب في النشور، وبرز الخلايق للمبدئ المعيد، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد، ونوقش على القليل والكثير والفتيل والنكير، واشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب فارتجت لذلك اليوم البلاد، وخشع العباد ونادى المنادي من مكان قريب، وحشرت الوحوش وزوجت النفوس، وبرزت الجحيم قد تأجج جحيمها وغلا حميمها، فاتقوا الله عباد الله تقية من وجل وحذر، وابصر وازدجر، فاحتث طلباً ونجا هرباً، وقدم للمعاد، واستظهر من الزاد، وكفى بالله منتقماً وبالكتاب خصيماً وبالجنة ثواباً ونعيماً.

وفي رواية: وكفى بالجنة ثواباً وبالنار وبالآل وعقاباً، واستغفر الله لي ولكم.

قلت: وقعت الينا الفاظ من هذا الكتاب حذفنا اسنادها طلباً للاختصار الذي هو فصل الخطاب.^(١)

(١) تذكرة الخواص؛ ١٢٤، ط / بيروت.

[الخطبة (٨٤)]

قال الجلالي: قال البلاذري (ت / ٢٧٩ هـ) في «أنساب الأشراف» مالفظة: حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن حدثه عن عيسى بن طلحة قال: قلت لابن عباس : أخبرني عن أبي بكر؟ فقال: كان خيرا كله على حين كانت فيه وشك غضب [ظ] قلت : فعمر؟ قال: كان كأنه طائر حذر قد نصبت له أحبولة ، فهو يعطي كل يوم بما فيه على عنف السياق . قلت : فعثمان ؟ قال: كان والله صواما قواما يخدعه نومه عن يقظته. قلت : فصاحبكم ؟ قال: كان مركوزا حلما وعلما ، وغره من أمره اثنتان : سابقته وزالته [كذا] قلت : أكان محدودا ؟ قال: أنتم تقولون ذاك .

قالوا : وكان عمرو بن العاص يقول: إن في علي دعاية وهرة ، فقال علي: زعم إن النابغة أني تلعباة تمزاحة ، ذو دعاية ، أعافس وأمارس ، هيهات ، يمنعني من ذاك خوف الموت وذكر البعث والحساب ، ومن كان ذا قلب ففي هذا له واعظ وزاجر ، أما وشّر القول الكذب ، وإنه ليحدث فيكذب ، ويعد فيخلف ، ويحلف فيحنث ، فإذا كان يوم البأس فأَيّ أمر وزاجر ما لم تأخذ السيوف مأخذا من هام الرجال ، فإذا كان ذلك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم أسته»^(١).

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله عليه السلام: عجباً لابن النابغة... إلى آخره. ذكر في كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة مع اختلاف يسير وزيادة في هذه الرواية على تلك. ورواه ابن قتيبة في عيون الاخبار ج ١ ص ١٦٤ والبيهقي في كتاب المحاسن المساوي ج ١ ص ٣٩ وشيخ الطائفة في الامالي (٨٢)»^(٢).

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت /

(١) انساب الاشراف؛ للبلاذري : ١٥٠ - ١٥١.

(٢) مدارك نهج البلاغة: ٨٧.

٤٦٠ هـ) في «الأمالي»: أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، قال: أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن سعيد، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: كان عمرو بن العاص يقول: إن في علي دعابة. فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: زعم ابن النابغة أني تلعبه، مزاحه، ذو دعابة، أعافس وأمارس، هيهات يمنع من العفاس والمراس ذكر الموت وخوف البعث والحساب، ومن كان له قلب، ففي هذا له واعظ وزاجر، أما وشر القول الكذب، إنه ليحدث فيكذب ويعد فيخلف، فإذا كان يوم البأس فأني زاجر وآمر هو! ما لم تأخذ السيوف هام الرجال، فإذا كان ذلك فاعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم استه. ^(١)

(١) الأمالي؛ للشيخ الطوسي: ١٣١.

[الخطبة (٨٥)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... الخ، قال عبد الحميد في شرحه «ص ١٢٠ ج ٢» بعد أن ذكر أن في هذا الفصل - على اختصاره - من مسائل التوحيد ثمانياً وعددها: واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الالهية ما عرفت إلا من كلام هذا الرجل، وأن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً ولا كانوا يتصورونه ولو تصوروه لذكروه. قال: وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام. وذكر مثل هذا الكلام في «ص ٢٢٨ ج ٢» قلت: وهذا مما يؤيد صدور هذا الكلام منه ونسبته اليه دون غيره من أهل عصره». (١)

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٦.

[الخطبة (٨٧)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ حتى يظنّ الظان ان الدنيا... الى آخره. قيل: ان هذه الخطبة طويلة، وان الرضي رحمه الله قد حذف منها كثيراً، ومن جملة ذلك: «اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة... الى آخره».^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت / ٢٧٤ - ح) في المحاسن عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ابراهيم بن عمر اليماني، عن ذكره، عن علي بن أبي طالب أنه كان يقول: إن أفضل ما يتوسل به المتوسلون: الايمان بالله وبرسوله، والجهاد في سبيل الله، وكلمة الاخلاص فانها الفطرة، وتمام الصلوة فانها الملة، وايتاء الزكاة فانها من فرائض الله، وصوم شهر رمضان فانها جنة من عذابه، وحج البيت فانها منقاة للفقر ومدحضة للذنوب، وصلة الرحم مثابة للمال ومنسأة في الاجل، وصدقة السر، فانها تطفى الخطيئة وتطفى غضب الرب، وصنائع الخير والمعروف، فانها تدفع ميتة السوء، وتقى مصارع الهول، ألا فاصدقوا، فان الله مع من صدق، وجانبوا الكذب فان الكذب مجانب للايمان، ألا إن الصادق على شفا منجاة وكرامة، ألا وإن الكاذب على شفا مخزاة وهلكة، ألا وقولوا خيراً تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من اهله، وأدّوا الامانة إلى من ائتمنكم، وصلوا الارحام من^(٢) قطعكم، وعودوا بالفضل عليهم.^(٣)

وتقدم مقاطع منها في الخطبة (٦٤) من رواية المنقري، فليراجع.

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٧.

(٢) كذا في المصدر، ولعل الصحيح: ممن.

(٣) المحاسن؛ لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ١: ٢٨٩.

[الخطبة (٨٨)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: أما بعد فإن الله لم يقصم جباري دهر... الخ، روى هذه الخطبة الشيخ الثقة الكليني في روضة الكافي ورواها الشيخ المفيد في الارشاد والروايات مختلفة في اللفظ والمقدار»^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الكليني في كتاب الروضة من فروع الكافي ج ٣ ص ٣١، والشيخ المفيد في الارشاد (١٦٨)». (انتهى)^(٢).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الشيخ الكليني في «الكافي» في عنوان (خطبة لامير المؤمنين ﷺ) بالاسناد عن أحمد بن محمد الكوفي، عن جعفر بن عبد الله المحمدي، عن أبي روح فرج بن قرّة، عن جعفر بن عبد الله، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله ﷺ قال: خطب أمير المؤمنين ﷺ بالمدينة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله، ثم قال: أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى لم يقصم جباري دهر إلا من بعد تمهيل ورعاء، ولم يجبر كسر عظم من الامم إلا بعد أزل وبلاء. أيها الناس في دون ما استقبلتم من عطب واستدبرتم من خطب معتبر، وما كل ذي قلب بلييب، ولا كل ذي سمع بسميع، ولا كل ذي ناظر عين ببصير.

عباد الله! أحسنوا فيما يعينكم النظر فيه، ثم انظروا إلى عرصات من قد أقاده الله بعلمه، كانوا على سنة من آل فرعون، أهل جنات وعيون وزرع ومقام كريم، ثم انظروا بما ختم الله لهم بعد النضرة والسرور والامر والنهي، ولمن صبر منكم العاقبة في الجنان - والله مخلدون، والله عاقبة الامور.

فيا عجباً وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٧.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

يقتصون أثر نبي، ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفون عن عيب، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، وكل امرئ منهم إمام نفسه، أخذ منها فيما يرى بعري وثيقات وأسباب محكمات، فلا يزالون بجور ولن يزدادوا إلا خطأ، لا ينالون تقرباً ولن يزدادوا إلا بعداً من الله عز وجل، انس بعضهم ببعض وتصديق بعضهم لبعض، كل ذلك وحشة مما ورث النبي الامي ﷺ ونفورا مما أدى إليهم من أخبار فاطر السماوات والارض، أهل حسرات، وكهوف شبهاة، وأهل عشوات وضلالة وريبة، من وكله الله إلى نفسه ورأيه فهو مأمون عند من يجهله، غير المتهم عند من لا يعرفه، فما أشبه هؤلاء بأنعام قد غاب عنها رعاؤها ووا أسفا من فعلات شيعتي من بعد قرب مودتها اليوم كيف يستذل بعدي بعضها؟ بعضا وكيف يقتل بعضها بعضا؟ المتشتتة غدا عن الاصل النازلة بالفرع، المؤملة الفتح من غير جهته، كل حزب منهم أخذ منه بغصن، أينما مال الغصن مال معه، مع أن الله - وله الحمد - سيجمع هؤلاء لشر يوم لبني أمية، كما يجمع قزح الخريف يؤلف الله بينهم، ثم يجعلهم ركاما كركام السحاب، ثم يفتح لهم أبوابا يسيلون من مستثارهم كسيل الجنتين: سيل العرم؛ حيث بعث عليه فارة فلم يثبت عليه أكمة، ولم يرد سننه رض طود، يدعدهم الله في بطون أودية ثم يسلكهم ينابيع في الارض، يأخذ بهم من قوم حقوق قوم، ويمكن بهم قوما في ديار قوم؛ تشريدا لبني امية، ولكيلا يغتصبوا ما غصبوا، يضعضع الله بهم ركنا وينقض بهم طي الجنادل من إرم، ويملا منهم بطنان الزيتون. فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليكونن ذلك، وكأني أسمع صهيل خيلهم وطمطممة رجالهم، وأيم الله ليدوين ما في أيديهم بعد العلو والتمكين في البلاد كما تذوب الالية على النار، من مات منهم مات ضالا، وإلى الله عز وجل يفضي منهم من درج، ويتوب الله عز وجل على من تاب، ولعل الله يجمع شيعتي بعد التشئت لشر يوم هؤلاء، وليس لاحد على الله عز ذكره الخيرة، بل لله الخيرة والامر جميعا.

أيها الناس، إن المنتحلين للامامة من غير أهلها كثير، ولو لم تتخاذلوا عن مر الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يتشجع عليكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكم وعلى

هضم الطاعة وإزوائها عن أهلها، لكن تهتّم كما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى بن عمران عليه السلام، ولعمري ليضاعفن عليكم التيه من بعدي أضعاف ما تاهت بنو إسرائيل، ولعمري أن لو قد استكملتم من بعدي مدة سلطان بني أمية لقد اجتمعتم على سلطان الداعي إلى الضلالة وأحييتم الباطل وخلفتم الحق وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى من أهل بدر، ووصلتم الأبعد من أبناء الحرب لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولعمري أن لو قد ذاب ما في أيديهم لدنا التمحيص للجزاء، وقرب الوعد وانتقضت المدة، وبدا لكم النجم ذو الذنب من قبل المشرق، ولاح لكم القمر المنير، فإذا كان ذلك فراجعوا التوبة، واعلموا أنكم إن اتبعتم طالع المشرق سلك بكم مناهج الرسول صلى الله عليه وآله، فتداوitem من العمى والصم والبكم، وكفيتم مؤونة الطلب والتعسف ونبتتم الثقل الفادح عن الاعناق، ولا يبعد الله إلا من أبي وظلم واعتسف وأخذ ما ليس له «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»^(١).

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ٨: ٦٣-٦٦.

[الخطبة (٨٩)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: أرسله على حين فترة من الرسل... الخ، روى الكليني رحمه الله في أصول الكافي شيئاً منها وذكر الشارح الفاضل اختلاف الرواية في بعض ألفاظها»^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الكليني في أصول الكافي (١٥)، ويلوح من أقوال ابن أبي الحديد في شرحه [ج ١ ص ٣٤٤] أن الخطبة رويت بروايات عديدة».
(انتهى)^(٢)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما ارويّه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن محمد بن يحيى، عن بعض أصحابه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: «أيها الناس إن الله تبارك وتعالى أرسل إليكم الرسول ﷺ وأنزل إليه الكتاب بالحق وأنتم اميون عن الكتاب ومن أنزله، وعن الرسول ومن أرسله، على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الامم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة، وانتقاض من المبرم، وعمي عن الحق، واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلطي من الحروب، على حين اصفرار من رياض جنات الدنيا، ويس من أغصانها، وانتثار من ورقها، ويأس من ثمرها، واغورار من مائها، قد درست أعلام الهدى، فظهرت أعلام الردى، فالدنيا متهجمة، في وجوه أهلها مكفهرة، مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف، مزّتم كل ممزق وقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليها أيامها، قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دمائهم، ودفنوا في التراب الموءودة بينهم من أولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدنيا، لا يرجون من الله ثواباً ولا يخافون - والله منه

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٧.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

عقابا، حيّهم أعمى نجس، وميتهم في النار مبلس، فجاءهم بنسخة ما في الصحف الاولى، وتصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال من ريب الحرام. ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، اخبركم عنه، إن فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم وبين ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتهموني عنه لعلمتكم»^(١).

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن علي قال: «إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وإن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا، ألا من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ألا إن الله عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلصين، وأهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياما لعقبى رحلة طويلة، أما الليل: فصافون أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم: ربنا ربنا، يطلبون فكاك رقابهم، وأما النهار: فعلماء حلماء بررة أتقياء، أنهم القداح ينظرون إليهم ناظر فيقول: مرضى؟ وما بالقوم من مرض، وخولطوا، ولقد خالط القوم أمرا عظيم».

(الدينوري كر).^(٢)

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ١: ٦٠.

(٢) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ٣: ٧١٩، ح ٨٥٦٦.

[الخطبة (٩١)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ : الحمد لله الذي لا يفره المنع والجمود... الخ، هذه الخطبة الجليلة رواها في النهج الذي عليه شرح الفاضل ابن أبي الحديد، والذي عليه شرح العلامة بن ميثم عن مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد ﷺ أنه قال: خطب أمير المؤمنين ﷺ بهذه الخطبة على منبر الكوفة... الخ. وقد رواها الشيخ الصدوق في كتابه المعروف بتوحيد الصدوق، قال: حدثنا علي بن محمد بن عمران الدقاق قال: حدثنا محمد بن عبدالله الكوفي قال: حدثنا محمد بن اسماعيل البرمكي قال: حدثني علي بن العباس قال: حدثني اسماعيل بن مهران الكوفي عن اسماعيل بن إسحاق الجهنبي عن فرج بن فورة عن مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: بينا أمير المؤمنين ﷺ يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا ربك تبارك وتعالى لنزداد له حباً وبه معرفة، فغضب أمير المؤمنين ﷺ ونادى: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس حتى غص المسجد باهله ثم قام متغير اللون فقال: الحمد لله الذي لا يفره المنع ولا يكديه الاعطاء... إلى آخر ما رواه الصدوق منها في الكتاب المذكور؛ وما رواه السيد هنا أطول مما رواه الصدوق منها، ومخالف له في بعض الالفاظ وبعض الفقرات. قال الشارح الفاضل في شرح الفصل المتضمن لصفة الملائكة من هذه الخطبة: «هذا موضع المثل إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، إذا جاء هذا الكلام الرباني واللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب الى النظار الخالص، ولو فرضنا ان العرب تقدر على الالفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الالفاظ، من أين لهم المادة التي عبرت هذه الالفاظ عنها؟ ومن اين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله ﷺ هذه المعاني الغامضة السمائية ليهياً لها التعبير عنها، أما الجاهلية فانهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس

أو حمار وحش أو ثور فلاة أو صفة جبال أو فلوات ونحو ذلك، وأما الصحابة فالمذكورن منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة، إما في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا أو ما يتعلق بحرب وقتال من ترغيب أو ترهيب، فأما الكلام في الملائكة وصفاتها وصورها وعبادتها وتسبيحها معرفتها بخالقها وحبها له وولها إليه وما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله، فانه لم يكن معروفا عندهم على هذا التفصيل، نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم ولا مرتبة هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم، وأما من عنده علم من هذه المادة، فلم تكن لهم هذه العبارة، ولا قدروا على هذه الفصاحة، فثبت أن هذه الامور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل إلا لعلي وحده»^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: «الخطبة السابعة والثمانون، وتعرف بخطبة الأشباح، وهي من جلائل خطبه: «الحمد لله الذي لا يفره المنع والجمود، ولا يكديه الاعطاء والوجود... الى آخره. [ج ١ ص ١٥٩]. رواها ابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٠٠]، والشيخ الصدوق في كتاب التوحيد (٣٦)». انتهى»^(٢).

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات: حدثنا الحسن بن علي بن نعمان وأحمد بن محمد جميعا عن علي بن النعمان قال: حدثني من دخل على أبي عبد الله، فقال له: قد سألت اهل بيتك فلم ار عندهم فيه شيئا، قال: وما هو؟ يرون ان عليا عليه السلام قال: سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسألوني عن ارض مخصبة ولا ارض مجدبة ولا فئة تضل مائة وتهدى مائة، الا ان شئت انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: فان هذا حق».

وايضاً: حدثنا محمد بن الحسين عن جعفر بن بشير عن المفضل عن سلام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: انا نروى احاديث لم نجد عند احد من اهل بيتك فيها شيئا، فقال:

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٨.

(٢) راجع استناد نهج البلاغة.

ماهي؟ قلت: يروون ان علياً عليه السلام كان يقول وهو يخطب الناس: يا ايها الناس سلوني فانكم لن تسألوني عن شيء فيما بيني وبين الساعة، لا عن ارض مجدبة ولا عن ارض مخصبة ولا عن فرقة تضل مائة وتهدى مائة الا أن لو شئت أنبأكم بناعقها وقائدها وسائقها، قال: وانه حق .

وأيضاً: حدثنا ابراهيم بن هاشم عن جعفر بن محمد عن عبد الله بن ميمون القداح عن جعفر عن أبيه قال: قال امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «سلوني قبل ان تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تهدى مائة الا اخبرتكم بسائقها وناعقها حتى يخرج الدجال». وقال أيضاً: حدثنا محمد بن عيسى عن محمد بن اسماعيل عن منصور بن يونس عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ارض مخصبة ولا ارض مجدبة ولا فئة تضل مائة وتهدى مائة إلا أنا أعلمها، وقد علمتها اهل بيتي يعلم كبيرهم وصغيرهم إلى ان تقوم الساعة».

فقال: حدثنا احمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سلام القصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نروى احاديث لم نجد عند اهل بيتك فيها شيئاً، قال: وما هي؟ قلت: يروون ان علياً عليه السلام قال: «سلوني وهو يخطب فانكم لا تسألون عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن ارض مخصبة ولا عن ارض مجدبة، ولا فئة تضل مائة وتهدى مائة، الا ان شئت أنبأكم بناعقها وسائقها وقائدها، فقال: انه حق» .

وقال: حدثنا ابراهيم بن هاشم عن ابن أبي عمير عن منصور عن عمرو بن شمر مثله . وقال: حدثنا أبو الفضل العلوي عن سعيد بن عيسى البصري عن ابراهيم بن الحكم، عن أبيه، عن شريك بن عبد الله عن عبد الله، عن عبد الاعلى عن أبي وقاص، عن سلمان الفارسي رحمه الله عن امير المؤمنين عليه السلام قال: قال: سلوني عما يكون إلى يوم القيامة، وعن كل فئة تضل مائة وتهدى مائة وعن سائقها وناعقها وقائدها إلى يوم القيامة.

وقال: حدثنا عبد الله بن محمد عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة: عن سويد بن غفلة قال: انا عند امير المؤمنين عليه السلام إذا اتاه رجل فقال: يا امير المؤمنين جئتك من وادي

القرى، وقد مات خالد بن عرفة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: انه لم يمت. فأعادها عليه، فقال له علي عليه السلام. لم يمت والذي نفسي بيده، لا يموت، فأعادها عليه الثالثة، فقال: سبحان الله، اخبرك انه مات وتقول: لم يمت، فقال له علي عليه السلام: لم يمت، والذي نفسي بيده لا يموت حتى يقود جيش ضلالة يحمل رايته حبيب بن جهماز، قال: فسمع بذلك حبيب فأتى أمير المؤمنين، فقال: ناشدك فيّ وأنا لك شيعة؟، وقد ذكرتني بأمر - لا والله ما اعرفه من نفسي، فقال له علي عليه السلام: ان كنت حبيب بن جهماز فتحملها، فوّلّي حبيب بن جهماز وقال: ان كنت حبيب بن جهماز لتحملها، قال أبو حمزة: فوالله ما مات حتى بعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام بن علي عليه السلام وجعل ابن عرفة على مقدمته وحبيب صاحب رايته»

وقال: حدثنا محمد بن الحسين عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن عنبسة بن العابد، عن مغيرة مولى عبد المؤمن الانصاري عن سعد بن الاصبع قال: سمعت عليا عليه السلام يقول على هذا المنبر: سلوني قبل ان تفقدوني، والله مامن ارض مخصصة ولا مجدية، ولا فئة تضل مائة وتهدى مائة إلا وقد عرفت قائدها وسائقها، وقد اخبرت بهذا رجلا من اهل بيتي يخبرها كبيرهم لصغيرهم إلى ان تقوم الساعة»^(١).

وبالاسناد عن العلامة المجلسي في بحار الأنوار: الدقاق، والقطان، والسناني جميعا، عن أحمد بن زكريا القطان، عن محمد بن العباس، عن محمد بن أبي السري، عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سعد بن طريف الكناني، عن الأصبع بن نباتة، قال: لما جلس علي عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعّمّا بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله، لا بسا بردة رسول الله، متنعلا نعل رسول الله، متقلدا سيف رسول الله، فصعد المنبر فجلس عليه متمكّنا، ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه، ثم قال: يا معاشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سبط العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا ما زفني رسول الله صلى الله عليه وآله زقا زقا، سلوني، فإن عندي علم الاولين والآخرين، أما والله لو ثبتت لي وسادة فجلست

(١) بصائر الدرجات؛ لمحمد بن الحسن الصفار: ٣١٦-٣١٨.

عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول : صدق علي ما كذب ، لقد أفتاكم بما أنزل الله في ، وأفتيت أهل الانجيل بانجيلهم حتى ينطق الانجيل فيقول : صدق علي ما كذب ، لقد أفتاكم بما أنزل الله في ، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول : صدق علي ما كذب ، لقد أفتاكم بما أنزل الله في . وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً ، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه ؟ ولولا آية في كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة ، وهي هذه الآية : ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ ثم قال : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل انزلت أوفي نهار انزلت ، مكّيها ومدنيها ، سفيها وحضريها.^(١)

قال الجلاّلي: وفي هذا الحديث أجوبة من الامام للسائلين، وهو يردد هذه الجملة: «سلوني قبل ان تفقدوني» وقد روى الشيخ المفيد هذا الحديث في الاختصاص عن علي بن محمد الشعراني، عن الحسن بن علي بن شعيب، عن عيسى بن محمد العلوي، عن محمد بن العباس، كما ورواه الطبرسي في الاحتجاج مرسلًا.^(٢)

وبالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) قال: حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمته الله ، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي ، قال: حدثني علي بن العباس ، قال: حدثني إسماعيل بن مهران الكوفي ، عن إسماعيل بن إسحاق الجهني ، عن فرج بن فروة ، عن مسعدة بن صدقة ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : بينما أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة إذ قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا ربك تبارك وتعالى لنزداد له حبًا وبه معرفة ، فغضب أمير المؤمنين عليه السلام ، ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله ، ثم قام متغيّر اللون فقال: الحمد لله الذي لا يفره المنع ، ولا يكديه الاعطاء؛ إذ كل

(١) بحار الأنوار ؛ للعلامة المجلسي ١٠ : ١١٧ - ١١٨ .

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ٧ : ١٣ .

معط منتقص سواء ، الملقى بفوائد النعم وعوائد المزيد ، وبجوده ضمن عيالة الخلق ، فأنهج سبيل الطلب للراغبين إليه ، فليس بما سئل أجود منه بما لم يسأل ، وما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ، ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه أصداف البحار من فلذ اللجين وسبائك العقيان ونضائد المرجان لبعض عبيده ، لما أثر ذلك في وجوده ولا أنفذ سعة ما عنده ، ولكان عنده من ذخائر الافضال مالا ينفذه مطالب السؤال ولا يخطر لكثرته على بال ، لانه الجواد الذي لا تنقصه المواهب ، ولا ينحله إلحاح الملحين ، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، الذي عجزت الملائكة - على قريهم من كرسي كرامته ، وطول ولههم إليه وتعظيم جلال عزّه ، وقريهم من غيب ملكوته - أن يعلموا من أمره إلا ما أعلمهم ، وهم من ملكوت القدس بحيث هم من معرفته على ما فطرهم عليه أن قالوا: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾. فما ظنك أيها السائل بمن هو هكذا ، سبحانه وبحمده ، لم يحدث فيمكن فيه التغيّر والانتقال ، ولم يتصرف في ذاته بمرور الاحوال ، ولم يختلف عليه حقب الليالي والايام ، الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ، ولا مقدار احتذى عليه من معبود كان قبله ، ولم تحط به الصفات فيكون بادراكها إياه بالحدود متناهيها ، وما زال - ليس كمثله شيء - عن صفة المخلوقين متعالياً ، وانحسرت الابصار عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفاً ، وبالذات التي لا يعلمها إلا هو عند خلقه معروفاً ، وفات لعلوه على أعلى الاشياء مواقع رجم المتوهّمين وارتفع عن أن تحوي كنه عظمتة فهاهنا رويّات المتفكرين ، فليس له مثل فيكون ما يخلق مشبهاً به ، وما زال عند أهل المعرفة به عن الاشباه والاضداد منزّها ، كذب العادلون بالله إذ شبّهوه بمثل أصنافهم ، وحلّوه حلية المخلوقين بأوهامهم ، وجزّوه بتقدير منتج خواطرهم وقدرّوه على الخلق المختلفة القوى بقرائح عقولهم ، وكيف يكون من لا يقدر قدره مقدراً في رويّات الاوهام ، وقد ضلت في إدراك كنهه هواجس الاحلام ؛ لانه أجلّ من أن يحده ألباب البشر بالتفكير ، أو يحيط به الملائكة على قريهم من ملكوت عزته بتقدير ، تعالى عن أن يكون له كفو فيشبه به ؛ لانه اللطيف الذي إذا أرادت الاوهام أن تقع عليه في

عميقات غيوب ملكه ، وحاولت الفكر المبرأة من خطر الوسواس إدراك علم ذاته، وتولّعت القلوب إليه لتحتوي منه مكيفا في صفاته، وغمضت مداخل العقول من حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم إلهيته، ردعت خاسئة وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة إليه سبحانه، رجعت إذ جبهت معترفة بأنه لا ينال بحور الاعتساف كنه معرفته، ولا يخطر ببال اولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته؛ لبعده من أن يكون في قوى المحدودين، لانه خلاف خلقه، فلا شبه له من المخلوقين وإنما يشبه الشيء بعديله، فأما ما لا عدل له فكيف يشبه بغير مثاله، وهو البدئي الذي لم يكن شيء قبله، والآخر الذي ليس شيء بعده، لا تناله الابصار من مجد جيروته إذ حجبها بحجب لا تنفذ في ثخن كثافته، ولا تخرق إلى ذي العرش متانة خصائص ستراته الذي صدرت الامور عن مشيئته، وتصاغت عزّة المتجبرين دون جلال عظمته، وخضعت له الرقاب، وعنت الوجوه من مخافته، وظهرت في بدائع الذي أحدثها آثار حكمته وصار كل شيء خلق حجة له ومنتسبا إليه، فإن كان خلقا صامتها فحجته بالتدبير ناطقة فيه، فقدّر ما خلق، فأحكم تقديره، ووضع كل شيء بلطف تدبيره موضعه، ووجهه بجهة فلم يبلغ منه شيء حدود منزلته، ولم يقصر دون الانتهاء إلى مشيئته، ولم يستعصب إذ أمره بالمضي إلى إرادته، بلا معاناة للغوب مسّه، ولا مكائدة لمخالف له على أمره، فتمّ خلقه، وأذعن لطاعته، ووافي الوقت الذي أخرجه إليه، إجابة لم يعترض دونها ريث المبطى، ولا أناة المتلكئ، فأقام من الاشياء أودها، ونهى معالم حدودها، ولأّم بقدرته بين متضاداتها، ووصل أسباب قرائنها، وخالف بين ألوانها، وفرّقها أجناسا مختلفات في الاقدار والغرائز والهيئات، بدايا خلائق أحكم صنعها، وفطرها على ما أراد إذ ابتدعها، انتظم علمه صنوف ذرؤها، وأدرك تدبيره حسن تقديرها.

أيها السائل، إعلم أنّ من شبه ربنا الجليل بتباين أعضاء خلقه وبتلاحم أحقاق مفاصلهم المحتجة بتدبير حكمته أنه لم يعقد غيب ضميره على معرفته ولم يشاهد قلبه اليقين بأنه لا ندّ له، وكأنه لم يسمع بتبري التابعين من المتبوعين وهم يقولون: «تالله أن

كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين» فمن ساوى ربنا بشئ فقد عدل به ،
والعادل به كافر بما نزلت به محكمات آياته ، ونطقت به شواهد حجج بيناته ، لانه
الله الذي لم يتناه في العقول فيكون في مهب فكرها مكيفا ، وفي حواصل رويايات همم
النفوس محدودا مصرفا، المنشئ أصناف الاشياء بلا روية احتاج إليها ، ولا قريحة غريزة
أضرر عليها ، ولا تجربة أفادها من مرّ حوادث الدهور، ولا شريك أعانة على ابتداع
عجائب الامور ، الذي لما شبّهه العادلون بالخلق المبعّض المحدود في صفاته ، ذي
الاقطار والنواحي المختلفة في طبقاته ، وكان عز وجل الموجود بنفسه لا بأداته ، انتفى أن
يكون قدره حق قدره فقال تنزيها لنفسه عن مشاركة الانداد وارتفاعا عن قياس
المقدرين له بالحدود من كفرّة العباد : «وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون» ما ذلك القرآن عليه
من صفته فاتبعه ليوصل بينك وبين معرفته، وأتمّ به، واستضى بنور هدايته ، فإنها نعمة
وحكمة اوتيتهما، فخذ ما اوتيت وكن من الشاكرين ، وما ذلك الشيطان عليه مما ليس في
القرآن عليك فرضه، ولا في سنة الرسول وأئمة الهدى أثره فكل علمه إلى الله عز وجل،
فإن ذلك منتهى حق الله عليك .

واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام في السدد المضروبة
دون الغيوب، فلزموا الاقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فقالوا: «آمنا به
كل من عند ربنا» فمدح الله عز وجل اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما ،
وسمى تركهم التعمّق في ما لم يكلفهم البحث عنه منهم رسوخا ، فاقصر على ذلك ، ولا
تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين»^(١).

وبالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في «الاختصاص» عن علي بن محمد
الشعراني ، عن الحسن بن علي بن شعيب ، عن عيسى بن محمد العلوي ، عن محمد بن
العباس بن بسام ، عن محمد بن أبي السري ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن يونس ، عن

(١) التوحيد ؛ للشيخ الصدوق : ٤٩ - ٥٦.

سعد الكناني ، عن الاصبع بن نباتة قال: لما جلس أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعمما بعمامة رسول الله ﷺ ، لابسا بردة رسول الله ، متعللا نعل رسول الله ، متقلدا سيف رسول الله ﷺ فصعد المنبر فجلس عليه متكئا ، ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه ، ثم قال: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفظ العلم، هذا لعاب رسول الله ﷺ ، هذا ما زقني رسول الله ، فاسألوني، فإن عندي علم الأولين الآخرين ، أما والله لو ثبتت لي وسادة وجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول : صدق علي ما كذب ، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ ، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول : صدق علي ما كذب ، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ ، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول : صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ ، وأنتم تتلون الكتاب ليلا ونهارا، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه ؟، ولولا آية في كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة وهي آية ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب﴾.

ثم قال عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة لو سألتهموني عن آية آية في ليل انزلت أو في نهار انزلت، مكيتها ومدنيها ، سفرها وحضرها ، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها ، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم به . فقام إليه رجل يقال له : ذعلب وكان ذرب اللسان ، بليغا في الخطب ، شجاع القلب، فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأخجلته اليوم لكم في مسألتني إياه ، فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك ؟ فقال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد ربا لم أره ، قال: فكيف رأيته، صفه لنا ، قال عليه السلام : ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ، ويلك يا ذعلب إن ربي لا يوصف بالبعد ، ولا بالحركة ، ولا بالسكون ، ولا بقيام - قيام انتصاب - ولا بجيئة ؟ ولا بذهاب ، لطيف اللطافة ، لا يوصف باللطف ، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم ، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر ، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقّة ، مؤمن لا بعبادة ، مدرك لا بمجسة ، قائل لا بلفظ ، هو في

الأشياء على غير ممازجة ، خارج منها على غير مباينة ، فوق كل شئ ولا يقال : شئ فوقه ، أمام كل شئ ولا يقال له : أمام ، داخل في الأشياء لا كشئ في شئ داخل ، خارج منها لا كشئ من شئ خارج .

فخرّ ذعلب مغشياً عليه ، ثم قال : بالله ما سمعت بمثل هذا الجواب ، والله لا عدت إلى مثلها أبداً . ثم قال ﷺ : سلوني قبل أن تفقدوني ، فقام إليه الأشعث ، بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين كيف تؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب ولم يبعث إليهم نبي ؟ قال : بلى يا أشعث ، قد أنزل الله تعالى عليهم كتاباً وبعث إليهم نبياً وكان لهم ملك سكر ذات ليلة ، فدعا بانيته إلى فراشه فارتكبها ، فلما أصبح تسامع به قومه فاجتمعوا إلى بابه فقالوا : أيها الملك دئست علينا ديننا فأهلكته ، فاخرج نطهرك ونقم عليك الحد ، فقال لهم : اجتمعوا واسمعوا كلامي فإن يكن لي مخرج مما ارتكبت وإلا فشانكم ، فاجتمعوا فقال لهم : هل علمتم أن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أيينا آدم وامننا حواء ؟ قالوا : صدقت أيها الملك قال : أوليس قد زوج بنيه بناته وبناته من بنيه ؟ قالوا : صدقت هذا هو الدين ، فتعاقدوا على ذلك ، فمحا الله ما في صدورهم من العلم ورفع عنهم الكتاب ، فهم الكفرة يدخلون النار بغير حساب . والمنافقون أشد حالاً منهم . فقال : الأشعث : والله ما سمعت بمثل هذا الجواب ، والله لا عدت إلى مثلها أبداً .

ثم قال ﷺ : سلوني قبل أن تفقدوني ، فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكئاً على عكازه ، فلم يزل يتخطى الناس حتى دنى منه فقال : يا أمير المؤمنين دلني على عمل إن أنا عملته نجاني الله تعالى من النار ، فقال له : اسمع يا هذا ثم افهم ، ثم استيقن : قامت الدنيا بثلاثة : بعالم ناطق مستعمل لعلمه ، وبغني لا يبخل بماله عن أهل دين الله ، وبفقير صابر ، فإذا كتم العالم علمه وبخل الغني ولم يصبر الفقير فعندها الويل والشبور ، وعندها يعرف العارفون بالله ، أن الدار قد رجعت إلى بدئها - أي إلى الكفر بعد الإيمان - . أيها السائل فلا تغترن بكثرة المساجد وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتى ، إنما الناس ثلاثة : زاهد وراغب وصابر ، فأما الزاهد فلا يفرح بشئ من الدنيا أتاه ، ولا يحزن على شئ منها

فاته ، وأما الصابر فيتمناها بقلبه فان أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه بما يعلم من سوء عاقبتها ، وأما الراغب فلا يبالي من حلّ أصابها أو من حرام

قال: يا أمير المؤمنين وما علامات المؤمن في ذلك الزمان ؟ قال: ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حق فيتولاه ، وينظر إلى ما خالف فيتبرء منه وإن كان حبيباً قريباً ، قال: صدقت - والله يا أمير المؤمنين ، ثم غاب الرجل ولم نره ، فطلبه الناس فلم يجدوه فتبسّم على المنبر ، ثم قال: مالكم؟ هذا أخي الخضر عليه السلام . ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني فلم يقم إليه أحد، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ .^(١)

وبالاسناد الثالث عن الهاروني (ت / ٤٢٤ هـ) قال: اخبرنا أبي رحمه الله تعالى قال: اخبرنا محمد بن عبد الله بن سلام قال: اخبرنا أبي قال: حدثنا ابراهيم بن سليمان قال: حدثنا علي بن الخطاب الخنعمي قال: حدثنا احمد بن محمد الانصاري عن بشير عن زيد بن اسلم: ان رجلاً سأل امير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة، فقال له: يا امير المؤمنين هل تصف لنا ربك فنزداد له حباً وبه معرفة؟ فغضب علي عليه السلام ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله، ثم صعد المنبر وهو مغضب متغير اللون، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: الحمد لله الذي لا يفره المنع ولا يكديه الاعطاء؛ إذ كل معط ينتقص سواه، هو المنان بفوائد النعم وعوائد المزيد والقسم، ضمن عيالة خلقه، وانهج سبيل الطلب للراغبين اليه، وليس بما سئل بأجود منه فيما لم يسأل، وما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال، ولو ذهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين وسبايك العقيان وثمار الدرّ وحصايد المرجان لبعض عبيده لما اثر في جوده ولا أنفد سعة ما عنده، ولكن عنده من ذخائر الافضال ما لم تنفده مطالب السؤال ولا تخطر لكثرتة على بال لأنه الجواد الذي لا تنقصه المواهب ولا يبخله الحاج الملحين، وانما امره إذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون، فما ظنكم بمن هو هكذا سبحانه وبحمده؟ ايها السائل اعقل عن ما سألتني عنه ولا تسألن احداً عنه بعدي، فاني اكفيك

(١) الاختصاص؛ للشيخ المفيد: ٢٣٥ - ٢٣٦.

مؤنة الطلب وشدة التعمق في المذهب، وكيف يوصف الذي سألتني عنه وهو الذي عجزت الملائكة - مع قربهم من كرسي كرامته وطول ولههم اليه وتعظيم جلال عزته وقربهم من غيب ملكوت قدرته - ان يعلموا من علمه إلا ما علمهم، وهم من ملكوت القدس بحيث هم من معرفته على ما فطرهم عليه، فقالوا: «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم»، فعليك ايها السائل بما ذلك عليه القرآن من صفته، وتقدمك فيه الرسل بينك وبين معرفته فأتم به، واستظل بنور هدايته، فإنما هي نعمة وحكمة اوتيتها، فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين. وما كلّفك الشيطان فكل علمه الى الله سبحانه، فان ذلك منتهى حق الله عليك.

اعلم ايها السائل ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن الاقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من تفسير الغيب المحجوب، فقالوا: «آمنا به كل من عند ربنا» فحمد الله سبحانه اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما، وسوّى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فأقتصر على ذلك، واعلم ان الله لم يحدث فيمكن فيه التغيّر والانتقال، ولم تتصرف في ذاته كروور الاحوال، ولم تخلف عليه عقب الايام والليالي، وهو الذي خلق الخلق على غير مثال امثله، ولا مقدار احتذى عليه من خالق كان قبله، بل أرانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطق به آثار حكيمته واعتراف الحاجة من الخلق الى ان يقيمها بمسالك قدرته ما دلّنا باضطراب قيام الحجة له علينا معرفة، ولا تحط به الصفات فيكون بادراكها اياه بالحدود متناهياً، وما زال هو الله الذي ليس كمثل شيء على صفة المخلوقين متعالياً عن الاشياء والانداد، وجلّ وعلى أن تناله الابصار فيكون بالعيان موصوفاً، وارتفع عن ان تحوى كنه عظيمته فهالت روايات المتفكرين، وليس له مثل فيكون بالخلق مشبهاً، وما زال عند اهل المعرفة بن عن الاشياء والانداد منزهاً، كذب العادلون بالله إذ شبهوه بأصنامهم وتحلّوه بتحلية المخلوقين بأوهامهم، وكيف لما لا يقدر قدرة مقدر في روايات، الأوهام لأنه اجل من ان تحده الباب البشر بتفكير، وهو أعلى ما يكون له كفو فيشبهه بنظير، فسبحانه وتعالى

عن جهل المخلوقين، فسبحانه وتعالى عن افك الجاهلين، فأين يتاه بأحدكم؟ وأن يدرك ما لا يدرك؟ والله المستعان».

وعلق على ذلك السيد الامام ابو طالب الحسيني رضي الله تعالى عنه بقوله: ما تشتمل هذه الخطبة عليه من ذكر عجز المخلوقين عن المعرفة على جميع صفات الله تعالى، المراد به العجز عن معرفة معلوماته ومقدوراته وعجائب صنعه وخلقه على التفصيل، ومقادير نعمه على خلقه، وما اختص به تعالى من علم الغيب الذي لم يطالع البشر عليه.^(١)

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٨٥ هـ) في «كنز العمال» عن مسند علي عليه السلام عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: شهدت علي بن أبي طالب يخطب، فقال في خطبته: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبليلاً نزلت أم بنهار، أم في سهل نزلت أم في جبل، فقام إليه ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين، ما «الذاريات ذروا»؟ فقال له: ويلك سل تفقّها، ولا تسأل تعنتاً، و«الذاريات ذروا»: الرياح، «فالحاملات وقرا»: السحاب، «فالجاريات يسرا»: السفن، «فالمقسمات أمرا»: الملائكة، فقال: فما السواد الذي في القمر؟ فقال: أعمى يسأل عن عمياء، قال الله تعالى: «وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة» فمحوا آية الليل السواد الذي في القمر، قال: فما كان ذو القرنين أنبياء أم ملكا؟ فقال: لم يكن واحداً منهما، كان عبد الله أحب الله فأحبه الله، وناصح الله فنصحه الله، بعثه الله إلى قومه يدعوهم إلى الهدى فضربوه على قرنه الأيمن، ثم مكث ما شاء الله، ثم بعثه الله إلى قومه يدعوهم إلى الهدى، فضربوه على قرنه الأيسر، ولم يكن له قرنان كقرني الثور، قال: فما هذه القوس؟ قال: هي علامة كانت بين نوح وبين ربه، وهي أمان من الغرق، قال: فما البيت المعمور؟ قال: البيت فوق سبع سماوات تحت العرش، يقال له: الصراح، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، قال: فمن «الذين بدلوا نعمة الله كفراً»؟ قال: هم الافجران من قريش قد كفيتوهم

(١) تيسير المطالب: ٢٠٢ - ٢٠٤، ط / ١٣٩٥ هـ.

يوم بدر ، قال: فمن «الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» ؟ قال: قد كان أهل حروراء منهم. (ابن الانباري في المصاحف وابن عبد البر في العلم)»^(١).

(١) كنز العمال ؛ للمتقي الهندي ٢ : ٥٦٥.

[الكلام (٩٢)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الطبري في تاريخه [ج ٥ ص ١٥٦] كما رواها ابو علي احمد بن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ هـ) في تجارب الامم [ج ١ ص ٥٠٨]». (انتهى).^(١)

قال الجلاي: تقدم قوله ﷺ: «فاني وزيرا لكم خير من أمير» راجع الخطبة (١٦).

[الخطبة (٩٣)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: اما بعد ايها الناس فأنا فقأت... الى آخره. قال الشارح الفاضل في (ج ٢ ص ١٧٨): هذه الخطبة ذكرها جماعة من اصحاب السير، وهي متداولة منقولة مستفيضة، خطب بها علي ﷺ بعد القضاء امر النهروان وفيها الفاظ لم يوردها الرضى ﷺ... الى آخره».^(٢)

وقال العرشي في التخريج مانصه: «قال ابن أبي الحديد في شرحه [ج ١ ص ٣١٦] وهذه الخطبة ذكرها جماعة من اصحاب السيرة وهي متداولة مستفيضة خطب بها علي ﷺ بعد انقضاء امر النهروان».^(٣) (انتهى)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما اروي به بالاسناد عن ابراهيم بن محمد الثقفي في «الغارات»: «حدثنا أبو علي الحسين بن ابراهيم بن عبد الله بن منصور، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا الحسن بن علي بن عبد الكريم الزعفراني، قال: قال ابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي، قال: حدثنا اسماعيل بن أبان قال: حدثنا عبد الغفار بن القاسم

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) مدارك نهج اللاغة: ٨٨.

(٣) راجع: استناد نهج البلاغة.

بن قيس بن فهد من أصحاب رسول الله ﷺ ، قال: حدثنا المنصور بن عمرو ، عن زر بن حبيش ، قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يخطب...

قال ابراهيم: وأخبرني أحمد بن عمران بن محمد أبي ليلى الانصارى قال: حدثني أبي، قال: حدثني ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش قال: خطب علي عليه السلام بالنهروان - ثم اتفقا يزيد أحدهما حرفا وينقص حرفا والمعنى واحد - قال: خطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، أما بعد أنا فقأت عين الفتنة ولم يكن أحد ليجتري عليها غيري . وفي حديث ابن أبي ليلى : لم يكن ليفقأها أحد غيري، ولو لم أك فيكم ما قوتل أصحاب الجمل وأهل النهروان ، وأيم الله لو لا أن تنكلوا وتدعوا العمل لحدثتكم بما قضى الله على لسان نبيكم ﷺ لمن قاتلهم مبصرا لضلالتهم عارفا للهدى الذي نحن عليه . ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني، إني ميت أو مقتول بل قتلا ، ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم ، وضرب بيده إلى لحيته والذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تضل مائة أو تهدي مائة إلا نبأتكم بناعقها وسائقها .

فقام إليه رجل فقال: حدثنا يا أمير المؤمنين عن البلاء، قال: إنكم في زمان إذا سأل سائل فليعقل ، وإذا سئل مسؤول فليثبت ، ألا وإن من ورائكم أمورا أتنكم جلا مزوجا وبلاء مكلحا مبلحا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إن لو فقدتموني ونزلت كرامة الامور وحقائق البلاء لقد أطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين، وذلك إذا قلصت حربكم، وشمرت عن ساق وكانت الدنيا بلاء عليكم وعلى أهل بيتي حتى يفتح الله لبقية الابرار ، فانصروا قوما كانوا أصحاب رايات يوم بدر ويوم حنين تنصروا وتؤجروا ، ولا تسبقوهم فتصرعكم البلية .

فقام إليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين حدثنا عن الفتن ، قال: ان الفتن إذا أقبلت شبهت، وإذا أدبرت تبّهت ، يشبهن مقبلات ويعرفن مدبرات ، ان الفتن تحوم كالرياح يصبغ بلدا ويخطئن اخرى ، ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني امية ، انها فتنة عمياء مظلمة مطينة، عمّت فتنتها وخصّت بليتها ، وأصاب البلاء من أبصر فيها ، وأخطأ

البلاء من عمي عنها ، يظهر أهل باطلها على أهل حقها ، حتى يملأ الأرض عدوانا وظلما وبدعا ، وإن أول من يضع جبروتها ويكسر عمدتها وينزع أوتادها الله رب العالمين ، وأيم الله لتجدن بني أمية أرباب سوء لكم بعدي كالناب الضروس تعضّ بفيها وتخطب بيديها وتضرب برجليها وتمنع درّها ، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا في مصركم إلّا تابعا لهم أو غير ضارّ ، ولا يزال بلاؤهم بكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم الا مثل انتصار العبد من ربه ، إذا رآه أطاعه وإذا توارى عنه شتمه ، وأيم الله لو فرّقوكم تحت كل حجر لجمعكم الله لشر يوم لهم ، ألا إن من بعدي جماع شتى ، ألا إن قبلتكم واحدة ، وجحكم واحد ، وعمرتكم واحدة ، والقلوب مختلفة ، ثم أدخل أصابعه بعضها في بعض . فقام رجل فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال: هذا هكذا ، يقتل هذا هذا ، ويقتل هذا هذا ، قطعاً جاهلية ، ليس فيها هدى ولا علم يرى ، نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة .

فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين ، ما نصنع في ذلك الزمان ؟ قال: انظروا أهل بيت نبيكم ، فإن لبدوا فالبدوا ، وإن استصرخوكم فانصروهم توجروا ، ولا تسبقوهم فتصرعكم البلية .

فقام رجل آخر فقال: ثم ما يكون بعد هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال: ثم إن الله تعالى يفرج الفتن برجل منا أهل البيت كتفريج الاديم ، بأبي ابن خيرة الاماء ، يسومهم خسفا ويسقيهم بكأس مصبرة ، فلا يعطيهم الا السيف هرجا هرجا ، يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر ، ودت قريش عند ذلك بالدنيا وما فيها لو يروني مقاما واحدا قدر حلب شاة أو جزر جزور لا قبل منهم بعض الذي يرد عليهم حتى تقول قريش : لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا ، فيغريه الله بنبي امية فيجعلهم «ملعونين أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» .

حدثنا محمد قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا إبراهيم ، قال: أخبرني إبراهيم بن المبارك البجلي وإبراهيم بن العباس البصري الأزدي ، أيهما حدثني بهذا الحديث عن ابن المبارك قال: حدثنا بكر بن عيسى قال: حدثنا إسماعيل بن خالد البجلي عن عمرو بن قيس عن

المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش الاسدي أنه قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أنا فقأت عين الفتنة، ولو لا أنا ما قوتل أهل النهروان ولا أصحاب الجمل، ولو لا أنني أخشى أن تتكلموا فتدعوا العمل لا خبرتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم لمن قاتلهم مبصراً بضلالهم عارفاً للهدى الذي نحن عليه. (١)

وبالاسناد عن عن جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧ هـ) في كامل الزيارات قال: حدثني أبي عليه السلام، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن عبد الجبار، عن عبد الرحمان بن أبي نجران، عن جعفر بن محمد بن حكيم، عن عبد السمين، يرفعه الى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله ما تسألوني عن شيء مضى ولا شيء يكون إلا نأتكم به، قال: فقام إليه سعد بن أبي وقاص وقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال له: والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله ﷺ أنك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس، وإن في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني، وعمر يومئذ يدرج بين يدي أبيه. (٢)

وبالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) في التوحيد قال: قال وهب بن وهب القرشي: سمعت الصادق عليه السلام يقول: قدم وقدم أهل فلسطين على الباقر عليه السلام فسأله عن مسائل فأجابهم، ثم سأله عن الصمد، فقال: تفسيره فيه، الصمد خمسة أحرف: فالالف دليل على إتيته وهو قوله عز وجل: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس، واللام دليل على إلهيته بأنه هو الله، والالف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع ويظهران في الكتابة دليلان على أن إلهيته بلفظه خافية لا تدرك بالحواس ولا تقع في لسان واهف، ولا أذن سامع... إلى أن قال عليه السلام: لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عز وجل حملة لنشرت التوحيد والاسلام والايمان الدين والشرائع

(١) الغارات: لأبراهيم بن محمد الثقفي ١: ١٣١.

(٢) كامل الزيارات: لجعفر بن محمد بن قولويه: ١٥٥.

من الصمد ، وكيف لي بذلك ولم يجد جدي أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني ، فإن بين الجوانح مني علما جما ، هاهاه ألا لأجد من يحمله ، ألا وإني عليكم من الله الحجة البالغة فلا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور. ثم قال الباقر عليه السلام : الحمد لله الذي منّ علينا ووفقنا لعبادته ، الأحمد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وجئنا عبادة الاوثان ، حمدا سرمدا وشكرا واصبا ، وقوله عزوجل: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ يقول : لم يلد عزوجل فيكون له ولد يرثه ﴿ولم يولد﴾ فيكون له والد يشركه في ربوبيته وملكه ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ فيعوانه في سلطانه. ^(١) وبالإسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «الأمالي»: حدثنا محمد بن محمد ، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي عليه السلام ، قال: حدثني أبي ، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار ، قال: حدثنا أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن أبيه ، عن خلف بن حماد الأزدي ، عن أبي الحسن العبدی ، عن الاعمش ، عن عباية بن ربعي ، قال: كان علي أمير المؤمنين عليه السلام كثيرا ما يقول : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله ما من أرض مخصبة ولا مجدبة ، ولا فئة تضل مائة أو تهدي مائة إلا وأنا أعلم قائدها وسائقها وناعتها إلى يوم القيامة. ^(٢)

وبالإسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»: أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن أحمد بن محمد نا أبو بكر بن خلف أنا الحاكم الإمام أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يقول: سمعت عبد الله بن الحسين بن الحسن الأشقر - ويقال له: ابن الطبال بالكوفة - يقول: سمعت محمد بن فضيل يقول: سمعت ابن شبرمة يقول: ما كان أحد يقول على المنبر: سلوني عن ما بين اللوحين، إلا علي بن أبي طالب.

(١) التوحيد ؛ للشيخ الصدوق : ٩٢ - ٩٣.

(٢) الأمالي ؛ للشيخ الطوسي : ٥٨.

أخبرنا أبو طالب بن أبي عقيل أنا أبو الحسن الخلعي أنا أبو محمد بن النحاس أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال: سمعت عبد الله بن الحسين - يعني ابن الحسن بن الأشقر - يقول: سمعت محمد بن فضيل يقول: سمعت ابن شبرمة يقول: ما كان أحد على المنبر يقول: سلوني عن ما بين اللوحين، إلا علي بن أبي طالب.

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو الحسن بن النعمان أنا عيسى بن علي نا عبد الله بن محمد نا عثمان بن أبي شيبة نا سفيان بن عيينة عن يحيى - بن سعيد قال: أراه عن سعيد بن المسيب - قال: لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ يقول: سلوني إلا علي. قال عبد الله بن محمد: ورواه غير عثمان عن سفيان عن يحيى عن سعيد بغير شك.

أخبرنا أبو البركات الأنماطي أنا أبو طاهر أحمد بن الحسن وأبو الفضل بن خيرون قال: أنا عبد الملك بن محمد أنا أبو علي محمد بن أحمد نا محمد بن عثمان بن أبي شيبة نا الحسن بن علي، نا الهيثم بن الأشعث السلمي نا أبو حنيفة اليمامي الأنصاري عن عمير بن عبد الله قال: خطبنا علي على منبر الكوفة فقال: أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني فبين الجبلين مني علم جم.

قال: ونا محمد بن عثمان نا عمي أبو بكر نا أبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعة قال: أتيت الرحبة فإذا أنا بنفر جلوس قريب من ثلاثين أو أربعين رجلا، فقعدت فيهم، فخرج علينا علي فما رأيته أنكر أحدا من القوم غيري فقال: ألا رجل يسألني فينتفع وينفع نفسه. (١)

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن علي قال: ألا! إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، ألا إنها فتنة عمياء مظلمة. (نعيم بن حماد في الفتن). (٢)

وأيضاً بالمعنى عن علي قال: لا يزال بلاء بني أمية شديدا حتى يبعث الله العصب (٣)

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٣٣٩ - ٤٠٠.

(٢) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١١: ٣٦٥، ح ٣١٧٥٩.

(٣) وفي الحديث: يكون في آخر الزمان أمير العصب، العصب: جمع عصبة كالعصابة، ولا

مثل قزع الخريف ، يأتون من كل وجه لا يستأثرون أميرا مأمورا ، فإذا كان ذلك أذهب الله نور ملك بني أمية.(نعيم).^(١)

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥هـ) في «كنز العمال»: عن علي أنه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال: معاشر الناس! سلوني قبل أن تفقدوني، يقولها ثلاث مرات ، فقام إليه صعصعة بن صوحان العبدي فقال: يا أمير المؤمنين! متى يخرج الدجال؟ فقال: مه يا صعصعة! قد علم الله مقامك وسمع كلامك ، ما المسؤول بأعلم بذلك من السائل ، ولكن لخروجه علامات وأسباب وهنات ، يتلو بعضهن بعضا حذوا النعل في حول واحد ، ثم إن شئت أنبأتك بعلامته! فقال: عن ذلك سألتك يا أمير المؤمنين! قال: فاعقد بيدك واحفظ ما أقول لك : إذا أمت الناس الصلوات ، وأضاعوا الامانات ، وكان الحكم ضعفا ، والظلم فخرا ، وأمرأؤهم فجرة ، ووزرأؤهم خونة ، وأعوانهم ظلمة ، وقراءؤهم فسقة ، وظهر الجور ، وفشا الزنا ، وظهر الربا ، وقطعت الارحام ، واتخذت القينات ، وشربت الخمر ، ونقضت العهود ، وضيعت العتمة ، وتوانى الناس في صلاة الجماعات ، وزخرفوا المساجد ، وطولوا المنابر ، وحلّوا المصاحف ، وأخذوا الرشى ، وأكلوا الربا ، واستعملوا السفاء ، واستخفوا بالدماء ، وباعوا الدين بالدنيا ، واتجرت المرأة مع زوجها حرصا على الدنيا ، وركب النساء على المنابر ، وتشبهن بالرجال ، وتشبه الرجال بالنساء وكان السلام بينهم على المعرفة ، وشهد شاهدتهم من غير أن يستشهد ، وحلف من قبل أن يستحلف ، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب ، وكانت قلوبهم أمر من الصبر ، وألستهم أحلى من العسل ، وسرائرهم أتنن من الجيف ، والتمس التفقه لغير الدين ، وأنكر المعروف وعرف المنكر ، فالنجاء النجاء ، والوحاء الوحاء! نعم السكن حينئذ عبادان! النائم فيها كالمجاهد في سبيل الله ، وهي أول بقعة آمنت بعيسى عليه الصلاة والسلام ، وليأتين على الناس زمان يقول أحدهم : يا ليتني

واحد لها من لفظها . (النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٤٤).

(١) كنز العمال : للمتقي الهندي ١١ : ٣٦٥ ، ح ٣١٧٦٠ .

كنت تبنة في لبنة من بيت من بيوت عبادان !

فقام إليه الأصم بن نباتة فقال: يا أمير المؤمنين ! ومن الدجال ؟ قال: صافي بن صائد، الشقي من صدقة، والسعيد من كذبه، ألا ! إن الدجال يطعم الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الاسواق، والله تعالى عن ذلك، ألا ! إن الدجال طوله أربعون ذراعا بالذراع الاول، تحته حمار أقمر، طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعا، ما بين حافر حماره إلى الحافر الآخر مسيرة يوم وليلة، تطوى له الأرض منهلا، يتناول السحاب يمينه، ويسبق الشمس إلى مغيبها، يخوض البحر إلى كعبه، أمامه جبل دخان، وخلفه جبل أخضر، ينادي بصوت له يسمع به ما بين الخافقين: إِلَيَّ أوليائي ! إِلَيَّ أوليائي ! إِلَيَّ أحبائي ! إلي أحبائي ! فأنا الذي خلق فسوَّى، والذي قدَّر فهدى، وأنا ربكم الاعلى ! كذب عدو الله ! ليس ربكم كذلك، ألا ! إن الدجال أكثر أشياعه وأتباعه اليهود وأولاد الزنا، يقتله الله تعالى بالشام على عقبة يقال لها: عقبة أفيق، لثلاث ساعات يمضين من النهار، على يدي عيسى بن مريم، فعند ذلك خروج الدابة من الصفا، معها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى بن عمران، فتتكت بالخاتم جبهة كل مؤمن: هذا مؤمن حقا حقا ! ثم تتكت بالعصا جبهة كل كافر: هذا كافر حقا حقا ! ألا ! إن المؤمن حينئذ يقول للكافر: ويلك يا كافر ! الحمد لله الذي لم يجعلني مثلك، وحتى أن الكافر ليقول للمؤمن: طوبى لك يا مؤمن ! يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزا عظيما، لا تسألوني عما بعد ذلك، فان رسول الله ﷺ عهد إلي أن أكتمه.

(ابن المنادي، وفيه حماد بن عمرو متروك عن السري قال في الميزان: لا يعرف، وقال الازدي: لا يحتج به).^(١)

و عن المتقي الهندي (ت / ٩٨٥ هـ) في «كنز العمال»: أيضا - عن زر أنه سمع عليا يقول: أنا فقأت عين الفتنة، لولا أنا ما قوتل أهل النهروان وأهل الجمل، ولولا أنني أخشى أن تنكروا العمل لانبأتمكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم ﷺ لمن قاتلهم مبصرا

(١) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١٤: ٦١٢-٦١٤، ح ٣١٥٦٥.

ضاللتهم عارفا بالهدى الذين نحن عليه (ش، حل والدورقي).^(١)

ومن الموافقات:

قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»: «وهذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السير، وهي متداولة منقولة مستفيضة، خطب بها علي عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان، وفيها ألفاظ لم يوردها الرضى رحمه الله. من ذلك قوله عليه السلام: «ولم يكن ليجتري عليها غيري، ولو لم أكن فيكم ما قوتل أصحاب الجمل والنهروان. وأيم الله لولا أن تتكلموا فتدعوا العمل لحدثتكم بما قضى الله عز وجل على لسان نبيكم ﷺ: لمن قاتلهم مبصرا لضاللتهم، عارفا للهدى الذي نحن عليه، سلوني قبل أن تفقدوني، فإني ميت عن قريب أو مقتول، بل قتلا ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم. وضرب بيده إلى لحيته.

ومنها في ذكر بنى أمية: «يظهر أهل باطلها على أهل حقها، حتى تملأ الأرض عدوانا وظلما وبدعا إلى أن يضع الله عز وجل جبروتها، ويكسر عمدها، وينزع أوتادها. ألا وإنكم مدركوها فانصروا قوما كانوا أصحاب رايات بدر وحنين، تؤجروا، ولا تمألوا عليهم عدوهم، فتصرعكم البلية، وتحل بكم النقرة». ومنها: «إلا مثل انتصار العبد من مولاه إذا رآه أطاعه، وإن توارى عنه شتمه. وأيم الله لو فرقوكم تحت كل حجر، لجمعكم الله لشر يوم لهم». ومنها: «فانظروا أهل بيت نبيكم، فإن لبوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم، فليفرجن الله الفتنة برجل منا أهل البيت»، بأبي ابن خيرة الإماء، لا يعطيهم إلا السيف هرجا هرجا، موضوعا على عاتقه ثمانية أشهر، حتى تقول قريش: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا، يغريه الله بيني أمية حتى يجعلهم حطاما ورفاتا، «ملعونين أينما تقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا».^(٢)

(١) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١١: ٢٩٨، ح ٣٩٧٠٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٧: ٥٧ - ٥٨.

[الخطبة (٩٤)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: فتبارك الذي لا يبلغه بعد الهم... إلى آخره. كثير من فقرات هذه الخطبة رواها الكليني في الكافي، والشيخ الصدوق في كتاب التوحيد وابن عبد ربه في العقد الفريد في الخطبة التي سماها بالغراء»^(١).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» في باب جوامع التوحيد عن محمد بن أبي عبد الله ومحمد بن يحيى جميعا رفعاه إلى أبي عبد الله ﷺ أن أمير المؤمنين استنهض الناس في حرب معاوية في المرة الثانية، فلما حشد الناس قام خطيبا، فقال: الحمد لله الواحد الاحد الصمد المتفرد الذي لا من شيء كان، ولا من شيء خلق ما كان، قدرة بان بها من الاشياء وبانت الاشياء منه، فليست له صفة تنال ولا حد تضرب له فيه الامثال، كلٌّ دون صفاته تحبير اللغات، وضلَّ هناك تصاريف الصفات، وحرار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير، وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير. وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب، تاهت في أدنى أدانيها طامحات العقول في لطيفات الامور.

فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن وتعالى الذي ليس له وقت معدود ولا أجل ممدود ولا نعت محدود، سبحانه الذي ليس له أول مبتدا ولا غاية منتهى ولا آخر يفنى، سبحانه هو كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعته، وحدَّ الاشياء كلها عند خلقه، إيانة لها من شبهه وإيانة له من شبهها، لم يحلل فيها فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بائن، ولم يخل منها فيقال له: أين، لكنه سبحانه أحاط بها علمه وأتقنها صنعه وأحصاها حفظه، لم يعزب عنه خفيات غيوب الهواء ولا غوامض مكنون

ظلم الدجى، ولا ما في السماوات العلى إلى الارضين السفلى، لكل شئ منها حافظ ورقيب وكل شئ منها بشئ محيط، والمحيط بما أحاط منها. الواحد الاحد الصمد الذي لا يغيره صروف الازمان ولا يتكأده صنع شئ كان، إنما قال لما شاء: كن، فكان، ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب، وكل صانع شئ فمن شئ صنع، والله لا من شئ صنع ما خلق، وكل عالم فمن بعد جهل تعلم، والله لم يجهل ولم يتعلم، أحاط بالاشياء علما قبل كونها، فلم يزد بكونها علما، علمه بها قبل ان يكونها كعلمه بعد تكوينها، لم يكونها لتشد يد سلطان ولا خوف من زوال ولا نقصان ولا استعانة على ضد مناو، ولا ند مكاث، ولا شريك مكابر، لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون. فسبحان الذي لا يؤوده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما برأ، ولا من عجز ولا من فترة بما خلق اكتفى، علم ما خلق وخلق ما علم، لا بالتفكير في علم حادث أصاب ما خلق، ولا شبهة دخلت عليه فيما لم يخلق، لكن قضاء مبرم وعلم محكم وأمر متقن، توحد بالربوبية وخص نفسه بالوحدانية واستخلص بالمجد والثناء، وتفرد بالتوحيد والمجد والثناء وتوحد بالتحميد وتمجد بالتمجيد^(١) وعلا عن اتخاذ الالبناء، وتطهر وتقّس عن ملامسة النساء، وعز وجل عن مجاورة الشركاء، فليس له فيما خلق ضد ولا له فيما ملك ند، ولم يشركه في ملكه أحد، الواحد الاحد الصمد المبيد للابد والوارث للامد، الذي لم يزل ولا يزال وحدانيا أزليا، قبل بدء الدهور وبعد صروف الامور، الذي لا يبيد ولا ينفد، بذلك أصف ربي، فلا إله إلا الله، من عظيم ما أعظمه؟! ومن جليل ما أجله؟! ومن عزيز ما أعزه؟! وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا»^(٢).

وقال الشيخ الصدوق في التوحيد: حدثنا علي بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمته الله قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، وأحمد بن يحيى بن زكريا القنطاري، عن بكر بن عبد الله بن حبيب، عن تميم بن بهلول، عن أبيه، عن أبي معاوية، عن

(١) العبارة في طبعة ١٣٨٦ من التوحيد هكذا: «واستخلص المجد والثناء، فتمجد بالتمجيد تحمداً بالتحميد».

(٢) الكافي؛ للشيخ الكليني ١: ١٣٤ ١٣٥.

الحصين بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن جده عليه السلام ، أن أمير المؤمنين عليه السلام استنهض الناس في حرب معاوية في المرة الثانية، فلما حشد الناس قام خطيباً فقال: الحمد لله الواحد الاحد الصمد المتفرد، الذي لا من شيء كان... فذكر مثله، و في آخره، قال: وحدثنا بهذه الخطبة أحمد بن محمد بن الصقر الصائغ، قال: حدثنا محمد بن العباس بن بسام، قال: حدثني أبو زيد سعيد بن محمد البصري، قال: حدثني عمرة بنت أوس قالت: حدثني جدي الحصين بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليه السلام ، أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب بهذه الخطبة لما استنهض الناس في حرب معاوية في المرة الثانية. ^(١)

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال» عن سليم بن قيس العامري قال: سال ابن الكوا عليا عن السنة والبدعة، وعن الجماعة والفرقة، فقال: يا ابن الكوا حفظت المسألة فافهم الجواب: السنة - والله سنة محمد عليه السلام، والبدعة ما فارقها، والجماعة - والله جماعة اهل الحق وان قلّوا، والفرقة مجامعة اهل الباطل وإن كثروا (العسكري). ^(٢)

(١) التوحيد؛ للشيخ الصدوق: ٤١ - ٤٤.

(٢) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١: ٣٧٨، ح ١٦٤٤.

[الخطبة (٩٧)]

قال الجلالي: روى الاسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) مرسلًا مقاطع منها في «المعيار والموازنة» ص ٢٤٠ ط / ١٤٠٢ هـ، وبالسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن مسند علي عن عمر بن حسان البرجمي عن خباب بن عبد الله: أن معاوية بعث خيلا فأغارت على هيت والانبار فاستنفر عليّ الناس فأبطأوا وتثاقلوا ، فخطبهم فقال: أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المتفرقة أهواؤهم ! ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم ، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب وفعلكم يطعم فيكم عدوكم ، فإذا دعوتكم إلى المسير أبطأتم وتثاقلتم وقلتم: كيت وكيت، أعاليل بأضاليل ، سألتموني التأخير دفاع ذي الدين المطول ، حيدي حياء لا يمنع الضيم الذليل ، ولا يدرك الحق إلا بالجد والصدق ، فأَي دار بعد داركم تمنعون ؟ ومع أي إمام بعدي تتقاتلون ؟ المغرور والله من غررتموه ! ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيـب ، أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصركم ! فرّق الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم ، وأعقبكم مني من هو شرّ لكم مني ! أما إنكم ستلقون بعدي ثلاثا: ذلا شاملا ، وسيفا قاطعا ، وأثرة قبيحة يتخذها فيكم الظالمون سنة ، فتبكي لذلك أعينكم ويدخل الفقر بيوتكم ، وستذكرون عند تلك المواطن، فتودّون أنكم رأيتموني وهرقتم دماءكم دوني ، فلا يبعد الله إلّا من ظلم ، والله ! لوددت لو أني أقدر أن أصرفكم صرف الدينار بالدراهم: عشرة منكم برجل من أهل الشام ! فقام إليه رجل يا أمير المؤمنين ! أنا وإياك كما قال الأعشى :

عُلِّقْتُهَا عَرَضًا وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ
وَأَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ عَلَّقْنَا بِحَبْكَ وَعَلَّقْتَ أَنْتَ بِأَهْلِ الشَّامِ، وَعَلَقَ أَهْلُ الشَّامِ

بمعاوية.(كر).^(١)

(١) كنز العمال ؛ للمتقي الهندي ١١ : ٣٥٥ ، ح ٣١٧٢٦ .

وعن المتقي الهندي (ت / ٩٨٥ هـ) في «كنز العمال» عن أبي أراكة قال: صليت مع علي بن أبي طالب الفجر ، فلما انقلب عن يمينه مكث كأن عليه كآبة ، ثم قلب يده ، وقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئا يشبههم ! لقد كانوا يصبحون شعنا غربا ، بين أعينهم كأمثال ركب المعز ، قد باتوا لله سجدًا وقيامًا ، يتلون كتاب الله يراوون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يمد الشجر في يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ، فإذا أصبحوا والله لكان القوم باتوا غافلين ، ثم نهض ، فما رئي مفترًا ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم». (الدينوري ، والعسكري في المواعظ ، كر ، حل) (١)

وعن يحيى بن عقیل عن علي بن أبي طالب أنه قال لعمر : يا أمير المؤمنين ! إن سرك تلحق بصاحبك فاقصر الامل ، وكل دون الشيع ، واقصر الازار ، وارقع القميص ، واخصف النعل ، تلحق بهما». (هب). (٢)

(١) كنز العمال : للمتقي الهندي ١٦ : ٢٠٠ ، ح ٤٤٢٢٢ .

(٢) كنز العمال : للمتقي الهندي ١٦ : ٢٠٠ ، ح ٤٤٢٢٣ .

[الخطبة (٩٧)]

[المقطع (٢) اهل بيت النبي ﷺ]

قال عليه السلام: «أَنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ»^(١)، وَأَتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا^(٢)، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا».

قال الجلايلي: والغريب ان المحقق المحترم حفظه الله لم يعط عنواناً خاصاً لهذا المقطع الخاص باهل البيت، بل دمج مع المقطع الثالث بعنوان: أصحاب رسول الله ﷺ فقال:

ومنها قوله ﷺ في أصحاب رسول الله ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ٩ فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشَبِّهُهُمْ مِنْكُمْ»^(٣)، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا، وَقَدْ^(٤) بَاتُوا سُجْدًا وَقِيَامًا، يُرَاوِحُونَ^(٥) بَيْنَ جِبَاهِهِمْ^(٦)، وَخُدُودِهِمْ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمَعْزَى^(٧) مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ، إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ هَمَلَتْ^(٨) أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبْلُ جُيُوبُهُمْ^(٩)، وَمَادُوا^(١٠) كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ؛ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ»^(١١).

قال العرشي في التخريج، ما نصّه: «روى ان قتيبة هذا الكلام في عيون الاخبار ج ٢

(١) في هـ. ب: أي سمت آل محمد.

(٢) في هـ. ب: فإن لبدوا، أي وقفوا فقفوا، وان قعدوا فاقعدوا، لبد بالأرض: أي لصق به.

(٣) لم ترد «منكم» في أوب، وفي ط: فما أرى أحداً يشبههم منكم، وفي د: فما أرى أحداً منكم يشبههم.

(٤) في ب: غبراً قد باتوا، وفي هـ. د: غبراً قد باتوا ش.

(٥) في هـ. ب: المراوحة في العمل: ان يعمل هذا مرة وهذا مرة.

(٦) في هـ. د: وروي جيوبهم - ر.

(٧) في هـ. ب: ركب المعزى وثقثة البعير، يضرب بهما المثل في الشدة، والمعزى ملحق بالرباعي.

(٨) في هـ. ب: سالت دموع عيونهم.

(٩) في هـ. د: جباههم - م.

(١٠) في هـ. ب: تحركوا واضطربوا.

(١١) في هـ. د: رجاء من الثواب - ل.

ص ٣٠١، والشيخ المفيد في الارشاد (١٣٨) والمجالس إبحار ج ١٧ ص ٤٢٠، كما رواه ابو نعيم في حلية الاولياء ج ١ ص ٧٦، وشيخ الطائفة في الامالي (٦٢)». انتهى^(١)
قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن معروف بن خربوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: صلى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق، فلما انصرف وعظهم، فبكى وأبكاهم من خوف الله، ثم قال: أما والله لقد عهدت أقواما على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وإنهم ليصبحون ويمسون شعنا غبرا خمصا، بين أعينهم كركب المعزى، يبيتون لربهم سجدا وقياما، يراوون بين أقدامهم وجباهم، يناجون ربهم ويسألونه فكاك رقابهم من النار، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون، مشفقون.

وقال: وعنه، عن السندي بن محمد، عن محمد بن الصلت، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: صلى أمير المؤمنين عليه السلام الفجر ثم لم يزل في موضعه حتى صارت الشمس على قيد رمح، وأقبل على الناس بوجهه، فقال: والله لقد أدركت أقواما يبيتون لربهم سجدا وقياما يخالفون بين جباههم وركبهم، كأن زفير النار في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميل الشجر، كأنما القوم باتوا غافلين، قال: ثم قام فما رئي ضاحكا حتى قبض صلوات الله عليه.^(٢)

وقال العلامة المجلسى (ت / ١١١١ هـ) ورواه الشيخ الطوسي في الامالى (١ / ١٠٠) عن المفيد عن ابن قولويه عن أبيه عن سعد عن ابن عسى عن اى محبوب^(٣) بعنوان: أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومنها قوله عليه السلام في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بالاسناد عن أبي نعيم الاصفهاني (ت / ٤٣٠ هـ) في «حلية الاولياء» قال: أفادنى هذا الحديث الدار قطنى عن شيخى، لم أكتبه إلا من هذا الوجه.

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) الكافي؛ للشيخ الكليني ٢: ٢٣٦.

(٣) بحار الأنوار العلامة المجلسى ٦٩: ٣٠٣.

حدثنا محمد بن جعفر وعلى بن أحمد. قالوا: ثنا اسحاق ابن ابراهيم ثنا محمد بن يزيد أبو هشام ثنا المحاربي عن مالك بن مغول عن رجل من جعفي عن السدي عن أبي أراكة، قال: صلى علي الغداة، ثم لبث في مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كأن عليه كآبة، ثم قال: لقد رأيت أثرا من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحدا يشبههم، والله إن كانوا ليصبحون شعثا غبرا صفرا، بين أعينهم مثل ركب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله يراوون بين أقدامهم وجباهم، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح، فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم، والله لكان القوم باتوا غافلين»^(١).

وبالاسناد عن أبي نعيم الاصفهاني (ت / ٤٣٠ هـ) في «حلية الاولياء» قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن سعيد الأصبهاني ثنا شريك عن عاصم بن كليب عن محمد بن كعب. قال سمعت عليا يقول: لقد رأيتني أربط الحجر على بطني من شدة الجوع على عهد رسول الله ﷺ، وإن صدقتي اليوم لأربعون ألف دينار». وقال: حدثنا أحمد بن علي ابن محمد المروزي ثنا سلمة بن ابراهيم ثنا اسماعيل الحضرمي الكهيلي ثنا أبي علي عن أبيه عن جده عن سلمة بن كهيل عن مجاهد قال: شيعه علي الحلما العلماء الذبل الشفاء، الأخيار الذين يعرفون بالرهبانية من أثر العبادة. وقال: حدثنا محمد بن عمرو بن سلم ثنا علي بن العباس البجلي ثنا بكار بن أحمد عن حسن بن الحسين عن محمد بن عيسى بن زيد عن أبيه عن جده عن علي بن الحسين. قال: شيعتنا الذبل الشفاء، والامام منا من دعا إلى طاعة الله.

وقال: حدثنا فهد بن ابراهيم بن فهد ثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا بشر بن مهران ثنا شريك عن الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة. قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يحيى حياته ويموت ميتتي، ويتمسك بالقصة الياقوتة التي خلقها الله بيده ثم قال لها كوني فكانت، فليتول علي بن أبي طالب من بعدي».

رواه شريك أيضا عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن

(١) حلية الاولياء؛ لأبي نعيم الاصفهاني ١: ٧٦.

أرقم. ورواه السدي عن زيد بن أرقم، ورواه ابن عباس وهو غريب.^(١)

وبالاسناد عن العلامة المجلسي عن مناقب ابن الجوزي (ت / ٥٩٧ هـ) في ذكر الخطبة المنبرية مانصه: روى مجاهد، عن ابن عباس قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام يوماً على منبر الكوفة فقال: الحمد لله وأحمده وأؤمن به وأستعينه وأستهديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم قال: أيتها النفوس المختلفة، والقلوب المتشعبة، الشاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم، كم أدلكم على الحق وأنتم تنفرون نفور المعزى من وعوة الاسد؟، هيهات أن أطلع بكم ذروة العدل أو أقيم اعوجاج الحق. اللهم إنك تعلم أنه لم يكن مني منافسة في سلطان، ولا التماس فضول الحطام، ولكن لأردّ المعالم من دينك، وأظهر الصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك.

اللهم إنك تعلم أنني أول من أناب، وسمع فأجاب لم يسبقني إلا رسولك.
اللهم لا ينبغي أن يكون الوالي على الدماء والفروج والمغانم والأحكام ومعالم الحلال والحرام، وإمامة المسلمين وأمور المؤمنين البخيل؛ لأن تهمته في جميع الاموال، ولا الجاهل فيدلهم بجهله على الضلال، ولا الجافي فينفرهم بجفائه، ولا الخائف فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ولا المعطل للسنن فيؤدي ذلك إلى الفجور، ولا الباغي فيدحض الحق، ولا الفاسق فيشين الشرع.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما تقول في رجل مات وترك امرأة وابنتين وأبوين؟ فقال: لكل واحد من الأبوين السدس وللابنتين الثلثان، قال: فالمرأة؟ قال: صار ثمنها تسعا وهذا من أبلغ الاجوبة.^(٢)

وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»، قال: أخبرنا أبو

(١) حلية الاولياء؛ لابي نعيم الاصفهاني ١: ٨٦.

(٢) بحار الأنوار؛ للعلامة المجلسي ٧٧: ٢٩٥.

القاسم أيضا أنا رشأ أنا الحسن أنا أحمد

ح، وأخبرنا أبو محمد بن طاوس أنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الخطيب أنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن يوسف العلاف أنا أبو علي بن صفوان قال: أنا أبو بكر بن أبي الدنيا أنا علي بن الجعد أخبرني عمرو بن شمر حدثني أسماعيل السدي قال: سمعت أبا أراكة - وفي حديث أبي القاسم عن السدي عن أبي أراكة - قال: صليت مع علي بن أبي طالب صلاة الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث - وفي حديث ابن طاوس: فلما انفتل عن يمينه ثم مكث - كان عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح - قال: وحائط المسجد، زاد ابن طاوس يومئذ، وقالوا: أقصر مما هو الآن - ثم قلب يده ثم قال: وقال ابن طاوس: فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئا يشبههم، لقد كانوا يصبحون، زاد أبو القاسم: صفوا. وقالوا: شعنا غربا بين أعينهم أمثال - وقال أبو القاسم: كأمثال - ركب المعزى وقال أبو القاسم: ركب المعز - قد باتوا لله سجدا وقيامًا يتلون كتاب الله، يراوون جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين، ثم نهض فما رئي بعد ذلك مفترضا يضحك حتى ضربه - وقال ابن طاوس: حتى قتله - ابن ملجم عدو الله الفاسق. ^(١)

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: مسند علي، عن عمر بن حسان البرجمي عن خباب بن عبد الله: أن معاوية بعث خيلا فأغارت على هيت والانباء، فاستنفر علي الناس، فأبطأوا وتناقلوا، فخطبهم فقال: أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المتفرقة أهواؤهم! ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم، فإذا دعوتكم إلى المسير أبطأتم وتناقلتم وقتلتم: كيت وكيت، أعاليل بأضاليل، سألتهموني التأخير دفاع ذي الدين المطول، حيدي حياد، لا يمنع الضيم الدليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد والصدق، فأبي دار

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٤٩١.

بعد داركم تمنعون؟ ومع أي إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه! ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، أصبحت - والله لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم! فرّق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم، وأعقبكم مني من هو شرّ لكم مني! أما إنكم ستلقون بعدي ثلاثاً: ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرة قبيحة يتخذها فيكم الظالمون سنة، فتبكي لذلك أعينكم ويدخل الفقر بيوتكم، وستذكرون عند تلك المواطن فتودّون أنكم رأيتموني وهرقتم دماءكم دوني، فلا يبعد الله إلّا من ظلم، والله! لوددت لو أنني أقدر أن أصرفكم صرف الدينار بالدرهم: عشرة منكم برجل من أهل الشام! فقام إليه رجل يا أمير المؤمنين! أنا وإياك كما قال الاعشى:

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجل
وأنت أيها الرجل علقنا بحبك، وعلقت أنت بأهل الشام، وعلق أهل الشام بمعاوية». (١)

وعن الليث بن سعد قال: بلغني أن علياً قال لأهل العراق: وددت أن أبيع عشرة منكم برجل من أهل الشام بصرف الدرهم عشرة بدينار! فقيل له: نحن وأنت كما قال الاعشى: علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجل وأنت أيها الرجل علقنا بحبك وعلقت بأهل الشام وعلق أهل الشام بمعاوية». (٢)

(١) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١١: ٣٥٥-٣٥٦، ح ٣١٧٢٦.

(٢) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١١: ٣٥٥-٣٥٦، ح ٣١٧٢٧.

[الكلام (٩٨)]

ليس للعرشي تخريج في هذا الموضع، قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن ابراهيم بن محمد الثقفي (ت / ٢٨٣ هـ) في «الغارات»: عن المسيب بن نجبة الفزاري أنه قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: إني قد خشيت أن يدال هؤلاء القوم عليكم بطاعتهم إمامهم ومعصيتكم إمامكم، وبأدائهم الأمانة وخيانتكم، وبصلاحهم في أرضهم وفسادكم في أرضكم، وباجتماعهم على باطلهم وتفريقكم عن حقكم، حتى تطول دولتهم وحتى لا يدعوا الله محرماً إلا استحلوه، حتى لا يبقى بيت وبر ولا بيت مدر إلا دخله جورهم وظلمهم حتى يقوم الباكيان: باك يبيكي لدينه، وباك يبيكي لديناه، وحتى لا يكون منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضارٍّ بهم، وحتى يكون نصرة أحدكم منهم كنصرة العبد من سيده، إذا شهد أظاعه، وإذا غاب عنه سبه، فإن أتاكم الله بالعاقبة فاقبلوا، وإن ابتلاك فاصبروا، فإن العاقبة للمتقين.

وعن يحيى بن صالح عن أصحابه: أن علياً عليه السلام ندب الناس عند ما أغاروا على نواحي السواد، فانتدب لذلك شرطة الخميس، فبعث إليهم قيس بن سعد بن عبادة الانصاري، ثم وجههم فساروا حتى وردوا تخوم الشام.

وكتب علي عليه السلام إلى معاوية: أنك زعمت أن الذي دعاك إلى ما فعلت الطلب بدم عثمان، فما أبعد قولك من فعلك...! ويحك وما ذنب أهل الذمة في قتل ابن عفان؟ وبأي شيء تستحل أخذ فيئ المسلمين؟! فانزع ولا تفعل، واحذر عاقبة البغي والجور، وإنما مثلي ومثلك كما قال بلعاء لدريد بن الصمة^(١):

مهلا دريد عن التسرع إنني ماضي الجنان بمن تسرع مولع

(١) دريد بن الصمة بن الحارث بن معاوية بن جداعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن فارس مشهور وشاعر مذكور.

مهلا دريد عن السفاهة إني ماض على رغم العداة سميدع
مهلا دريد لا تكن لاقيتني يوما دريد فكل هذا يصنع
وإذا أهانك معشر أكرمهم فتكون حيث ترى الهوان وتسمع
فأجابه معاوية : أما بعد فإن الله أدخلني في أمر عزلك عنه نائيا عن الحق فقلت منه
أفضل أملي فأنا الخليفة المجموع عليه ، ولم تصب في مثلي ومثلك ، إنما مثلي ومثلك كما
قال بلعاء حين صولح على دم أخيه ثم نكت فعنفه قومه فأنشأ يقول :
ألا آذنتنا من تدللها ملس وقالت : أما بيني وبينك من بلس
وقالت ألا تسعى فتدرك ما مضى وما أهلك الحانون في القدح والضررس
أتأمرني سعد وليث وجندع ولست براض بالدنية والوكس^(١)

(١) الغارات ؛ لبراهيم بن محمد الثقفي ٢ : ٤٨٧ - ٤٩١ .

[الخطبة (٩٩)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: نحمده على ما كان ونستعينه... إلى آخره. رواها في مستدرك الوسائل في خطب يوم الجمعة عن زيد بن وهب»^(١).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في من لا يحضره الفقيه: قال: وخطب أمير المؤمنين ﷺ في الجمعة فقال: الحمد لله الولي، الحميد الحكيم المجيد، الفعال لما يريد، علام الغيوب، وخالق الخلق، ومنزل القطر، ومدبر أمر الدنيا والآخرة، ووارث السماوات والارض، الذي عظم شأنه فلا شيء مثله، تواضع كل شيء لعظمته، وذلل كل شيء لعزته، واستسلم كل شيء لقدرته، وقر كل شيء قراره لهيبته، وخضع كل شيء لملكته وربوبيته، الذي يمسك السماوات أن تقع على الارض إلا باذنه، وأن تقوم الساعة إلا بأمره، وأن يحدث في السماوات والارض شيء إلا بعلمه، نحمده على ما كان، ونستعينه من أمرنا على ما يكون، ونستغفره ونستهديه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ملك الملوك، وسيد السادات، وجبار الارض والسماوات، القهار الكبير المتعال، ذو الجلال والاكرام، ديان يوم الدين، رب آبائنا الاولين.

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالحق داعيا إلى الحق، وشاهدا على الخلق، فبلغ رسالات ربه كما أمره، لا متعديا ولا مقصرا، وجاهد في الله أعداءه، لا وائيا ولا ناكلا، ونصح له في عبادته صابرا محتسبا، فقبضه الله إليه وقد رضي عمله وتقبل سعيه، وغفر ذنوبه ﷺ.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، واغتنام ما استطعتم عملا به من طاعته في هذه الايام

الخالية، وبالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تكونوا تحبون تركها، والمبلىة لكم وإن كنتم تحبون تجديدها، فإنما مثلكم ومثلها كركب سلكوا سبيلا فكأن قد قطعوه، وأفضوا إلى علم فكأن قد بلغوه، وكم عسى المجري إلى الغاية أن يجرى إليها حتى يبلغها، وكم عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه، وطالب حثيث في الدنيا يحدوه حتى يفارقها، فلا تتنافسوا في عز الدنيا وفخرها، ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها، فإن عز الدنيا وفخرها إلى انتقطاع، وإن زينتها ونعيمها إلى زوال، وإن ضرها وبؤسها إلى نفاذ، وكل مدة منها إلى منتهى، وكل حي منها إلى فناء وبلاء، أو ليس لكم في آثار الاولين وفي آبائكم الماضين معتبر وتبصرة إن كنتم تعقلون، ألم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقيين منكم لا يقفون، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وحرّام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ وقال: ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ أو لستم ترون إلى أهل الدنيا وهم يصبحون ويمسون على أحوال شتى، فميت يبكي، وآخر يعزّي، وصريع يتلوي، وعائد ومعود، وآخر بنفسه يجود، وطالب الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفل عنه، وعلى أثر الماضين يمضي الباقيين، والحمد لله رب العالمين، رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع، ورب العرش العظيم، الذي يبقى ويفنى ما سواه، وإليه يؤول الخلق ويرجع الامر.

ألا إن هذا اليوم يوم جعله الله لكم عيداً وهو سيّد أيامكم وأفضل أعيادكم، وقد أمركم الله في كتابه بالسعي فيه إلى ذكره، فلتعظم رغبتكم فيه، ولتخلص نيتكم فيه، وأكثروا فيه التضرّع والدعاء ومسألة الرحمة والغفران، فإن الله عزوجل يستجيب لكل من دعاه، ويورد النار من عصاه وكل مستكبر عن عبادته، قال الله عزوجل: ﴿أدعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ وفيه ساعة مباركة لا يسأل الله عبد مؤمن فيها شيئاً إلا أعطاه، والجمعة واجبة على كل مؤمن إلا على الصبي والمريض والمجنون والشيخ الكبير والاعمى والمسافر والمرأة والعبد المملوك، ومن كان

على رأس فرسخين ، غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا فيما خلا من أعمارنا ، وعصمنا وأياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا ، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله عز وجل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو الفتاح العليم بسم الله الرحمن الرحيم. ثم يبدأ بعد الحمد بقل هو الله أحد ، أو بقل يا أيها الكافرون ، أو بإذا زلزلت الأرض زلزالها ، أو بألهيكم التكاثر أو بالعصر ، وكان مما يدوم عليه ﴿قل هو الله أحد﴾.

ثم يجلس جلسة خفيفة ، ثم يقوم فيقول : الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وآله ومغفرته ورضوانه ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ونبيك صلاة نامية زاكية ، ترفع بها درجته ، وتبين بها فضله وصل على محمد وآل محمد ، وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يصدّون عن سبيلك ، ويجحدون آياتك ، ويكذبون رسلك ، اللهم خالف بين كلمتهم ، وألق الرعب في قلوبهم ، وانزل عليهم رجرك وتقمتك وبأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين ، اللهم انصر جيوش المسلمين وسراياهم ومرابطيهم في مشارق الأرض ومغاريها إنك على كل شئ قدير ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، اللهم اجعل التقوى زادهم ، والايمان والحكمة في قلوبهم ، وأوزعهم أن يشكروا نعمتك التي أنعمت عليهم ، وأن يوفوا بعهدك الذي عاهدتهم عليه ، إله الحق وخالق الخلق ، اللهم اغفر لمن توفي من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ولمن هو لاحق بهم من بعدهم منهم ، إنك أنت العزيز الحكيم ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ اذكروا الله يذكركم فإنه ذاكر لمن ذكره ، واسألوا الله من رحمته وفضله فإنه لا يخيب عليه داع دعاه . ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾^(١).

(١) من لا يحضره الفقيه ؛ للشيخ الصدوق ١: ٤٢٧ - ٤٣١.

وبالاسناد عن المتقي الهندي في «كنز العمال»: عن علي أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال: عباد الله! والله الموت ليس منه فوت، إن أقمت له أخذكم، وإن فررت منه أدرككم، فالنجاة النجاة! والوفا الوفا! وراءكم طالب حثيث: القبر! فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته، ألا! وإن القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، ألا! وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود، أنا بيت الوحشة، ألا! وإن وراء ذلك ما هو أشد منه، نار حرّها شديد، وقعرها بعيد، وحليها حديد، وخازنها مالك، ليس لله فيه - وفي لفظ: فيها - رحمة، ألا! ووراء ذلك جنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للمتقين، جعلنا الله وإياكم من المتقين وأجارنا وإياكم من العذاب الاليم (الصابوني في المائتين) (١).

(١) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١٥: ٧٠١، الحديث ٤٢٨٠٢.

[الخطبة (١٠٢)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «الكلام التاسع والتسعون: روى ابن قتيبة منه في عيون الاخبار ج ٢ ص ١٣٥٢ باختلاف يسير، وذلك زمن لا ينجو فيه إلا كل مؤمن ج ١ ص ١٩٨». انتهى^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن أحمد بن محمد بن أحمد الكوفي وهو العاصمي ، عن عبد الواحد بن الصواف ، عن محمد بن اسماعيل الهمداني ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يوصي أصحابه ويقول : أوصيكم بتقوى الله فإنها غبطة الطالب الراجي، وثقة الهارب اللاجي، واستشعروا التقوى شعارا باطنا، واذكروا الله ذكرا خالصا تحيوا به أفضل الحياة وتسلكوا به طريق النجاة، انظروا في الدنيا نظر الزاهد المفارق لها، فإنها تزيل الثاوي الساكن، وتفجع المترف الآمن، لا يرجى منها ما تولى فأدبر، ولا يدرى ما هو آت منها فينتظر ، وصل البلاء منها بالرخاء، والبقاء منها إلى فناء ، فسرورها مشوب بالحزن، والبقاء فيها إلى الضعف والوهن ، فهي كروضة اعتمّ مرعاها واعجبت من يراها، عذب شربها، طيب تربها ، تمج عروقها الثرى وتنطف فروعها الندى ، حتى إذا بلغ العشب إيانته واستوى بنانه هاجت ريح تحت الورق وتفرّق ما اتسق، فأصبحت كما قال الله : «هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا» ، انظروا في الدنيا في كثرة ما يعجبكم وقلّة ما ينفعكم». ^(٢)

وأيضاً عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن الحسن الاصبهاني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير

(١) راجع: استناد نهج البلاغة، الرقم (٥٤).

(٢) الكافي ؛ للشيخ الكليني ٨ : ١٧.

المؤمنين ﷺ : طوبى لكل عبد نومة لا يؤبه له، يعرف الناس ولا يعرفه الناس ، يعرفه الله منه برضوان ، أولئك مصابيح الهدى، ينجلي عنهم كل فتنة مظلمة، ويفتح لهم باب كل رحمة ، ليسوا بالبذر المذاييع ، ولا الجفاة المرائين. وقال: قولوا الخير تعرفوا به، واعملوا الخير تكونوا من أهله، ولا تكونوا عجلا مذاييع ، فإن خياركم الذين إذا نظر إليهم ذكر الله. وشراركم المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة ، المبتغون للبراء المعاييب»^(١).

وبالاسناد عن محمد بن ابراهيم النعماني (ت / ٣٣٣ هـ) في «كتاب الغيبة»، قال: أخبرنا محمد بن همام ومحمد بن الحسن بن محمد بن جمهور جميعا ، عن الحسن بن محمد ابن جمهور ، قال: حدثنا أبي ، عن بعض رجاله ، عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله ﷺ : خبر تدريه خير من عشر ترويه ، إن لكل حق حقيقة ، ولكل صواب نورا ، ثم قال: إنا والله لا نعد الرجل من شيعتنا فقيها حتى يلحن له فيعرف اللحن ، إن أمير المؤمنين ﷺ قال على منبر الكوفة: إن من ورائكم فتنة مظلمة عمياء منكسفة لا ينجو منها إلا النومة ، قيل : يا أمير المؤمنين وما النومة ؟ قال الذي يعرف الناس ولا يعرفونه . واعلموا أن الارض لا تخلو من حجة لله عز وجل ولكن الله سيعمى خلقه عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم، ولو خلت الارض ساعة واحدة من حجة لله لساخت بأهلها، ولكن الحجة يعرف الناس ولا يعرفونه كما كان يوسف يعرف الناس وهم له منكرون ، ثم تلا: ﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن﴾^(٢).

وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»: أخبرنا أبو غالب وأبو عبد الله ابنا البناء، قالا: أنا أبو الحسين بن الابنوسي أنا أبو الطيب عثمان بن عمرو بن محمد بن المنتاب، نا يحيى بن محمد بن صاعد أنا الحسين بن الحسن بن حرب أنا إسماعيل بن إبراهيم ناليث عن الحسن قال: قال علي بن أبي طالب: طوبى لكل عبد نومة، عرف الناس ولم يعرفه الناس، عرفه الله برضوان، أولئك مصابيح الهدى يكشف الله عنهم

(١) الكافي ؛ للشيخ الكليني ٢ : ٢٢٥.

(٢) كتاب الغيبة ؛ لمحمد بن ابراهيم النعماني : ١٤١ والآية من سورة يس : ٣٠.

كل فتنة مظلمة سيدخلهم في رحمته، ليس أولئك بالمذاييع البذر ولا بالجفاة المرائين. أخبرنا أبو القاسم العلوي أنا رشأ المقرئ أنا أبو محمد المصري أنا أبو بكر المالكي نا محمد بن عبد العزيز الدينوري نا أبي عن وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفي بن دلهم عن علي بن أبي طالب أنه قال: تعلّموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه الحق تسعة أعشاره، وأنه لا ينجو منه إلا كلّ نومة مننت الداء، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم، ليسوا بالعجل المذاييع البذر، ثم قال: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا. ألا وإن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً، والتراب فراشاً، والماء طيباً، ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن الحرّات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ألا إن الله عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين وأهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وحوادثهم خفيفة، صبروا أيام العقبي لراحة طويلة، أمّا الليل فصافون أقدامهم يجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم: ربنا ربنا، يطلبون فكاك رقابهم. وأما النهار فعلماء حلماء بررة أتقياء كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرض، وخولطوا ولقد خالط القوم أمر عظيم»^(١).

وبالمعنى مارواه النعماني (ت / ٣٣٣ هـ) في «كتاب الغيبة» عن محمد بن همام ومحمد بن الحسين بن جمهور جميعاً عن الحسن بن محمد بن جمهور عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام [وفي ضمن الحديث مانصّه]: قال أمير المؤمنين علي منير الكوفة: «وان من ورائكم فتناً مظلمة عمياء منكسفة لا ينجو منها إلا النومة، قيل يا أمير المؤمنين وما النومة؟ قال: الذي يعرف الناس ولا يعرفونه، واعلموا ان الارض لا تخلو من حجه لله، ولكن الله سيعمي خلقه منها بظلمهم وجورهم واسرافهم على أنفسهم، ولو خلت الارض ساعة واحدة من حجة الله لساخت بأهلها ولكن الحجة يعرف الناس ولا يعرفونه كما كان

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٤٩١-٤٩٢.

يوسف يعرف الناس وهم له منكرون، ثم تلا: «يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزون»^(١).

وبالاسناد عن أبي نعيم الاصفهاني (ت / ٤٣٠ هـ) في «حلية الاولياء»، قال: حدثنا عبدالله بن محمد ثنا ابو يحيى الرازي ثنا هناد ثنا ابن فضيل عن ليث عن الحسن عن علي قال: «طوبى لكل عبد نومة، عرف الناس ولم يعرفه الناس. عرفه الله برضوان، أولئك مصاييح الهدى يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة سيدخلهم في رحمته ليس أولئك بالمذاييع البذر ولا بالجفاة المرائين»^(٢).

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: في مسند علي عليه السلام عن الحسن قال: قال علي: طوبى لكل عبد نومة، يعرف الناس ولا يعرفه الله برضوانه، أولئك مصاييح الهدى، ليس بالمذاييع ولا بالبذر ولا بالجفاة المرائين، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة» (هناد حل هب كر)^(٣).

وعنه عن علي قال: إنها ستكون بعدي فتنة عمياء مظلمة منكشفة، لا ينجو منها إلا النومة، قيل: وما النومة؟ قال: الذي لا يدري ما الناس فيه. (العسكري في المواعظ)^(٤).

(١) الغيبة؛ للنعمانى: ٧٠.

(٢) حلية الاولياء ١: ٧٦-٧٧.

(٣) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ٣: ٧٠٧، ح ٨٥٢٢.

(٤) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١١: ٢٥٩، ح ٣١٤٥١.

[الخطبة (١٠٣)]

قال الجلالي: قال العلامة المجلسي في «بحار الأنوار» عن «معاني الأخبار»: عن ابن المتوكل، عن الحميري، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: طوبى لعبد نومة عرف الناس فصاحبهم بيدنه، ولم يصاحبهم في أعمالهم بقلبه، فعرفوه في الظاهر، وعرفهم في الباطن ^(١).

وقال في البيان: قال في النهاية: في حديث علي عليه السلام أنه ذكر آخر الزمان والفتن ثم قال: خير أهل ذلك الزمان كل مؤمن نومة، النومة بوزن الهمزة الخامل الذكر الذي لا يؤبه له، وقيل: الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر وأهله، وقيل: النومة بالتحريك الكثير النوم وأما الخامل الذي لا يؤبه له فهو بالتسكين ومن الأول حديث ابن عباس أنه قال لعلي: ما النومة؟ قال: الذي يسكت في الفتنة فلا يبدو منه شيء، انتهى.

وفي نهج البلاغة: «وذلك زمان لا ينجو فيه إلا كل مؤمن نومة، إن شهد لم يعرف، وإن غاب لم يفتقد، أولئك مصاييح الهدى وأعلام السرى، ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر، أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته ويكشف عنهم ضراء نقمته».

وقال السيد رضي الله عنه: قوله عليه السلام: «كل مؤمن نومة» فإنما أراد به الخامل الذكر القليل الشر، و«المساييح» جمع مسياح وهو الذي يسبح بين الناس بالفساد والنمائم، و«المذاييع» جمع مذبايع، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوه بها والبذر جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقته انتهى ^(٢). ولم يذكر الجوهرى النومة بالهمزة وقال: رجل نومة بالضم ساكنة الواو أي لا يؤبه له، ورجل نومة بفتح الواو أي نؤوم وهو الكثير النوم، وفي القاموس: وهو نائم ونؤم ونومة كهمزة وصرده ثم قال: ونومة كهمزة

(١) معاني الأخبار: ٣٨٠ و ٣٨١

(٢) نهج البلاغة ١: ٢١٣، تحت، ح ١٠١ من الخطب.

وأمر مغفل أو خامل والأول بالهمزة والباقي بالواو . و «أفتقده» أي طلبه عند غيبته ،
والجملتان كالتفسير للنومة على الظاهر ، فالمراد به الخامل ^(١) و «السري» كالهدي السير
عامة الليل وأعلام السرى كلما يهتدى به في ذلك السير ، وفي النهاية: «ليسوا بالمساييح
البذر» أي الذين يسعون بالشر والنميمة، وقيل : هو من التسييح في الثوب ، وهو أن يكون
فيه خطوط مختلفة ، وقال : المذاييع جمع مذيع من أذاع الشيء إذا أفشاه وقيل أراد الذين
يذيعون الفواحش وهو بناء مبالغة ، وقال : البذر جمع بذور يقال بذرت الكلام بين الناس
كما تبذر الحبوب أي أفشيتته وفرقته، انتهى . «يفتح الله لهم» أي ببركاتهم تنزل الخيرات
وتندفع الشرور والآفات والضراء الحالة التي تضرّ، نقيض السراء» ^(٢).

(١) وروى الصدوق في معاني الأخبار ص ١٦٦ باب معنى النومة عن أبي الطفيل أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول : إن بعدى فتنا مظلمة عمياء مشككة لا يبقى فيها إلا النومة ، قيل : وما النومة يا أمير المؤمنين ؟ قال : الذي لا يدري الناس ما في نفسه .
(٢) بحار الأنوار ، للعلامة المجلسي ٦٦ : ٢٧٢ - ٢٧٤ .

[الخطبة (١٠٤)]

قال الجلالي: قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»: «ثم عبر عن هذا المعنى بعبارة أخرى، فصارت مثلاً أيضاً، وهي قوله: «كفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره»، ومن الكلام المروى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام مرفوعاً: «ما هلك امرؤ عرف قدره»، رواه أبو العباس المبرد عنه في الكامل. قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: وما إخال رجلاً يرفع نفسه فوق قدرها إلا من خلل في عقله. وروى صاحب «الكامل» أيضاً عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: لما حضرت وفاة علي بن الحسين عليه السلام أباي ضمني إلى صدره، ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي يوم قتل، وبما ذكر لي أن أباه علياً عليه السلام أوصاه به: يا بني عليك ببذل نفسك، فإنه لا يسر أباك بذل نفسه حمر النعم. وكان يقال: من عرف قدره استراح». (١)

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٧: ١٠٨ - ١٠٩.

[الخطبة (١٠٥)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن علي بن ابراهيم القمي (ت / ٢٠٤ هـ) في تفسيره : قال: حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خطب امير المؤمنين عليه السلام بعد ما بويع له بخمسة ايام خطبة فقال فيها: واعلموا ان لكل حق طالبا، ولكل دم ثائرا، والطالب [بحقنا - ظ] كقيام الثائر بدمائنا، والحاكم في حق نفسه هو العادل الذي لا يحيف والحاكم الذي لا يجور وهو الله الواحد القهار، واعلموا ان على كل شارح بدعة وزره ووزر كل مقتد به من بعده من غير ان ينقص من اوزار العاملين شيء، وسينتقم الله من الظلمة مأكلاً بمأكل ومشرباً بمشرب من لقم العلقم ومشارب الصبر الادهم، فيشربوا بالصب من الراح السم المذاق، ويلبسوا دثار الخوف دهرًا طويلاً، ولهم بكل ما اتوا وعملوا من افويق الصبر الادهم فوق ما أتوا وعملوا، اما انه لم يبق إلا الزمهرير من شتائهم وما لهم من الصيف إلا رقدة، ويحهم ما تزودوا وجمعوا على ظهورهم من الآثام فيا مطايا الخطايا [ويا رزء الزورك] وزاد الآثام مع الذين ظلموا، اسمعوا واعقلوا وتوبوا وابكوا على انفسكم «فسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون»، فاقسم ثم اقسم ليتحملنها بنو امية من بعدي وليعرفنها في دار غيرهم عما قليل، فلا يبعد الله إلا من ظلم، وعلى البادي [يعني الاول] ما سهل لهم من سبيل الخطايا مثل اوزارهم واوزار كل من عمل بوزرهم إلى يوم القيامة «ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون»^(١).

(١) تفسير القمي : لعلي بن ابراهيم القمي ١ : ٣٨٤.

[الخطبة (١٠٦)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: قوله ﷺ: «الحمد لله الذي شرع الاسلام... الخ» بعض الفقرات من هذه الخطبة مروية في أصول الكافي في صفة الاسلام، ومن أول هذه الخطبة الى قوله ﷺ: «والجنة سبقته» مروية في أمالي الشيخ الطوسي مع اختلاف يسير، والمروية فيها بعد هذا غير ما ذكره السيد هنا بقوله: ومنها^(١) قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الكليني في أصول الكافي (١٦٧)، وشيخ الطائفة في الأمالي (٢٣)، والحراني في تحف العقول (٣٨)، وأبو علي القالي في ذيل الأمالي والنوادر (١٧٣)، وأبو نعيم الاصفهاني في الحلية [ج ١ ص ٧٤]، والقاضي محمد بن سلامة القضاعي في دستور معالم الحكم [١٢١]. انتهى»^(٢)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن ابراهيم بن محمد الثقفي (ت / ٢٨١ هـ) في «الغارات»، قال: حدثنا محمد، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ابراهيم، قال: وحدثنا أبو زكريا بهذا الكلام أكثر من هذا، ورواه عن أهل العلم من أصحابه قال: قال علي ﷺ: أما بعد، فإن الله شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده، وأعز أركانه على من حاربه، فجعله عزاً لمن تولاّه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وزينة لمن تحلى به، وعدلاً لمن انتحلّه، وعروة لمن اعتصم به، وحبلاً لمن استمسك به، وبرهاناً لمن تكلم به، [وشرفاً لمن عرفه، وحكمة لمن نطق به] ونوراً لمن استضاء به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به، وعلماً لمن وعى، حديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى، وحلماً لمن حرب، ولباً لمن تدبر، وفهما لمن تفتن، ويقيناً لمن علم، وبصيرة لمن عزم، وآية لمن توسم، وعبرة لمن اتعظ، ونجاة لمن صدق، ومودة من الله لمن صلح،

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٩.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

وزلفى لمن اقترب ، وثقة لمن توكل ، وراحة لمن فوض ، وصبغة لمن أحسن ، وخيرا لمن سارع ، وجنة لمن صبر ، ولباساً لمن اتقى ، وطهراً لمن رشد ، وكتبة لمن آمن ، وأمنة لمن أسلم ، وروحاً للصادقين .

فذلك الحق ، سبيله الهدى ، وصفته الحسنى ، ومأثرته المجد ، فهو أبلغ المنهاج ، مشرق المنار ، مضئ المصاييح ، رفيع الغاية ، يسير المضمار ، جامع الحلبة ، متناس السبقة ، أليم النقصة ، قديم العدة ، كريم الفرسان ، فالإيمان منهاجه ، والصالحات مناره ، والعفة مصايحه ، والموت غايته ، والدنيا مضماره ، والقيامة حلبته ، والجنة سبقته ، والنار نقمته ، والتقوى عدته ، والمحسنون فرسانه ، فبالإسلام يستدل على الصالحات ، وبالصالحات يعمر الفقه ، وبالفقه يهرب الموت ، وبالموت تختتم الدنيا ، وبالدنيا تحذر الآخرة ، وبالقيامة تزلف الجنة ، والجنة حسرة أهل النار ، والنار موعظة المتقين ، والتقوى سنخ الايمان .

والايمان على أربع دعائم : على الصبر واليقين والعدل والجهاد .
فالصبر على أربع شعب : على الشوق والشفق والزهادة والترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات .
واليقين على أربع شعب : على تبصرة الفطنة ، وتأويل الحكمة ، وموعظة العبرة ، وسنة الاولين ؛ فمن تبصر في الفطنة تبين في الحكمة ، ومن تبين في الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة عرف السنة ، ومن عرف السنة فكأنما كان في الاولين .
والعدل على أربع شعب : على غائص الفهم ، وغمرة العلم ، وزهرة الحكم ، وروضة الحلم ؛ فمن فهم فسر جمل العلم ، ومن علم عرف غرائب الحكم ، ومن حلم لم يفرط في أمره ، وعاش به في الناس حميداً .

والجهاد على أربع شعب ، على الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصدق في المواطن ، وشنآن الفاسقين ؛ فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمنين ، ومن نهى عن المنكر

أرغم أنف الفاسقين ، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ، ومن شأ الفاسقين غضب الله ، ومن غضب الله غضب الله له . [فذلك الايمان ودعائمه وشعبه].

والكفر على أربع دعائم ، على الفسق ، والغلو ، والشك ، والشبهة :

والفسق على أربع شعب : على الجفاء ، والعمى ، والغفلة ، والعتو ؛ فمن جفا حقر الحق ، ومقت الفقهاء ، وأصر على الحنث ، ومن عمى نسى الذكر واتبع الباطل وبارز ربّه ، وألح عليه الشيطان ، ومن غفل جثا على ظهره ، وحسب غيه رشدا ، وغرته الأمانى وأخذته الحسرة إذا انتقضى الامر وانكشف عنه الغطاء وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب ، ومن عتا عن أمر الله شك ، ومن شك تعالى الله عليه ثم أذله بسلطانه وصغره بجلاله كما فرط في جنبه واغتر بربه الكريم .

والغلو على أربع : على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق ، فمن تعمق لم ينب إلى الحق ، ولم يزد الا غرقا في الغمرات ، ولم تحسر عنه فتنة الا غشيتها اخرى ، وانخرق دينه فهو يهوى في أمر مريج . ومن نازع وخاصم قطع بينهم الفشل ، وبلى أثرهم من طول اللجاج ، ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة ، وسكر سكر الضلال ، ومن شاق وعرت عليه طرقة ، وأعضل عليه أمره ، وضاق مخرجه ، وحري أن ينزع عن رتبته بما لم يتبع سبيل المؤمنين .

والشك على أربع شعب ، على المرية ، والهول ، والتردد ، والاستسلام ، فبأى آلاء ربك يتمارى الممترون ؟ . ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ، ومن تردد في الريب سبقه الاولون وأدركه الآخرون ووطئته سنايك الشياطين ، ومن استسلم لتهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما ، ومن نجا من ذلك فبفضل اليقين .

والشبهة على أربع شعب : على اعجاب بالزينة ، وتسويل النفس ، وتأول العوج ، ولبس الحق بالباطل ، وذلك بأن الزينة تأفك عن البينة ، وأن تسويل النفس تقحم إلى الشهوة ، وأن العوج يميل بصاحبه ميلا عظيما ، وأن اللبس ظلمات بعضها فوق بعض ، وذلك الكفر ودعائمه وشعبه .

والنفاق على أربع دعائم: على الهوى، والهوىنا، والحفيظة، والطمع.

فالهوى من ذلك على أربع شعب: على البغي، والعدوان، والشهوة، والطغيان، فمن بغى كثرت غوائله وتُخْلِي عنه وتُصِر عليه، ومن اعتدى لم تؤمن بوائقه ولم يسلم قلبه، ومن لم يعزف نفسه عن الشهوات خاض في الحسرات وسبح فيها، ومن طغى ضل عمدا بلا عذر ولا حجة.

والهوىنا على أربع شعب: على الهيبة والعزة والمماطلة والامل، وذلك أن الهيبة ترد عن الحق، والاغترار بالعاجل تفريط الاجل، وتفريط المماطلة مورط في العمى حتى يقدم الاجل، ولولا الأمل علم الانسان حساب ما هو فيه، ولو علم حساب ما هو فيه مات خفاتا من الهول والوجل.

والحفيظة على أربع شعب: على الكبر والفخر والحمية والعصبية، فمن استكبر أدبر، ومن فخر فجر، ومن حمى أصر، ومن أخذته العصبية جار، فبئس الامر أمر بين إدبار وفجور وإصرار وجور عن الصراط.

والطمع على أربع شعب: على الفرح والمرح واللجاجة والكبر، فالفرح مكروه عند الله، والمرح خيلاء، واللجاجة بلاء لمن اضطرتته إلى حمل الآثام، والكبر لهو ولعب وشغل واستبدال بالذي هو أدنى بالذي هو خير.

فذلك النفاق ودعائمه وشعبه. والله قاهر فوق عباده، تعالى جده، واستوت ممرته، واشتدت قوته، واصطنعت نفسه، وصنع على عينه، وجل وجهه، وأحسن كل شئ خلقه، وانبسطت يداه، ووسعت رحمته، وظهر أمره، وأشرق نوره، وفاضت بركته، واستضاءت حكمته، وهيمن كتابه، وفلجت حجته، وخلص دينه، وحقت كلمته، وسبقت حسناته، وصفت نسبته، وأقسطت موازينه، وبلغت رسله، واحضرت حفظته.

ثم جعل السيئة ذنبا، والذنب فتنة، والفتنة دنسا، وجعل الحسنى عتبي، والعتبي توبة، والتوبة طهورا، فمن تاب اهتدى، ومن افتتن غوى ما لم ينب إلى الله ويعترف بذنبه، ويصدق بالحسنى، ولا يهلك على الله الا هالك [فالله الله] ما أوسع ما لديه من التوبة

والرحمة والبشرى والحلم العظيم . . ! وما أنكر ما عنده من الانكال والجحيم والعزة والقدرة والبطش الشديد ، فمن ظفر بطاعته اجتلب كرامته ، ومن ذلّ في معصيته ذاق وبال نعمته ، هنالك عقبى الدار . لا يخشى أهلها غيرها وهنالك خيبة ليس لأهلها اختيار . نسأل الله ذا السلطان العظيم والوجه الكريم الخير ، والخير عاقبة للمتقين ، والخير مردّ يوم الدين .^(١)

وبالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، وعدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد جميعا ، عن الحسن بن محبوب ، عن يعقوب السراج ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام وبأسانيد مختلفة ، عن الأصمغ بن نباتة قال : خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام في داره - أو قال : في القصر - ونحن مجتمعون ، ثم أمر صلوات الله عليه فكتب في كتاب وقرئ على الناس .

وروى غيره أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن صفة الاسلام والايمان والكفر والنفاق ، فقال : أما بعد ، فإن الله تبارك وتعالى شرع الاسلام وسهل شرائعه لمن ورده ، وأعزّ أركانه لمن حاربه ، وجعله عزا لمن تولّاه ، وسلما لمن دخله ، وهدى لمن اتّمسك به ، وزينة لمن تجلّله ، وعذرا لمن انتحلّه ، وعروة لمن اعتصم به ، وحبالا لمن استمسك به ، وبرهانا لمن تكلم به ، ونورا لمن استضاء به ، وعونا لمن استغاث به ، وشاهدا لمن خاصم به ، وفلجا لمن حاجّ به ، وعلما لمن وعاه ، وحديثا لمن روى ، وحكما لمن قضا ، وحلما لمن جرّب ، ولباسا لمن تدبّر ، وفهما لمن تفتّن ، ويقينا لمن عقل ، وبصيرة لمن عزم ، وآية لمن توسّم ، وعبرة لمن اتعظ ، ونجاة لمن صدق ، وتودة لمن أصلح ، وزلفى لمن اقترب ، وثقة لمن توكلّ ، ورخاء لمن فوض ، وسبقة لمن أحسن ، وخيرا لمن سارع ، وجنة لمن صبر ، ولباسا لمن اتقى ، وظهيرا لمن رشد ، وكهفا لمن آمن ، وأمنة لمن أسلم ، ورجاء لمن صدق ، وغنى لمن قنع ، فذلك الحق ، سبيله الهدى ، ومأثرته المجد ، وصفته الحسنى ، فهو

(١) الغارات : لآبراهيم بن محمد الثقفي ١ : ١٣٨ - ١٤٥ .

أبلغ المنهاج، مشرق المنار، ذاكي المصباح، رفيع الغاية، يسير المضمار، جامع الحلبة، سريع السبقة، أليم النقمة، كامل العدة، كريم الفرسان، فالإيمان منهاجه، والصالحات مناره، والفقه مصايحه، والدنيا مضماره، والموت غايته، والقيامة حلبيته، والجنة سبقتة، والنار نقمته، والتقوى عدته والمحسنون فرسانه، فالإيمان يستدل على الصالحات، وبالصالحات يعمر الفقه، وبالفقه يهرب الموت، وبالموت تختتم الدنيا، وبالدنيا تجوز القيامة، وبالقيامة تزلف الجنة، والجنة حسرة أهل النار، والنار موعظة المتقين، والتقوى سنخ الإيمان.^(١)

وقال العلامة المجلسي في «بحار الأنوار» بإسناده عن «الكافي» عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى؛ وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد جميعاً عن الحسن بن محبوب عن يعقوب السراج، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام وبأسانيد مختلفة، عن الأصغر بن نباته قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام في داره - أو قال في القصر - ونحن مجتمعون، ثم أمر صلوات الله عليه فكتب في كتاب وقرأ على الناس؛ وروى غيره أن ابن الكوا سأله أمير المؤمنين عليه السلام عن صفة الإسلام والإيمان والكفر والنفاق فقال: أما بعد فإن الله تبارك وتعالى شرع الإسلام، وسهل شرايعه لمن ورده، وأعز أركانه لمن جأ به، وجعله عزا لمن تولاه، وسلمنا لمن دخله، وهدى لمن اتهم به، وزينة لمن تجلله، وعذرا لمن انتحلله، وعروة لمن اعتصم به، وحبالا لمن استمسك به، وبرهانا لمن تكلم به، ونورا لمن استضاء به، وشاهدا لمن خاصم به، وفلجا لمن حاج به، وعلمنا لمن وعاه، وحديثنا لمن روى، وحكما لمن قضى، وحلما لمن جرب، ولباسا لمن تدبر، وفهما لمن تفطن، ويقينا لمن عقل، وبصيرة لمن عزم، وآية لمن توسم، وعبرة لمن اتعظ، ونجاة لمن صدق، وتوادة لمن أصلح، وزلفى لمن اقترب، وثقة لمن توكل، ورجاء لمن فوض، وسبقة لمن أحسن، وخيرا لمن سارع، وجنة لمن صبر، ولباسا لمن اتقى، وظهيرا لمن رشد، وكهفا لمن آمن، وأمنة لمن أسلم، ورجاء لمن

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ٢: ٤٩ - ٥٠.

صدق وغنى لمن قنع . فذلك الحق سبيله الهدى ، ومأثرته المجد ، وصفته الحسنى ، فهو أبلج المنهاج مشرق المنار ، ذاكي المصباح ، رفيع الغاية ، يسير المضمار ، جامع الحلبة ، سريع السبقة ، أليم النقرة ، كامل العدة ، كريم الفرسان . فالإيمان منهاجه ، والصالحات مناره ، والفقه مصايحه ، والدنيا مضماره والموت غايته ، والقيامة حلبته ، والجنة سبقتة ، والنار نقمته ، والتقوى عدته ، والمحسنون فرسانه ، فالإيمان يستدل على الصالحات ، والصالحات يعمر الفقه وبالفقه يرهب الموت ، وبالموت يختم الدنيا ، وبالدنيا تجوز القيامة ، وبالقيامة تزلف الجنة ، والجنة حسرة أهل النار ، والنار موعظة للمتقين ، والتقوى سنخ الإيمان»^(١).

وعن الكافي: بالاسناد المتقدم^(٢) عن أبي جعفر عليه السلام قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الإيمان فقال: إن الله عز وجل جعل الإيمان على أربع دعائم: على الصبر ، واليقين ، والعدل ، والجهاد . فالصبر من ذلك على أربع شعب: على الشوق ، والاشفاق ، والزهد ، والترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق عن النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات . واليقين على أربع شعب: تبصرة الفطنة ، وتأول الحكمة ، ومعرفة العبرة وسنة الأولين ، فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة ، ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة عرف السنة ، ومن عرف السنة فكأنما كان مع الأولين واهتدى إلى التي هي أقوم ، ونظر إلى من نجا بما نجا ، ومن هلك بما هلك ، وإنما أهلك الله من هلك بمعصيته ، وأنجا من أنجا بطاعته . والعدل على أربع شعب غامض الفهم ، وغمر العلم ، وزهرة الحكم ، وروضة الحلم ، فمن فهم فسر جميع العلم ، ومن علم عرف شرايع الحكم ، ومن حلم لم يفرط في أمره ، وعاش في الناس حميدا . والجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصدق في المواطن ، وشن آن الفاسقين ، فمن أمر بالمعروف شد

(١) الكافي ٢: ٤٩ - ٥٠ .

(٢) في المصدر: بالاسناد الأول ، عن ابن محبوب ، عن يعقوب السراج ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام .

ظهر المؤمن ، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق ، وأمن كيده ، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه ، ومن شئ الفاسقين غضب لله ومن غضب لله غضب الله له فذلك الايمان ودعائمه وشعبه .^(١)

وعن مجالس المفيد ، أمالي الطوسي : عن المفيد ، عن المرزباني ، عن أحمد بن سليمان الطوسي ، عن الزبير بن بكار ، عن عبد الله بن وهب ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن جابر الأسدي قال : قام رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسأله عن الايمان فقال عليه السلام خطيباً فقال : الحمد لله الذي شرع الاسلام وساق نحوه...إلى قوله غضب لله ، ومن غضب لله تعالى فهو مؤمن حقاً فهذه صفة الايمان ودعائمه ، فقال له السائل : لقد هديت يا أمير المؤمنين وأرشدت فجزاك الله عن الدين خيراً.^(٢)

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «الأمالي» : أخبرنا محمد بن محمد بن النعمان ، قال : أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، قال : حدثني أحمد بن سليمان الطوسي ، عن الزبير بن بكار ، قال : حدثني عبد الله بن وهب ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن قبيصة بن جابر الاسدي ، قال : قام رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسأله عن الايمان ، فقال عليه السلام خطيباً فقال : الحمد لله الذي شرع الاسلام فسَهّل شرائعه لمن ورده ، وأعزّ أركانه على من حاربه ، وجعله عزاً لمن والاه ، وسلماً لمن دخله ، وهدى لمن اتّمسك به ، وزينة لمن تحلى به ، وعصمة لمن اعتصم به ، وحبالاً لمن تمسك به ، وبرهاناً لمن تكلم به ، ونوراً لمن استضاء به ، وشاهداً لمن خاصم به ، وفليحاً لمن حاج به ، وعلماً لمن وعاه ، وحديثاً لمن رواه ، وحكماً لمن قضى به ، وحلماً لمن جرب ، ولبّاً لمن تدبّر ، وفهماً لمن فطن ، ويقيناً لمن عقل ، وتبصرة لمن عزم ، وآية لمن توسّم ، وعبرة لمن اتعظ ، ونجاة لمن صدق ، ومودة من الله لمن أصلح ، وزلفى لمن ارتقب ، وثقة لمن توكل ، وراحة لمن فوّض ، وجنة لمن صبر . الحق سبيله ، والهدى صفته ، والحسنى مآثرته ، فهو

(١) الكافي ٢ : ٥٠ و ٥١ .

(٢) بحار الأنوار ، للعلامة المجلسي ٦٥ : ٣٤٩ - ٣٥٢ ، عن أمالي المفيد : ١٧٠ ، أمالي الطوسي ١ : ٣٥ ، وراجع تحف العقول ص ١٥٨ .

أبلج المنهاج، مشرق المنار، مضئ المصاييح، رفيع الغاية، يسير المضمار، جامع الحلبة، متنافس السبقة، كريم الفرسان، التصديق منهاجه، والصالحات مناره، والفقه مصاييحه، والموت غايته، والدنيا مضماره، والقيامة حليته، والجنة سبقته، والنار نقمته، والتقوى عدته، والمحسنون فرسانه. فبالإيمان يستدل على الصالحات، وبالصالحات يعمر الفقه، وبالفقه يهرب الموت، وبالموت تختم الدنيا، وبالقيامة تزلف الجنة للمتقين، وتبرز الجحيم للغاوين.

والإيمان على أربع دعائم: الصبر واليقين والعدل، والجهاد. فالصبر على أربع شعب: الشوق، والشفق، والزهادة، والترقب، ألا من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات. واليقين على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأول الحكمة، وموعظة العبرة، وسنة الاولين، فمن تبصر في الفطنة تبين الحكمة، ومن تبين الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة عرف السنة، ومن عرف السنة فكأنما كان في الاولين.

والعدل على أربع شعب: على غامض الفهم، وعمارة العلم، وزهرة الحكم، وروضة الحلم، فمن فهم نشر جميل العلم، ومن علم عرف شرائع الحكم، ومن عرف شرائع الحكم لم يضل، ومن حلم لم يفرط في أمره، وعاش في الناس حميدا.

والجهاد على أربع شعب: على الامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنأ الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف الكافر، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنأ الفاسقين غضب الله، ومن غضب الله تعالى فهو مؤمن حقا، فهذه صفة الإيمان ودعائمه. فقال له السائل: لقد هديت يا أمير المؤمنين وأرشدت، فجزاك الله عن الدين خيرا»^(١).

ونقله الاسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) مرسلاً في «المعيار والموازنة» ص ٢٠٣ ط /

(١) الأمالي؛ للشيخ الطوسي: ٣٧ - ٣٨.

خطب أمير المؤمنين / الخطبة (١٠٦) ٧٠٥

١٤٠٢ هـ.

[الخطبة (١٠٧)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ : وقد رأيت جولتكم... الى آخره. رواه الطبري بأبسط مما هنا، ولعل ما ذكره السيد هو مختاره منها، أو أنها رواية أخرى من بعض المصادر التي لم يبق منها الا القليل»^(١)

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواه ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفين [١٣٠] والطبري في التاريخ [ج ٦ ص ١٤]». (انتهى)^(٢)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن نصر بن مزاحم المنقري (ت / ٢١٢ هـ) في «وقعة صفين»، باسناده عن عمر، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب: أن عليا لما رأى ميمنته قد عادت إلى موقفها ومصافها، وكشف من بإزائها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم، أقبل حتى انتهى إليهم فقال:

إني قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم، يحوزكم الجفأة الطغام وأعراب أهل الشام، وأنتم لهاميم العرب، والسنام الأعظم، وعمار الليل بتلاوة القرآن، وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون. فلو لا إقبالكم بعد إدباركم وكركم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولى يوم الزحف دبره، وكنتم فيما أرى من الهالكين. ولقد هوّن عليّ بعض وجدي، وشفى بعض أحاح نفسي أني رأيتم بأخرة حزتموهم كما حازوكم، وأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم، تحوزونهم بالسيوف ليركب أولهم آخرهم، كالإبل المطردة الهيم. فالآن فاصبروا، أنزلت عليكم السكينة، وثبتكم الله باليقين. وليعلم المنهزم أنه مسخط لربه، وموبق نفسه، وفي الفرار موجدة الله عليه، والذل اللازم له، والعار الباقي، واعتصار الفئ من يده، وفساد العيش، وإن الفار لا يزيد الفرار في عمره، ولا يرضى ربه.

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٩.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

فموت الرجل محققاً قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها والإقرار عليها. ^(١)
وبالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» قال وفي حديث مالك بن
أعين قال: حرض أمير المؤمنين صلوات الله عليه الناس بصفين فقال: إن الله عز وجل
دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم وتشفي بكم على الخير: الإيمان بالله، والجهاد
في سبيل الله، وجعل ثوابه مغفرة للذنوب ومساكن طيبة في جنات عدن، وقال عز وجل
:﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِيَانٍ مَرْصُوصٍ﴾ فسوّوا صفوفكم
كالبنيان المرصوص، فقدّموا الدارع وأخّروا الحاسر، وعضوا على التواجد فإنه أنبأ
للسيوف على الهام، والتّووا على أطراف الرماح فإنه أمور للأسنة، وغضوا الأبصار فإنه
أربط للجأش وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرّد للفشل وأولى بالوقار، ولا
تميلوا براياتكم ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا مع شجعانكم فإن المانع للذمار والصابر عند
نزول الحقائق هم أهل الحفاظ، ولا تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا
سترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا شيئا من أموالهم إلا ما وجدتكم في عسكرهم، ولا
تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمت أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى
والأنفس والعقول، وقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهن وهنّ مشركات، وإن كان الرجل ليتناول
المرأة فيعبّر بها وعقبه من بعده، واعلموا أن أهل الحفاظ هم الذين يحقّون براياتهم
ويكتنفونها ويصيرون حفافيها وورائها وأمامها ولا يضيعونها، الحديث. ^(٢)

(١) وقعة صفين؛ لنصر بن مزاحم المنقري: ٢٥٦.

(٢) الكافي؛ للشيخ الكليني ٥: ٣٩.

[الخطبة (١٠٨)]

قال الجلالي: تقل مقاطع منها أبو جعفر الإسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) في «المعيار والموازنة» بعنوان: خطبته عليه السلام في لوم أصحابه لما انهزموا في بعض أيام صفين في بداية الامر من عسكر معاوية ثم كروا عليهم فأزالوهم عن موقفهم وهزموهم فقال مانصه: «قالوا: لما اشتد البأس وعظم المصاب ، وتضعضت الاركان من الفريقين ورأى من أصحابه بعض الانحياز قام فيهم فقال: إني قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم، تحوزكم الجفافة الطغام وأعراب أهل الشام، وأنتم لهاميم العرب والسنام الاعظم ، وعمار الليل بتلاوة القرآن ، وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون ، فلولاً إقباكم بعد إدباركم ، وكركم بعد انحيازكم لوجب عليكم ما وجب على المولي يوم الزحف دبره وكنتم من الهالكين ، فلقد شفى بعض سقمي وأحاح نفسي إني رأيتمكم أخيراً حزتموهم كما حازوكم، وأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم، تحوسونهم بالسيف ، تركب أولاهم أخراهم كالابل المطرودة الهيم، فالآن فاصبروا ، نزلت عليكم السكينة ، وثبتكم الله باليقين، وليعلم الفار منكم أنه لا يزيد في عمره ولا يرضي ربه، وأن في الفرار سخطا عليه ، والذل اللازم لاهله ، والعار الباقي ، وفساد العيش عليه ، فيموت المرء محققا خير من الحياة على الفرار بهذه الخصال .

ثم قال: والذي بعث محمداً بالحق لقد قاتلت معاوية وأباه على تنزيل الكتاب ، وأنا اليوم أقاتله وأشياعه على تأويل الكتاب . وإن البصيرة في الامرين جميعا لواحدة بالعلم بما نحن عليه من الهدى، والحمد لله .

ثم حمل على أعداء الله فما انتنى حتى قتل خمسمائة رجل ، كلما قتل رجلا كبر تكبيرة حتى يسمعه عامة أهل عسكره ، وذكروا أن ذلك كان من أول الصبح إلى أن غاب الشفق ، وما كانت صلاته يومئذ وأصحابه إلا التكبير لكل ركعة تكبيرة . وكان إذا قتل

رجلا قال: اللهم إنه قاتل مع عدوك ليظفئ نورك جرأة عليك ، وتغيير الما جاء به نبيك ،
أللهم فأصل وجهه النار .

قالوا : ثم أقبل رجل من أهل الشام يقال له : الزبرقان بن الحكم وكان سيد أهل الشام
فطلب البراز ، فخرج إليه الحسن بن علي بن أبي طالب ، فقال له الزبرقان : من أنت ؟ قال :
أنا الحسن بن علي . فقال له : انصرف يا بني فوالله لقد نظرت إلى رسول الله ﷺ مقبلا من
ناحية " قبا " يسير على ناقة له وإنك يومئذ لقدامه ، فما كنت لألقى رسول الله ﷺ بدمك .
فانصرف الزبرقان ، فلما بلغ ذلك عليا قال لأصحابه : أملكوا عني هذا الغلام - يعني ابنه
الحسن - لا يهدني فقدته ، فأسرعت إليه خيل من أصحاب علي فردّوا الحسن . وانصرف
الزبرقان وهو يقول : إني أخاف الله في ابن فاطمة ، وإن ذا الكلاع حدثني أنه سمع جهمًا
يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن حسنا وحسينا سيذا شباب أهل الجنة .^(١)

(١) المعيار والموازنة؛ لأبي جعفر الإسكافي : ١٥١ ١٤٩ .

[الخطبة (١١٠)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: إن أفضل ما توسل به المتوسلون... الخ» هذه من خطبة طويلة، تعرف بالديباج، أولها: الحمد لله فاطر الخلق، وقد رواها الحسن بن علي بن شعبة المتوفى سنة ٣٢٣، في كتابه الشهير، وهو كتاب تحف العقول^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها البرقي في المحاسن [الورق ١١٩ / ألف]، والحراني في تحف العقول [٣٤]، والشيخ الصدوق في علل الشرائع [١١٤]، والشيخ المفيد في الأمالي [بحار ج ١٧ ص ١٠٥]». (انتهى)^(٢)

قال الجلال: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في علل الشرائع، حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه علي عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر باسناده يرفعه إلى علي بن طالب عليه السلام أنه كان يقول: إن أفضل ما توسل به المتوسلون بالإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيل الله، وكلمة الاخلاص فإنها الفطرة، وتام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها من فرائض الله، وصوم رمضان فإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه منقاة للفقر ومدحضة للذنوب، وصلة الرحم فإنه مثرة للمال ومنسأة للأجل، وصدقة السر فإنها تطفي الخطيئة وتطفئ غضب الرب، وصنایع المعروف فإنها تدفع ميتة السوء وتقي مصارع الهوان، ألا إن فتصدقوا فإن الله مع من تصدق، وجانبوا الكذب فإن الكذب مجانب الإيمان، ألا إن الصادق على شفا منجاة وكرامة، ألا وإن الكاذبين على شفا مخزاة وهلكة، ألا وقولوا خيرا تعرفوا به، واعلموا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من إئتمنكم عليها، وصلوا أرحام من قطعكم، وعودوا بالفضل على من سألكم.^(٣)

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٩.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) علل الشرائع: للشيخ الصدوق ١: ٢٤٧.

وبالاستناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «من لا يحضره الفقيه»، قال : وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : إن أفضل ما يتوسل به المتوسلون الايمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيل الله ، وكلمة الاخلاص فانها الفطرة ، وإقام الصلاة فانها الملة ، وإيتاء الزكاة فانها من فرائض الله عزوجل ، والصوم فانه جنّة من عذابه ، وحج البيت فانه منفاة للفقير ومدحضة للذنوب ، وصلة الرحم فانها مثرة في المال ومنسأة في الاجل ، وصدقة السر فانها تطفي الخطيئة وتطفي غضب الله عزوجل ، وصنائع المعروف فانها تدفع ميتة السوء وتقي مصارع الهوان ، ألا فاصدقوا فإن الله مع الصادقين ، وجانبوا الكذب فانه يجانب الايمان ، ألا إن الصادق على شفا منجاة وكرامة ، ألا إن الكاذب على شفا مخزاة وهلكة ، ألا وقولوا خيرا تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، وأدوا الامانة إلى من ائتمنكم ، وصلوا أرحام من قطعكم ، وعودوا بالفضل على من حرّمكم.^(١)

وبالاستناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «الأمالي» قال: أخبرنا محمد بن محمد ، قال: أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد بن الحسن ، عن أبيه ، عن محمد بن الحسن الصفار ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن حمزة البطائني ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام ، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام : أفضل ما توسل به المتوسلون : الايمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيل الله ، وكلمة الاخلاص فانها الفطرة ، واقامة الصلاة فانها الملة ، وإيتاء الزكاة فانها من فرائض الله ، وصوم شهر رمضان فانه جنّة من عذاب الله ، وحج البيت فانه ميقات للدين ومدحضة للذنوب ، وصلة الرحم فانه مثرة للمال ومنسأة للاجل ، وصدقة السر فانها تذهب الخطيئة وتطفي غضب الرب ، وصنائع المعروف فانها تدفع ميتة السوء ، وتقي مصارع الهوان ، ألا فاصدقوا فإن الله مع من صدق ، وجانبوا الكذب فإن الكذب مجانب الايمان ، ألا وإن الصادق على شفا منجاة وكرامة ، ألا وإن الكاذب على شفا مخزاة وهلكة ، ألا وقولوا خيرا تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، وأدوا الامانة إلى من ائتمنكم ، وصلوا من قطعكم ، وعودوا بالفضل عليهم .

(١) من لا يحضره الفقيه ؛ للشيخ الصدوق ١ : ٢٠٥ .

وبالاسناد قال: أخبرنا محمد بن محمد ، قال: أخبرني أبو الحسن علي بن محمد الكاتب ، قال: حدثنا الاجلج ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ثعلبة بن يزيد الحماني ، قال: كتب امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان : أما بعد ، فإن الله تعالى أنزل إلينا كتابه ولم يدعنا في شبهة ، ولا عذر لمن ركب ذنبا بجهالة ، والتوبة مبسوبة «ولا تزر وازرة وزر أخرى» وأنت ممن شرع الخلاف متماديا في غرة الامل ، مختلف السر والعلانية رغبة في العاجل وتكذيبا بعد بالاجل ، وكانك قد تذكرت ما مضى منك فلم تجد إلى الرجوع سبيلا»^(١).

وقال: وكتب صلوات الله عليه إلى عمرو بن العاص : من عبد الله أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص . أما بعد ، فإن الذي أعجبك مما تلويت من الدنيا ووثقت به منها منقلب عنك ، فلا تطمئن إلى الدنيا فإنها غرارة ، ولو اعتبرت بما مضى حذرت ما بقي وانتفعت منها بما وعظت به ، ولكنك تبعت هواك وآثرته ، لولا ذلك لم تؤثر على ما دعوناك إليه غيره لا نا أعظم رجاء وأولى بالحجة ، والسلام»^(٢).

وقال: وكتب عليه السلام إلى أمراء الاجناد : من عبد الله أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالحي . أما بعد ، فإن حقا على المولى ألا يغيره عن رعيته فضل ناله ولا مرتبة اختص بها ، وأن يزيد ما قسم الله له دنوا من عباده وعطفا عليهم ، ألا وإن لكم عندي ألا احتجبين دونكم سرا إلا في حرب ، ولا أطوي دونكم أمرا إلا في حكم ، ولا أؤخر لكم حقا عن محله ، وأن تكونوا في الحق عندي سواء ، فإذا فعلت ذلك وجبت لي عليكم البيعة ولزمتكم الطاعة ، وألا تنكصوا عن دعوة ، ولا تفرطوا في صلاح ، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق ، فإن أنتم لم تسمعوا لي على ذلك لم يكن أحد أهون عليّ ممن خالفني فيه ، ثم أحل بكم فيه عقوبته ، ولا تجدوا عندي فيها رخصة ، فخذوا هذا من أمرائكم ، واعطوا من أنفسكم هذا يصلح أمركم ، والسلام»^(٣).

(١) الأماي: للشيخ الطوسي: ٢١٦ - ٢١٧.

(٢) الأماي: للشيخ الطوسي: ٢١٧.

(٣) الأماي: للشيخ الطوسي: ٢١٨.

[الخطبة (١١١)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «وقوله ﷺ: أما بعد فاني أحذركم الدنيا... الخ ، أيضاً مروي في كتاب تحف العقول كما في النهج باختلاف يسير»^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الجاحظ بتمامها عن قطري بن الفجاءة في البيان والتبيين [ج ١ ص ١٩٦] وابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٥٠]، وأبو الفرج القزويني الكاتب في قرب الاسناد [بحار ج ١٧ ص ٣٠٥]، والحراني في تحف العقول [٤٢] عن أمير المؤمنين عليه السلام . وقال ابن أبي الحديد [ج ١ ص ٣٩٧]: «إن هذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ورواها القطري بن الفجاءة. والناس يروونها لأمر المؤمنين عليه السلام . وقد رأيتها في كتاب الموفق لأبي عبيد الله المرزباني [المعتزلي المتوفى ٣٨٤ هـ - ٩٩٤ م] مروية لأمر المؤمنين. وهي بكلام أمير المؤمنين أشبه»^(٢).

قال الجلالي: ونقل أبو جعفر الإسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) مقاطع منها في «المعيار والموازنة» بعنوان: كلامه ﷺ في التحذير عن الدنيا وعدم الاغترار بإقبالها وعدم الاسف على إدبارها فقال الاسكافي: ثم قال ﷺ: أما بعد، فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات، وتحببت بالعاجلة، وعمرت بالآمال، وتزيّنت بالغرور، فلا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها، غرارة ضرارة، زائلة نافذة نابذة، أكالة غوالة، لا تعدو إذا هي تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قال الله: ﴿كءأ أنزنأه من السماء فآختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا﴾^(٣).

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٩.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) الكهف: ٤٥.

مع أن امرأ لم يكن منها في حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطناً إلا منحتة من ضرائها ظهراً، ولم تطله فيها ديمة رخاء إلا وهتنت عليه مزنة بلاء، وحرى إذا هي أصبحت له منتصرة أن تمسي له متنكرة، وإن جانب منها اعذوب واحلولى أمر عليه منها جانب فأوي، وإن لبس امرؤ من غضارتها رغبا أرهقته من نوائبها تعباً، ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن إلا أصبح في أخوف مخوف. غرارة غرور ما فيها، فانية فانٍ من عليها، لاخير في شئ من زادها إلا التقي. من أقل منها استكثر مما يؤمنه، ومن استكثر منها لم يدم له وزال عما قليل عنه. كم من واثق بها قد فجعته، وذي طمأنينة إليها قد صرعه، وذي خدع قد خدعته، وذي أثبة فيها قد صيرته حقيراً، وذي نخوة فيها قد ردته جائعاً فقيراً، وذي تاج قد كبته لليدين وللقم. سلطانها دول، وعيشها رنق، وعذبتها أجاج، وحلوها صبر، وغذاؤها سمّام، وأسبابها رمام، وقطافها سلع، وحيثها بعرض موت، وصحيحها بعرض سقم، ومنيعها بعرض اهتضام، وملكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وآمنها منكوب، وجارها محروب. ثم من وراء ذلك سكرات الموت وزفراته، وهول المطلع، والوقوف بين يدي الحكم العدل ﴿ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾^(١) أو لستم في مساكن من كان قبلكم ممن كان أطول منكم أعماراً، وأعز آثاراً، وأعدّ منكم عديداً، وأكثف منكم جنوداً، وأشد منكم عنوداً. تعبّدوا للدنيا أيّ تعبّد وآثروها أيّ إيثار ثم ظعنوا عنها بالصغار. فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم به بخطب، بل أوهنتهم بالقوارع، وضععتهم بالنوائب، وعفرتهم للمناخر، وأعانت عليهم ريب المنون. فقد رأيتم تنكّرها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها حتى ظعنوا عنها لفراق الابد وإلى آخر المسند، هل زودتهم إلا السغب أو أخلّتهم إلا الضنك، أو نورّت لهم إلا الظلمة، أو أعقبتهم إلا النار؟ ! أفهذه تؤثرون؟ أم على هذه تحرصون؟ أم إليها تطمنون؟ قال الله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط

ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون»^(١) فبئست الدار لمن لم يهتمها ولم يكن فيها على وجل منها . واعلموا - وأنتم تعلمون - أنكم تاركوها لا بد فإنما هي كما نعت الله : «لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم ، وتكاثر في الاموال والاولاد»^(٢) فاتعظوا فيها باللذين كانوا يبنون بكل ريع آية يعثون ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون، وبالذين قالوا: من أشد منا قوة. واتعظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حملوا إلى قبورهم ولا يدعون ركباناً، وأنزلوا الاجداث ولا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الضريح أكنان ومن التراب أكفان ، ومن الرفات جيران . فهم جيرة لا يجيبون داعياً ولا يمنعون ضيماً، ولا يبألون مندبة، ولا يقتربون سيئاً ولا حسناً ، لا يزورون ولا يزارون . حلماء قد بادت أضغانهم ، جهلاء قد ذهب أحقادهم، لا يخشى فجعهم، ولا يرجى دفعهم ، وهم كمن لم يكن، وكما قال الله : «قتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين»^(٣) استبدلوا بظهر الارض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالاهل غربة، وبالنور ظلمة، وجاؤوها كما فارقوها حفاة عراة ، قد ظعنوا منها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة ، وإلى خلود الابد، يقول الله : «كما بدانا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين»^(٤).

وقال ابن شعبة الحراني (ت / ٣٣٦ هـ) في تحف العقول في عنوان: «ومن كلامه عليه السلام في الزهد وذم الدنيا وعاجلها» قال: الحراني مانصه إني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة، حقت بالشهوات، وتحببت بالعاجلة، وعمرت بالآمال، وتزينت بالغرور، لا تدوم حبرتها، ولا تؤمن فجعتها، غرارة، ضرارة، زائلة، نافدة، أكالة، غوالة، لا تعدو - إذا هي تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها - أن تكون كما قال الله سبحانه : «كما أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدراً» . مع أن امرءاً لم يكن منها في حيرة إلا أعقبته عبرة، ولم يلق من سرائها بطناً إلا

(١) هود: ١٥.

(٢) الحديد: ٢٠.

(٣) القصص: ٥٨.

(٤) المعيار والموازنة؛ لأبي جعفر الإسكافي : ٢٦٤ - ٢٦٧، والآية من سورة الانبياء ١٠٤.

منحته من ضرائها ظهرا، ولم تطله فيها ديمة رخاء إلا هتفت عليه مزنة بلاء . إذا هي أصبحت منتصرة أن تسمي له منكرة . وإن جانب منها اعذوذب لامرء واحلولي ، أمر عليه جانب منها فأوبى، وإن لبس امرؤ منها في جناح أمن إلا أصبح في أخوف خوف، غرارة، غرور ما فيها ، فانية فإن من عليها . لا خير في شئ من زادها إلا التقوى . من أقل منها استكثر مما يؤمنه، ومن استكثر منها لم يدم له وزال عما قليل عنه . كم من واثق بها قد فجعته وذي طمأنينة إليها قد صرعته . وذي حذر قد خدعته . وكم ذي إبهة فيها قد صيرته حقيرا . وذي نخوة قد ردتته جائعا فقيرا . وكم ذي تاج قد أكبته للدين والفم . سلطانها ذل، وعيشها رنق . وعذبها اجاج . وحلوها صبر . حييها بعرض موت . وصحيحها بعرض سقم . ومنيعها بعرض اهتضام . وملكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وأمنها منكوب، وجارها محروب، من وراء ذلك سكرات الموت وزفراته وهول المطلع، والوقوف بين يدي الحاكم العدل «ليجزى الذين أسأوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى» الستم في مساكن من كان أطول منكم أعمارا وأبين آثارا وأعد منكم عديدا وأكثف منكم جنودا وأشد منكم عنودا . تعبدوا للدنيا أي تعبدوا وآثروها أي إثار . ثم ظعنوا عنها بالصغار . أفهذه تؤثرن ؟ أم على هذه تحرصون ؟ أم إليها تطمئنون ؟ يقول الله : «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون» فبئست الدار لمن لم يتهيبها ولم يكن فيها على وجل . واعلموا - وأنتم تعلمون - أنكم تاركوها لا بد وإنما هي كما نعت الله : «لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والاولاد» فاعتظوا فيها بالذين كانوا يبنون بكل ريع آية يعذبون ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون وبالذين قالوا : «من أشد منا قوة» واعتظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حملوا إلى قبورهم، ولا يدعون ركبانا وانزلوا ولا يدعون ضيفانا . وجعل لهم من الضريح أكنان ومن التراب أكنان ومن الرفات جيران . فهم جيرة لا يجيئون داعيا ولا يمنعون ضيما . لا يزورون ولا يزارون . حلماء قد بارت أضغانهم، جهلاء قد ذهبت أحقادهم . لا تخشى فجعتهم ولا يرجى دفعهم

. وهم كمن لم يكن وكما قال الله سبحانه : «فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين» . استبدلوا بظهر الارض بطنًا ، وبالسعة ضيقًا ، وبالاهل غربة ، وبالنور ظلمة . جاؤوها كما فارقوها ، حفاة عراة . قد ظعنوا منها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة وإلى خلود أبد ، يقول الله تبارك وتعالى : «كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا إنا كنا فاعلين»^(١).

وقال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» : «واعلم أن هذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين»^(٢) ، ورواها القطري بن الفجاءة ، والناس يروونها لأمير المؤمنين عليه السلام ، وقد رأيتها في كتاب «الموتق» لأبي عبيد الله المرزباني مروية لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهي بكلام أمير المؤمنين أشبه . وليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لقي قطري أكثرهم»^(٣).

(١) تحف العقول ؛ لابن شعبة الحراني : ١٨٠ - ١٨٣ .
(٢) البيان والتبيين ٢ : ١٢٦ - ١٢٩ ، وهي أيضا بنسبتها إلى قطري في العقد ١ : ١٤١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٢٣ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٥٠ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٥٠ .
(٣) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ٧ : ٢٣٦ - ٢٣٧ .

[الخطبة (١١٤)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت) / ٤٦٠ هـ) في «الأمالي» عن الحسين بن عبيد الله ، عن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري ، قال: حدثنا أبو العباس بن عقدة ، قال: حدثنا الحسن بن علي بن إبراهيم العلوي ، قال: حدثنا الحسين بن علي الخزاز ، وهو ابن بنت إلياس ، قال: حدثنا ثعلبة بن ميمون ، عن أبي عبد الله عليه السلام : قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : إنما الدنيا فناء وعناء ، وغير وعبر ، فمن فنائها أن الدهر موتر قوسه ، مفوق نبلة ، يرمي الصحيح بالسقم ، والحي بالموت ، ومن عنائها أن المرء يجمع ما لا يأكل ، ويبنى ما لا يسكن ، ومن غيرها أنك ترى المغبوط مرحوما ، والمرحوم مغبوطا ، ليس منها إلا نعيم زائل ، أو بؤس نازل ، ومن عبرها أن المرء يشرف على أمله فيختطفه من دونه أجله .^(١)

الشيخ الطوسي في «الأمالي» : قال: وقال عليه السلام : أربع للمرء لا عليه : الايمان ، والشكر ؛ فإن الله تعالى يقول : ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾ ، والاستغفار ، فإنه قال : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ والدعاء ، فإنه قال : ﴿ قل ما يعبؤا بكم ربى لولا دعاؤكم ﴾ .^(٢)

(١) الأمالي؛ للشيخ الطوسي: ٤٤٣.

(٢) الأمالي؛ للشيخ الطوسي: ٤٩٤.

[الخطبة (١١٥)]

قال الهادي الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: اللهم قد انصاحت جبالنا...الى آخره. رواها الشيخ في مصباح المتنجد مع اختلاف في المقدار وفي بعض الكلمات والفقرات وفي تقديم بعض وتأخير بعض»^(١).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويهِ بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) والطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) المقطع الاخير من خطبة الاستسقاء، والشيخ الصدوق في «من لا يحضره الفقيه» قال : وخطب أمير المؤمنين ﷺ في الاستسقاء فقال: «الحمد لله سابع النعم ومفرج الهم، وبارئ النسم، الذي جعل السماوات لكرسيه عمادا والجبال للارض أوتادا، والارض للعباد مهادا، وملأته على أرجائها، وحمله العرش على أمطائها، وأقام بعزته أركان العرش، وأشرق بضوئه شعاع الشمس، وأجبا بشعاعه ظلمة الغطش، وفجر الارض عيونا، والقمر نورا، والنجوم بهورا، ثم علا فتمكّن، وخلق فأتقن، وأقام فتهيمن فخضعت له نخوة المتكبر، وطلبت إليه خلة المتمسكن.

اللهم فبدرجتك الرفيعة، ومحلّتك المنيعه، وفضلك السابغ، وسبيلك الواسع، أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد كما دان لك، ودعا إلى عبادتك، ووفي بعهدك، وأنفذ أحكامك، واتبع أعلامك، عبدك ونبيك وأمينك على عهدك إلى عبادك، القائم بأحكامك، ومؤيد من أطاعك، وقاطع عذر من عصاك، اللهم فاجعل محمداً أجزل من جعلت له نصيباً من رحمتك، وأنضر من أشرق وجهه بسجالات عطيتك، وأقرب الانبياء زلفة يوم القيامة عندك، وأوفرهم حظاً من رضوانك، وأكثرهم صفوف أمة في جناتك كما لم يسجد للاحجار، ولم يعتكف للاشجار، ولم يستحل السباء، ولم يشرب الدماء.

اللهم خرجنا إليك حين أجاتنا المضائق الوعرة، وألجأتنا المحابس العسرة، وعصّتنا

(١) مدارك نهج البلاغة: ٨٩.

الصعبة علائق الشين ، وتأثلت علينا لواحق المين، واعتكرت علينا حدايير السنين، وأخلفتنا مخائل الجود، واستظمانا لصوارخ العود ، فكنت رجاء المبتس، والثقة للمتمس، ندعوك حين قنط الانام ، ومنع الغمام ، وهلك السوام ، يا حي يا قيوم، عدد الشجر والنجوم ، والملائكة الصفوف ، والعنان المكفوف ، أن لا تردنا خائبين، ولا تؤخذنا بأعمالنا، ولا تحاصنا بذنوبنا ، وانشر علينا رحمتك بالسحاب المتيق ، والنبات المونق، وامنن على عبادك بتنويع الثمرة، وأحي بلادك ببلوغ الزهرة، وأشهد ملائكتك الكرام السفرة ، سقيا منك نافعة ، دائمة غزرها ، واسعا درّها ، سحابا وابلا سريعا عاجلا، تحيي به ما قد مات ، وتردّ به ما قد فات ، وتخرج به ما هو آت ، اللهم اسقنا غيثا مغيثا ممرعا طبقا مجلجلا متتابعا خفوقه منبجسة بروقه ، مرتجسة هموعه ، وسيبه مستدر ، وصوبه مستبطر، لا تجعل ظله علينا سموما ، وبرده علينا حسوما، وضوءه علينا رجوما ، وماءه أجاجا ، ونباته رمادا رمدا.

اللهم إنا نعوذ بك من الشرك وهواديه ، والظلم ودواهيه ، والفقر ودواحيه ، يا معطي الخيرات من أماكنها ، ومرسل البركات من معادنها ، منك الغيث المغيث ، وأنت الغياث المستغاث، ونحن الخاطئون وأهل الذنوب، وأنت المستغفر الغفار، فستغفرك للجمات^(١) من ذنوبنا، ونتوب إليك من عوام خطايانا.

اللهم فأرسل علينا ديمة^(٢) مدرارا ، واسقنا الغيث واكفا مغزارا^(٣) ، غيثا واسعا ، وبركة من الوابل نافعة^(٤) ، يدافع الودق بالودق ، ويتلو القطر منه القطر ، غير خلب برقه^(٥) ، ولا

(١) للجمات، أي الكثيرات أو جملتها ، ونسخة في جميع النسخ: «للجهالات من ذنوبها». و «من» للبيان فإن كل ذنب تلزمه جهالة بعظمة الرب أو شدائد عقوبات الآخرة «من عوام خطايانا» أي جميعها أو الشاملة لجميع الخلق أو أكثرهم أو لجميع الجوارح.

(٢) الديمة - بالكسر - : المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق يدوم في سكون . وفي القاموس : در السماء بالمطر ودورا فهي مدرار ، ففي الاسناد هنا مجاز.

(٣) الواكف : المتقاطر . والغزار : الكثير .

(٤) وردت «نافعة» في بعض النسخ بالقاف، أي ثابتة في الأرض ينتفع بها طول السنة . والودق - بسكون الدال - : المطر . ومدافعة الودق هي أن تكثر المطر بحيث تتلاقى القطرات في الجو يدفع بعضها بعضا.

مكذب رعدده ، ولا عاصفة جنائبه، بل ريا يغص بالريّ ربابه^(١) ، وفاض فانصاع به سحابه، وجرى آثار هيدبه^(٢) حبابه ، سقيا منك محببة مروية ، محفلة^(٣) ، مفضلة^(٤) زاكيا نبتها، ناميا زرعها ، ناضرا عودها ، ممرعة آثارها ، جارية بالخير والخصب على أهلها ، تنعش بها الضعيف من عبادك^(٥) ، وتحيي بها الميت من بلادك ، وتنعم بها المبسوط من رزقك ، وتخرج بها المخزون من رحمتك ، وتعم بها من نأى من خلقك ، حتى يخصب لا مراعاها المجذبون ، ويحيا ببركتها المستنون ، وتترع بالقيعان غدرانها ، وتورق ذرى الاكام زهراتها ، ويدهام بذرى الآكام شجرها^(٦) وتستحق علينا بعد اليأس شكرا ، منة من منتك مجللة^(٧) ، ونعمة من نعمك مفضلة ، على بريتك المرملة ، وبلادك المغربية،

(٥) الخلب - بضم الخاء المعجمة وفتح اللام المشددة :- البرق الذى لا غيث معه كانه خادع ، أو السحاب الذى لا مطر فيه .

(١) الجنائب جمع الجنوب، وهى ريح تخالف الشمال مهبوبة من مطلع السهيل إلى مطلع الثريا ، وهى مهلكة مفسدة . والرى - بالكسر : الارتواء من الماء . والغص بالغين المعجمة - : الامتلاء ، والغصة : ما اعترض فى الحلق . والرباب - بالفتح - : السحاب الابيض أو السحاب الذى تراه كأنه دون السحاب قد يكون ابيض وقد يكون أسود والواحد ربابة . (الصاحح) وفى القاموس : انصاع : انقتل راجعا مسرعا . أي عيثا يفيض ويجرى منه الماء كثيرا ثم يرجع سحابه مسرعا بالفيضان، فالضمير فى قوله: «به» راجع إلى الفيضان المفهوم من قوله : «فاض» وفى الوافى: «ايضاع» بالمعجمة قبل المهملة أي فانساق .

(٢) الهيدب: المتدلى، أو ذيله، يعنى الذى يدنو من الارض وتراه كأنه خيوط عند انصباب المطر . والجناب : الفناء والناحية . وفى بعض النسخ: «خبابة» بالموحدتين كما فى التهذيب، وهو بالفتح معظم الماء .

(٣) محفلة، أي مائلة للحياض ، وحفل الوادي بالسيل: جاء بملء جنبه، وحفل السماء : اشتد مطرها . (القاموس).

(٤) وردت «مفضلة» فى بعض النسخ: «مخضلة» أي مبلّة، وأخضل الشئ بلّه ونداه .

(٥) الخصب - بالكسر - : كثرة العشب وبلد خصيب ومخصب . و «تنعش بها الضعيف» أي تقيمه من صرعته وتنهضه من عثرته وتجبر فقره وضعفه .

(٦) المجذبون: الذين أصابهم الجذب . والمستنون - بتقديم النون :- الذين أصابتهم شدة السنة . وتترع أي تملئ من قولهم: ترع الاناء - كعلم - يترع ترعا : امتلا . والقيعان: جمع القاع، وهى الارض المطننة السهلة . والغدران - بالضم ثم السكون - : جمع الغدير . وذرى الاكام رؤوسها، وهى جمع الكم - بالكسر - وهو وعاء الطلع وغطاء النور - بالفتح - . و «يدهام» بتشديد الميم، أي يسود ، ورضة مدهام، أي شديدة الخضرة المتناهية فيها . والاكام : الاجام . ووردت فى بعض النسخ: «الاكام» .

(٧) مجللة - بكسر اللام - أي عامة ، وفى الصاحح: جلل الشئ تجليلا، أي عم، والمجلل: أي السحاب الذى يجلل الارض بالمطر أي يعم متصلة .

وبهائكم المعملة ، ووحشك المهملة ^(١) .

اللهم منك ارتجاؤنا ، وإليك مأبنا ، فلا تحبسه عنا لتبطنك سرائرنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، فإنك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك ، وأنت الولي الحميد . ثم بكى وقال : سيدي ساخت جبالنا ، واغبرت أرضنا ، وهامت دوابنا ، وقنط الناس منا أو من قنط منهم ، وتاهت البهائم وتحيرت في مراتعها ، وعجت عجيج الشكالي على أولادها ، وملت الدوران في مراتعها ، حين حبست عنها قطر السماء ، فدق لذلك عظمها ، وذهب لحمها ، وذاب شحمها ، وانقطع درّها ، اللهم ارحم أنين الآنة ، وحنين الحانة ، ارحم تحيرها في مراتعها وأنينها في مراتعها ^(٢) .

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «مصباح المتهجد» قال : ويستحب أن يدعو بهذه الخطبة: روي أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب بهذه الخطبة في صلاة الاستسقاء فقال: الحمد لله سايع النعم، ومفرّج الهم، وبارئ النسم، الذي جعل السماوات المرسة عمادا، والجبال أوتادا، والأرض للعباد مهادا، وملأكته على أرجائها وحملة عرشه على أمطائها، وأقام بعزته أركان العرش، وأشرق بضوئه شعاع الشمس، وأطفأ بشعاعه ظلمة الغطش، وفجّر الأرض عيونا والقمر والقمر نورا والنجوم بهورا، ثم تجلى فتمكن، وخلق فأتقن، وأقام فهيمن، فخضعت له نخوة المستكبر، وطلبت إليه خلة المتمسكن . اللهم ! فبدرجتك الرفيعة ومحلّتك المنيعة وفضلك البالغ وسبيلك الواسع أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد كما دان لك ودعا إلى عبادتك ووفي بعهودك، وأنفذ أحكامك واتبع أعلامك، عبدك ونيبك وأمينك على عهدك إلى عبادك، القائم بأحكامك،

(١) مفضلة، اسم مفعول من الافضال، والمرملة: الذين أصابتهم الحاجة والمسكنة وهو على صيغة اسم الفاعل . والمغربة - بالغين المعجمة والراء المهملة - من الغروب، بمعنى البعد والغيبة . وفي بعض النسخ «المعربة» بالغين والراء المهملتين والتون، ويفتح الراء أو كسرهما بمعنى البعيدة، وفي بعضها «المعزبة» - بالغين المهملة والزاي - والعازب: الكلاء البعيد، وفي القاموس: أعزب بعد وأبعد . والمعملة، اسم مفعول من الاعمال؛ لان الناس يستعملونها في أعمالهم . والمهملة: التي لا راعى لها ولا صاحب ولا مشفق .

(٢) من لا يحضره الفقيه ؛ للشيخ الصدوق ١ : ٥٢٧ - ٥٣٣ .

ومريد من أطاعك، وقاطع عذر من عصاك .

اللهم ! فاجعل محمداً أجزل من جعلت له نصيباً من رحمتك ، وأنضر من أشرق وجهه بسجال عطيتك ، وأقرب الأنبياء زلفة يوم القيامة عندك ، وأوفرهم حظاً من رضوانك ، وأكثرهم صفوف أمة في جناتك ، كما لم يسجد للاحجار ، ولم يعتكف للأشجار ، ولم يستحل السباء ، ولم يشرب الدماء .

آللهم ! خرجنا إليك حين فاجأتنا المضائق الوعرة ، وألجأتنا المحابس العسرة ، وعضّتنا علائق الشين ، وتأثّلت علينا لواحق المين ، واعتكرت علينا حدايير السنين ، وأخلفتنا مخائل الجود ، واستظمّنا لصوارخ العود ، فكنت رجاء المستيس والشفقة للملتمس ، ندعوك حين قنط الانام ومنع الغمام وهلك السوام: يا حي ! يا قيوم ! عدد الشجر والنجوم والملائكة الصفوف والعنان المكفوف ، وأن لا تردّنا خائبين ، ولا تؤاخذنا بأعمالنا ، ولا تحاصّنا بذنوبنا وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنساق والنبات المونق ، وامنن على عبادك بتنويع الثمرة ، وأحي بلادك ببلوغ الزهرة ، وأشهد ملائكتك الكرام السفرة ، سقيا منك نافعة دائمة غزرها ، واسعا درّها ، سحابا وابلا ، سريعا عاجلا ، تحيي به ما قد مات ، وتردّ به ما قد فات ، وتخرج به ما هو آت .

اللهم اسقنا غيثا مغيثا ممرعا طبقا مجلجلا ، متتابعاً خفوقه ، منبجسة بروقه ، مرتجسة همومه ، وسيبه مستدر ، وصوبه مستبطر ، لا تجعل ظله علينا سموما ويرده علينا حسوما ، وضوءه علينا رجوما ، وماءه أجاجا ، ونباته رمادا رمادادا .

اللهم ! إنا نعوذ بك من الشرك وهواديه ، والظلم ودواهييه ، والفقر ودواحييه ، يا معطي الخيرات من أماكنها ! ومرسل البركات من معادنها ! منك الغيث المغيث ، وأنت الغياث المستغاث ، ونحن الخاطئون من أهل الذنوب ، وأنت المستغفر الغفار ، نستغفرك للجبهالات من ذنوبنا ، ونتوب إليك من عوام خطايانا .

اللهم ! فأرسل علينا ديمة مدرارا ، واسقنا الغيث واكفا مغزارا ، غيثا واسعا ، وبركة من الوابل نافعة . يدافع الودق بالودق دفاعا ، ويتلو القطر منه القطر ، غير خلّب برقه ، ولا

مكذّب رعد، ولا عاصفة جنائبه، بل ربّا يغض بالريّ ربابه، وفاض فانصاع به سحابه،
وجرى آثار هيدبه جنابه، سقيا منك محببة مروية محفلة متصلة، زاكيا نبتتها، ناميا زرعها،
ناضرا عودها، ممرعة آثارها، جارية بالخصب والخير على أهلها، تنعش بها الضعيف من
عبادك، وتحيي بها الميت من بلادك، وتنعم بها المبسوط من رزقك وتخرج بها المخزون
من رحمتك، وتعم بها من ناء من من خلقك، حتى يخصب لامرأها المجدبون، ويحيى
ببركتها المستتون، وترتع بالقيعان غدرانها، وتورق ذرى الاكام رجواتها، ويدهام بذرى
الاكام شجرها، وتستحق علينا بعد اليأس شكرا، مثّة من منك مجللة، ونعمة من نعمك
متصلة على بريتك المرملة، وبلادك المعزبة، وبهائمك المعملة، ووحشك المهملة.

اللهم ! منك ارتجاؤنا، وإليك مأبنا، فلا تحبسه عنا لتبطّنك سرائرنا، ولا تتواخذنا بما
فعل السفهاء منا، فإنك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا، وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد.
ثم بكى، فقال: سيدي ! صاحت جبالنا، واغبرت أرضنا، وهامت دوابنا، وقنط أناس
منا أو من قنط منهم الناس، وتاهت البهائم وتحيرت في مراتعها وعجّت عجيج الشكلى
على أولادها، وملّت الدوران في مراتعها حين حبست عنها قطر السماء، فدق لذلك
عظمها وذهب لحمها وذاب شحمها وانقطع درّها.

اللهم ارحم أنين الآنة وحنين الحائنة، ارحم تحيرها في مراتعها وأنينها في مراتعها يا
كريم»^(١).

(١) مصباح المتعبد؛ للشيخ الطوسي: ٥٢٧ - ٥٣٠.

[الخطبة (١١٦)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: لو تعلمون ما اعلم مما طوي عنكم... الى آخره. قيل: ان هذا الفصل من خطبة له بالكوفة يستنهض فيها أصحابه الى حرب الشام، ويتبرم من تقاعدهم، وقول السيد: الذحّة، هي الخنفساء، اي هي التي سماها به الحجاج تجوّزاً على سبيل الاستعارة»^(١).

قال العرشي في التخريج مانّصه: «الخطبة الثانية عشرة بعد المائة تنتهي بالكلمات التالية: اما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال، يأكل خضرتكم ويذيب شحمتكم. ايه أبا وذحة [ج ١ ص ٢٢٩]، رواها المسعودي في مروج الذهب [ج ٢ ص ١١٢] باختلاف يسير». (انتهى)^(٢).

قال الجلاي: وقد تقدمت أطراف منها في الخطبة (٩٩)، فراجع. وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال» في الحجاج بن يوسف عن الحسن قال: قال علي لاهل الكوفة: اللهم كما ائتمنتهم فخانوني، ونصحت لهم فغشوني، فسَلَطْ عليهم فتى ثقيف، الذيال الميال! يأكل خضرتها ويلبس فروتها، يحكم فيها بحكم الجاهلية.

قال الحسن: وما خلق الحجاج يومئذ. (ق في الدلائل، وقال: لا يقول على ذلك إلا توقيفا).

وعن مالك بن أوس بن الحدثان عن علي، قال: الشاب الذيال الميال أمير المصريين، يلبس فروتها، ويأكل خضرتها، ويقتل أشراف خضرتها، يشتد منه الفرق، ويكثر منه الارق، سلّطه الله على شيعته. (ق في الدلائل).

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٠.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: قال علي لرجل: لا مُتَّ حتى تدرك فتى ثقيف! قيل: يا أمير المؤمنين! ما فتى ثقيف؟ قال: ليقال له يوم القيامة: اكفنا زاوية من زوايا جهنم! رجل يملك عشرين أو بضعا وعشرين سنة، لا يدع الله معصية إلا ارتكبها حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها، يقتل بمن أطاعه من عصاه. (ق في الدلائل).^(١)

(١) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١١: ٣٦٢-٣٦٣، ح ٣١٧٤٧-٣١٧٤٩.

[الخطبة (١١٧)]

قال الجاللي: نقل الاسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) في «المعيار والموازنة» مقاطع منها، تحت عنوان: كلامه ﷺ في تأكد وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم جواز المداراة مع الفساق والمنافقين والطغاة، فقال: «وقال في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى محاربة أهل البغي: أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحذركم الدنيا وما فيها من الغضارة والبهاء والكرامة والبهجة التي ليست بخلف مما زين الله به العلماء وبما أعطوا من العقبي الدائمة والكرامة الباقية، ذلك بأن العاقبة للمتقين والحسرة والندامة والنويل الطويل على الظالمين. فاعتبروا بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثأته على الاحبار إذ يقول: ﴿لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم﴾^(١) وقال: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾^(٢) وإنما عاب الله ذلك عليهم لانهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم الامر بالمنكر من الفساد في بلادهم فلا ينهون عن ذلك؛ رغبة فيما كانوا ينالون منهم، ورهبة مما كانوا يحذرون والله يقول: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون﴾^(٣). وقال: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرزون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾^(٤) فبدأ الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هيئها وصعبها ذلك بأن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١) المائدة: ٦٣.

(٢) المائدة: ٧٨.

(٣) المائدة: ٤٤.

(٤) التوبة: ٧١.

دعاء إلى الاسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفئ والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها .

ثم أنتم أيتها العصابة عصابة بالعلم مشهورة وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة وبالله في أنفس الناس لكم مهابة ، يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ، ولا يد لكم عنده تشفعون بالحوائح إذا امتنعت من طلبها ، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الاكابر . أليس كل ذلك إنما نلتموه لما يرجى عندكم من قيام بحق الله وإن كنتم عن أكثر حقه مقصرين واستخففتكم بحق الائمة ؟ . فأما حق الله وحق الضعفاء فضيعتكم ، وأما حقكم - بزعمكم - فطلبتم ، فكنتم كحراس مدينة أسلموها وأهلها للعدو ، بمنزلة الاطباء الذين استوفوا ثمن الدواء وعطلوا المرضى ، فلا مال بذلتموه للذي رزقه ، ولا نفسا خاطرتم بها للذي خلقها ، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله . ثم أنتم تمنون على الله جنته ، ومجاورة رسله ، والبراءة والفرار من أعدائه ، والاستئثار بالكرامة من الله عند ملاقة الملائكة .

لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل بكم نقمة من نقماته لأنكم بلغتكم من كرامة الله منزلة فضلتم بها ، ومن يعرف بالله لا تكرمون وأنتم بالله في عباده تكرمون . وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون وأنتم لنقض ذمم آبائكم تفزعون ، وذمة رسوله مخفرة والعمي والبكم والزمنى في المدائن مهملون لا ترحمون ، وأنتم لا في منزلتكم تعملون ، ولا من عمل فيها تعينون ، وبالادهان والمصانعة أراكم عند الظلمة تأمنون ، كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون .

فأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تشعرون ، وذلك بأن مجاري الامور والاحكام على أيدي العلماء بالله في كتابه يكون هم الامناء على حلاله وحرامه ، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة ، وما سلبتم ذلك إلا بنفوركم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة .

ولو صبرتم على الاذى ، وتحملتكم المؤونة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد

وعنكم تصدر ، وإليكم ترجع ، ولكنكم مكنتم الظلمة من أزمتمكم وأسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات ويسبسون في الشهوات ، سلطهم على ذلك فراركم من الموت ، وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم ، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم ، فمن بين مستعبد ومقهور ، ومن بين مستضعف على معيشته مغلوب ، يتقلبون في الملك بآرائهم ، ويستشعرون الخزي بأهوائهم ، اقتداء بالاشرار ، وجرأة على الجبار . في كل بلد منهم على منبره خطيب مصقع ، والارض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة ، وأيدي القادة عنهم مكفوفة ، وسيوفهم عليهم مسلطة ، وسيوفكم عنهم مسنمة ، والناس لهم خوّل ، لا يدفعون يد لأمس ، فمن بين جبار عنيد وذئ ، سطوة على الضعفة شديد ، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد .

فيا عجباً؟ ومالي لا أعجب؟ والارض مشحونة من غاش غشوم ، ومتصدق ظلوم ، وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم ، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا ، والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا .

أللهم إناك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا تنافسا في سلطان ولا التماس شئ من فضول الحطام ، ولكن لثردّ المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك ، ويأمن المظلوم من عبادك ويعمل بفرائضك وسنتك وأحكامك . ألا إن لكل دم ثائرا يوما ، وإن الثائر في دماننا والحاكم في حق نفسه وحق ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الله الذي لا يعجزه ما طلب ، ولا يفوته من هرب «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» .

ففضّر الله وجه عبد سمع حكما فوعى ، ودعي إلى رشاد فدنا ، وأخذ بحجزة هاد فنجا . ألا إن أبصر الابصار ما بعد في الخير مذهبه ، وأسمع الاسماع ما وعى التذكير وانتفع به ، وأسلم القلوب ما طهر من الشبهات .

أيها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ ناصح ، وامتاحوا من مهيا عين قد روّقت من الكدر ، وامتاروا من طرف الياقوت الاحمر .

عباد الله ، لا تركنوا إلى جهالكم ، ولا تنقادوا لأهوائكم ، والله الله أن تشكوا إلى من لا

يبكي شجوكم ومن ينقض برأيه ما قد أبرم لكم ، ويصدع بجهله ماشعب لكم، ويهدم بحمقه ما قد بني لكم .

أللهم فأيا عبد من عبيدك سمع مقالتنا هذه العادلة غير الجائرة ، والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة، فأبى بعد سمعه لها إلا الإبطاء عن نصرتك وترك الاعزاز لدينك، فإننا نشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادة، فإنكم إن لا تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة علينا، وعملوا في إطفاء نور الله بيننا ، وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير . فتدبروا هذا الكلام في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

وهذا البيان والتحريض والحجة البينة لتعلموا أن كل من دعا إلى هذا السبيل ونحا هذا الطريق فبكلام أمير المؤمنين اهتدى وبسيرته اقتدى ومن عمله اقتبس ، ومن معرفته أبصر ، وبقوله أنطق بعد رأي يريد أن يلصق ما لا يلتصق ، ويقرب ما لا يتقارب . فالله الله أن تشكوا إلى من لا يشكي شجوكم، ولا ينقض برأيه ما قد أبرم لكم . إنه ليس على الامام إلا ما حمل من أمر ربه .^(١)

(١) المعيار والموازنة؛ لأبي جعفر الإسكافي : ٢٧٤ - ٢٨٢ .

[الخطبة (١١٩)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج مانصّه: «قوله ﷺ: ما بالكم لاسددتم لرشد... الخ، هذا كلام قاله امير المؤمنين ﷺ في بعض غارات اهل الشام على اطراف اعماله بالعراق، بعد انتقضاء امر صفين والنهروان على ما قيل، وقال في الشرح: قد ذكرنا سببه وواقعه فيما تقدم»^(١).

قال الجلالي: وقد تقدمت اطراف منه في الكلام (٦٩) بالاسناد عن الثقفى (ت/٢٨١ هـ)، فراجع.

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٠.

[الكلام (١٢٠)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن أبي البحتري قال: خطب علي فقال: ألا! إن خير هذه الامة بعد نبينا أبو بكر وعمر، فقال رجل: وأنت يا أمير المؤمنين؟ فقال: نحن أهل البيت لا يوازينا أحد. (حل). وأيضاً عن زيد بن وهب أن سويد بن غفلة دخل على علي في إمارته فقال: يا أمير المؤمنين! إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما له أهل، فنهض إلى المنبر فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة! لا يحبهما إلا مؤمن فاضل، ولا يبغضهما ولا يخالفهما إلا شقي مارق، فحبهما قرابة وبغضهما مروق، ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله ﷺ ووزيريه وصاحبيه وسيدي قريش وأبوي المسلمين؟ فأنا برئ ممن يذكرهما بسوء، وعليه معاقب. (حل).^(١)

(١) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١٣: ٧، ح ٣٦٠٩٥ و٣٦٠٩٦.

[الخطبة (١٢١)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: هذا جزاء من ترك العقدة ... الخ، روى هذا ابن عبد ربه في عقد الفريد بنحو آخر في فقرات كثيرة من رواية السيد هنا، وروى نحو ذلك كمال الدين بن طلحة في ضمن كلام طويل ورواية السيد سيدة الروايات»^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ١٦٥]، وروى شيخ الطائفة في الامالي [١٣٥] من قوله ﷺ «مره العيون من البكا... غبرة الخاشعين». كما رواه ابن الشيخ في الامالي [١٨]، والشيخ المفيد في الارشاد [١٣٩] والامالي [بحار الانوار ج ١٧ ص ١٠٦]». (انتهى)^(٢).

بالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «الامالي» قال: أخبرنا محمد بن محمد ، قال: أخبرني أبو بكر محمد بن عمر الجعابي ، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد ، عن أحمد بن يحيى ، عن أسيد بن زيد القرشي ، عن محمد بن مروان ، عن جعفر بن محمد ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ : صلاتكم عليّ إجابة لدعائكم ، وزكاة لأعمالكم . وروي أن أمير المؤمنين ﷺ خرج ذات ليلة من المسجد ، وكانت ليلة قمرء ، فأتى الجبانة ، ولحقه جماعة يقفون أثره ، فوقف عليهم ثم قال: من أنتم ؟ قالوا : شيعتك يا أمير المؤمنين ، فتفرّس في وجوههم ثم قال: فمالي لا أرى عليكم سيماء الشيعة ! قالوا : وما سيماء الشيعة ، يا أمير المؤمنين ؟ فقال: صفر الوجوه من السهر ، عمش العيون من البكاء ، حذب الظهور من القيام ، خمص البطون من الصيام ، ذبل الشفاه من الدعاء ، عليهم غبرة الخاشعين .

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٠.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

وقال ﷺ: الموت طالب ومطلوب، لا يعجزه المقيم، ولا يفوته الهارب، فقدموا ولا تتكلموا، فإنه ليس عن الموت محيص، إنكم إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفس علي بيده لألف ضربة بالسيف على الرأس أهون من الموت على فراش.
ومن كلامه ﷺ: أيها الناس أصبحتم أغراضا تنتضل فيكم المنايا، وأموالكم نهب المصائب، وما طعمتم في الدنيا من طعام فلكنم فيه غصص، وما شربتموه من شراب فلكنم فيه شرق. وأشهد بالله ما تنالون من الدنيا نعمة تفرحون بها إلا بفراق أخرى تكرهونها. أيها الناس، إنا خُلِقْنَا وإياكم للبقاء لا للفناء، ولكنكم من دار إلى دار تنقلون، فتزودوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه، والسلام»^(١).

وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق» قال: أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم أنا رشأ بن نظيف أنا الحسن بن إسماعيل أنا أحمد بن مروان نا أحمد بن علي المقري نا محمد بن الحارث قال: سمعت المدائني يقول: نظر علي بن أبي طالب إلى قوم يباه فقال لقنبر: يا قنبر من هؤلاء؟ قال: هؤلاء شيعةك يا أمير المؤمنين، قال: وما لي لا أرى فيهم سيماء الشيعة؟ قال: وما سيماء الشيعة؟ قال: خمص البطون من الطوى، ييس الشفاه من الظماء، عمش العيون من البكاء»^(٢).

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٨٥ هـ) في «كنز العمال»: عن المدائني قال: نظر علي بن أبي طالب إلى قوم يباه فقال لقنبر: يا قنبر! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء شيعةك، قال: وما لي لا أرى فيهم سيماء الشيعة؟ قال: وما سيماء الشيعة؟ قال: خمص البطون من الطوى، ييس الشفاه من الظماء، عمش العيون من البكاء»^(٣). (الدينوري، كـ).

(١) الأمالي؛ للشيخ الطوسي: ٢١٥-٢١٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٤٩١.

(٣) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١١: ٣٢٥.

[الخطبة (١٢٣)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «الكلام التاسع عشر بعد المائة، وقال لأصحابه في ساعة الحرب: إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجز الهارب [ج ٢ ص ٣] رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٨٧] وشيخ الطائفة في الأمالي [١٣٥١٠٦] والشيخ المفيد في الارشاد [١٣٩ و ١٥٩] وكتاب الجمل (١٧٥) بتغيير في الالفاظ». (انتهى).^(١)
قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما أرويه مما تقدم من الخطبة (١٢١) رواية الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ)، فراجع.

وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»: كتب إلي أبو بكر عبد الغفار بن محمد وحدثني أبو المحاسن الطنبسي عنه أنا أبو بكر الحيري
ح وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل أنا أبو عثمان الصابوني أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد المقرئ قال: نا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف نا عبد الله بن أحمد يعني بن المستورد - زاد المقرئ: الأشجعي - وقالوا الكوفي: نا أحمد بن صبيح الأسدي حدثني حسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الأصمغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب قال: صعد علي ذات يوم، فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال: عباد الله الموت ليس منه فوت، إن أقمت له أخذكم، وإن فررت منه أدرككم، فالنجاء النجاء، والوفا الوفا، وراءكم طالب حثيث: القبر، فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة أنا بيت الدود أنا بيت الوحشة، ألا وإن وراء ذلك يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير «وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى» وقال الشيرازي: سكرى وما هم بسكرى «ولكن عذاب الله شديد» ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه: نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليها حديد، وخازنها ملك

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

ليس لله فيه - وفي حديث الحيري: فيها - رحمة.

قال: ثم بكى وبكى المسلمون حوله ثم قال: وإلى وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض - وفي حديث الحيري: عرضها كعرض السماء والأرض - أعدت للمتقين جعلنا الله وإياكم من المتقين، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم.

أخبرنا أبو بكر محمد بن شجاع أنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد وأبو الخير محمد بن أحمد بن محمد بن هارون وأبو الحسين سهل بن عبد الله بن علي الغازي وأبو الحسين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الذكواني وأبو نصر أحمد بن عبد الله بن سمير ومحمد بن علي بن أحمد السكري، وأخبرنا أبو القاسم أسماعيل بن محمد بن الفضل أنا أحمد بن عبد الرحمن

(ح) وأخبرنا أبو محمد بن طاوس المقرئ نا سليمان بن إبراهيم

(ح) وأخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن مهران أنا سهل بن عبد الله قالوا: نا محمد بن إبراهيم بن جعفر اليزدي إملاء نا أبو علي الحسين بن علي الوراق نا محمد بن زكريا الغلابي نا العباس بن بكار نا عبد الله بن سليمان المزني عن ليث بن سليم عن مجاهد حدثني من سمع علي بن أبي طالب يخطب، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: عباد الله الموت ليس منه فوت، إن أقمت له أخذكم وإن فررت منه أدرككم - وفي حديث إسماعيل: وإن فررت أدرككم الموت - معقود بنواصيكم، فالنجا النجا والوفا الوفا، وراءكم - وقال إسماعيل: فإن وراءكم طالب حثيث القبر، احذروا ضنكه وظلمته وضيقته، ألا إن القبر حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الوحشة، أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود، ألا وإن وراء ذلك اليوم أشد من ذلك اليوم نار حرها شديد، وقعرها عميق، وحليها حديد، ليس لله فيها رحمة. فبكى المسلمون حوله بكاء شديدا فقال: وإن وراء وقال: إسماعيل وإن من وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين أجارنا الله وإياكم من العذاب الأليم. (١)

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٤٩٥ ٤٩٧.

[الكلام (١٢٤)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله عليه السلام: فقدموا الدراع... إلى آخره. هذا مروي في فروع الكافي في كتاب الجهاد، وفي تاريخ أبي جعفر الطبري ج ٦ ص ٩، وقوله عليه السلام: وانتم لها ميم العرب...، مروي فيه أيضاً، وقوله عليه السلام: انهم لم يزولوا عن مواقفهم... إلى آخره. هذه الفقرة مروية في كتاب صفين لنصر بن مزاحم»^(١).

وقال العرشي في التخريج ما نصه: «رواه ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفين (١٢٠) والطبري في تاريخه ج ٦ ص ٩ وابن مسكويه في تجارب الام ج ١ ص ١٥٨٣ وابو حيان التوحيدي في كتاب البصائر (١٨٥ / الف) والشيخ للمفيد في الارشاد (١٥٤)»
(انتهى).^(٢)

قال الجلاي: راجع المقطع الاول من رواية الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) من الخطبة (٨٠). وبالاستناد عن نصر بن مزاحم المنقري (ت / ٢١٢ هـ) في «وقعة صفين»، قال: قال عمر بن سعد، عن عبد الرحيم بن عبد الرحمن، عن أبيه أن علياً أمير المؤمنين حرّض الناس فقال: إن الله عز وجل قد دلّكم على تجارة تنجيكم من العذاب، وتشفي بكم على الخير: إيمان بالله ورسوله، وجهاد في سبيله، وجعل ثوابه مغفرة الذنوب، ومساكن طيبة في جنات عدن، ورضوان من الله أكبر، فأخبركم بالذي يحب فقال: ﴿إن الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾. فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدموا الدراع، وأخروا الحاسر، وعصّوا على الأضراس فإنه أنبي للسيوف عن الهام، وأربط للجأش، وأسكن للقلوب. وأميتوا الأصوات، فإنه أطرّد للفشل، وأولى بالوقار. والتووا في أطراف الرماح، فإنه أمور للأسنة. وراياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها، ولا

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٠.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

تجعلوها إلا في أيدي شجعانكم المانعي الدمار، والصبر عند نزول الحقائق، أهل الحفاظ، الذين يحفون براياتكم ويكتنفونها، يضربون خلفها وأمامها، ولا تضيّعوها. أجزأ كل امرئ منكم ﷺ وقد قرنه، وواسى أخاه بنفسه، ولم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه، فيكتسب بذلك لائمة، ويأتي به دناءة. وأنى هذا، وكيف يكون هكذا؟! هذا يقاتل اثنين، وهذا ممسك يده، قد خلى قرنه على أخيه هاربا منه، وقائما ينظر إليه. من يفعل هذا يمقتة الله. فلا تعرضوا لمقت الله، فإنما مردكم إلى الله. قال الله لقوم: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتنعون إلا قليلا﴾. وإيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة. استعينوا بالصدق والصبر، فإنه بعد الصبر ينزل النصر. ^(١)

(١) وقعة صفين؛ لنصر بن مزاحم المنقري: ٢٣٥ ٢٣٦.

[الخطبة (١٢٥)]

قال العرشي في التخريج مانصه: رواه الطبري في تاريخه [ج ٦ ص ٣٧]، الشيخ المفيد في الارشاد (١٥٧) مختصراً. (انتهى)^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويّه بالاسناد عن الهاروني (ت / ٤٢٤ هـ) في «تيسير المطالب» قال: اخبرنا محمد بن علي العبدلي، قال حدثنا محمد بن يزداد، قال حدثني يعقوب بن اسحاق ومحمد بن سهل، قال: حدثنا محمد بن عمرو، قال: اخبرنا ابو احمد الزيري عن عبد الجبار بن عياش عن سلمة بن كهيل عن حجر بن عدي، قال: لما قفل على أمير المؤمنين عليه السلام من صفين، وأكثر كثير من أصحابه والمحكمة القول في الحكمين، أمر فنودي بالصلاة جامعة، ثم خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله، ثم قال:

اللهم هذا مقام من فلج فيه فكان أولى بالفلج يوم القيامة «من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً» نشدكم الله، أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم: نجيبهم الى كتاب الله، قلت لكم: انهم ليس بأهل دين ولا قرآن، ولقد صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، وهم شر أطفال ورجال، امضوا على صدقكم وحققكم، فإنما نصبوا المصاحف خديعة ومكيدة، فرددتهم قولي وقلتم: لا، بل تقبل منهم، فقلت لكم: اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي، وإذ أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين ان يحييا ما أحى القرآن وأن يميّتا ما أمات القرآن؛ لأنهما ان حكما بحكم القرآن لم يكن لنا خلاف على من حكم بما في القرآن، وان ابيا كنّا من حكمها براء، وكنا على رأس أمرنا؟ قالوا: فعدّل نحكم الرجال في الدماء؟ قال: انا لسنا الرجال حكمنا، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط محفوظ مستور بين الدفتين وإنما ينطق بحكمه الرجال، قالوا: فخبّرنا

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل ويشيب العالم، ولعل الله يصلح في هذه المدة أمر هذه الأمة، ادخلوا مصركم، فدخل أصحابه عن آخرهم»^(١).
وروى أبو جعفر الإسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) في «المعيار والموازنة» تحت عنوان: خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في الاحتجاج على الخوارج بعد ما فارقه فأرسل إليهم ابن عباس ثم لحقه ودخل معسكرهم، قال الاسكافي: وذكروا أن علي بن طالب عليه السلام خرج إلى الخوارج فأتى فسطاط يزيد بن قيس فدخله فتوضأ فيه وصلى ركعتين، ثم خرج حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس، فقال علي لابن عباس: انته عن كلامهم، ألم أنك رحمك الله؟ ثم تكلم علي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا مقام من فتح الله له فيه كان أولى بالفتح يوم القيامة ومن نطف فيه وأوعب فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا.

ثم قال لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء. قال علي: فما أخرجكم من حكمنا؟ قالوا: حكومتكم يوم صفين. قال: نشدكم بالله أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله. قلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، فإني قد صحبتهم وعرفتهم أطفالا ورجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال، امضوا على حقكم وصدقكم، فإنما رفع القوم لكم هذه المصاحف خديعة ووهنا ومكيدة، فرددتهم علي رأبي وقتلتهم: لا، بل تقبل منهم. فقلت لكم: اذكروا قولي ومعصيتكم إياي، فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحياه القرآن وأن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكم من حكم بما في الكتاب، وإن أبيا فنحن من حكمهما براء. فهل قام إلي منكم رجل فقال: يا علي إن هذا الأمر أمر الله فلا تعطه القوم؟ قالوا: لا. قالوا: فأخبرنا أترأه عدلا تحكيم الرجال في الدماء؟ قال: إنا لسنا الرجال حكمنا، وإنما حكمنا القرآن وهو خط مسطور بين لوحين لا ينطق حتى يتكلم به الرجال وأنتم حكمتم أبا موسى وجئتموني وأتيتموني به مبرنسا، وقتلتهم: لا نرضى إلا به. ومعاوية حكم عمروا.

(١) تيسير المطالب: ١٩٨ ط / ١٣٩٥ هـ.

ثم قال: وأخبرني عنك يا ابن الكواء، متي سمي أبو موسى حكما؟ أحين أرسل أم حين حكم؟ قال: حين حكم. قال: فقد سار وهو مسلم وأنت ترجو أن يحكم بما أنزل الله؟ قال: نعم. قال: فلا أرى الضلال في إرساله إذ كان عدلا.

قالوا: فخبّرنا عن الاجل لما جعلته بيننا وبينهم؟ قال: ليتعلم الجاهل ويتثبت العالم، ولعل الله أن يصلح في تلك المدة بين الامة. ثم قال علي: أرايتم لو أن رسول الله ﷺ أرسل رجلا مؤمنا يدعو قوما مشركين إلى كتاب الله فارتد على عقبه كافرا كان يضّر النبي ﷺ شيئا؟ قالوا: لا. قال: فما ذنبي إن ضلّ أبو موسى ولم أرض بحكومته إذ حكم، ولا بقوله إذ قال؟ قالوا: أفرأيت كتابك باسمك واسم أبيك وترك اسمك الذي سمّاك الله به بإمرة المؤمنين. قال علي: على يدي دار مثل هذا الحديث، كتب النبي ﷺ: هذا كتاب من محمد رسول الله. وقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: لا تقرّ ولا نعرف أنك رسول الله، لقد ظلمناك إذا إن شهدنا أنك رسول الله ثم قاتلناك، ولكن اكتب باسمك واسم أبيك. فقال رسول الله ﷺ: اكتب من محمد بن عبد الله فإن ذلك لا يضّر نبوتي شيئا، فكتبها رسول الله ﷺ: لأبائهم، وكتبها أنا لأبنائهم. قالوا: صدقت. ولكن بقيت خصلة: إنا قد علمنا أنك لم ترض بحكمهم حتى شككت وكتبت في كتابك: إن جرّني كتاب الله إليك تبعتك، وإن جرّك إليّ تبعتني. تعطي هذا القول وقد أحصنا خيلنا في دمائهم؟ وما فعلت هذا حتى شككت. فقال علي: نبئني، أنت ومن معك أولى بأن لا تشكوا في دينكم أم المهاجرون والانصار؟ أم أنا أولى بالشك أم معاوية وأهل الشام؟ قال ابن الكواء: النبي ﷺ أولى باليقين منك، وأهل الشام خير من مشركي قريش، والمهاجرون والانصار خير منا. قال: أفرأيت الله حين يقول لرسوله: ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين﴾^(١) أشك النبي ﷺ فيما هو عليه حين يقول هذا؟ أم أعطاهم إنصافا؟ قال: ابن الكواء: خصمتنا ورب الكعبة، وأنت أعلم منا بما صنعت. فقال علي ﷺ:

: ادخلوا مصركم رحمكم الله. (١)

وروى ابن كثير (ت / ٧٧٤ هـ) موقف الامام علي عليه السلام في صفين عن حبيب بن ثابت، قال: أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان: فيما استجابوا له، وفيما فارقوه، وفيما استحل قتالهم. قال: كنا بصفين فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى علي بمصحف، وادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله: ﴿ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾ فقال علي: نعم، أنا أولى بذلك. بيننا وبينكم كتاب الله، قال: فجاءته الخوارج، ونحن ندعوهم يومئذ: القراء، وسيوفهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما ننتظر بهؤلاء القوم الذين على التل، ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فتكلم سهل بن حنيف، فقال: يا أيها الناس اتهموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يعني الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين - ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على باطل؟ أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فقيم نعطي الدنيا في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني، أبداً، قال: فرجع وهو متغيظ! فلم يصبر حتى أتا أبا بكر، فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فقيم نعطي الدنيا في ديننا ونرجع، ولما يحكم الله بيننا وبينهم. فقال: فقيم نعطي الدنيا في ديننا ونرجع، ولما يحكم الله بيننا وبينهم. فقال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ﷺ، ولن يضيعه أبداً. قال: فنزلت سورة الفتح، قال فأرسلني رسول الله ﷺ إلى عمر فأقرأها إياه، قال: يا رسول الله أفتح هو؟ قال: نعم. (٢)

وروى تحت عنوان «علي والخوارج» عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري قال:

(١) المعيار والموازنة: لأبي جعفر الإسكافي: ١٩٨ - ٢٠١.

(٢) سند أحمد ٣: ٤٨٥.

جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها جلوس، مرجعه من العراق ليالي قتل علي، فقالت له: يا عبد الله بن شداد، هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي؟ قال: ومالي لا أصدقك! قال: فحدثني عن قصتهم، قال: فإن علياً لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها: حروراء من جانب الكوفة، وانهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سمالك الله تعالى به، ثم انطلقت فحكمت في دين الله، فلا حكم الا لله تعالى، فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، فأمر مؤذناً فأذن: أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس، دعا بمصحف امام عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف! حدث الناس! فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه؟ إنما هو مداد في ورق! ونحن نتكلم بما روينا منه! فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها، إن يريدوا صلاحاً يوفق الله بينهما﴾، فأمته محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل، وتقموا علي أن كاتب معاوية: كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو، ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشاً، فكتب رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: كيف نكتب؟ فقال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: فاكتب محمد رسول الله، فقال: لو أعلم أنك رسول الله في كتابه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ فبعث إليهم علي عبد الله بن عباس، فخرجت معه، حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن، إن هذا عبد الله بن عباس، فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به، هذا ممن نزل فيه وفي قومه ﴿قوم خصمون﴾ فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله.

فقام خطباً وهم فقالوا: والله لنواضعنه كتاب الله، فإن جاء بحق نعرفه لتبعنه، وإن جاء

بباطل لنبكتته بباطله، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم ثابت، فيهم ابن الكواء، حتى أدخلهم على عليّ الكوفة، فبعث عليّ إلى بقيّهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ، بيننا وبينكم ألا تسفكوا دمًا حراماً أو تقطعوا سبيلاً، أو تظلموا ذمّة، فانكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحبّ الخائنين.

قالت له عائشة: يا ابن شداد، فقد قتلهم، فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم، واستحلوا أهل الذمة، فقالت: آله؟ قال: آله الذي لا إله إلا هو لقد كان، قالت: فما شيء بلغني عن أهل الذمة يتحدثونه، يقولون: ذو الثدي وذو الثدي؟ قال: قد رأيته وقمت مع علي عليه في القتلى، فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي، ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك، قالت: فما قول علي حين قام عليه - كما يزعم - أهل العراق؟ قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله، قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا، قلت: أجل، صدق الله ورسوله، يرحم الله علياً، إنه كان من كلامه لا يعني شيئاً يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث»^(١).

وروى ابن كثير (ت / ٧٧٤هـ) عن أبي كثير مولى الانصار قال: كنت مع سيدي مع علي بن أبي طالب حيث قتل أهل النهروان. فكان الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم، فقال علي: يا أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قد حدثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يحرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فوقه، وإن آية ذلك أن فيهم

(١) جامع المسانيد والسنن ١٩: ٧٧ - ٨٠، والحديث أخرجه الامام أحمد في مسنده ١: ٨٦ (ميمنية)، ووقع برقم ٦٥٦ (ط / شاكر)، وأخرجه ابن كثير في تاريخه ٧: ٢٧٩ - ٢٨٠، وقال: «تفرد به أحمد، وإسناده صحيح، واختاره الضياء». يعني في المختارة، وهو في مجمع الزوائد ٦: ٢٣٥ - ٢٣٧، وقال «رواه أبو يعلى ورواه ثقات»، وعلق الشيخ شاكر على قول الهيثمي: أن في هذا خطأ، ولعل صحته «رواه أحمد» أو «رواه أحمد وأبو يعلى». وقوله: لا تواضعوه «كتاب الله». فكانهم وضعوا كتاب الله حكماً بينهم، والثبت: الحجة والبينة.

رجلاً أسود مخدع اليد، إحدى يديه كئدي المرأة، لها حلمة كحلمة ندي المرأة، حوله سبع هلبات، فالتمسوه، فإني أراه فيهم، فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى. فأخرجوه، فكبر علي فقال: الله أكبر، صدق الله ورسوله، وأنه لمتقلد قوساً له عريية، فأخذها بيده فجعل يطعن بها في مخدجته ويقول: صدق الله ورسوله، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون»^(١).

وروى ابن كثير عن زيد بن وهب قال: قدم عليّ على قوم من أهل البصرة من الخوارج، فيهم رجل يقال له: الجعد بن بعجة، فقال له: اتق الله يا علي فإنك ميت، فقال علي: بل مقتول، ضربة على هذا تخضب هذه: يعني لحيته على رأسه، عهد معهود، وقضاء مقتضي، وقد خاب من افتري، وعاتبه في لباسه، فقال: مالكم ولللباس؟ هو أبعد من الكبر، وأجدر أن يقتدي بي المسلم»^(٢).

وروى ابن كثير عن طارق بن زياد قال: خرجنا مع علي إلى الخوارج فقتلتم ثم قال: انظروا، فإن نبي الله ﷺ قال: إنه سيخرج قوم يتكلمون بالحق لا يجوز حلقهم، يخرجون من الحق كما يخرج السهم من الرمية، سيماهم أن منهم رجلاً مخدج اليد، في يده شعرات سود، إن كان هو فقد قتلتم شر الناس، وإن لم تكن فقد قتلتم خير الناس، فتلينا، ثم قال: اطلبوا، فطلبنا، فوجدنا المخدج، فخررنا سجوداً وخر علي معنا ساجداً»^(٣).

(١) جامع المسانيد ١٩: ٨١، ط / ١٤١١ هـ.

(٢) جامع المسانيد ١٩: ٨١، ط / ١٤١١ هـ.

(٣) جامع المسانيد ١٩: ٨١، ط / ١٤١١ هـ.

[الخطبة (١٢٦)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواه شيخ الطائفة في الامالي (١٢١)». (انتهى).^(١)
قال الجلاي وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن ابراهيم بن محمد الثقفي
(ت / ٣٨١ هـ) في «الغارات»، قال: حدثنا محمد قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ابراهيم،
قال: حدثني محمد بن عبد الله بن عثمان قال: حدثني علي بن أبي سيف عن أبي حباب
عن ربيعة وعماره. ان طائفة من أصحاب علي عليه السلام مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط
هذه الاموال، وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالى والعجم ومن تخاف
خلافه من الناس وفراره. قال: وانما قالوا له ذلك، للذي كان معاوية يصنع من آتاه، فقال
لهم علي عليه السلام: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟! والله لا أفعل ما طلعت شمس ومالاح
في السماء نجم، والله لو كان مالهم لي لو اسيت بينهم، فكيف وانما هي أموالهم. قال: ثم أزم
طويلا ساكتا ثم قال: من كان له مال فاياء والفساد، فإن إعطاء المال في غير حقه تبذير
واسراف، وهو ذكر لصاحبه في الناس ويضعه عند الله، ولم يضع رجل ماله في غير حقه
وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم، فان بقي معهم من يودهم ويظهر
لهم الشكر فانما هو ملق وكذب، وإنما ينوى أن ينال من صاحبه مثل الذي كان يأتي إليه
من قبل، فإن زلت بصاحبه النعل فاحتاج إلى معونته ومكافأته فشرّ خليل والأُم خدين،
ومن صنع المعروف فيما آتاه الله فليصل به القرابة وليحسن فيه الضيافة، وليفك به العاني
وليعن به الغارم وابن السبيل والفقراء والمهاجرين، وليصبر نفسه على النوائب والخطوب
، فان الفوز بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة». ^(٢)
وبالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن عدة من أصحابنا، عن

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) الغارات؛ لابراهيم بن محمد الثقفي ١: ٧٤-٧٧.

أحمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن علي، عن أحمد بن عمرو بن سليمان البجلي، عن إسماعيل بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار، عن إبراهيم بن إسحاق المدائني، عن رجل، عن أبي مخنف الأزدي قال: أتى أمير المؤمنين صلوات الله عليه رهط من الشيعة فقالوا: يا أمير المؤمنين لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء والاشراف وفضلتهم علينا حتى إذا استوسقت الأمور عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية والعدل في الرعية؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتأمروني - ويحكم - أن أطلب النصر بالظلم والجور فيمن وليت عليه من أهل الاسلام؟ لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمر وما رأيت في السماء نجما، والله لو كانت أموالهم مالي لساويت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم، قال: ثم أزم ساكتا طويلا ثم رفع رأسه فقال: من كان فيكم له مال فإياه والفساد، فإن إعطاه في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع ذكر صاحبه في الناس ويضعه عند الله. ولم يضع امرء ماله في غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم، فإن بقي معه منهم بقية ممن يظهر الشكر له ويريه النصح فانما ذلك ملق منه وكذب فإن زلت بصاحبهم النعل ثم احتاج إلى معونتهم ومكافاتهم فألام خليل وشرّ خدين، ولم يصنع امرء ماله في غير حقه وعند غير أهله إلا لم يكن له من الحظ فيما أتى إلا محمدة اللثام وثناء الأشرار مادام عليه منعمة مفضلا ومقالة الجاهل ما أجوده وهو عند الله بخيل، فأَيُّ حظٍّ أبور وأخسر من هذا الحظ؟ وأي فائدة معروف أقل من هذا المعروف؟ فمن كان منكم له مال فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفك به العاني والاسير وابن السبيل، فإن الفوز بهذه الخصال مكارم الدنيا وشرف الآخرة»^(١).

وبالاسناد عن الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) في «الأمالي»: قال: حدثنا أبو الحسن علي بن بلال المهلب قال: حدثنا علي بن عبد الله بن أسد الاصفهاني قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفي قال: حدثني محمد بن عبد الله بن عثمان قال: حدثني علي بن سيف، عن أبي حباب، عن ربيعة وعمار وغيرهما: أن طائفة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب ﷺ مشوا إليه عند تفرّق الناس عنه وفرار كثير منهم إلى معاوية طلبا لما في يديه من الدنيا ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين أعط هذه الاموال ، وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ، ومن تخاف خلافة عليك من الناس وفراره إلى معاوية . فقال لهم أمير المؤمنين ﷺ : أتأمروني أن أطلب النصر بالجور ؟ لا والله لا أفعل ما طلعت شمس ، وما لاح في السماء نجم . والله لو كانت أموالهم لي لواسيت بينهم ، فكيف وإنما هي أموالهم ؟ ! قال : ثم أرم أمير المؤمنين ﷺ طويلا ساكتا ، ثم قال : من كان له مال فإياه والفساد ، فإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف ، وهو وإن كان ذكرا لصاحبه في الدنيا فهو يضيعه عند الله عز وجل ، ولم يضع رجل ماله في غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم وإن كان لغيره ودّهم ، فإن بقي معه من يودّه ويظهر له الشكر فإنما هو ملق وكذب ، يريد التقرب به إليه لينال منه مثل الذي كان يأتي إليه من قبل ، فإن زلت بصاحبه النعل واحتاج إلى معونته أو مكافأته فشرّ خليل وألام خدين . ومن صنع المعروف فيما آتاه الله فليصل به القرابة ، وليحسن فيه الضيافة ، وليفك به العاني ، وليعن به الغارم وابن السبيل والفقراء والمجاهدين في سبيل الله ، وليصبر نفسه على النوائب والخطوب ، فإن الفوز بهذه الخصال أشرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة» .^(١)

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «الأمالى» : أخبرنا محمد بن محمد ، قال : أخبرني أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، قال : حدثنا محمد بن موسى ، قال : حدثني محمد بن أبي السري ، قال : حدثنا هشام ، عن أبي مخنف ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه ، قال : لما وقع الاتفاق على كتب القضية بين أمير المؤمنين ﷺ وبين معاوية بن أبي سفيان ، حضر عمرو بن العاص في رجال من أهل الشام ، وعبد الله بن عباس في رجال من أهل العراق ، فقال أمير المؤمنين ﷺ للكاتب : اكتب : هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . فقال عمرو بن العاص : اكتب اسمه واسم أبيه ، ولا تسمّه بإمرة المؤمنين ، فإنما هو أمير هؤلاء وليس بأمرنا .

(١) الأمالى ؛ للشيخ المفيد : ١٧٥ - ١٧٧ .

فقال الاحنف بن قيس : لا تمح هذا الاسم ، فإني أتخوف إن محوته لا يرجع إليك أبدا . فامتنع أمير المؤمنين عليه السلام من محوه ، فتراجع الخطاب فيه مليا من النهار ، فقال الاشعث بن قيس : امح هذا الاسم ترحه الله . فقال أمير المؤمنين : الله أكبر سنة بسنة ، ومثل بمثل ، والله إني لكتاب رسول الله ﷺ يوم الحديبية ، وقد أُملي عليّ : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . فقال له سهيل : امح رسول الله ، فإننا لا نقر لك بذلك ، ولا نشهد لك به ، اكتب اسمك واسم أبيك ، فامتنعت من محوه فقال النبي ﷺ : امحه يا علي ، وستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض ، فقال عمرو بن العاص : سبحان الله ! ومثل هذا يشبه بذلك ، ونحن مؤمنون وأولئك كانوا كفارا ! فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا بن النابغة ، ومتى لم تكن للفاسقين وليا ، وللمسلمين عدوا ، وهل تشبه إلا أمك التي دفعت بك ؟ فقال عمرو : لا جرم لا يجمع بيني وبينك مجلس أبدا . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والله إني لارجو أن يطهر الله مجلسي منك ومن أشباهك ، ثم كتب الكتاب وانصرف الناس ^(١)

وبالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٢٨١ هـ) في عيون أخبار الرضا عليه السلام : حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي رضي الله عنه قال : حدثني أبي قال : حدثنا أحمد بن علي الانصاري عن الحسن بن الجهم قال : حضرت مجلس المأمون يوما وعنده علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم فقال له : يا بن رسول الله بأي شيء تصح الإمامة لمدعيها ؟ قال : بالنص والدليل ، قال له : فدلالة الامام فيما هي ؟ قال : في العلم واستجابة الدعوة ، قال : فما وجه أخباركم بما يكون ؟ قال : ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله ﷺ قال : فما وجه أخباركم بما في قلوب الناس ؟ قال عليه السلام : له : أما بلغك قول الرسول ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ؟ قال : بلى ، قال : وما من مؤمن إلا وله فراسة ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه وقد جمع الله الائمة ما فرقه في جميع المؤمنين ، وقال عز وجل في محكم كتابه : ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ فأول المتوسمين الله ﷻ ثم أمير المؤمنين عليه السلام من بعده ثم الحسن والحسين والائمة من

(١) الأُمالي؛ للشيخ الطوسي: ١٧٨ - ١٨٨.

ولد الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، قال: فنظر إليه المأمون فقال له: يا أبا الحسن زدنا مما جعل الله لكم أهل البيت، فقال الرضا عليه السلام: إن الله عز وجل أيدنا بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملك لم تكن مع أحد ممن مضى إلا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهي مع الائمة مئة تسددهم وتوفقهم، وهو عمود من نور بيننا وبين الله عز وجل قال له المأمون: يا أبا الحسن بلغني أن قوما يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد؟ فقال الرضا عليه السلام: حدثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا ترفعوني فوق حقي؛ فإن الله تبارك تعالى اتخذني عبدا قبل أن يتخذني نبيا، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ قال علي عليه السلام: يهلك في اثنتان ولا ذنب لي: محب مفرط ومبغض مفرط، وأنا ابرء إلى الله تبارك وتعالى ممن يغلو فينا ويرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصراني، قال الله تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد﴾ وقال عز وجل: ﴿لن يستكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون﴾ وقال عز وجل: ﴿ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾ ومعناه إنهما كانا يتغوطان، فمن ادعى للانبياء ربوبية أو ادعى^(١) للائمة ربوبية أو نبوة أو لغير الائمة إمامة، فنحن منه براء في الدنيا والاخرة.

فقال المأمون: يا أبا الحسن، فما تقول في الرجعة؟ فقال الرضا عليه السلام: إنها لحق قد كانت

(١) في الاصل: وادعى.

في الامم السالفة ونطق به القرآن وقد قال رسول الله ﷺ: يكون في هذه الامة كل ما كان في الامم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة. قال ﷺ: إذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسى بن مريم ﷺ فصلى خلفه، وقال ﷺ: إن الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء، قيل: يا رسول الله ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يرجع الحق إلى أهله.

فقال المأمون: يا أبا الحسن فما تقول في القائلين بالتناسخ؟ فقال الرضا ﷺ: من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم مكذب بالجنة والنار. قال المأمون: ما تقول في المسوخ؟ قال الرضا ﷺ: أولئك قوم غضب الله عليهم فمسخهم فعاشوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا، فما يوجد في الدنيا من القردة والخنازير وغير ذلك مما وقع عليهم اسم المسوخية فهو مثل ما لا يحل أكلها والانتفاع بها. قال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن فوالله ما يوجد العلم الصحيح إلا عند أهل البيت، وإليك انتهت علوم آبائك فجزاك الله عن الاسلام وأهله خيرا.

قال الحسن بن جهم: فلما قام الرضا ﷺ تبعته فانصرف إلى منزله فدخلت عليه وقلت له: يا بن رسول الله الحمد لله الذي وهب من جميل رأي أمير المؤمنين ﷺ ما حملته ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك، فقال ﷺ: يا بن الجهم لا يغرنك ما الفيته عليه من إكرامي والاستماع مني، فانه سيقتلني بالسم وهو ظالم إلي أبي أعرف ذلك بعهد معهود إلي من آبائي عن رسول الله ﷺ، فاكتم هذا ما دمت حيا. قال الحسن بن الجهم: فما حدثت أحدا بهذا الحديث إلى أن مضى ﷺ بطوس مقتولا بالسم، ودفن في دار حميد بن قحطبة الطائي في القبة التي فيها قبر هارون الرشيد إلى جانبه.^(١)

وبالاسناد عن الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «الأمال» قال: أخبرنا محمد بن محمد، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن بلال المهلبى، قال: أخبرنا علي بن عبد الله بن أسد الاصفهاني، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفي قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان، قال: حدثني علي بن أبي سيف عن علي بن حباب، عن ربيعة، وعمارة، أن طائفة من

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ: للشيخ الصدوق ١: ٢١٦-٢١٨.

أصحاب أمير المؤمنين علي بن طالب مشوا إليه عند تفرق الناس عنه ، وفرار كثير منهم إلى معاوية طلبا لما في يديه من الدنيا ، فقالوا : يا أمير المؤمنين اعط هذه الاموال ، وفضل هذه الاشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ، ومن تخاف عليه من الناس وفراره إلى معاوية . فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : أتأمروني أن أطلب النصر بالجور ، لا والله لا أفعل ما طلعت شمس ، وما لاح في السماء نجم ، والله لو كان مالي لواسيت بينهم ، وكيف وإنما هو أموالهم .

قال : ثم أزم أمير المؤمنين عليه السلام طويلا ساكتا ثم قال : من كان له مال فإياه والفساد ، فإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف ، وهو وإن كان ذكرا لصاحبه في الدنيا ، فهو يضيعه عند الله عز وجل ، ولم يضع رجل ماله في غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم ، وكان لغيره وذهم ، فإن بقى معه من يودّه ويظهر له الشكر فإنما هو ملق وكذب يريد التقرب به إليه لينال منه مثل الذي كان يأتي إليه من قبل ، فإن زلت بصاحبه النعل فاحتاج إلى معونته أو مكافاته فشرّ خليل وألام خدين . ومن صنع المعروف فيما آتاه الله فليصل به القرابة ، وليحسن فيه الضيافة ، وليفك به العاني ، وليعن به الغارم ، وابن السبيل والفقراء والمجاهدين في سبيل الله ، وليصبر نفسه على النوائب والحقوق فإن الفوز بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة .^(١)

قال ابن كثير (ت / ٧٧٤ هـ) في «جامع المسانيد» عند ذكره مارواه عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي المدني، عن علي، قال حدثنا اسحاق بن عيسى الطباع حدثني يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبيد الله بن عياض بن عمر والقاري قال : جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها جلوس، مرجعه من العراق ليالي قتل علي، فقالت له : يا عبد الله بن شداد، هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي؟ قال : وما لي لا أصدقك! قالت : فحدثني عن قصتهم، قال : فإن علياً لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا

(١) أمالي الطوسي: ١٩٨، ط ١٣٨٤ هـ.

بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة، وإنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سماك الله تعالى به، ثم انطلقت فحكمت في دين الله، فلا حكم إلا لله تعالى، فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، فأمر مؤذناً فأذن. أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس، دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف! حدث الناس! فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه؟ إنما هو مداد في ورق! ونحن نتكلم بما رويانا منه! فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾^(١) فامة محمد ﷺ أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا علي أن كاتبت معاوية: كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشاً، فكتب رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال كيف نكتب؟ فقال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: فاكتب محمد رسول الله، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشاً، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ فبعث إليهم علي عبد الله بن عباس، فخرجت معه، حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن، إن هذا عبد الله بن عباس، فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به، هذا ممن نزل فيه وفي قومه ﴿قوم خصمون﴾ فردوه إلى صاحبه، ولا تواضعوه كتاب الله، فقام خطبائهم فقالوا: والله لنواضعه إلى كتاب الله، فإن جاء بحق نعرفه لنتبعه، وإن جاء بباطل لنبتكته بباطله، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكواء، حتى أدخلهم على الكوفة، فبعث علي إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس

ما قد رأيتم، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً أو تقطعوا سبيلاً أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، فقالت له عائشة: يا ابن شداد، فقد قتلهم، فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم واستحلوا أهل الذمة، فقالت: آله؟ قال: آله الذي لا إله إلا هو لقد كان، قالت: فما شيء بلغني عن أهل الذمة يتحدثونه، يقولون: ذو الندي وذو الندي؟ قال: قد رأيته وقمت مع علي عليه في القتلى، فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي، ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك، قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟ قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله، قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا، قالت: أجل، صدق الله ورسوله، يرحم الله علياً، إنه كان من كلامه لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث»^(١).

وبالاسناد عن ابن كثير (ت / ٧٧٤ هـ) قال ابو علي: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا عبد العزيز بن سياه، حدثنا حبيب بن أبي ثابت، عن أبي وائل، قال: أتيتته فسألته عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي قال: قلت: فيم فارقه؟ وفيم استحلوه؟ وفيم دعاهم؟ وفيم فارقه؟ وبم استحل دماءهم؟ قال: إنه لما استحر القتل في أهل الشام بصفين اعتصم معاوية وأصحابه بحيل، فقال له عمرو بن العاص: أرسل إلى علي بالمصحف فلا والله لا يرده عليك. قال: فجاء رجل يحمله فنادى: بيننا وبينكم كتاب الله «ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب»... الآية^(٢)، قال علي: نعم بيننا وبينكم كتاب الله، إنا أولى به منكم، فجاءت الخوارج - وكنا نسميهم يومئذ: القراء - وجاؤوا بأسيا فهم على عواتقهم وقالوا: يا أمير المؤمنين، ألا تمشي إلى هؤلاء القوم حتى يحكم

(١) جامع المسانيد ٢٠: ٥٤ - ٥٧، ط / ١٤١٥ هـ.

(٢) آل عمران: ٢٣.

الله بيننا وبينهم، فقام سهل بن حنيف، فقال أيها الناس: إتهموا أنفسكم لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً قاتلنا، وذاك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين فجاء عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى قال: أليس قتلنا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً. فانطلق عمر ولم يصبر متغيظاً، حتى أتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، ألسنا على حق، وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلنا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً، فنزل القرآن على محمد بالفتح، فأرسل إلى عمر فأقرأه، فقال: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: نعم. قال: فطابت نفسه ورجع، ورجع الناس. ثم إنهم خرجوا بحروراء - أولئك العصاة من الخوارج بضعة عشر ألفاً - فأرسل إليهم علي ينشدهم الله فأبوا عليه، فأتاهم صعصعة بن صوحان فأنشدهم، وقال: علام تقاتلون خليفتمكم؟ قالوا: مخافة الفتنة. قال: فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة عام قابل. فرجعوا وقالوا: نسير على ما جئنا، فإن قبل علي القضية قاتلنا على ما قاتلنا يوم صفين، وإن نقضها قاتلنا معه. فساروا حتى بلغوا النهروان، فافترقت منهم فرقة فجعلوا يهدون الناس ليلاً قال أصحابهم: ويلكم ما على هذا فارقنا علياً، فبلغ علياً أمرهم فقام، فخطب الناس، فقال: ما ترون؟ أنسير إلى أهل الشام أم نرجع إلى هؤلاء الذين خلفوا إلى ذراريكم؟ قالوا: بل نرجع إليهم، فذكر أمرهم فحدث عنهم بما قال فيهم رسول الله ﷺ: «إن فرقة تخرج عند اختلاف من الناس يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق علامتهم رجل منهم يده كثدي المرأة» فساروا حتى التقوا بالنهروان فاقتتلوا قتالاً شديداً، فجعلت خيل علي لا تقوم لهم. فقام علي فقال: يا أيها الناس إن كنتم إنما تقاتلون لي فوالله ما عندي ما أجزيكم، وإن كنتم إنما تقاتلون الله، فلا يكون هذا فعالكم، فحمل الناس حملة واحدة، فانجلت عنهم وهم مكبون على وجوههم، فقال علي: اطلبوا الرجل فيهم، فطلب الناس

الرجل فلم يجدوه، حتى قال بعضهم: غرنا ابن أبي طالب من إخواننا حتى قتلناهم. قال: فدمعت عين علي، فدعا بدابته فركبها فانطلق حتى أتى هدة فيها قتلى، بعضهم على بعض، فجعل يجرب أرجلهم حتى وجد الرجل تحتهم، فأخبروه، فقال علي: الله أكبر وفرح وفرح الناس ورجعوا، وقال علي: لا أغزو العام. ورجع إلى الكوفة، وقتل رحمه الله، واستخلف حسن، وسار سيرة أبيه ثم بعث بالبيعة إلى معاوية.^(١)

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن عبد الله بن الحسن قال: قال علي في الحكمين: «احكمكما على أن تحكما بكتاب الله وكتاب الله، كله لي، فإن لم تحكما بكتاب الله فلا حكومة لكما». (كر).^(٢)

وعن عبد الله بن الحسن قال: قال علي للحكمين: «على أن تحكما بما في كتاب الله، وكتاب الله كله لي، فإن لم تحكما بما في كتاب الله فلا حكومة لكما». (ش).^(٣)

وعن ابن عباس قال: لما حكم علي الحكمين قالت له الخوارج: حكمت رجلين، قال: «ما حكمت مخلوقا، إنما حكمت القرآن». (ابن أبي حاتم في السنة، ق في الاسماء والصفات والاصبهاني واللالكائي).^(٤)

(١) جامع المسانيد ٢: ٣٢٥-٣٢٦، ط / ١٤١٥ هـ. ورواه أبو يعلى في مسند بطوله (١: ٣٦٤-٣٦٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦: ٢٣٧-٢٣٨)، وقال: قلت: في الصحيح بعضه، ورجاله رجاله الصحيح. وأورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤٥٠٤)، ونسبة إلى إسحاق، وأبي بكر، وأبي يعلى، وقال: هذا الإسناد صحيح.

(٢) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١: ٣٧٩، ح ١٦٤٨.

(٣) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١١: ٣١٩، ح ٣١٥٧٨.

(٤) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١١: ٣٠٣، ح ٣١٦١٧.

[الخطبة (١٢٨)]

قال الهادي كاشف الغطاء ت / ١٣٦١ هـ في التخريج: «قوله ﷺ: يا احنف... الى آخره. قال الشارح العلامة: هذا الفصل من خطبة له ﷺ بالبصرة بعد وقعة الجمل، ذكرنا منها فصولاً فيما سبق، والخطاب مع الاحنف بن قيس»^(١).

قال الجلاي: وردت مقاطع فيما اروي به بالاسناد عن السيد بن طاووس (ت / ٦٦٤ هـ) عن نعيم بن حماد المروزي في كتاب الفتن: حدثنا نعيم ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة أن الأعرج حدثه عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، حمر الوجوه، صغار الأعين، فطس الأنف، كأن وجوههم المجان المطرقة»^(٢).

وقال: حدثنا نعيم ثنا ابن وهب عن ابن عياش عن عقبة الحضرمي عن الفضل بن عمرو بن أمية الضمري عن أبي هريرة قال: «أول ما يزوى من أقطار أرضها العرب لقوم حمر الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة. قال: ابن وهب وأخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي هريرة مثله. وكان عمر يقول للمسلمين تجدوا وجوههم كالدرق أعينهم كالودع فاتركوهم ما تركوكم»^(٣).

وقال: حدثنا نعيم ثنا ابن وهب عن ابن عياش عن عقبة الحضرمي عن الفضل بن عمرو بن أمية الضمري عن أبي هريرة قال: «أول ما يزوى من أقطار أرضها العرب لقوم حمر الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة. قال: ابن وهب: وأخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي هريرة مثله. وكان عمر يقول للمسلمين تجدوا وجوههم كالدرق أعينهم كالودع فاتركوهم ما تركوكم»^(٤).

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٠.

(٢) كتاب الفتن؛ لنعيم بن حماد المروزي: ٤١٥ وانظر الملاحم والفتن: ٧٠، ط ١٣٩٢ هـ.

(٣) كتاب الفتن؛ لنعيم بن حماد المروزي: ٤١٥ وانظر الملاحم والفتن: ٧٠، ط ١٣٩٢ هـ.

(٤) كتاب الفتن؛ لنعيم بن حماد المروزي: ٤١٥ وانظر الملاحم والفتن: ٧٠، ط ١٣٩٢ هـ.

[الخطبة (١٣٠)]

قال كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج مانصه: «قوله ﷺ : يا ابا ذر... الى آخره. رواه في روضة الكافي مع زيادة هنا واختلاف في المروي يسير، وقال الشارح الفاضل: روى هذا الكلام ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة عن عبد الرزاق عن ابيه عن عكرمة عن ابن عباس الى آخر ما كتبه [ج ٢ ص ٣٧٥]»^(١).

وقال العرشي في التخريج مانصه: «رواه ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة مفصلاً، ابن أبي الحديد [ج ١ ص ٤٥٦] والكليني في الروضة من فروع «الكافي» [ج ٣ ص ٩٨] مختصراً»، انتهى^(٢).

قال الجلاي وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن سهل ، عن محمد بن الحسن ، عن محمد بن حفص التميمي قال: حدثني أبو جعفر الخنعي قال: قال: لما سير عثمان أبا ذر إلى الربرة شيعه أمير المؤمنين وعقيل والحسن والحسين ﷺ وعمار بن ياسر ﷺ فلما كان عند الوداع قال أمير المؤمنين ﷺ : يا أبا ذر إنك إنما غضبت لله عز وجل فارح من غضبت له ، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فأرحلوك عن الفناء وامتحنوك بالبلاء، والله لو كانت السماوات والارض على عبد رتقا ثم اتقى الله عز وجل جعل له منها مخرجاً، فلا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل .

ثم تكلم عقيل فقال: يا أبا ذر أنت تعلم أنا نحبك، ونحن نعلم أنك تحبنا، وأنت قد حفظت فينا ما ضيع الناس إلا القليل، فتوابك على الله عز وجل ولذلك أخرجك المخرجون وسيترك المسيرون فتوابك على الله عز وجل فاتق الله واعلم أن استغفارك

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٠.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

البلاء من الجزع واستبطاءك العافية من اليأس ، فدع اليأس والجزع وقل : حسبي الله ونعم الوكيل .

ثم تكلم الحسن عليه السلام فقال: يا عماه إن القوم قد أتوا إليك ما قد ترى، وإن الله عز وجل بالمنظر الاعلى فدع عنك ذكر الدنيا بذكر فراقها وشدة ما يرد عليك لرءاء ما بعدها واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راض إن شاء الله .

ثم تكلم الحسين عليه السلام فقال: يا عماه إن الله تبارك وتعالى قادر أن يغيّر ما ترى، وهو كل يوم في شأن، إن القوم منعوك دنياهم ومنعتهم دينك، فما أغناك عما منعوك وما أحوجهم إلى ما منعتهم، فعليك بالصبر فإن الخير في الصبر والصبر من الكرم ودع الجزع فإن الجزع لا يغنيك .

ثم تكلم عمار رضي الله عنه فقال: يا أبا ذر أوحش الله من أوحشك وأخاف من أخافك، إنه والله ما منع الناس أن يقولوا الحق إلا الركون إلى الدنيا والحب لها ، ألا إنما الطاعة مع الجماعة والملك لمن غلب، وإن هؤلاء القوم دعوا الناس إلى دنياهم فأجابوهم إليها ووهبوا لهم دينهم فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

ثم تكلم أبو ذر رضي الله عنه فقال: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، بأبي وامي هذه الوجوه، فإني إذا رأيتمكم ذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله بكم ومالي بالمدينة شجن ولاسكن غيركم، وإنه ثقل على عثمان جوارى بالمدينة كما ثقل على معاوية بالشام فآلى أن يسيّرني إلى بلدة، فطلبت إليه أن يكون ذلك إلى الكوفة فزعم أنه يخاف أن أفسد على أخيه الناس بالكوفة، وآلى بالله ليسيرني إلى بلدة لا أرى فيها أنيسا ولا أسمع بها حسيسا، وإني والله ما أريد إلا الله عز وجل صاحبا وما لي مع الله وحشة ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين ^(١) .

وبالاسناد عن سبط ابن الجوزي (ت / ٦٥٤ هـ) قال: روى الشعبي عن أبي اراكة قال: لما نفي أبو ذر رضي الله عنه إلى الربذة، كتب إليه على رضي الله عنه : «أما بعد، يا أبا ذر، إنك غضبت لله فارح

(١) الكافي ؛ للشيخ الكليني ٨ : ٢٠٦ - ٢٠٨ .

من غضبت له . إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك ، فاترك لهم ما خافوك عليه واهرب منهم لما خفتهم عليه . فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك . وستعلم من الرياح غدا ، فلو أن السماوات والأرض كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل له منهما مخرجا ، ولا يؤانسك إلا الحق ، ولا يوحشك إلا الباطل . فلو قبلت دنياهم لاحبوك ، ولو قرضت منها لآمنوك» .^(١)

(١) تذكرة الخواص: ١٤٣، ط / ١٤٠١ هـ.

[الخطبة (١٣١)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ : أيها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة ... الخ ، هذه الخطبة رواها ابن الجوزي في تذكرة الخواص بسند ينتهي إلى عبد الله بن صالح المجلي، قال: خطب أمير المؤمنين ﷺ يوماً على منبر الكوفة...، وذكر فيها أنها تعرف بالخطبة المنبرية، وإن أولها: الحمد لله أحمدته وأؤمن به وأستعين به وأستهديه، وفي آخرها فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما تقول في رجل مات وترك امرأة وابنتين وأبوين؟ فقال: لكل واحد السدس وللأبنتين الثلثان، قال: فالمرأة؟ قال، صار ثمنها تسعاً. وجاء في طريق آخر أنه ﷺ كان يخطب على منبر الكوفة قائلاً: الحمد لله الذي يحكم بالحق قطعاً ويجزي كل نفس بما تسعى وإليه المئاب والرجعى، فسئل عن هذه المسألة، فقال ارتجالاً: صار ثمن المرأة تسعاً. وليست هذه الزيادة فيما رواه السيد هنا، والباقي مما رواه السيد لا يختلف مع رواية التذكرة إلا يسيراً، هذا والمعروف من مذهب أهل البيت عدم القول بالعول في الفرائض، وقد تأولوا هذه الزيادة على فرض صحتها، وقد تعرض السيد الشريف المرتضى في كتابه «الانتصار» لذلك، وذكر أن ابن عباس ما تلقى ابطال العول إلا عنه ﷺ». (١)

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما رويه بالاسناد عن سبط ابن الجوزي (ت / ٦٥٤ هـ) قال: وقد أخبرنا السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسينى باسناده الى الشريف المرتضى قال: وقع إلي من خطب أمير المؤمنين ﷺ اربعمئة خطبة وكتابتنا هذا يضيق عن حصرها، فنشره بما اتصل إلينا اسناده من نظمها ونثرها، (خطبة تعرف بالمنبرية): قرأت على أبي حفص عمر بن معمر الدارقطني قال: أنبأنا أحمد بن محمد المذاري أنبأنا الحسن بن أحمد البناء أنبأنا علي بن محمد بن بشران أنبأنا الحسين بن

صفوان أنبأنا أبو بكر القرشي المعروف بابن أبي الدنيا حدثنا علي بن الحسين عبد الله حدثنا عبد الله بن صالح العجلي، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام يوماً على منبر الكوفة فقال:

الحمد لله الذي أحمدته وأؤمن به وأستعينه وأستهديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم قال: أيتها النفوس المختلفة، والقلوب المتشتتة، الشاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم، كم أدلكم على الحق وأنتم تنفرون نفور المعزى من وعوة الاسد، هيهات أن أطلع بكم سرار العدل أو أقيم أعوجاج الحق. اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان مني منافسة في سلطان، ولا التماس فضول الحطام، ولكن لأردّ المعالم من دينك، وأظهر الصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك. اللهم إنك تعلم أنني أول من أناب، وسمع فأجاب لم يسبقني إلا رسولك. اللهم لا ينبغي أن يكون [الوالي] ^(١) على الدماء والفروج والمغانم والاحكام ومعالم الحلال والحرام، وإمامة المسلمين وامور المؤمنين البخيل لأن نهيمته في جمع الاموال، ولا الجاهل فيدلهم بجهله على الضلال، ولا الجافي فينفرهم بجفائه، ولا الخائف فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ولا المعطل للسنن فيؤدي ذلك إلى الفجور، ولا الباغي فيدحض الحق، ولا الفاسق فيشين الشرع.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما تقول في رجل مات وترك امرأة وابنتين وأبوين؟ فقال: لكل واحد من الابوين السدس وللابنتين الثلثان، قال: فالمرأة؟ قال: صار ثمنها تسعا. وهذا من أبلغ الاجوبة. ^(٢)

(١) الزيادة من المصادر الناقلة لهذا الحديث.

(٢) تذكرة الخواص: ٢١٥، ط / ١٤٠١ هـ.

[الكلام (١٣٤)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ): «قوله: وقد توكل الله لاهل هذا الدين... إلى آخره. ويروى: وقد تكفل. وهذه الغزاة هي غزاة فلسطين التي فتح فيها بيت المقدس على ما في الشرح، وقال الشارح العلامة: ذلك حين خرج قيصر الروم في جماهير أهلها إلى المسلمين وانزوى خالد بن الوليد فلازم بيته، وصعب الأمر على أبي عبيدة وشرحبيل وغيرهما من أمراء السرايا المسلمين»^(١).

[الخطبة (١٣٥)]

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في «شرح نهج البلاغة»: «واعلم أن هذا الكلام لم يكن بحضرة عثمان، ولكن عوانة روى عن إسماعيل ابن أبي خالد، عن الشعبي، أن عثمان لما كثرت شكايته من علي عليه السلام، أقبل لا يدخل إليه من أصحاب رسول الله ﷺ أحد إلا شكى إليه عليا، فقال له زيد بن ثابت الانصاري - وكان من شيعته وخاصته -: أفلا أمشي إليه فأخبره بموجدتك فيما يأتي إليك! قال: بلى، فأتاه زيد ومعه المغيرة بن الاخنس بن شريق الثقفي - وعداده في بني زهرة، وأمه عمّة عثمان بن عفان - في جماعة، فدخلوا عليه، فحمد زيد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن الله قدم لك سلفا صالحا في الاسلام، وجعلك من الرسول بالمكان الذي أنت به، فأنت للخير كل الخير أهل، وأمير المؤمنين عثمان ابن عمك، ووالى هذه الامة، فله عليك حقان: حق الولاية وحق القرابة، وقد شكنا إليك أن عليا يعرض لي، ويرد أمري عليّ، وقد مشينا إليك نصيحة لك، وكراهية أن يقع بينك وبين ابن عمك أمر نكرهه لكما. قال: فحمد علي عليه السلام، وأثنى

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٢.

عليه وصلى على رسوله، ثم قال: أما بعد، فوالله ما أحب الاعتراض، ولا الرد عليه، إلا أن يأبى حقا لله لا يسعني أن أقول فيه إلا بالحق، والله لا كفن عنه ما وسعني الكف. فقال المغيرة بن الاخنس، وكان رجلا وقاحا، وكان من شيعة عثمان وخلصائه: إنك والله لتكفن عنه أو لتكفن، فانه أقدر عليك منك عليه! وإنما أرسل هؤلاء القوم من المسلمين إعزازا لتكون له الحجة عندهم عليك. فقال له علي عليه السلام: يا بن اللعين الابتر، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفني! فوالله ما أعز الله امرأ أنت ناصره، اخرج أبعد الله نواك، ثم اجهد جهدك، فلا أبقي الله عليك ولا على أصحابك إن أبقيتم. فقال له زيد: إنا والله ما جئناك لتكون عليك شهودا، ولا ليكون ممشاننا إليك حجة، ولكن مشينا فيما بينكما التماس الاجر أن يصلح الله ذات بينكما، ويجمع كلمتكما. ثم دعا له ولعثمان، وقام فقاموا معه. قال ابن أبي الحديد: وهذا الخبر يدل على أن اللفظة "أنت تكفني"، وليست كما ذكره الرضى رحمته الله "أنت تكفيني"، لكن الرضى طبق هذه اللفظة على ما قبلها، وهو قوله: "أنا أكفيكه"، ولا شبهة أنها رواية أخرى ^(١).

(١) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٨: ٣٠٢ و٣٠٣.

[الخطبة (١٣٦)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «وهذا الكلام جزء من الخطبة التي رواها الشيخ المفيد في الارشاد (١٤٣)». (انتهى)^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في الارشاد قال : ما رواه الشعبي قال: لما اعتزل سعد ومن سميناه أمير المؤمنين ﷺ وتوقفوا عن بيعته ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ، إنكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي ، وإنما الخيار إلى الناس قبل أن يبايعوا ، فإذا بايعوا فلا خيار لهم ، وإن على الإمام الاستقامة ، وعلى الرعية التسليم ، وهذه بيعة عامة ، من رغب عنها رغب عن دين الإسلام واتبع غير سبيل أهله ، ولم تكن بيعتكم إياي فلتة ، وليس أمري وأمركم واحدا ، وإنني أريدكم الله ، وأنتم تريدونني لأنفسكم ، وإيم الله لأنصحن للخصم ، ولأنصفن المظلوم . وقد بلغني عن سعد وابن مسلمة وأسامة وعبد الله وحسان بن ثابت امور كرهتها ، والحق بيني وبينهم».^(٢)

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) الارشاد ؛ للشيخ المفيد ١ : ٢٤٣.

[الكلام (١٣٧)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «روى الشيخ المفيد هذه الخطبة في الارشاد (١٤٦) وكتاب الجمل (١٢٩)، وقد مر منها جزء في رقمي ٩ و ٢١، والجزء الثاني من هذا الكلام كما يتلو: «فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون: البيعة، البيعة، قبضت يدي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فجذبتموها، إج ٢ ص ٢٨. رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد إج ٢ ص ١٦٤ و ٢٧٧، والشيخ المفيد في الارشاد (١٤٢) وكتاب الجمل (١٢٨)، بتغيير الألفاظ». (انتهى)^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «الأمالى»: في مجلس يوم الجمعة (الثالث من ذي القعدة سنة سبع وخمسين وأربعمائة) قال: أخبرنا ابن الصلت، عن أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا الحسن بن صالح الهمداني أبو علي من كتابه في ربيع الاول سنة ثمان وسبعين، وأحمد بن يحيى، قال: حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا عبد الكريم، قال: حدثنا القاسم بن أحمد، قال: حدثنا أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي. قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد، وحدثنا القاسم بن الحسن العلوي الحسني، قال: حدثنا أبو الصلت، قال: حدثنا علي بن عبد الله بن النعجة، قال: حدثنا أبو سهيل بن مالك، عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: لما ولي علي بن أبي طالب عليه السلام أسرع الناس إلى بيعته المهاجرون والانصار وجماعة الناس، لم يتخلف عنه أحد من أهل الفضل إلا نفر يسير خذلوا، وبايع الناس. وكان عثمان قد عود قريشا والصحابه كلهم، وصبت عليهم الدنيا صبا، وآثر بعضهم على بعض، وخص أهل بيته من بني أمية، وجعل لهم البلاد، وخولهم العباد، فآظفروا في الارض الفساد، وحمل أهل الجاهلية والمؤلفة قلوبهم على رقاب الناس حتى غلبوه على أمره،

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

فأنكر الناس ما رأوا من ذلك ، فعاتبوه فلم يعتبهم ، وراجعوه فلم يسمع منهم ، وحملهم على رقاب الناس حتى انتهى إلى أن ضرب بعضا ، ونفى بعضا ، وحرم بعضا ، فرأى أصحاب رسول الله أن يدفعوه بالبيعة ، وما عقدوا له رقابهم ، فقالوا : إنما بايعناه على كتاب الله وسنة نبيه والعمل بهما ، فحيث لم يفعل ذلك لم تكن له علينا طاعة . فافترق الناس في أمره على خاذل وقاتل ، فأما من قاتل فرأى أنه حيث خالف الكتاب والسنة ، واستأثر بالفئ ، واستعمل من لا يستأهل ، وأما أن جهاده جهاد ، وأما من خذله ، فإنه رأى أنه يستحق الخذلان ، ولم يستوجب النصرة بترك أمر الله حتى قتل . واجتمعوا على علي بن أبي طالب عليه السلام فبايعوه ، فقام وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي وآله ، ثم قال :

أما بعد ، فإني قد كنت كارها لهذه الولاية ، يعلم الله في سماواته وفوق عرشه على أمة محمد صلى الله عليه وآله حتى اجتمعتم على ذلك ، فدخلت فيه ، وذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أيما وال ولي أمر أمتي من بعدي ، أقيم يوم القيامة على حد الصراط ، ونشرت الملائكة صحيفته ، فإن نجا فبعده ، وإن جار انتقض به الصراط انتقاضة تزيل ما بين مفاصله حتى يكون بين كل عضو وعضو من أعضائه مسيرة مائة عام ، يخرق به الصراط ، فأول ما يلتقى به النار أنفه وحر وجهه ، ولكني لما اجتمعتم علي نظرت فلم يسعني ردكم حيث اجتمعتم ، أقول ما سمعتم ، واستغفر الله لي ولكم .

فقام إليه الناس فبايعوه ، فأول من قام فبايعه طلحة والزبير ، ثم قام المهاجرون والانصار وسائر الناس حتى بايعه الناس ، وكان الذي يأخذ عليهم البيعة عمار بن ياسر وأبو الهيثم بن التيهان ، وهما يقولان : نبايعكم على طاعة الله وسنة رسوله ، وإن لم نف لكم فلا طاعة لنا عليكم ، ولا بيعة في أعناقكم ، والقرآن إمامنا وإمامكم .

ثم التفت علي عليه السلام عن يمينه وعن شماله ، وهو على المنبر ، وهو يقول : ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا ، فاتخذوا العقار ، وفجروا الانهار ، وركبوا الخيول الفارحة ، واتخذوا الوصائف الروقة ، فصار ذلك عليهم عارا وشنارا إن لم يغفر لهم الغفار ،

إذا منعوا ما كانوا فيه ، وصيروا إلى حقوقهم التي يعلمون ، يقولون : حرمانا ابن أبي طالب ، وظلمنا حقوقنا ، ونستعين بالله ونستغفره ، وأما من كان له فضل وسابقة منكم ، فإنما أجره فيه على الله ، فمن استجاب لله ولرسوله ودخل في ديننا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده . فأنتم أيها الناس ، عباد الله المسلمون ، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية ، وليس لاحد على أحد فضل إلا بالتقوى ، وللمتقين عند الله خير الجزاء وأفضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا للمتقين جزاء ، وما عند الله خير للابرار ، إذا كان غدا فاغدوا ، فإن عندنا مالا اجتمع ، فلا يتخلفن أحد كان في عطاء ، أو لم يكن إذا كان مسلما حرا ، احضروا رحمكم الله . فاجتمعوا من الغد ، ولم يتخلف عنه أحد ، فقسم بينهم ثلاثة دنانير لكل إنسان الشريف والوضيع والاحمر والاسود ، لم يفضل أحدا ، ولم يتخلف عنه أحد إلا هؤلاء الرهط : طلحة والزبير وعبد الله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم وناس معهم .

فسمع عبيد الله بن أبي رافع وهو كاتب علي بن أبي طالب عليه السلام عبد الله بن الزبير وهو يقول للزبير وطلحة وسعيد بن العاص : لقد التفت إلى زيد بن ثابت فقلت له : اياك أعني واسمعي يا جارة .

فقال له عبيد الله : يا سعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير ، إن الله يقول في كتابه : (وأكثرهم للحق كارهون) .

قال عبيد الله : فأخبرت عليا عليه السلام فقال : لئن سلمت لاحتلنهم على الطريق ، قاتل الله ابن العاص ، لقد علم في كلامي أني أريده وأصحابه بكلامي ، والله المستعان .

قال مالك بن أوس : وكان علي بن أبي طالب أكثر ما يسكن القناة ، فبينما نحن في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة ، فجلسا في ناحية عن علي عليه السلام ، ثم طلع مروان وسعيد وعبد الله بن الزبير والمسور بن مخرمة فجلسوا ، وكان علي عليه السلام جعل عمار بن ياسر على الخيل ، فقال لابي الهيثم بن التيهان ولخالد بن زيد أبي أيوب ولابي حية ولرفاعة بن رافع في رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قوموا إلى هؤلاء القوم ، فإنه بلغنا

عنهم ما نكره من خلاف أمير المؤمنين إمامهم ، والظعن عليه ، وقد دخل معهم قوم من أهل الجفاء والعداوة ، وإنهم سيحملونهم على ما ليس من رأيهم . قال : فقاموا ، وقمنا معهم حتى جلسوا إليهم ، فتكلم أبو الهيثم بن التيهان ، فقال : إن لكما لقدا في الاسلام وسابقة وقرابة من أمير المؤمنين ، وقد بلغنا عنكما طعن وسخط لأمير المؤمنين ، فإن يكن أمر لكما خاصة فعاتبنا ابن عمكما وإمامكما ، وإن كان نصيحة للمسلمين فلا تؤخره عنه ، ونحن عون لكما ، فقد علمتما أن بني أمية لن تنصحا أبدا وقد عرفتما - وقال أحمد : عرفتم - عداوتهم لكما ، وقد شركتما في دم عثمان ومالآتما ، فسكت الزبير وتكلم طلحة ، فقال : افرغوا جميعا مما تقولون ، فإني قد عرفت أن في كل واحد منكم خبطة .

فتكلم عمار بن ياسر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال : أنتما صاحبنا رسول الله ، وقد أعطيتما إمامكما الطاعة والمناصحة ، والعهد والميثاق على العمل بطاعة الله وطاعة رسوله ، وأن يجعل كتاب الله إمامنا - قال أحمد : وجعل كتاب الله إماما - وهو علي بن أبي طالب ، طلق النفس عن الدنيا ، وقدم كتاب الله ، ففيم السخط والغضب على علي بن طالب رضي الله عنه ! فغضب الرجال في الحق : انصرا نصركما الله .

فتكلم عبد الله بن الزبير ، فقال : لقد تهذرت يا أبا اليقظان . فقال : له عمار : مالك تتعلق مثل هذا يا أعبس ، ثم أمر به فأخرج ، فقام الزبير فالتفت إلى عمار رضي الله عنه فقال : عجلت يا أبا اليقظان على ابن أخيك رحمك الله . فقال عمار بن ياسر : يا أبا عبد الله ، أنشدك الله أن تسمع قول من رأيت ، فإنكم معشر المهاجرين لم يهلك من هلك منكم حتى استدخل أمره المؤلفة قلوبهم . فقال الزبير : معاذ الله أن نسمع منهم . فقال عمار : والله يا أبا عبد الله ، لو لم يبق أحد إلا خالف علي بن أبي طالب لما خالفته ، ولا زالت يدي مع يده ، وذلك لأن عليا لم يزل مع الحق منذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإني أشهد أنه لا ينبغي لاحد أن يفضل عليه أحدا . فاجتمع عمار بن ياسر وأبو الهيثم ورفاعة وأبو أيوب وسهل بن حنيف ، فتشاوروا أن يركبوا إلى علي رضي الله عنه بالقناة فيخبروه بخبر القوم ، فركبوا إليه فأخبروه باجتماع القوم وما هم فيه من إظهار الشكوى والتعظيم لقتل عثمان ، وقال له أبو الهيثم : يا

أمير المؤمنين ، انظر في هذا الامر ، فركب بغلة رسول الله ﷺ ودخل المدينة ، وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، واجتمع أهل الخير والفضل من الصحابة والمهاجرين ، فقالوا لعلي عليه السلام : إنهم قد كرهوا الاسوة ، وطلبوا الاثرة ، وسخطوا لذلك . فقال علي عليه السلام : ليس لاحد فضل في هذا المال ، وهذا كتاب الله بيننا وبينكم ، ونيبكم محمد ﷺ وسيرته . ثم صاح باعلى صوته : يا معشر الانصار ، أتمنّون عليّ باسلامكم - قال أحمد : على الله باسلامكم - بل لله ورسوله المن عليكم إن كنتم صادقين ، أنا أبو الحسن القرم . ونزل عن المنبر وجلس ناحية المسجد ، وبعث إلى طلحة والزبير فدعاهما ، ثم قال لهما : ألم تأتياي وتبايعاني طائعين غير مكرهين ، فما أنكرتم ، أجور في حكم ، أو استثنار في فئ ؟ قالوا : لا .

قال عليه السلام : أو في أمر دعوتاني إليه من أمر المسلمين فقصرت عنه ؟ قالوا : معاذ الله . قال عليه السلام : فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي ؟ قالوا : خلافاً لعمر بن الخطاب في القسم ، وانتقاصنا حقنا من الفئ ، جعلت حظنا في الاسلام كحظ غيرنا مما أفاء الله علينا بسيفنا ، ممن هو لنا في ، فسويت بيننا وبينهم . فقال علي عليه السلام : الله أكبر ، اللهم إني اشهدك وأشهد من حضر عليهما ، أما ما ذكرتما من الاستشارة فوالله ما كانت لي الولاية رغبة ، ولا لي فيها محبة ، ولكنكم دعوتوني إليها ، وحملتوني عليها ، فكرهت خلافتكم ، فلما أفضت إلي نظرت إلى كتاب الله وما وضع وأمر فيه بالحكم وقسم وسن رسول الله ﷺ فأمضيته ، ولم احتج فيه إلى رأيكما ودخولكما معي ولا غيركما ، ولم يقع أمر جهلته فأتقوى فيه برأيكما ومشورتكما ، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ، ولا عن غيركما ، إذا لم يكن في كتاب الله ولا في سنة نبينا ﷺ ، فأما ما كان فلا يحتاج فيه إلى أحد .

وأما ما ذكرتما من أمر الاسوة ، فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه ، ووجدت أنا وأنتما ما قد جاء به محمد ﷺ من كتاب الله ، فلم احتج فيه إليكما ، قد فرغ من قسمه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

وأما قولكما: جعلتنا فيه كمن ضربناه بأسيا فنا، وأفاء الله علينا، فقد سبق رجال رجالا فلم يفضلهم رسول الله ﷺ، ولم يستأثر عليهم من سبقهم، ولم يضرهم حين استجابوا لربهم، والله مالكم ولا لغيركم إلا ذلك، ألهمنا الله وإياكم الصبر عليه. فذهب عبد الله بن الزبير يتكلم، فأمر به فوجئت عنقه وأخرج من المسجد، فخرج وهو يصيح ويقول: اردد إليه بيعته. فقال علي رضي الله عنه: لست مخرجكما من أمر دخلتما فيه، ولا مدخلكما في أمر خرجتما منه، فقاما عنه فقالا: أما إنه ليس عندنا أمر إلا الوفاء. قال: فقال علي رضي الله عنه: رحم الله عبدا رأى حقا فأعان عليه، أو رأى جورا فرده، وكان عوناً للحق على من خالفه. (١)

وبالاسناد عن عز الدين عن ابن الأثير محمد بن علي الجزري (ت / ٦٣٠ هـ) في أسد الغابة: وقال علي لما بلغه مسير طلحة والزبير وعائشة: منيت بأربعة: أدهى الناس وأساخهم طلحة، وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة، وأكثر الناس غنى يعلى بن منبه. والله ما أنكروا علي شيئا منكرا ولا استأثرت بمال ولا ملت بهوى، وإنهم يطلبون حقا تركوه ودما سفكوه، ولقد ولوه دوني، وإن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه، وما تبعة عثمان إلا عندهم، بايعوني ونكثوا بيعتي وما استبانوا في حتى يعرفوا جورى من عدلى، وإنى لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم، وإنى مع هذا لداعهم ومعذر إليهم فإن قبلوه فالتوبة مقبولة والحق أولى ما انصرف إليه، وإن أبوا أعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من باطل وناصرا.

وروي عن علي أنه قال: انى لارجوان أكون أنا وطلحة وعثمان والزبير ممن قال الله فيهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾

وكان سبب قتل طلحة أن مروان بن الحكم رماه بسهم في ركبته فجعلوا إذا أمسكوا فم الجرح انتفخت رجله وإذا تركوه جرى، فقال: دعوه فانما هو سهم أرسله الله تعالى، فمات منه. وقال مروان: لا أطلب بثأري بعد اليوم، وانتفت إلى أبان بن عثمان فقال: قد كفيته

بعض قتلة أبيك.^(١)

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن عثمان مؤذن بني قصي قال: صحبت عليا سنة كلها، ما سمعت منه براءة ولا ولاية، الا اني سمعته يقول: من يعذرني من فلان وفلان؟ فانهما بايعاني طائعين، غير مكرهين، ثم نكثا بيعتي من غير حدث أحدثته، ثم قال: والله ما قوتل أهل هذه الآية بعد: «وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم... الآية». (أبو الحسن البكالي).^(٢)

(١) أسد الغابة؛ لابن الاثير ٣: ٦٠ - ٦١.
(٢) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ٢: ٣١٧، ح ٤٣٩٠.

[الخطبة (١٣٩)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: لم يسرع أحد قبلي.. إلى آخره، هذه جملة من كلام له ﷺ قاله لاهل الشورى، على ما ذكره الشارحان»^(١).

وقال العرشي في التخريج مانصه: «رواه الطبري بتمامه في تاريخه ج ٥ ص ٣٩».(انتهى)^(٢)

[الكلام (١٤١)]

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «الخصال»: حدثنا محمد بن الحسن ﷺ قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد، عن علي بن السندي، عن محمد بن عمرو بن سعيد، عن كرام، عن ميسر ابن عبد العزيز قال: سمعت أبا جعفر ﷺ وهو يقول: سئل أمير المؤمنين ﷺ: كم بين الحق والباطل؟ فقال: أربع أصابع، ووضع أمير المؤمنين ﷺ يده على أذنه وعينه فقال: ما رأيته عيناك فهو الحق وما سمعته اذنك فأكثره باطل.^(٣)

[الكلام (١٤٢)]

قال الجلاي: قد تقدم الاسناد والنص في آخر رواية كل من الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) والمفيد (ت / ٤١٣ هـ) والطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في آخر الخطبة (١٢٦)، فراجع.

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٣.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) الخصال؛ للشيخ الصدوق: ٢٣٦.

[الخطبة (١٤٤)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن علي قال: «الائمة من قريش ، خيارهم على خيارهم ، وشرارهم على شرارهم ، وليس بعد قريش إلا الجاهلية». (نعيم بن حماد وابن السني في كتاب الاخوة)^(١)

وعن علي: أن رسول الله ﷺ خطب الناس ذات يوم: «ألا! إن الامراء من قريش ما أقاموا بثلاث: ما حكموا فعدلوا، وما عاهدوا فوفوا، وما استرحموا فرحموا، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». (ع).^(٢)

وأيضاً: خطب رسول الله ﷺ بالجحفة فقال: «يا أيها الناس! أأست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: فاني كائن لكم على الحوض فرطاً وسائلكم عن اثنتين: عن القرآن وعن عترتي، لا تقدموا قريشا فتهلكوا، ولا تخلفوا عنها فتضلوا، قوة الرجل من قريش قوة رجلين، لا تفاقها قريشا فهي أفقه منكم، لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله، خيار قريش خيار الناس وشرار قريش من الناس». (حل وفيه إبراهيم بن اليسع واه).^(٣)

(١) كنز العمال ؛ للمتقي الهندي ١٤ : ٧٦ ، ح ٣٧٩٧٩ .

(٢) كنز العمال ؛ للمتقي الهندي ١٤ : ٧٦ ، ح ٣٧٩٨٠ .

(٣) كنز العمال ؛ للمتقي الهندي ١٤ : ٧٦ ، ح ٣٧٩٨١ .

[الخطبة (١٤٥)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها أبو علي القالي في كتاب الأمالي [ج ٢ ص ٥٧]، والشيخ المفيد في الارشاد (١٣٩) والامالي إبحار الانوار ج ٧ ص ١٠٦، وشيخ الطائفة في الأمالي (١٣٥) عن أمير المؤمنين، والحراني في تحف العقول (٧٣) عن الامام محمد باقر رحمه الله باختلاف يسير، والقالي في الأمالي [ج ٢ ص ١٠٢] عن عمر بن عبد العزيز الأموي». انتهى^(١)

قال الجلاي: راجع ذيل الخطبة رقم ١٢١ مما رواه الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ). وبالاسناد عن الهاروني (ت / ٤٢٤ هـ) في «تيسير المطالب» قال: اخبرنا أبي رحمه الله تعالى، قال: اخبرنا ابو جعفر محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد، قال: اخبرنا عبد الله بن جعفر الحميري عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده: ان علياً عليه السلام خطب فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه: أيها الناس إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا، وما لكم فيها نهب للتحف والمصائب، مع كل جرعة منها شرق، وفي كل أكلة منها غصص، لا تتألون منها نعمة إلا بفراق أخرى، وما يعمر معمر من عمره يوماً إلا بهدم آخر من أجله، ولا تتجدد له زيادة في اكله إلا بفناء ما قبله من رزقه ولا يحيى له اثر إلا مات له اثر، وقد مضت اصول نحن فروعها، فما بقي فرع إجتث أصله، اني احذركم الدنيا فإنها غرارة لا تعدو إذا هي تناهت الى امنيتها، قال الله عز وجل: «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا» مع ان كل من نال منها خبرة اعقبتة عبرة، ولم يلق من سرائها بطناً إلا منحتة من ضرائها ظهراً غرارة غرور ما فيها، لاخير في شيء من زادها إلا التقوى، من قلل منها استكثر مما يؤمنه، ومن استكثر منها لم تدم له ولم يدم لها، كم واثق بها ومطمئن اليها قد خدعته، وذي تاج منها قد اكبته لليدين وللنم،

(١) راجع استناد نهج البلاغة.

سلطانها دول، وصفوها كدر، وحيها بعرض موت، وأمنها بعرض خوف، وملكها مسلوب، وجارها محروم، ومن وراء ذلك سكرة الموت وزفرته وهول المطلع، الوقوف بين يدي الحكم العدل، فهناك ﴿تبلو كل نفس ما أسلفت ورددوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾، فيجزى ﴿الذين أساءوا السؤى بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾، ألستم ترون وتعلمون انكم في منازل من كان قبلكم كانوا أطول منكم اعماراً، وأشهر منكم آثاراً، وأكثر منكم جنوداً، وأشد منكم عموداً، تعبدوا للدنيا أي تعبد، ونزلوا بها أي نزل، وآثروها أي ايثار، فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم؟ بل اهلكتهم بالخطوب، ودهمتهم بالقوارع، وهل صحبتهم إلا بالتعسف؟ وهل أعقبهم إلا النار؟ فلهذه توثرون؟ أو فيها ترغبون؟ والله تبارك وتعالى يقولن: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ بنست الدار لمن يفهمها ولم يكن فيها على وجل، اعلّموا وأنتم تعلمون انكم لا بدّ تاركوها، انها كما قال عز وجل: لعب ولهو ﴿اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر الأموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد﴾ فاعتبروا بمن قد رأيتم من اخوانكم صاروا في التراب رميمًا لا يرجى نفعهم، ولا يخشى ضرهم، وهم كمن لم يكن وكما قال الله عز وجل: ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾ استبدلوا بظهر الارض بطناً، وبالانس غربة، وبالأهل وحدة، غير ان قد ضعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة، والشقوة اللازمة، فيا لها حسرة على كل ذي غفلة ان يكون عليه حجة، او ان تؤديه أيامه إلى شقوة، جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة، ولا يعظم به عن طاعة غاية، ولا تحل به شقوة؛ فإنه لطيف لما يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على محمد وآله، وعلى انبيائه وعلى جميع أهل بيته الطاهرين الأخيار، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(١).

(١) تيسير المطالب: ١٨٣ - ١٨٣، ط / ١٣٩٥ هـ.

[الكلام (١٤٦)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١) في التخريج: «قوله ﷺ: إن هذا الامر... الخ، قيل: إنه ﷺ قاله في غزوة القادسية، وقيل: في غزوة نهاوند، وقد روى هذا الكلام محمد بن جرير الطبري».^(١)

قال العرشي في التخريج مانصه: «روى الطبري من هذا الكلام ما يبتدىء من قوله: فانك إن شخصت... الى آخره. [ج ٤ ص ٢٣٨]، كما رواه ابن مسكويه في تجارب الأمم [ج ١ ص ٤١٩]. وروى الشيخ المفيد الكلام كله في الارشاد (١٢١)»، انتهى.^(٢)

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٢.

(٢) استناد نهج البلاغة.

[الخطبة (١٤٧)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الكليني في كتاب الروضة من فروع الكافي ج ٣ ص ١٧٩. واما الجزء الثاني من الخطبة نفسها أى: «أيها الناس إنه من استنصح الله وفق» ... الى آخره.. [ج ٢ ص ٤٢؛ فرواه الحراني في تحف العقول (٥٣) ضمن أقوال الامام الحسن بن علي عليه السلام. ومما يذكر أن الخطبة ٢٣٤ من نهج البلاغة مقتبسة من هذه الخطبة»، انتهى^(١).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن أحمد بن محمد، عن سعد بن المنذر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن محمد بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن أبيه قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام - ورواها غيره بغير هذا الاسناد، وذكر أنه خطب بذي قار - فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال:

أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى بعث محمدا عليه السلام بالحق ليخرج عباده من عبادة عباده إلى عبادته، ومن عهود عباده إلى عهوده ومن طاعة عباده إلى طاعته، ومن ولاية عباده إلى ولايته، بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، عودا وبدءا وعذرا ونذرا، بحكم قد فصله وتفصيل قد أحكمه، وفرقان قد فرق، وقرآن قد بيّنه ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه وليقرّوا به إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه، فأراهم حلمه كيف حلم، وأراهم عفوه كيف عفا، وأراهم قدرته كيف قدر، وخوفهم من سطوته وكيف خلق ما خلق من الآيات، وكيف محق من محق من العصاة بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمات، وكيف رزق وهدى وأعطا، وأراهم حكمه كيف حكم وصبر حتى يسمع ما يسمع ويرى .

(١) استناد نهج البلاغة.

فبعث الله عز وجل محمداً ﷺ بذلك ثم إنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس في ذلك الزمان شئ أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله تعالى ورسوله ﷺ وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرف عن مواضعه، وليس في العباد ولا البلاد شئ هو أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر، وليس فيها فاحشة أنكر ولا عقوبة أنكى من الهدى عند الضلال في ذلك الزمان، فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته حتى تمالت بهم الاهواء وتوارثوا ذلك من الآباء، وعملوا بتحريف الكتاب كذباً وتكذيباً، فباعوه بالبخس وكانوا فيه من الزاهدين، فالكتاب وأهل الكتاب في ذلك الزمان طريدان منفيان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يأويهما مؤوٍ، فحبذا ذاك الصاحبان وهاً لهما ولما يعملان له، فالكتاب وأهل الكتاب في ذلك الزمان في الناس وليسوا فيهم، ومعهم وليسوا معهم، وذلك لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا، وقد اجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة، قد ولّوا أمرهم وأمر دينهم من يعمل فيهم بالمكر والمنكر والرشا والقتل، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، لم يبق عندهم من الحق إلا اسمه، ولم يعرفوا من الكتاب إلا خطّه وزبره، يدخل الداخل لما يسمع من حكم القرآن فلا يطمئن جالساً حتى يخرج من الدين، ينتقل من دين ملك إلى دين ملك، ومن ولاية ملك إلى ولاية ملك، ومن طاعة ملك إلى طاعة ملك، ومن عهود ملك إلى عهود ملك، فاستدرجهم الله تعالى من حيث لا يعلمون، وإن كيدته متين بالامل والرجاء، حتى توالدوا في المعصية ودانوا بالجور، والكتاب لم يضرب عن شئ منه صفحاً، ضلّالاً تائهين، قد دانوا بغير دين الله عز وجل وأدانوا لغير الله.

مساجدهم في ذلك الزمان عامرة من الضلالة، خربة من الهدى، قد بدل فيها من الهدى، فقرأوها وعمارها أخائب خلق الله وخليقته، من عندهم جرت الضلالة وإلهم تعود، فحضور مساجدهم والمشي إليها كفر بالله العظيم إلا من مشى إليها وهو عارف بضلالهم، فصارت مساجدهم - من فعالهم على ذلك النحو - خربة من الهدى عامرة من

الضلالة، قد بدلت سنة الله وتعديت حدوده، ولا يدعون إلى الهدى، ولا يقسمون الفبي، ولا يوفون بذمة، يدعون القتل منهم على ذلك شهيدا، قد أتوا الله بالافتراء والجحود واستغنوا بالجهل عن العلم، ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة، وسموا صدقهم على الله فرية، وجعلوا في الحسنة العقوبة السيئة، وقد بعث الله عز وجل إليكم رسولا من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ﷺ وأنزل عليه كتابا عزيزا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، قرآنا عربيا غير ذي عوج، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فلا يلهينكم الامل، ولا يطولن عليكم الاجل، فإنما أهلك من كان قبلكم أمد أملمهم وتغطية الآجال عنهم حتى نزل بهم الموعود الذي ترد عنه المعذرة، وترفع عنه التوبة، وتحل معه القارعة والنقمة، وقد أبلغ الله عز وجل إليكم بالوعد، وفصل لكم القول، وعلمكم السنة، وشرح لكم المناهج ليزيح العلة وحث على الذكر، ودل على النجاة، وإنه من انتصح لله واتخذ قوله دليلا هداه للتي هي أقوم، ووقفه للرشاد وسدده، ويسره للحسنى، فإن جار الله آمن محفوظ، وعدوه خائف مغرور، فاحترسوا من الله عز وجل بكثرة الذكر واخشوا منه بالتقى، وتقرّبوا إليه بالطاعة فإنه قريب مجيب، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ فاستجيبوا لله وآمنوا به وعظّموا الله الذي لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظم، فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمة الله أن يتواضعوا له وعز الذين يعلمون ما جلال الله أن يذلوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدره الله أن يستسلموا له، فلا ينكرون أنفسهم بعد حد المعرفة ولا يضلون بعد الهدى، فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الاجرب، والبارئ من ذي السقم.

واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولم تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرّفه، ولن تعرفوا الضلالة حتى تعرفوا الهدى، ولن تعرفوا التقوى حتى تعرفوا الذي تعدّى، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف، ورأيتم الفرية

على الله وعلى رسوله والتحريف لكتابه، ورأيتكم كيف هدى الله من هدى، فلا يجهلنكم الذين لا يعلمون، إن علم القرآن ليس يعلم ما هو إلا من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله، وبصر به عماه وسمع به صممه، وأدرك به علم ما فات وحيي به بعد إذ مات، وأثبت عند الله عز ذكره الحسنات، ومحى به السيئات، وأدرك به رضوانا من الله تبارك وتعالى، فاطلبوا ذلك من عند أهله خاصة، فإنهم خاصة نور يستضاء به وأئمة يقتدى بهم، وهم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق، فهم من شأنهم شهداء بالحق ومخبر صادق لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، قد خلت لهم من الله السابقة ومضى فيهم من الله عز وجل حكم صادق وفي ذلك ذكرى للذاكرين، فاعقلوا الحق إذا سمعتموه عقل رعاية ولا تعقلوه عقل رواية؛ فإن رواية الكتاب كثير ورعاته قليل، والله المستعان.^(١)

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ٨: ٣٨٦-٣٩١.

[الخطبة (١٤٩)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: ايها الناس كل امرئ لاق ما يفرّ منه... الى آخره. رواه الشيخ الكليني في اصول الكافي (ص ١١١) باسناده قال: لما ضرب امير المؤمنين ﷺ حفّ به العوّاد وقيل له: يا امير المؤمنين اوص، فقال: اثنوا لي وسادة، ثم قال: الحمد لله حقّ قدره، متبعين امره، أحمدته كما أحب، ولا اله الا الله الواحد الاحد كما انتسب ايها الناس كل امرئ... الى آخره».^(١)

قال الجلاّلي: وردت مقاطع من النص فيما ارويّه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٩ هـ) في «الكافي» عن الحسين بن الحسن الحسني رفعه ومحمد بن الحسن، عن ابراهيم بن إسحاق الاحمري رفعه قال: لما ضرب أمير المؤمنين ﷺ حفّ به العوّاد وقيل له: يا أمير المؤمنين أوص، فقال: اثنوا لي وسادة، ثم قال: الحمد لله حق قدره متبعين أمره وأحمدته كما أحب، ولا إله إلا الله الواحد الاحد الصمد كما انتسب، أيها الناس كل امرء لاق في فراره ما منه يفر، والاجل مساق النفس إليه، والهرب منه موافاته، كم اطردت الايام أبحثها عن مكنون هذا الامر فأبى الله عز ذكره إلا إخفاءه، هيهات علم مكنون، أما وصيتي: فأَنْ لا تشركوا بالله جل ثناؤه شيئاً، ومحمداً ﷺ فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذم ما لم تشرّدوا، حمّل كل امرئ مجهوده، وخفف عن الجهلة، رب رحيم، وإمام عليم، ودين قويم. أنا بالامس صاحبكم وأنا اليوم عبرة لكم، وغدا مفارقكم، إن تثبت الوطأة في هذه المزلّة فذاك المراد، وإن تدحض القدم، فإننا كنا في أفياء أغصان، وذرى رياح، وتحت ظل غمامة اضمحل في الجو متلفقها، وعفا في الارض محطها، وإنما كنت جارا جاوركم بدني أياما، وستعقبون مني جنة خلاء، ساكنة بعد حركة، وكاظمة بعد نطق، ليعظكم هُدُوي، وخفوف إطراقي،

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٢.

وسكون أطرافي ، فإنه أوعظ لكم من الناطق البليغ ، ودعتكم وداع مرصد للتلاقي ، غدا ترون أيامي ، ويكشف الله عزوجل عن سرائري ، وتعرفوني بعد خلوّ مكاني ، وقيام غيري مقامي ، إن أبق فأنا وليّ دمي ، وإن أفن فالفناء ميعادي ، وإن أعف فالعفو لي قربة ، ولكم حسنة ، فاعفوا واصفحوا ، «ألا تحبون أن يغفر الله لكم»؟ ، فيالها حسرة على كل ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة ، أو تؤديه أيامه إلى شقوة ، جعلنا الله وإياكم ممن لا يقصر به عن طاعة الله رغبة ، أو تحلّ به بعد الموت تقمة ، فإنما نحن له وبه .

ثم أقبل على الحسن عليه السلام فقال: يا بنيّ ضربة مكان ضربة ولا تأثم .

وعن محمد بن يحيى ، عن علي بن الحسن ، عن علي بن إبراهيم العقيلي يرفعه قال: قال: لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن : «يا بني إذا أنا مت فاقتل ابن ملجم واحفر له في الكناسة ، ووصف العقيلي الموضع على باب طاق المحامل موضع الشواء والرؤاس ثم ارم به فيه ، فإنه وإد من أودية جهنم» .^(١)

وبالاسناد عن الهاروني (ت / ٤٢٤ هـ) في «تيسير المطالب» ، قال: أخبرنا أبي ، قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الصفواني قال حدثنا اسحاق بن العباس بن محمد بن موسى بن جعفر ، قال حدثني جدي عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه عن جده عليهم السلام ، قال لما ضرب أمير المؤمنين علي عليه السلام الضربة التي توفي فيها استند الى اسطوانة المسجد والدماء تسيل على شيبته وضح الناس في المسجد كهيئة يوم قبض فيه النبي صلى الله عليه وآله فابتدأ خطيباً ، فقال بعد الثناء على الله والصلاة على نبيه: كل امرئ ملاق ما يفر منه ، والأجل تساق إليه النفس ، والهرب منه موافاته ، كم أطردت الأيام ابحتها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله الاستره ، واخفى علماً مكنوناً ، أما وصيتي بالله عزوجل ، فلا تشركوا به شيئاً ، ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته ، اقيموا هذين العمودين ، حمل كل امرئ منهم مجهودة ، وخفف عن العجزة رب كريم رحيم ، ودين قويم ، وإمام عليم ، كنتم في اعصار ودويّ رياح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها ، ليعظكم خفوتي وسكون أطرافي ، انه

(١) الكافي ؛ للشيخ الكليني ١ : ٢٩٩ - ٣٠٠ .

لأوعظ لكم من نطق بليغ، ودعتكم وداع امرٍ مرصد للتلاق، غداً ترون أياي وتكشف لكم غرّ سرائري، فعليكم السلام الى يوم اللزام، كنت بالأمس صاحبكم، وأنا اليوم عظة لكم، وغداً أفارقكم، فان ابق فأنا وليّ دمي، وان افن فالقيامة ميعادي، عفا الله عني وعنكم»^(١).

وبالاسناد عن الطبراني (ت / ٣٦٠ هـ) في «المعجم الكبير» قال: حدثنا القاسم بن عباد الخطابي البصري ثنا سعيد بن صبيح قال: قال هشام بن الكلبي عن عوانة بن الحكم قال: لما ضرب عبد الرحمن بن ملجم علياً عليه السلام وحمل إلى منزله أتاه العواد، فحمد الله عزوجل وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: كل امرئ ملاق ما يفر منه في فراره، والاجل مساق النفس والهرب من آفاته، كم أطردت الايام أبحثها عن مكنون هذا الامر وأبى الله عزوجل إلا إخفاءه، هيهات علم مخزون. أما وصيتي إياكم: فالله عزوجل لا تشركوا به شيئاً، ومحمد صلى الله عليه وآله لا تضيّعوا سنته، أقيموا هذين العمودين وخلاكم دم ما لم يشردوا، واحمل كل امرئ مجهوده، وخفف عن الجهلة برب رحيم ودين قويم وإمام عليهم، كنا في رياح، وذرى أغصان، وتحت ظل غمامة اضمحل مركزها فيحطّها عانٍ، جاوركم بدني أيا ما تباعا ثم هوى، فستعقبون من بعده جثة خواء ساكنة بعد حركة، كاظمة بعد نطوق، إنه أوعظ للمعتبرين من نطق البليغ، وداعيك داعي مرصد للتلاق، غدا ترون أياي ويكشف عن سرائري، لن يحاييني الله عزوجل إلا أن أتزلفه بتقوى فيغفر عن فرط موعود عليكم السلام إلى يوم اللزام، إن أبق فأنا وليّ دمي، وإن أفن فالفناء ميعادي، العفو لي قربة ولكم حسنة، فاعفوا عفا الله عنا وعنكم «ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم» ثم قال:

عش ما بدا لك قصرك الموت	لا مرحل عنه ولا فوت
بيننا غنى بيت وبهجة	زال الغنى وتقوُّض البيت

(١) تيسير المطالب: ١٨٩، ط / ١٣٩٥ هـ.

يا ليت شعري ما يراد بنا ولقلّ ما يجدي لنا ليت.^(١)
ومن الموافقات ما عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»: أنبأنا أبو علي الحداد وجماعة قالوا: أنا أبو بكر بن ريدة أنا سليمان بن أحمد الطبراني نا القاسم بن عباد الخطابي البصري نا سعيد بن صبيح قال: قال هشام بن الكلبي عن عوانة بن الحكم قال: لما ضرب عبد الرحمن بن ملجم عليا وحمل إلى منزله أتاه العوّاد، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: كل امرئ ملاق ما يفر منه في فراره، والأجل مساق النفس، والهرب من آفاته، كم أطردت الأيام أبحاثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلا إخفاءه، هيهات علم مخزون، أما وصيتي إياكم: فالله عز وجل لا تشركوا به شيئا ومحمد ﷺ لا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم ما لم تشرعوا، حمل كل امرئ مجهوده وخفف عن الجهلة برحيم ودين قويم وإمام عليم، كنا في رياح وذرى أغصان وتحت ظل غمامة اضمحل مركزها فمحطّها عاف جاوركم بدني أيا ما تباعا ثم هوى، فستعقبون من بعده جثة خواء، ساكنة بعد حركة كاظمة بعد نطوق، إنه أوعظ للمعتبر من نطق البليغ وداعيكم داع مرصد للتلاق، غدا ترون أيامي ويكشف عن سرائري لن يحاشي الله إلا أن أتزلفه بتقوى فيغفر عن فرط موعود، عليكم السلام إلى يوم اللزّام، إن أبق فأنا وليّ دمي وإن أفن فالنساء ميعادي، العفو لي قربة ولكم حسنة فاعفوا عفا الله عنا وعنكم ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ ثم قال:

عش ما بدا لك قصرك الموت	لا مرحل عنه ولا فوت
بيننا غنى بيت بهجته	زال الغنى وتقوض البيت
يا ليت شعري ما يراد بنا	ولقلّ ما يجدي لنا ليت. ^(٢)

(١) المعجم الكبير؛ للطبراني ١: ٩٦ الحديث ١٦٧.
(٢) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٥٦٢-٥٦٣.

[الخطبة (١٥٢)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ : الحمد لله الدال على وجوده بخلقه... الخ، هذه الخطبة الجليلة رواها الشيخ الكليني في كتاب الاصول من الكافي، في باب جوامع التوحيد، في ضمن خطب لمولانا أمير المؤمنين ﷺ ، ولعل ما رواه السيد هنا رواية أخرى عن غير أصول الكافي من المصادر التي اعتمد عليها في ذلك».

قوله ﷺ: «قد طلع طائع ولمع لامع... الخ، قال في الشرح: هذه خطبة خطب بها بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة اليه»^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الكليني في أصول الكافي (٣٣) باختلاف بسيط»، انتهى^(٢).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص من قوله ﷺ في المقطع الاول: «الخالق لا بمعنى حركة ونصب»، ارويّه بالاسناد عن الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) وتقدمت في الخطبة (٩٤) وكذلك الصدوق (ت / ٣٨١ هـ)، فراجع.

وبالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن شباب الصيرفي واسمه محمد بن الوليد ، عن علي بن سيف بن عميرة قال: حدثني إسماعيل بن قتيبة قال: دخلت أنا وعيسى شلقان على أبي عبد الله ﷺ فابتدأنا فقال: عجباً لأقوام يدعون على أمير المؤمنين ﷺ ما لم يتكلم به قط ، خطب أمير المؤمنين ﷺ الناس بالكوفة فقال: الحمد لله الملهم عباده حمده، وفاطهم على معرفة ربوبيته ، الدال على وجوده بخلقه ويحدث خلقه على أزلّه، وباشتباههم على أن لا شبه

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٢.

(٢) راجع استناد نهج البلاغة.

له ، المستشهد بآياته على قدرته ، الممتنعة من الصفات ذاته ، ومن الابصار رؤيته ، ومن
الاوھان الاحاطة به ، لا أمد لكونه ، ولا غاية لبقائه ، لا تشمله المشاعر ولا تحجبه
الحجب ، والحجاب بينه وبين خلقه خلقه إياهم ، لا متناعه مما يمكن في ذواتهم
ولا مكان مما يمتنع منه ، ولا افتراق الصانع من المصنوع ، والحادث من المحدود ، والرب من
المربوب ، الواحد بلا تأويل عدد ، والخالق لا بمعنى حركة والبصير لا بأداة ، والسميع لا
بتفريق آلة ، والشاهد لا بمماسة ، والباطن لا باجتنان ، والظاهر البائن لا بتراخي مسافة ،
أزله نهية لمجاول الافكار ، ودوامه ردع لطامحات العقول ، قد حسر كنهه نوافذ الابصار ،
وقمع وجوده جوائل الاوھام ، فمن وصف الله فقد حدّه ، ومن حده فقد عدّه ، ومن عدّه فقد
أبطل أزله ، ومن قال: أين ؟ فقد غيّاه ، ومن قال: علام ؟ فقد أخلا منه ، ومن قال: فيم ؟ فقد
ضمّنه» .

قال الكليني: ورواه محمد بن الحسين ، عن صالح بن حمزة ، عن فتح بن عبد
الله مولى بني هاشم قال: كتبت إلى أبي إبراهيم عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد ، فكتب إليّ
بخطه : الحمد لله الملهم عباده حمده - وذكر مثل ما رواه سهل بن زياد إلى قوله : وقمع
وجوده جوائل الاوھام ، ثم زاد فيه - : أول الديانة به معرفته ، وكمال معرفته توحيده ،
وكمال توحيده نفي الصفات عنه ، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة الموصوف
أنه غير الصفة ، وشهادتهما جميعا بالتثنية الممتنع منه الازل ، فمن وصف الله فقد حدّه ،
ومن حده فقد عدّه ، ومن عدّه فقد أبطل أزله ، ومن قال: كيف ؟ فقد استوصفه ، ومن قال:
فيم ؟ فقد ضمّنه ، ومن قال: على م ؟ فقد جهله ، ومن قال: أين ؟ فقد أخلا منه ، ومن قال: ما
هو ؟ فقد نعتّه ، ومن قال: الى م ؟ فقد غاياه ، عالم إذ لا معلوم ، وخالق إذ لا مخلوق ، ورب
إذ لا مربوب ، وكذلك يوصف ربنا وفوق ما يصفه الواصفون» .^(١)

(١) الكافي ؛ للشيخ الكليني ١ : ١٣٩ - ١٤١ ، ط / ١٣٨١ هـ .

[الخطبة (١٥٣)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن ابن شعبة الحراني (ت / ٣٣٦ - ح) في «تحف العقول»، قال : ومن حكمه صلوات الله عليه وترغيبه وترهيبه ووعظه: أما بعد، فإن المكر والخديعة في النار، فكونوا من الله على وجل، ومن صولته على حذر. إن الله لا يرضى لعباده بعد إعداره وإنذاره استطرادا واستدراجا من حيث لا يعلمون، ولهذا يضل سعي العبد حتى ينسى الوفاء بالعهد ويظن أنه قد أحسن صنعا، ولا يزال كذلك في ظن ورجاء وغفلة عما جاءه من النبأ يعقد على نفسه العقد ويهلكها بكل جهد، وهو في مهلة من الله على عهد، يهوي مع الغافلين، ويغدو مع المذنبين، ويجادل في طاعة الله المؤمنين، ويستحسن تمويه المترفين، فهؤلاء قوم شرحت قلوبهم بالشبهة وتناولوا على غيرهم بالفرية وحسبوا أنها لله قربة، وذلك لأنهم عملوا بالهوى، وغيروا كلام الحكماء وحرفوه بجهل وعمى، وطلبوا به السمعة والرياء، بلا سبل قاصدة، ولا أعلام جارية، ولا منار معلوم إلى أمدهم وإلى منهل هم وارده، حتى إذا كشف الله لهم عن ثواب سياستهم واستخرجهم من جلايب غفلتهم، استقبلوا مدبرا واستدبروا مقبلا، فلم ينتفعوا بما أدركوا من أمنيته ولا بما نالوا من طلبته ولا ما قضا من وطهرهم، وصار ذلك عليهم وبالا فصاروا يهربون مما كانوا يطلبون.

وإني احذركم هذه المزلة وأمركم بتقوى الله الذي لا ينفع غيره، فليتنفع بنفسه إن كان صادقا على ما يجن ضميره، فإنما البصير من سمع وتفكر ونظر وأبصر، وانتفع بالعبر وسلك جددا واضحا يتجنب فيه الصرعة في المهوى ويتنكب طريق العمى، ولا يعين على فساد نفسه الغواية بتعسف في حق أو تحريف في نطق أو تغيير في صدق، ولا قوة إلا بالله.

قولوا ما قيل لكم، وسلموا لما روي لكم، ولا تكلفوا ما لم تكلفوا، فإنما تبعته عليكم، فما كسبت أيديكم ولفظت ألسنتكم أو سبقت إليه غايتكم، واحذروا الشبهة فإنها وضعت للفتنة واقصدوا السهولة واعملوا فيما بينكم بالمعروف من القول والفعل، واستعملوا

الخشوع، واستشعروا الخوف والاستكانة لله . واعملوا فيما بينكم بالتواضع والتناصف والتبازل وكظم الغيظ ، فإنها وصية الله . وإياكم والتحاسد والاحقاد ، فإنهما من فعل الجاهلية ﴿ولتنتظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾.

أيها الناس، اعلّموا علما يقينا أن الله لم يجعل للعبد وإن اشتد جهده وعظمت حيلته وكثرت نكايته أكثر مما قدّر له في الذكر الحكيم، ولم يحل بين المرء على ضعفه وقلة حيلته وبين ما كتب له في الذكر الحكيم .

أيها الناس، إنه لن يزداد امرؤ تقيرا بحذقه ولن ينتقص تقيرا بحمقه ، فالعالم بهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعة، والتارك له أكثر الناس شغلا في مضرة . ربّ منعم عليه نفسه مستدرج بالاحسان إليه . وربّ مبتلى عند الناس مصنوع له . فأفّق أيها المستمتع من سكرك وانتبه من غفلتك، وقصّر من عجلتك وتفكّر فيما جاء عن الله تبارك وتعالى فيما لا خلف فيه ولا محيص عنه ولا بد منه ، ثم ضع فخرك ودع كبرك واحضر ذهنك واذكر قبرك ومنزلك ، فإن عليه ممرك وإليه مصيرك . وكما تدين تدان . وكما تزرع تحصد . وكما تصنع يصنع بك . وما قدمت إليه تقدم عليه غدا لا محالة . فلينبهك النظر فيما وعظت به . وع ما سمعت ووعدت ، فقد اكتنفتك بذلك خصلتان، ولا بد أن تقوم بأحدهما : إما طاعة الله تقوم لها بما سمعت، وإما حجة الله تقوم لها بما علمت . فالحذر الحذر والجد الجد ، فانه ﴿لا ينبئك مثل خبير﴾ إن من عزائم الله في الذكر الحكيم التي لها يرضى ولها يسخط ولها يثيب وعليها يعاقب: أنه ليس بمؤمن - وإن حسن قوله وزين وصفه وفضله غيره - إذا خرج من الدنيا فلقى الله بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها : الشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته ، أو شفاء غيظ بهلاك نفسه، أو يقرّ بعمل فعل بغيره ، أو يستنجد حاجة إلى الناس بإظهار بدعة في دينه، أو سره أن يحمده الناس بما لم يفعل من خير ، أو مشى في الناس بوجهين ولسانين، والتجبر والابهة . واعلم واعقل ذلك فإنّ المثل دليل على شبهه. إن البهائم همّها بطونها وإن السباع همّها التعدي والظلم، وإن النساء همّه زينة الدنيا والفساد فيها، وإن المؤمنين مشفقون مستكينون خائفون»^(١).

(١) تحف العقول ؛ لابن شعبة الحراني : ١٥٤ ١٥٦ .

[الخطبة (١٥٦)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت / ٣٦٠ هـ) في «المعجم الكبير»، قال: حدثنا محمد بن علي بن عبد الله المروزي ثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن المنيب حدثني إسحاق بن عبد الله بن جلس عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال علي: يا رسول الله إنك قلت لي يوم أحد حين أخرجت عن الشهادة واستشهد: من استشهد إن الشهادة من ورائك؟ قال: كيف صبرك إذا خضبت هذه من هذه - وأهوى بيده إلى لحيته ورأسه -؟ فقال: علي أما بينت ما بينت فليس ذلك من مواطن الصبر، ولكن هو من مواطن البشري والكرامة»^(١).

[الخطبة (١٥٧)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «الخطبة الثانية والخمسون بعد المائة ورد فيها: عباد الله: الله الله في أعز الانفس عليكم [ج ٢ ص ٢٦٧] رواه علي بن محمد الواسطي في عيون الحكم والمواعظ إبحار الانوار ج ١٧ ص ١١٣». (انتهى)^(٢).

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن أبي محمد الحسن بن شعبة الحراني (ت / ٣٣٦ - ح) في تحف العقول مما رواه في خطبته عليه السلام المعروفة بالديباج ونصها: «الحمد لله فاطر الخلق وخالق الاصباح ومنشر الموتى وباعث من في القبور وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ. عباد الله! إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله جل ذكره الايمان بالله وبرسوله وما جاءت به من عند

(١) المعجم الكبير؛ للطبراني ١١: ٢٩٥ ط / دار احياء التراث العربي.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

الله والجهاد في سبيله ، فإنه ذروة الاسلام وكلمة الاخلاص ، فإنها الفطرة . وإقامة الصلاة ، فإنها الملة . وإيتاء الزكاة ، فإنها فريضة . وصوم شهر رمضان فإنه جنة حصينة . وحج البيت والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر ويكفران الذنب ويوجبان الجنة . وصلة الرحم ، فإنها ثروة في المال ومنسأة في الاجل وتكثير للعدد . والصدقة في السر فإنها تكفر الخطأ وتطفئ غضب الرب تبارك وتعالى . والصدقة العلانية ، فإنها تدفع ميتة السوء . وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع السوء . وأفيضوا في ذكر الله جل ذكره فإنه أحسن الذكر ، وهو أمان من النفاق وبراءة من النار وتذكير لصاحبه عند كل خير يقسمه الله جل وعز ، وله دويّ تحت العرش . وارغبوا فيما وعد المتقون ، فإن وعد الله أصدق الوعد وكل ما وعد فهو آت كما وعد ، فاقتدوا بهدي رسول الله ﷺ فإنه أفضل الهدي ، واستنّوا بسنته . فإنها أشرف السنن . وتعلموا كتاب الله تبارك وتعالى ، فإنه أحسن الحديث وأبلغ الموعظة ، وتفقهوا فيه ، فإنه ربيع القلوب . واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما الصدور . وأحسنوا تلاوته ، فإنه أحسن القصص ، « وإذا قرئ عليكم القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » وإذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم منه لعلكم تفلحون . فاعلموا عباد الله ! أن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله ، بل الحجة عليه أعظم وهو عند الله ألو ، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه مثل ما على هذا الجاهل المتحير في جهله ، وكلاهما حائر بائر مضل مفتون ، متبور ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون .

عباد الله ! لا ترتابوا فتشكوا . ولا تشكوا فتكفروا . ولا تكفروا فتندموا ، ولا ترخصوا لانفسكم فتدهنوا ، وتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة فتهلكوا . ولا تدهنوا في الحق إذا ورد عليكم وعرفتموه فتخسروا خسرانا مبينا .

عباد الله ! إن من الحزم أن تتقوا الله . وإن من العصمة ألا تغتروا بالله .

عباد الله ! إن أنصح الناس لنفسه : أطوعهم لربه ، وأغشهم لنفسه : أعصاهم له .

عباد الله ! إنه من يطع الله يأمن ويستبشر ومن يعصه يخب ويندم ولا يسلم .

عباد الله ! سلوا الله اليقين ، فإن اليقين رأس الدين وارغبوا إليه في العافية ، فإن أعظم النعمة العافية ، فاغتنموها للدنيا والآخرة وارغبوا إليه في التوفيق ، فإنه أس وثيق ، واعلموا أن خير ما لزم القلب اليقين وأحسن اليقين التقى ، وأفضل أمور الحق عزائمها ، وشرها محدثاتها . وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة . وبالبدع هدم السنن . المغبون من غبن دينه ، والمغبوط من سلم له دينه وحسن يقينه . والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من انخدع لهواه .

عباد الله ! اعلّموا أن يسير الرياء شرك . وأن إخلاص العمل اليقين . والهوى يقود إلى النار . ومجالسة أهل اللهو ينسي القرآن ويحضر الشيطان . والنسيئ زيادة في الكفر ، وأعمال العصاة تدعو إلى سخط الرحمن . وسخط الرحمن يدعو إلى النار . ومحادثة النساء تدعو إلى البلاء وتزيغ القلوب . والرمق لهن يخطف نور ابصار القلوب ، ولمح العيون مصائد الشيطان . ومجالسة السلطان يهيج النيران .

عباد الله ! اصدقوا ، فإن الله مع الصادقين . وجانبوا الكذب ، فإنه بجانب للإيمان وإن الصادق على شرف منجاة وكرامة . والكاذب على شفا مهواة وهلكة . وقولوا الحق تعرفوا به . واعملوا به تكونوا من أهله . وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها . وصلوا أرحام من قطعكم . وعودوا بالفضل على من حرمكم . وإذا عاقدتم فأوفوا . وإذا حكمتهم فاعدلوا . وإذا ظلمتم فاصبروا . وإذا أسئ إليكم فاعفوا واصفحوا كما تحبون أن يعفى عنكم . ولا تفاخروا بالآباء ﴿ ولا تنازروا باللقاب ﴾ بس الاسم الفسوق بعد الإيمان ﴿ ولا تمازحوا ولا تغاضبوا ولا تباذخوا ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ ولا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب ، ولا تباغضوا فإنها الحالقة ، وأفشوا السلام في العالم وردّوا التحية على أهلها بأحسن منها . وارحموا الارملة واليتيم ، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب والمكاتب والمساكين ، وانصروا المظلوم وأعطوا الفروض ، وجاهدوا أنفسكم في الله حق جهاده . فإنه شديد العقاب وجاهدوا في سبيل الله . واقروا الضيف . وأحسنوا الوضوء

وحافظوا على الصلوات الخمس في أوقاتها فإنها من الله جل وعز بمكان ، «ومن تطوع خيرا فهو خير له فإن الله شاكر عليم» . «تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان» . و«اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون» .

واعلموا عباد الله ! أن الامل يذهب العقل ويكذب الوعد ويحث على الغفلة ويورث الحسرة ، فاكذبوا الامل فإنه غرور وإن صاحبه مأزور . فاعملوا في الرغبة والرغبة فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا واجمعوا معها رغبة ، فإن الله قد تأذن للمسلمين بالحسنى ولمن شكر بالزيادة فإني لم أر مثل الجنة نام طالبا ولا كالنار نام هاربا ، ولا أكثر مكتسبا ممن كسبه . اليوم تذخر فيه الذخائر وتبلى فيه السرائر . وإن من لا ينفعه الحق يضره الباطل . ومن لا يستقيم به الهدى تضره الضلالة . ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك . وإنكم قد امرتم بالظعن ودلتم على الزاد ، ألا إن أخوف ما أتخوف عليكم إثنان : طول الامل واتباع الهوى . ألا وإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بانقلاع ألا وإن الآخرة قد أقبلت وآذنت باطلاع . ألا وإن المضمار اليوم والسباق غدا . ألا وإن السبقة الجنة والغاية النار . ألا وإنكم في أيام مهل من ورائه أجل يحثه العجل . فمن أخلص لله عمله في أيامه قبل حضور أجله نفعه عمله ولم يضره أجله ، ومن لم يعمل في أيام مهله ضره أجله ولم ينفعه عمله .

عباد الله ! افزعوا إلى قوام دينكم بإقام الصلاة لوقتها . وإيتاء الزكاة في حينها والتضرع والخشوع . وصلة الرحم . وخوف المعاد . وإعطاء السائل . وإكرام الضعيفة والضعيف ، وتعلم القرآن والعمل به . وصدق الحديث . والوفاء بالعهد . وأداء الامانة إذا ائتمنت . وارغبوا في ثواب الله وارهبوا عذابه . وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . وتزودوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم . واعملوا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدم الخير . أقول قولي واستغفر الله لي ولكم .^(١)

(١) تحف العقول ؛ لابن شعبة الحراني : ١٤٩ - ١٥٣ .

[الخطبة (١٥٨)]

قال الجلالى: تقدمت أطراف منها فى الخطبة (٨٩) برواية الكلينى (ت / ٣٢٨ هـ) ،
فراجع.

[الخطبة (١٦٠)]

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الطوسى (ت /
٤٦٠ هـ) فى «الأمالى»، قال: أخبرنا ابن مخلص ، قال: أخبرنا الخلدى ، قال: حدثنا الحسن
بن على القطان ، قال: حدثنا عباد بن موسى الختلى قال: حدثنا أبو إسماعيل إبراهيم بن
سليمان المؤدب ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال: كان
رسول الله ﷺ يجلس على الأرض ، ويأكل على الأرض ، ويعتقل الشاة ، ويجيب دعوة
المملوك على خبز الشعير .^(١)

(١) الأمالى: للشيخ الطوسى: ٣٩٣.

[الكلام (١٦٢)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواه الشيخ المفيد في الارشاد (١٧٠). (انتهى)^(١) قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما اروي به بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١هـ) في علل الشرائع قال: حدثنا أبو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن اسماعيل بن حكيم العسكري قال: اخبرنا أبو إسحاق إبراهيم رعل العبشمي قال: حدثنا ثبيت بن محمد قال: حدثني أبو الاحوص عمن حدثه ، عن آبائه ، عن أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام قال: بينما أمير المؤمنين عليه السلام في أصعب موقف بصفين إذ أقبل عليه رجل من بني دودان ، فقال له: لم دفعكم قومكم عن هذا الامر وكنتم أفضل الناس علما بالكتاب والسنة ؟ فقال: يا أخا بني دودان ولك حق المسألة وذمام الصهر فإنك قلق الوضين ، ترسل في غير سدد ، كانت إمرة شحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين ، ولنعم الحكم الله ، والزعيم محمد عليه السلام . ودع عنك نهبا صيح في حجراته،^(٢) وهلم الخطب في ابن أبي سفيان . - فقد أضحكني الدهر بعد ابكائه - .

ولاغروإلا جارتني وسؤالها ألاه ل لنا أهل سألت كذلك

بئس القوم من خفضني ، وحاولوا الادهان في دين الله ، فإن ترفع عنا محن البلوى أحملهم من الحق على محضه ، وان تكن الاخرى فلا تأس على القوم الفاسقين، اليك عني يا أخا بني دودان.^(٣)

وبالاسناد عن الشيخ الصدوق أيضاً في «الأمالى»: حدثنا الحسين بن عبد الله بن سعيد العسكري ، قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن رعل العبشمي ، قال: حدثنا ثبيت بن محمد ، قال: حدثنا أبو الاحوص المصري ، قال: حدثنا جماعة من أهل العلم ، عن

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) هذا صدر بيت، وعجزه، فان حديثاً ما حديث الرواجل.

(٣) علل الشرائع: للشيخ الصدوق ١: ١٤٥.

الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده عليه السلام ، قال: بينما أمير المؤمنين صلوات الله عليهم في أصعب موقف بصفين ، إذ قام إليه رجل من بني دودان ، فقال: ما بال قومكم دفعوكم عن هذا الامر ، وأنتم الاعلون نسبا ، وأشد نوطا بالرسول ، وفهما بالكتاب والسنة ؟ فقال: سألت - يا أخا بني دودان - ولك حق المسألة ، وذمام الصهر ، وإنك لقلق الوضين ، ترسل عن ذي مسد ، إنها إمرة شحّت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين ، ونعم الحكم الله . فدع عنك نهبا صيح في حجراته ، وهلم الخطب في ابن أبي سفيان ، فلقد أضحكني الدهر بعد إيكائه .

لا غرو إلا جارتني وسؤالها ألا هل لنا أهل سألت كذلك

بئس القوم من خفضي ، وحاولوا الادهان في دين الله ، فإن ترفع عنا محن البلوى أحملهم من الحق على مخضه ، وإن تكن الاخرى فلا ﴿تأس على القوم الفاسقين﴾ إليك عني ، يا أخا بني دودان .^(١)

(١) الأُمالي؛ للشيخ الصدوق: ٧٩٦.

[الخطبة (١٦٣)]

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن أبي نعيم الاصفهاني (ت / ٤٣٠ هـ)، قال: حدثنا احمد بن ابراهيم بن جعفر ثنا محمد بن يونس السامي ثنا ابو نعيم ثنا حيان بن علي عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس. أن علي بن أبي طالب أرسله إلى زيد بن صوحان، فقال: يا أمير المؤمنين إني ما علمتك لبذات الله عليم، وإن الله لفي صدرك عظيم».

حدثنا أبو بكر احمد بن محمد بن الحارث ثنا الفضل بن الحباب الجمحي ثنا مسدد ثنا عبد الوارث بن سعيد عن محمد بن اسحاق عن النعمان بن سعد، قال: كنت بالكوفة في دار الأمارة، دار علي بن أبي طالب، إذ دخل علينا نوف بن عبد الله فقال: يا أمير المؤمنين: بالباب أربعون رجلاً من اليهود. فقال علي: عليّ بهم. فلما وقفوا بين يديه قالوا له: يا علي صف لنا ربك هذا الذي السماء كيف هو؟ وكيف كان؟ ومتى كان؟ وعلى أى شئ هو؟ فاستوى عليّ جالساً وقال: معشر اليهود اسمعوا مني ولا تبالوا أن لا تسألوا أحداً غيري: إن ربي عز وجل هو الأول لم يبد ممماً، ولا ممازج مع ما، ولا حال وهماً، ولا شبح يتقصى، ولا محجوب فيحوى، ولا كان بعد أن لم يكن فيقال: حادث. بل جل أن يكيف المكيف للأشياء كيف كان. بل لم يزل ولا يزول لا اختلاف الأزمان، ولا لتقلب شأن بعد شأن، وكيف يوصف بالأشباح، وكيف ينعت بالألسن الفصاح، من لم يكن في الأشياء فيقال: بائن، ولم بين عنها فيقال: كائن، بل هو بلا كيفية. وهو أقرب من حبل الوريد، وأبعد في الشبه من كل بعيد، لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة، ولا كرو لفظة، ولا ازدلاف رقوة، ولا انبساط خطوة، في غسق ليل داج، ولا ادلاج، لا ينجش عليه القمر المنير، ولا انبساط الشمس ذات النور بضوئهما في الكروور، ولا اقبال ليل مقبل، ولا ادبار نهار مدبر، إلا وهو محيط بما يريد من تكوينه. فهو العالم بكل مكان وكل حين وأوان، وكل نهاية

ومدة. والأمد إلى الخلق مضروب، والحد إلى غيره منسوب، لم يخلق الأشياء من أصول أولية، ولا بأوائل كانت قبله بديّة، بل خلق ما خلق فأقام خلقه، وصوّر ما صوّر فأحسن صورته، توخّد في علوه فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة شيء من خلقه انتفاع، اجابته للداعين سريعة، والملائكة في السموات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين كعلمه بالأحياء المتقلين، وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الأرض السفلى وعلمه بكل شيء. لا تحيره الأصوات، ولا تشغله اللغات، سميع للأصوات المختلفة، بلا جوارح له مؤتلفة، مدبر بصير، عالم بالأمور، حيّ قيوم. سبحانه كلم موسى تكليما بلا جوارح ولا أدوات، ولا شفة ولا لهوات سبحانه وتعالى عن تكيف الصفات، من زعم أنّ إلهنا محدود، فقد جهل الخالق المعبود، ومن ذكر أنّ الأماكن به تحيط، لزمته الحيرة والتخليط، بل هو المحيط بكل مكان، فإن كنت صادقا أيها المتكلف لوصف الرحمن، بخلاف التنزيل والبرهان، فصف لى جبريل وميكائيل وإسرافيل، هيهات، أتعجز عن صفة مخلوق مثلك، وتصف الخالق المعبود؟ وأنت [لا] تدرك صفة رب الهيبة والأدوات، فكيف من لم تأخذه سنة ولا نوم؟ له ما في الأرضين والسموات وما بينهما وهو رب العرش العظيم».

قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث النعمان كذا رواه ابن اسحاق عنه مرسلًا^(١).

وبالاسناد عن المتقي الهندي في «كنز العمال»: عن محمد بن اسحاق عن النعمان بن سعد، أن أربعين من اليهود دخلوا على عليّ فقالوا له: صف لنا ربك هذا الذي في السماء، كيف هو؟ وكيف كان؟ ومتى كان؟ وعلى أي شيء هو؟ فقال عليّ: معشر اليهود اسمعوا مني ولا تبالوا ان تسألوا احدا غيري، ان ربي عز وجل هو الاول لم يبد من ما ولا ممازج معما، لا حال وهما، ولا شبح يتقصا، ولا محجوب فيحوى، ولا كان بعد أن يكن فيقال: حادث، بل جل ان يكيّف بتكيف الاشياء كيف كان، بل لم يزل ولا يزول لاختلاف

(١) حلية الاولياء؛ لابي نعيم الاصفهاني: ١: ٧٢-٧٣.

الازمان ولا تقلّب شأن بعد شأن، وكيف يوصف بالاشباح وكيف ينعت بالالسن الفصاح من لم يكن الاشياء فقال: ^(١)كائن، ولم يبين منها فيقال: بائن، بل هو بلا كيفية وهو اقرب من حبل الوريد وابعد في الشبه من كل بعيد، لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ولا كرور لفظة ولا ازدلاف ربوة ولا انبساط خطوة في غسق ليل داج ولا ادلاج، ولا يتغشى عليه القمر المنير، ولا انبساط الشمس ذات النور بضوءهما في الكرور، ولا اقبال ليل مقبل ولا ادبار نهار مدبر إلا وهو محيط بما يريد من تكوينه، فهو العالم بكل مكان وكل حين وأوان وكل نهاية ومدة، والامد إلى الخلق مضروب، والحد إلى غيره منصوب، لم يخلق الاشياء من اصول اولية ولا باوائل كانت قبله بديّة، بل خلق ما خلق فاقام خلقه فصورّ فاحسن صورته، توخّد في علوّه فليس لشيء منه امتناع ولا له بطاعة شيء من خلقه انتفاع، اجابته للداعين شريعة، والملائكة في السموات والارضين له مطيعة، علمه بالاموات البائدين كعلمه بالاحياء المنقلبين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى، وعلمه بكل شيء لا تحيّر الاصوات ولا تشغله اللغات سميع للأصوات المختلفة فلا جوارح فيه مؤتلفة، مدبر بصير عالم بالامور حيّ قيوم، سبحانه، كلّم موسى تكليما بلا جوارح ولا ادوات ولا شفة ولا لهوات، سبحانه وتعالى عن تكليف، من زعم أن آلهنا ممدود والحلية ممدود. فقد جهل الخالق المعبود، ومن ذكر أن الاماكن به تحيط لزمته الحيرة والتخليط، بل هو المحيط بكل مكان، فان كنت صادقا أيها المتكلّف لوصف الرحمن بخلاف التنزيل فصف لنا جبرئيل وميكائيل واسرافيل، هيهات، أتعجز عن صفة مخلوق مثلك وتصف الخالق المعبود؟ وانما لا تدرك صفه رب الهيئة والادوات فكيف من لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وهو رب العرش العظيم (حل، وقال: من حديث النعمان؛ كذا رواه ابن اسحاق مرسلا). ^(٢)

(١) لعل الصحيح: فيقال.

(٢) كنز العمال؛ للمثقي الهندي ١: ٤٠٨ - ٤١٠، الحديث رقم ١٧٣٧.

[الخطبة (١٦٤)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ): «قوله ﷺ: ان الناس ورائي وقد استسفروني... الى آخره، قال في الشرح: ذكر ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ الكبير هذا الكلام الى أن قال: وروى الكلام الى آخره بالفاظه»^(١).

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواه احمد بن يحيى البلاذري المتوفى ٢٧٩ (٨٩٢م) في أنساب الأشراف [ج ٥ ص ٦٠ والطبري في التاريخ [ج ٥ ص ٩٦ وابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٧٣ وابن مسكويه في تجارب الامم [ج ١ ص ٤٧٨ و الشيخ المفيد في كتاب الجمل (٨٤)». انتهى^(٢).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في الجمل، قال: وروى المدائني عن علي بن صالح قال: ذكر ابن دأب قال: لما عاب الناس على عثمان ما عابوا كلّموا عليا فيه فدخل عليه وقال: ان الناس ورائي قد كلموني فيك، فوالله ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئا تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، انك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغك، وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله ﷺ كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن أبي الخطاب بأولى بشيء من عمل الخير منك، وأنت أقرب إلى رسول الله وقد نلت من صهره ما لا ينال ولا سبقاك إلى شيء، فالله الله في نفسك فانك والله لا تبصر من عمى ولا تعلم من جهل، وان الطريق لواضح بين وان أعلام الدين لقائمة، تعلم يا عثمان ان أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى وهدى، فأقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة، فوالله ان كلا لبيّن، وان السنن لقائمة لها أعلام، وان البدع لظاهرة لها أعلام، وان

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٣.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به، فأما سنة معلومة وأحبي بدعة متروكة، وإنني سمعت رسول الله يقول: يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلحق في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتطم في غمرة جهنم، وإنني أحذرك الله واحذرك سطوته وتقماته فان عذابه شديد أليم، واحذرك أن تكون إمام هذه الامة المقتول، فانه كان يقال: يقتل في هذه الامة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة وتلبس امورها عليها وتنشب الفتن فلا يبصرون الحق لعلو الباطل، يمجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا. فقال له عثمان: كَلِّم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم، فقال ﷺ: ما كان في المدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله وصول امرك إليهم، فقال عثمان: والله قد علمت ما تقول، أما والله لو كنت بمكاني ما أغضبتك ولا عتبت عليك ولا جئت منكرا ولا عملت سوء إن وصلت رحماً أو سددت خلة»^(١).

وبالاسناد عن ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»، قال: «وقد ذكرنا من الاحداث التي تقمت على عثمان فيما تقدم ما فيه كفاية، وقد ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله في التاريخ الكبير، هذا الكلام، فقال: ان نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ تكاتبوا، فكتب بعضهم إلى بعض: أن اقدموا، فإن الجهاد بالمدينة لا بالروم، واستطال الناس على عثمان، ونالوا منه، وذلك في سنة أربع وثلاثين، ولم يكن أحد من الصحابة يذب عنه ولا ينهى، إلا نفر، منهم زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، فاجتمع الناس، فكلّموا على بن أبي طالب ﷺ وسألوه أن يكلم عثمان، فدخل عليه وقال له: إن الناس... وروى الكلام إلى آخره بألفاظه، فقال عثمان: وقد علمت أنك لتقولن ما قلت! أما والله لو كنت مكاني ما عنفتك، ولا عتبت عليك، ولم آت منكرا، إنما وصلت رحما، وسددت خلة، وآويت ضائعا، ووليت شبيها بمن كان عمر يوليه، أنشدك الله يا علي، ألا تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك! قال: بلى، قال: أفلا تعلم أن عمر ولاه! قال: بلى، قال: فلم تلومني ان وليت ابن عامر في رحمه وقرابته؟!»

(١) الجمل؛ للشيخ المفيد: ١٠٠ - ١٠١.

فقال علي عليه السلام: إن عمر كان يظاً على صماخ من يوليه، ثم يبلغ منه إن أنكر منه أمراً أقصى العقوبة، وأنت فلا تفعل، ضعفت ورققت على أقربائك. قال عثمان: هم أقرباؤك أيضاً، فقال علي: لعمرى إن رحمهم مني لقريبة ولكن الفضل في غيرهم. فقال عثمان: أفلا تعلم أن عمر ولي معاوية! فقد وليته. قال علي: أنشدك الله ألا تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من يرفاً غلامه له؟ قال: بلى، قال: فان معاوية يقطع الامور دونك، ويقول للناس: هذا بأمر عثمان وأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه! ثم قام علي، فخرج عثمان على أثره، فجلس على المنبر، فخطب الناس، وقال: أما بعد، فان لكل شيء آفة، ولكل أمر عاهة، وإن آفة هذه الامة، وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون، يرونكم ما تحبون، ويسرون عنكم ما تكرهون، يقولون لكم وتقولون، أمثال النعام يتبع أول ناعق، أحب مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلا نغصاً، ولا يردون إلا عكراً. أما والله لقد عبت علي ما أقررت لابن الخطاب بمثله، ولكنه وطئكم برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتكم وكرهتم، ولنت لكم، وأوطأتكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم، فاجترأتم علي. أما والله لا أنا أقرب ناصراً وأعز نفراً وأكثر عدداً، وأحرى إن قلت: هلم، أن يجاب صوتي. ولقد أعددت لكم أفراناً وكشرت لكم عن نابي، وأخرجتم مني خلقاً لم أكن أحسنه، ومنطقاً لم أكن أنطق به. فكفوا عني ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم، فما الذي تفقدون من حقكم! والله ما قصرت عن بلوغ من كان قبلي يبلغ، وما وجدتم تختلفون عليه، فما بالكم! فقام مروان بن الحكم فقال: وإن شئتم حكماً بيننا وبينكم السيف. فقال عثمان: اسكت لا سكت! دعني وأصحابي، ما منطقك في هذا؟! ألم أقدم إليك ألا تنطق؟! فسكت مروان، ونزل عثمان.^(١)

(١) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد ٩: ٢٦٤.

[الخطبة (١٦٦)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الكليني في كتاب الروضة من فروع «الكافي» [ج ٣ ص ٣١] مما يلوح أنها جزء من الخطبة ٨٤». (انتهى).^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويّه بالاسناد عن الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) المتقدمة في الخطبة (٨٨)، فراجع المقطع الأخير منها.

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن علي قال: «لا يزال بلاء بني أمية شديدا حتى يبعث الله العصب»^(٢). مثل قزع الخريف، يأتون من كل وجه لا يستأمرون أميرا مأمورا، فإذا كان ذلك أذهب الله نور ملك بني أمية». (نعيم).^(٣)

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) قال ابن الاثير: وفيه: ثم يكون في آخر الزمان أمير العصب، العصب جمع عصبة، كالعصابة، ولا واحد لها من لفظها. (النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٤٤).

(٣) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١١: ٣٥٦، ح ٣١٧٦٠.

[الخطبة (١٦٧)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: أن الله أنزل كتابا هاديا... إلى آخره. قيل انها اول خطبة خطبها ﷺ حين استخلف، وقد رواها ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ج ٥ ص ١٥٧)»^(١).

قال الجلالى: ومن شواهد الاطراف ما ارويه بالاسناد عن البخاري (ت / ٢٥٩ هـ) في صحيحه، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، قال: حدثنا آدم بن أبي اياس قال: حدثنا شعبة عن عبد الله بن أبي السفر واسماعيل عن الشعبي عن عبد الله ابن عمرو عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

قال أبو عبد الله: وقال أبو معاوية: حدثنا داود عن عامر قال: سمعت عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ، وقال عبد الاعلى عن داود عن عامر عن عبد الله عن النبي ﷺ. وفي باب أي الاسلام أفضل، قال: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد القرشى قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو بردة بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي موسى ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله أي الاسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٢).

وبالاسناد عن مسلم النيسابوري (ت / ٢٦١ هـ) في صحيحه، قال: وحدثنا أبو الطاهر احمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح المصرى اخبرنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول ان رجلا سأل رسول الله ﷺ أي المسلمين خير قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده».

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٣.

(٢) صحيح البخاري ١: ٨.

وعنه قال: حدثنا حسن الحلواني وعبد بن حميد جميعا عن أبي عاصم قال: عبد أنبأنا أبو عاصم عن ابن جريج انه سمع ابا الزبير يقول: سمعت جابرا يقول سمعت النبي ﷺ يقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد الاموى قال: حدثني أبي حدثنا أبو بردة بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قلت يا رسول الله أي الاسلام افضل قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»، وحدثني ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا أبو اسامة قال: حدثني يزيد بن عبد الله بهذا الاسناد قال: سئل رسول الله ﷺ أي المسلمين افضل، فذكر مثله.^(١)

(١) صحيح مسلم ١ : ٤٧.

[الخطبة (١٦٩)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «روى الطبري في تاريخه هذه الخطبة الى قوله رضى الله عنه: حتى يأمر الامر الى غيركم إجماع ٥ ص ١٦٣». (انتهى)^(١)

[الخطبة (١٧٠)]

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما اروي به بالاسناد عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في الجمل قال: وروى الواقدي عن شيان بن عبد الرحمن عن عامر بن كليب عن أبيه قال: لما قتل عثمان ما لبثنا إلا قليلا حتى قدم طلحة والزبير البصرة، ثم ما لبثنا بعد ذلك إلا يسيرا حتى أقبل علي بن أبي طالب بذي قار، فقال شيخان من الحي: اذهب بنا إلى هذا الرجل فلننظر ما يدعو إليه، فلما اتينا ذا قار قدمنا على أذكى العرب، فوالله لدخل على نسب قومي فجعلت أقول هو اعلم به مني واطوع فيهم، فقال: من سيد بني راسب؟ فقلت: فلان، قال: فمن سيد بني قدامة؟ قلت: فلان لرجل آخر فقال: انت مبلغهما كتابين مني؟ قلت: نعم، قال: أفلا تبايعاني؟ فبايعه الشيخان اللذان كانا معي وتوقفت عن بيعته فجعل رجال عنده قد أكل السجود وجوههم يقولون: بايع بايع، فقال عليه السلام: دعوا الرجل، فقلت: انما بعثني قومي رائدا وسأنهاي إليهم ما رأيت فان بايعوا بايعت وان اعتزلوا اعتزلت، فقال لي: رأيت لو ان قومك بعثوك رائدا فرأيت روضة وغديرا فقلت: يا قومي النجعة النجعة فأبوا، ما كنت بمستنجد بنفسك؟ فأخذت باصبع من أصابعه فقلت: أبايع على ان اطيعك ما اطعت الله فإذا عصيته فلا طاعة لك علينا. فقال: نعم، وطول صوته فضربت على يده، ثم التفت إلى محمد بن حاطب وكان من ناحية القوم فقال: إذا انطلقت

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

إلى قومك فأبلغهم كتبتي وقولي، فتحول إليه محمد حتى جلس بين يديه، فقال: ان قومي إذا اتيتهم يقولون ما يقول صاحبك في عثمان فسب عثمان الذين حوله، فرأيت عليا قد كره ذلك حتى رشح جبينه، وقال: ايها القوم كفّوا، ما إياكم يسأل ولا عنكم سائل، قال: فلم أبرح عن العسكر حتى قدم على عليّ أهل الكوفة فجعلوا يقولون: نرى اخواننا من اهل البصرة يقاتلوننا، وجعلوا يضحكون ويعجبون ويقولون: والله لو التقينا لتعطينا الحق، كأنهم يرون أنهم لا يقتلون، وخرجت بكتاب عليّ عليه السلام فأتيت أحد الرجلين فقبل الكتاب وأجابه ودللت على الآخر وكان متواريا، فلو أنهم قالوا له: كليب، ما اذن لي فدخلت عليه ودفعت الكتاب إليه وقلت: هذا كتاب عليّ واخبرته الخبر، وقلت: اني اخبرت عليا إنك سيد قومك، فأبى أن يقبل الكتاب ولم يجبه إلى ما سأله وقال: لا حاجة لي اليوم في السؤدد، فوالله اني لبالبصرة ما رجعت إلى علي حتى نزل العسكر ورأيت الغر الذين مع عليّ عليه السلام وطلع القوم. ^(١)

[الكلام (١٧١)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: اللهم رب السقف المرفوع....، ويروى: المحفوظ، رواه الطبري الى قوله: واعصمنا من الفتنة، ورواه غيره»^(١). وقال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الطبري في تاريخه ج ٦ ص ٨ ورواها ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفين (١١٩)». (انتهى)^(٢).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن نصر بن مزاحم المنقري في «وقعة صفين»، قال نصر: فحدثني عمر بن سعد، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب أن عليا خرج إليهم فاستقبلوه فقال: «اللهم رب هذا السقف المحفوظ المكفوف الذي جعلته مغيضا لليل والنهار، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر، ومنازل الكواكب والنجوم، وجعلت سكانه سبطا من الملائكة لا يسأمون العبادة، ورب هذه الأرض التي جعلتها قرارا للأنام والهوام والأنعام وما لا يحصى مما يرى ومما لا يرى من خلقك العظيم، ورب الفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض، ورب البحر المسجور المحيط بالعالمين، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتادا وللخلق متاعا، إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي، وسددنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة، واعصم بقية أصحابي من الفتنة»^(٣).

وبالاسناد عن ابن طاووس (ت / ٦٦٤ هـ) في كتاب الدعاء والذكر تصنيف الحسين بن سعيد الاهوازي رحمه الله باسناده عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان من دعاء أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم صفين: «اللهم رب هذا السقف المرفوع، المكفوف المحفوظ، الذي جعلته مغيض الليل والنهار، وجعلت فيها مجارى الشمس

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٣.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) وقعة صفين؛ لنصر بن مزاحم المنقري: ٢٣٢.

والقمر، ومنازل الكواكب والنجوم، وجعلت ساكنه سبطا من الملائكة لا يسأمون العبادة، ورب هذه الارض التي جعلتها قرارا للناس والانعام والهوام، وما نعلم وما لا نعلم، مما يرى ومما لا يرى من خلقك العظيم، ورب الجبال التي جعلتها للارض أوتادا، وللخلق متاعا، ورب البحر المسجور المحيط بالعالم، ورب السحاب المسخر بين السماء والارض ورب الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس إن أظفرتنا على عدونا فجنبنا الكبر وسددنا للرشد، وإن اظفرتهم علينا فارزقنا الشهادة، واعصم بقية أصحابي من الفتنة».

وهذا آخر الدعاء، وكان فيه: «أظفرتنا» «أظفرتهم» ولعلها: «أظهرتنا» و «أظهرتهم» لأجل انه قال بعدهما: «عليّ»، ولو كانت «أظفرتنا» كانت بعدها «بأعدائنا»، وإن كانت حروف الخفض يقوم بعضها مقام بعض^(١).

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٨٥ هـ) في «كنز العمال» عن علي في قوله تعالى: «والسقف المرفوع» قال: «السماء». (ابن راهويه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ ك هب)^(٢)

(١) مهج الدعوات: ١٠٢، ط / ١٣٩٩ هـ، وعنه بحار الأنوار؛ للعلامة المجلسي ٩١: ٢٤١.
(٢) كنز العمال ٢٠: ٥١٣،

[الخطبة (١٧٢)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الثقفى في كتاب الغارات لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٦٥ مفصلاً، وروى الشيخ المفيد منها الجزء الثالث في كتاب الجمل (٤٤٥ و ٧٦) بألفاظ قريبة المعنى من ما ورد في نهج البلاغة». انتهى^(١).
قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما رويته بالاسناد عن الثقفى والسيد ابن طاووس في الخطبة (٢٦)، فراجع.

[الخطبة (١٧٣)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «الخطبة الثامنة والستون بعد المائة، وردت فيها الكلمات التالية: «ألا وإن هذه الدنيا التى أصبحتتم تتمنونها وترغبون فيها ليست بداركم ... الى آخره. [ج ٢ ص ١٠٦]. روى الحرانى هذه الكلمات إلى قوله: «لا تبقون عليها» في تحف العقول (٤٢)». انتهى^(٢).
قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن ابن شعبة الحرانى (ت / ٣٣٦- ح) في تحف العقول: خطبته عليه السلام عندما انكر عليه قوم تسويته بين الناس في الفئ، قال عليه السلام: أما بعد، أيها الناس فإننا نحمد ربنا وإلهنا وولي النعمة علينا، ظاهرة وباطنة بغير حول منا ولا قوة إلا امتنانا علينا وفضلاً، ليلبونا أنشكر أم نكفر، فمن شكر زاده ومن كفر عذبه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحدا صمدا . وأشهد أن محمدا عبده

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) راجع استناد نهج البلاغة، ح ٨١.

ورسوله، بعثه رحمة للعباد والبلاد والبهاائم والانعام، نعمة أنعم بها ومنا وفضلاً ﷺ .
 فافضل الناس - أيها الناس - عند الله منزلة وأعظمهم عند الله خطراً: أطوعهم لأمر الله وأعملهم بطاعة الله وأتبعهم لسنة رسول الله ﷺ وأحياهم لكتاب الله، فليس لاحد من خلق الله عندنا فضل إلا بطاعة الله وطاعة رسوله واتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ. هذا كتاب الله بين أظهرنا وعهد نبي الله وسيرته فينا، لا يجهلها إلا جاهل مخالف معاند عن الله عزوجل، يقول الله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ فمن اتقى الله فهو الشريف المكرم المحب، وكذلك أهل طاعته وطاعة رسول الله يقول الله في كتابه: ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾. وقال: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فإن الله لا يحب الكافرين﴾.

ثم صاح بأعلى صوته: يا معاشر المهاجرين والانصار ويا معاشر المسلمين، أتمنون على الله وعلى رسوله بإسلامكم؟ والله ولرسوله المن عليكم إن كنتم صادقين .
 ثم قال: ألا إنه من استقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أجرنا عليه أحكام القرآن وأقسام الاسلام، ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله وطاعته، جعلنا الله وإياكم من المتقين وأوليائه وأحبابه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ثم قال: ألا إن هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنونها وترغبون فيها وأصبحت تعظكم وترميكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتكم له ولا الذي دعيتم إليه . ألا وإنها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها، فلا يغرنكم عاجلها فقد حذرتموها ووصفت لكم وجربتتموها، فأصبحتم لا تحمدون عاقبتها . فسابقوا رحمكم الله إلى منازلكم التي امرتم أن تعمروها، فهي العامرة التي لا تخرب أبداً، والباقية التي لا تنفد . رغبكم الله فيها ودعاكم إليها وجعل لكم الثواب فيها . فانظروا يا معاشر المهاجرين والانصار وأهل دين الله ما وصفتكم به كتاب الله ونزلتم به عند رسول الله، وجاهدتم عليه، فيما فضلتم به،

بالحسب والنسب ؟ أم بعمل وطاعة ؟ فاستتموا نعمه عليكم - رحمكم الله - بالصبر لانفسكم والمحافظة على من استحفظكم الله من كتابه . ألا وإنه لا يضركم تواضع شئ من دنياكم بعد حفظكم وصية الله والتقوى . ولا ينفعكم شئ حافظتم عليه من أمر دنياكم بعد تضييع ما امرتم به من التقوى ، فعليكم عباد الله بالتسليم لامره والرضا بقضائه والصبر على بلائه . فأمّا هذا الفئ فليس لأحد فيه على أحد أثره ، قد فرغ الله عز وجل من قسمه فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمون وهذا كتاب الله به أقررنا وعليه شهدنا وله أسلمنا وعهد نبينا بين أظهرنا فسلموا - رحمكم الله - فمن لم يرض بهذا فليتول كيف شاء . فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه ﴿اولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ﴿اولئك هم المفلحون﴾ ونسأل الله وإلهنا أن يجعلنا وإياكم من أهل طاعته وأن يجعل رغبتنا ورغبتكم فيما عنده . أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم»^(١)

(١) تحف العقول ؛ لابن شعبة الحراني : ١٨٣ - ١٨٥ .

[الكلام (١٧٤)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواه شيخ الطائفة في الأمالي (١٠٦) باختلاف يسير». انتهى^(١).

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما ارويه عنه رضى الله عنه وقد تقدم نصه الخطبة (٢٢) من قوله ﷺ: «والله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث»، فليراجع.

[الخطبة (١٧٦)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «الخطبة الواحدة والسبعون بعد المائة. «ألا وإن الظلم ثلاثة ... الى آخره. [ج ٢ ص ١١٦]. وروى الشيخ الصدوق هذه العبارة الأمالي (المجلس ٤٤)، كما رواها الحراني في تحف العقول (٧١) عن الامام محمد باقر رحمة الله عليه»، (انتهى).^(٢)

بالاسناد عن احمد بن حنبل في «مسنده»، وفيه: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يزيد بن الحباب، قال: أخبرني علي بن مسعدة الباهلي، قال: ثنا قتادة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجل الجنة لا يأمن جاره بوائقه».^(٣)

وبالاسناد عن احمد بن حنبل في «مسنده»، وفيه: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يزيد بن هارون انا عيينة، عن أبيه، عن أبي برزة الاسلمي، قال: خرجت يوما أمشي، فإذا بالنبي ﷺ متوجها، فظننته يريد حاجة، فجعلت أخنس عنه وأعارضه، فرأني، فإشار إلي

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) مسند احمد بن حنبل ٣: ١٩٨.

فاتيته، فاخذ يدي، فانطلقنا نمشي جميعا، فإذا نحن برجل يصلي يكثر الركوع والسجود، فقال النبي ﷺ: «أترأه مرائيا؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، فارسل يدي، ثم طبق بين كفيه فجمعهما، وجعل يرفعها بحيال منكبيه ويضعهما، ويقول: عليكم هدياً قاصداً - ثلاث مرات؛ فانه من يشاد الدين يغلبه».

وقال يزيد ببغداد: بريدة الاسلمي، وقد كان قال عن أبي برزة، ثم رجع إلى بريدة. حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا وكيع ومحمد بن بكر قال بريدة الاسلمي^(١).
ومن الموافقات: ما ارويّه بالاسناد عن مسلم النيسابوري (ت / ٢٦٠ هـ) في «صحيحه»، قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت وحديد عن انس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»^(٢).

(١) مسند احمد بن حنبل ٤: ٤٢٢.

(٢) صحيح مسلم ٨: ١٤٢.

[الخطبة (١٧٧)]

من التعقيبات: ما اروه بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «الأمالي»
قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا أحمد بن أبي عبد الله البرقي،
عن أبيه، عن هارون بن الجهم، عن المفضل بن صالح، عن سعد بن طريف، عن أبي
جعفر الباقر عليه السلام، قال: الظلم ثلاثة؛ ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله،
فأما الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل فالشرك بالله، وأما الظلم الذي يغفره الله عز وجل
فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله عز وجل، وأما الظلم الذي لا يدعه الله عز وجل
فالمداينة بين العباد.^(١)

و أيضاً بالاسناد عن الشيخ الصدوق في «الخصال» قال : حدثنا محمد بن علي
ماجيلويه عليه السلام قال: حدثني عمي محمد بن القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه،
عن هارون بن الجهم، عن المفضل بن صالح، عن سعد بن طريف، عن جعفر عليه السلام قال
الظلم الثلاثة: ظلم يغفره الله عز وجل، وظلم لا يغفره، وظلم لا يدعه، فأما الظلم الذي لا
يغفره فالشرك بالله عز وجل، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين
الله عز وجل، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد.^(٢)

(١) الأمالي: للشيخ الصدوق: ٣٢٥.

(٢) الخصال: للشيخ الصدوق: ١١٨.

[الخطبة (١٧٨)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «الأمالى»: أخبرنا أبو الحسن، عن محمد بن علي بن المفضل، عن علي بن الحسن أبي الحسن النحوي الرازي، قال: أخبرني الحسن بن علي الزفري، قال: حدثني العباس بن بكار الضبي، قال: حدثني أبو بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: الحمد لله الذي لا يحويه مكان، ولا يحده زمان، علا بطوله، ودنا بحوله، سابق كل غنيمة وفضل، وكاشف كل عزيمة وأزل، أحمدته على جود كرمه، وسبوغ نعمه، واستعينه على بلوغ رضاه، والرضا بما قضاه، وأؤمن به إيماناً، وأتوكل عليه إيقاناً. وأشهد أن لا إله إلا الله، الذي رفع السماء فبناها، وسطح الأرض فطحها، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، لا يؤوده خلق، وهو العلي العظيم. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى المشهور، والكتاب المسطور، والدين المأثور، إيلاء لعذره، وإنهاء لامره، فبلغ الرسالة، وهدى من الضلالة، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، وصلى الله عليه وآله وسلم كثيراً.

أوصيكم بتقوى الله، فإن التقوى أفضل كنز، وأحرز حرز، وأعز عز، فيها نجاة كل هارب، ودرك كل طالب، وظفر كل غالب، وأحكم على طاعة الله، فإنها كهف العابدين، وفوز الفائزين، وأمان المتقين. واعلموا - أيها الناس - أنكم سيارة، قد حدا بكم الحادي، وحدا لخراب الدنيا حادي، وناداكم للموت منادي، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور. ألا وإن الدنيا دار غرارة خداعة، تنكح في كل يوم بعلا، وتقتل في كل ليلة أهلاً، وتفرق في كل ساعة شملًا، فكم من منافس فيها، وراكن إليها من الامم السالفة، قد قذفتهم في الهاوية، ودمرتهم تدميراً، وتبرتهم تنبيراً، وأصلتهم سعيراً. أين من جمع فأوعى، وشد فأوكى، ومنع فأكدى؟ بلى أين من عسكر العساكر، ودسكر

الساكر ، وركب المنابر ، أين من بنى الدور ، وشرف القصور ، وجمهر الالوف ؟ قد تداولتهم أيامها ، ابتعلتهم أعوامها ، فصاروا أمواتا ، وفي القبور رفاتا ، قد نسوا ما خلفوا ، ووقفوا على ما أسلفوا ، « ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحق ، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » . وكأني بها وقد أشرقت بطلائعها ، وعسكرت بفظائعها ، فأصبح المرء بعد صحته مريضا ، وبعد سلامته تقيضا ، يعالج كربا ، ويقاسي تعباً ، في حشجة السباق ، وتتابع الفواق ، وتردد الانين ، والذهول على البنات والبنين ، والمرء قد اشتمل عليه شغل شاغل ، وهول هائل ، قد اعتقل منه اللسان ، وتردد منه البنان ، فأصاب مكروها ، وفارق الدنيا مسلوبا ، لا يملكون له نفعا ، ولا لما حل به دفعا ، يقول الله عز وجل في كتابه: «فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين» . ثم من دون ذلك أهوال القيامة ، ويوم الحسرة والندامة ، يوم تنصب الموازين ، وتنشر الدواوين ، بإحصاء كل صغيرة ، وإعلان كل كبيرة ، يقول الله في كتابه: «ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا» . ثم قال: أيها الناس ، الآن الآن ، من قبل الندم ، ومن قبل أن تقول نفس «يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرامة فأكون من المحسنين» ، فيرد الجليل جل ثناؤه: «بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها وأستكبرت وكنت من الكافرين» ، فوالله ما سأل الرجوع إلا ليعمل صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا .

ثم قال: أيها الناس ، الآن الآن ، ما دام الوثاق مطلقا ، والسراج منيرا ، وباب التوبة مفتوحا ، ومن قبل أن يجف القلم ، وتطوى الصحيفة ، فلا رزق ينزل ، ولا عمل يصعد ، المضمار اليوم ، والسباق غدا ، فإنكم لا تدرّون إلى جنة أو إلى نار ، واستغفر الله لي ولكم» .^(١)

(١) الأُمالي؛ للشيخ الطوسي: ٦٨٤ - ٦٨٦.

[الخطبة (١٧٩)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: لا تدركه العيون... إلى آخره. في كتاب الاصول من «الكافي»، روى كلامه لذعلب، وفيه بعض الجمل المذكورة هنا».^(١)

قال العرشي في التخريج مانصّه: «رواه الكليني في اصول «الكافي» (٣٢) والشيخ الصدوق في كتاب الامالي (المجلس ٥٥) وكتاب التوحيد (٣٢٠ و ٣٢٤) والشيخ المفيد في كتاب الارشاد (١٣١) باختلاف في الالفاظ». انتهى.^(٢)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويّه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن محمد بن أبي عبد الله رفعه عن أبي عبد الله ﷺ قال: بينا أمير المؤمنين ﷺ يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له: ذعلب، ذو لسان بليغ في الخطب، شجاع القلب، فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ قال: ويلك يا ذعلب، ما كنت أعبد ربا لم أره، فقال: يا أمير المؤمنين كيف رأيته؟ قال: ويلك يا ذعلب لم تره العيون بمشاهدة الابصار ولكن رآته القلوب بحقائق الايمان، ويلك يا ذعلب! إن ربي لطيف اللطافة لا يوصف باللفظ، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، قبل كل شئ، لا يقال: شئ قبله، وبعد كل شئ، لا يقال له: بعد، شاء الاشياء لا بهمة، درّاك لا بخديعة الاشياء كلها، غير متمازج بها ولا بائن منها، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجل لا باستهلال رؤية، ناء لا بمسافة، قريب لا بمدانة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بحركة مريد لا بهمامة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة، لا تحويه الاماكن، ولا تضمنه

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٢.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

الاقوات، ولا تحده الصفات، ولا تأخذه السنوات، سبق الاوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادته بين الاشياء عرف ان لا ضد له، وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، واليبس بالبلل، والخشن باللين، والصرد بالحرور، مؤلف بين متعادياتها، ومفروق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفروقها، وبتأليفها على مؤلفها وذلك قوله تعالى: ﴿ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ ففرق بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد له، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه كان ربا إذ لا مربوب وإلها إذ لا مألوه وعالما إذ لا معلوم وسميعا إذ لا مسموع»^(١).

وبالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «الأمالى» قال : حدثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي عليه السلام ، قال: حدثنا أحمد بن الحسن القطان وعلي بن أحمد بن موسى الدقاق ومحمد بن أحمد السناني رضى الله عنهم، قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا محمد بن العباس، قال: حدثني محمد بن أبي السري، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سعد بن طريف الكنانى، عن الاصبع بن نباتة، قال: لما جلس علي عليه السلام الخلافة وبأيعه الناس، خرج إلى المسجد متعمما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله، لابسا بردة رسول الله صلى الله عليه وآله متنعلا نعل رسول الله صلى الله عليه وآله، متقلدا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله فصعد المنبر، فجلس عليه متمكنا، ثم شبك بين أصابعه، فوضعها أسفل بطنه، ثم قال: يا معشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفظ العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا ما زفني رسول الله صلى الله عليه وآله زقا زقا، سلوني، فإن عندي علم الاولين والآخرين، أما والله لو تيتيت لي وسادة، فجلست عليها، لا فتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الانجيل بإنجيلهم حتى ينطق الانجيل فيقول: صدق

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ١: ١٣٨ ١٣٩.

علي ما كذب ، لقد أفتاكم بما أنزل الله في ، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول : صدق علي ما كذب ، لقد أفتاكم بما أنزل الله في ، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً ، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه ؟ ولولا آية في كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وبما يكون ، وبما هو كائن إلى يوم القيامة ، وهي هذه الآية : ﴿ يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ . ثم قال ﷺ : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لو سألتوني عن أية آية ، في ليل أنزلت ، أو في نهار أنزلت ، مكّيها ومدنيها ، سفيها وحضريها ، ناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وتأويلها وتنزيلها ، إلا أخبرتكم . فقام إليه رجل يقال له : ذعلب ، وكان ذرب اللسان ، بليغا في الخطب ، شجاع القلب ، فقال : لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة ، لا خجلته اليوم لكم في مسألتني إياه . فقال : يا أمير المؤمنين ، هل رأيت ربك ؟ فقال : ويلك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره . قال : فكيف رأيته ؟ صفه لنا . قال : ويلك ! لم تره العيون بمشاهدة الابصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان ، ويلك يا ذعلب ، إن ربي لا يوصف بالبعد ولا بالحركة ولا بالسكون ، ولا بقيام - قيام انتصاب - ولا بجيئة ولا بذهاب ، لطيف اللطافة لا يوصف باللفظ ، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم ، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر ، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقّة ، مؤمن لا بعبادة ، مدرك لا بمجسة ، قائل لا بلفظ ، هو في الاشياء على غير ممازجة ، خارج منها على غير مباينة ، فوق كل شيء ولا يقال : شيء فوقه ، أمام كل شيء ولا يقال له : أمام ، داخل في الاشياء لا كشئ في شئ داخل ، وخارج منها لا كشئ من شئ خارج .

فخر ذعلب مغشياً عليه ، ثم قال : يا الله ما سمعت بمثل هذا الجواب ، والله لا عدت إلى مثلها .

ثم قال ﷺ : سلوني قبل أن تفقدوني . فقام إليه الاشعث بن قيس ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف تؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب ، ولم يبعث إليهم نبي ؟ فقال : بلى يا أشعث ، قد أنزل الله عليهم كتاباً ، وبعث إليهم نبياً ، وكان لهم ملك سكر ذات

ليلة ، فدعا بابنته إلى فراشه فارتكبتها ، فلما أصبح تسامع به قومه ، فاجتمعوا إلى بابه ، فقالوا : أيها الملك ، دنست علينا ديننا فأهلكته ، فأخرج نظهرك ونقم عليك الحد . فقال لهم : اجتمعوا واسمعوا كلامي ، فإن يكن لي مخرج مما ارتكبت وإلا فشأنكم . فاجتمعوا ، فقال لهم : هل علمتم أن الله عز وجل لم يخلق خلقا أكرم عليه من أبينا آدم وأمنا حواء ؟ قالوا : صدقت أيها الملك . قال : أفليس قد زوج بنيه من بناته ، وبناته من بينه ؟ قالوا : صدقت ، هذا هو الدين ، فتعاقدوا على ذلك ، فمحا الله ما في صدورهم من العلم ، ورفع عنهم الكتاب ، فهم الكفرة ، يدخلون النار بلا حساب ، والمنافقون أشد حالا منهم .

فقال الاشعث : والله ما سمعت بمثل هذا الجواب ، والله لا عدت إلى مثلها أبدا .
ثم قال ﷺ : سلوني قبل أن تفقدوني . فقام إليه رجل من أقصى المسجد ، متوكئا على عكازة ، فلم يزل يتخطى الناس حتى دنا منه فقال : يا أمير المؤمنين ، دلني على عمل إذا أنا عملته نجاني الله من النار . فقال له : اسمع يا هذا ، ثم افهم ، ثم استيقن ، قامت الدنيا بثلاثة : بعالم ناطق مستعمل لعلمه ، وبغني لا يبخل بماله على أهل دين الله عز وجل ، وبفقير صابر ، فإذا كتم العالم علمه ، وبخل الغني ، ولم يصبر الفقير ، فعندها الويل والنبور ، وعندها يعرف العارفون بالله أن الدار قد رجعت إلى بدئها ، أي إلى الكفر بعد الايمان .
أيها السائل ، فلا تغترن بكثرة المساجد ، وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتى .

أيها الناس ، إنما الناس ثلاثة : زاهد ، وراغب ، وصابر ، فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ، ولا يحزن على شيء منها فاته ، وأما الصابر فيتمناها بقلبه ، فإن أدرك منها شيئا صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها ، وأما الراغب فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام .

قال : يا أمير المؤمنين ، فما علامة المؤمن في ذلك الزمان ؟ قال : ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حق فيتولاه ، وينظر إلى ما خالفه فيتبرأ منه وإن كان حبيبا قريبا .
قال : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ثم غاب الرجل فلم نره ، وطلبه الناس فلم يجدوه

، فتبسم علي عليه السلام على المنبر ثم قال: ما لكم ، هذا أخي الخضر عليه السلام .
ثم قال عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني . فلم يقم إليه أحد ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى
على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال للحسن عليه السلام : يا حسن ، قم فاصعد المنبر ، فتكلم بكلام لا تجهلك
قريش من بعدي ، فيقولون : إن الحسن لا يحسن شيئا .

قال الحسن عليه السلام : يا أبة ، كيف أصعد وأتكلم وأنت في الناس تسمع وترى ؟ قال: بأبي
وأمي أوارى نفسي عنك ، وأسمع وأرى ولا تراني . فصعد الحسن عليه السلام المنبر ، فحمد
الله بمحامد بليغة شريفة ، وصلى على النبي وآله صلاة موجزة ، ثم قال: أيها الناس ،
سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، وهل تدخل المدينة إلا
من بابها ، ثم نزل ، فوثب إليه علي عليه السلام فتحمله ، وضمه إلى صدره .

ثم قال: للحسين عليه السلام : يا بني ، قم فاصعد فتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي ،
فيقولون : إن الحسين بن علي لا يبصر شيئا ، وليكن كلامك تبعا لكلام أخيك ، فصعد
الحسين عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه وآله صلاة موجزة ، ثم قال: معاشر
الناس ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : إن عليا مدينة هدى ، فمن دخلها نجا ، ومن
تخلف عنها هلك .

فوثب علي عليه السلام فضمه إلى صدره وقبله ، ثم قال: معاشر الناس ، اشهدوا أنهما فرخا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووديعته التي استودعنيها ، وأنا استودعكموها . معاشر الناس ، ورسول
الله سائلكم عنهما»^(١).

(١) الأُمالي؛ للشيخ الصدوق : ٤٢٢-٤٢٥.

[الخطبة (١٨٠)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الثقفي في كتاب الغارات لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٩٤». (انتهى).^(١)

قال الجاللي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن ابراهيم بن محمد الثقفي (ت / ٢٨٣ هـ) في «الغارات» بعنوان «ورود قتل محمد بن أبي بكر على عليّ عليه السلام» عن جندب بن عبد الله قال: والله اني لعند علي جالس إذ جاءه عبد الله بن قعين جد كعب يستصرخ من قبل محمد بن أبي بكر، وهو يومئذ أمير على مصر، فقام علي عليه السلام فنادى في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: أما بعد، فهذا صريخ محمد بن أبي بكر واخوانكم من أهل مصر، وقد سار إليهم ابن النابغة عدو الله وعدوكم، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعا على باطلهم وضلالتهم منكم على حقكم، فكأنكم بهم، قد بدؤوكم واخوانكم بالغزو، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر، عباد الله ان مصر أعظم من الشام خيرا، وخير أهلا، فلا تغلبوا على مصر، فان بقاء مصرأيديكم عز لكم وكبت لعدوكم، اخرجوا إلى الجرعة - والجرعة بين الكوفة والحيرة - لنتوفي هناك كلنا غدا ان شاء الله .

فلما كان الغد خرج يمشى فنزلها بكرة فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك فلم يوافه منهم مائة رجل فرجع، فلما كان العشي بعث إلى الاشراف، فجمعهم، فدخلوا عليه القصر وهو كئيب حزين فقال: الحمد لله على ما قضى من أمر، وقدر من فعل، وابتلاني بكم أيتها الفرقة التي لا تطيع إذا أمرت ولا تجيب إذا دعوت، لا أبا لغيركم، ما تنتظرون بنصركم ربكم والجهاد على حقكم؟! الموت أو الذل لكم في هذه الدنيا في غير الحق،

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

والله لئن جاءني الموت - وليأتيني - فليفرق بيني وبينكم واني لصحبكم لقال.. ألا دين يجمعكم، ألاحمية تغضبكم، إذ أنتم سمعتم بعدوكم ينتقص بلادكم ويشن الغارة عليكم، أو ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفاة الظلمة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة، فيجيبونه في السنة المرة والمرتين والثلاث إلى أي وجه شاء، ثم اني أدعوكم وأنتم الو النهي وبقية الناس على المعونة وطائفة منكم على العطاء فتختلفون وتتفرقون عني وتعصوني وتخالفون عليّ. فقام إليه مالك بن كعب الارحبي فقال: يا أمير المؤمنين انذب الناس معي، فانه لا عطر بعد عروس، لمثل هذا اليوم كنت أدخر نفسي، وان الاجر لا يأتي إلا بالكره

ثم التفت إلى الناس وقال: اتقوا الله وأجيبوا إمامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوكم، وأنا أسير إليهم يا أمير المؤمنين .

قال: فأمر على مناديه سعدا مولاه فنادى: ألا سيروا مع مالك بن كعب إلى مصر وكان وجهها مكروها، فلم يجتمعوا إليه شهرا، فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالك بن كعب فعسكر بظاهر الكوفة، ثم إنه خرج وخرج معه أمير المؤمنين على عليه السلام فنظروا فإذا جميع من خرج معه نحو من ألفي رجل، فقال على عليه السلام: سيروا على اسم الله، فوالله ما إخالكم تدركون القوم حتى ينقضي أمرهم .

قال: فخرج مالك بهم وسار بهم خمس ليال .

ثم إن الحجاج بن غزية الانصاري قدم على علي من مصر، وقدم عليه عبد الرحمن بن المسيب الفزاري من الشام، فأما الفزاري فكان عينه عليه السلام بالشام، وأما الانصاري فكان مع محمد بن أبي بكر بمصر فحدثه الانصاري بما عاين وشهد بهلاك محمد، وحدثه الفزاري أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشري من قبل عمرو بن العاص تترى يتبع بعضها على أثر بعض بفتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر وحتى أذن معاوية بقتله على المنبر، فقال له: يا أمير المؤمنين ما رأيت يوما قط سرورا بمثل سرور رأيته بالشام حتى أتاهم هلاك ابن أبي بكر فقال على عليه السلام: أما إن حزننا على قتله على قدر سرورهم به، لابل

يزيد أضعافاً . قال: فسرّح عليّ عليه السلام عبد الرحمن بن شريح الشامي إلى مالك بن كعب فردّه من الطريق . قال: وحزن عليّ عليه السلام على محمد بن أبي بكر حتى رأى ذلك فيه وتبين في وجهه ، وقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا وإن مصر قد افتتحتها الفجرة أولياء الجور والظلم الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الاسلام عوجاً ، ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد لله فعند الله نحتسبه ، أما والله لقد كان ما علمت لمن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ، ويبغض شكل الفاجر ويحب هين المؤمن ، واني والله ما ألوم نفسي على تقصير ولا عجز ، واني بمقاساة الحرب لجِد بصير ، واني لا قدم على الامر وأعرف وجه الحزم وأقوم بالرأي المصيب فأستصرخكم معلناً وأناديكم نداء المستغيث معرباً فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً ، تصيرون الامور إلى عواقب المساءة فأنتم القوم لا يدرك بكم النار ، ولا تنقض بكم الاوتار ، دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين يوماً فجرجرتهم عليّ جرجرة الجمل الاشدق ، وتناقلتم إلى الارض تناقل من ليس له نية جهاد العدو ، ولا رأى له في اكتساب الاجر ، ثم خرج إلى منكم جنيد متذائب ضعيف ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ ، فاف لكم ثم نزل فدخل رحله ^(١) حدثنا علي بن محمد بن أبي سيف أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس اصيب لما فتح عمرو بن العاص مصر فبعث به إلى معاوية بن أبي سفيان وهو يومئذ بفلسطين ، فحبسه معاوية في سجن له فمكث فيه غير كثير ، ثم انه هرب وكان ابن خال معاوية فأرى معاوية الناس أنه كره انفلاته من السجن ، فقال لاهل الشام : من يطلبه ؟ وقد كان معاوية فيما يرون يحب أن ينجو ، فقال رجل من خثعم يقال له : عبيد الله بن عمرو بن ظلام وكان شجاعاً وكان عثمانياً : أنا أطلبه ، فخرج في خيله فلحقه بحوارين وقد دخل في غار هناك فجاءت حمر تدخله وقد أصابها المطر ، فلما رأت الرجل في الغار فزعت منه فنفرت ، فقال حمارون كانوا قريباً من الغار : والله ان لنفر هذه الحمر من الغار لشأناً ، ما نفرها من هذا الغار الا أمر ، فذهبوا ينظرون ، فإذا هم به فخرجوا ، فوافاهم عبيد الله بن عمرو بن

(١) الغارات؛ لابراهيم بن محمد الثقفي ١: ٢٩٠ - ٢٩٤ ، ط / ١٣٩٥ هـ .

ظلام فسألهم عنه ووصفه لهم ، فقالوا له : ها هو ذا في الغار ، فجاء حتى استخرجه وكره أن يحمله إلى معاوية فيخلى سبيله ، فضرب عنقه عليه السلام .

خبر بني ناجية فقال : صنفهم ثلاثة أصناف وقال : أما المسلمون فخذ منهم البيعة وخل سبيلهم ، وأما النصارى فخذ منهم الجزية وخل سبيلهم وسبيل عيالاتهم ، وأما المرتدون فأغريهم وبعيالاتهم وأموالهم ثم ادعهم إلى الاسلام ثلاث مرات ، فإن أجابوك والّا فاقتل مقاتلتهم واسب ذراريهم ، فلم يجيبوه فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ، فاشتراهم مصقلة بخمسمائة ألف وأعتقهم ولحق بمعاوية ، فقال أصحابه : يا أمير المؤمنين فيئنا ، قال : انه قد صار على غريم من الغرماء فاطلبوه . قال : لما بايع أهل البصرة علياً عليه السلام بعد الهزيمة دخلوا في الطاعة غير بني ناجية فانهم عسكروا ، فبعث إليهم علي عليه السلام رجلاً من أصحابه في خيل ليقا تلهم ، فأتاهم فقال : ما بالكم عسكرتم وقد دخل الناس في الطاعة غيركم ؟ ، فافترقوا ثلاث فرق ، فرقة قالوا : كنا نصارى فأسلمنا ودخلنا فيما دخل فيه الناس من الفتنة ونحن نبايع كما بايع الناس ، فأمرهم فاعتزلوا ، وفرقة قالوا : كنا نصارى ولم نسلم فخرجنا مع القوم الذين كانوا خرجوا ، قهرونا فأخرجونا كرها فخرجنا معهم فهزموا فنحن ندخل فيما دخل فيه الناس ونعطيكم الجزية كما أعطيناكم ، فقال لهم اعتزلوا ، وفرقة قالوا : انا كنا نصارى فأسلمنا فلم يعجبنا الاسلام فرجعنا إلى النصرانية فنحن نعطيكم الجزية كما أعطاكم النصارى ، فقال لهم : توبوا وارجعوا إلى الاسلام ، فأبوا ، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم فقدم بهم على علي عليه السلام . قال : وشهد الخريت بن راشد الناجي وأصحابه مع علي عليه السلام صفين فجاء الخريت إلى علي عليه السلام في ثلاثين راكبا من أصحابه يمشى بينهم حتى قام بين يدي علي عليه السلام فقال له : والله لا أطيع أمرك ولا أصلى خلفك ، واني غدا لمفارق لك ، قال : وذاك بعد «وقعة صفين» وبعد تحكيم الحكيمين ، فقال له علي عليه السلام : ثكلتك امك ، إذا تنقض عهذك ، وتعصى ربك ، ولا تضر إلا نفسك ، أخبرني لم تفعل ذلك ؟ قال : لانك حكمت في الكتاب وضعفت عن الحق إذ جد الجد ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم ، فأنا عليك رادّ وعليهم ناقم ، ولكم جميعا مباين . فقال له علي عليه السلام : ويحك هلم

إلى ادارسك الكتاب واناظرك في السنن ، وافاتحك امورا من الحق أنا أعلم بها منك ، فلعلك تعرف ما أنت له الآن منكر ، وتستبصر ما أنت به الآن عنه عم وبه جاهل ، فقال الخريت : فاني عائد عليك غدا ، فقال له علي عليه السلام : اغد ولا يستهوينك الشيطان ولا يتقحمن بك رأي السوء ، ولا يستخفنك الجهلاء الذين لا يعلمون ، فوالله لئن استرشدتني واستصحتني وقبلت مني لا هدينك سبيل الرشاد ، فخرج الخريت من عنده منصرفا إلى أهله .

قال عبد الله بن قعين: فعجلت في أثره مسرعا وكان لي من بني عمه صديق فأردت أن ألقى ابن عمه في ذلك فاعلمه بما كان من قوله لأمير المؤمنين وما رد عليه ، وأمر ابن عمه ذلك أن يشتد بلسانه عليه وأن يأمره بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته ، ويخبره أن ذلك خير له في عاجل الدنيا وأجل الآخرة . قال: فخرجت حتى انتهيت إلى منزله وقد سبقني، فقممت عند باب داره وفي داره رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على علي عليه السلام ، فوالله ما رجع ولا ندم على ما قال لأمير المؤمنين وما رد عليه، ثم قال لهم : يا هؤلاء إني قد رأيت أن افارق هذا الرجل وقد فارقتة على أن أرجع إليه من غد ولا أراني الا مفارقه، فقال أكثر أصحابه : لا تفعل حتى تأتية ، فان أتاك بأمر تعرفه قبلت منه ، وان كانت الاخرى فما أقدرك على فراقه ، فقال لهم : نعم ما رأيتم . قال: ثم استأذنت عليهم فأذنوا لي ، فأقبلت على ابن عمه - وهو مدرك بن الريان الناجي وكان من كبراء العرب - فقلت له : ان لك عليّ حقا لإخائك وودك ولحق المسلم على المسلم ، ان ابن عمك كان منه ما قد ذكر لك فاخلك به واردد عليه رأيه وعظم عليه ما أتى ، واعلم أنني خائف ان افارق أمير المؤمنين أن يقتلك ونفسه وعشيرته ، فقال: جزاك الله خيرا من أخ فقد نصحت وأشفتك ان أراد صاحبي فراق أمير المؤمنين فارقتة وخالفته وكنت أشد الناس عليه، وأنا بعد خالٍ به ومشير عليه بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته والاقامة معه وفي ذلك حظه ورشده ، فقممت من عنده وأردت الرجوع إلى علي عليه السلام لا أعلمه الذي كان ، ثم اطمأنتت إلى قول صاحبي فرجعت إلى منزلي فبت به ثم أصبحت فلما ارتفع النهار أتيت أمير

المؤمنين ﷺ فجلست عنده ساعة وأنا اريد أن احده بالذي كان من قوله لي على خلوة، فأطلت الجلوس فلم يزد الناس الا كثرة، فدنوت منه فجلست وراءه فأصغى إلي برأسه فأخبرته بما سمعت من الخريت وما قلت لابن عمه ومارد علي، فقال ﷺ: دعه فان قبل الحق ورجع عرفنا ذلك له وقبلناه منه، وان أبي طلبناه، فقلت: يا أمير المؤمنين فلم لا تأخذه الآن فتستوثق منه؟ فقال: إنا لو فعلنا هذا لكل من نتهمه من الناس ملأنا السجون منهم، ولا أراني يسعني الوثوب على الناس والحبس لهم وعقوبتهم حتى يظهروا لنا الخلاف.

قال: فسكت عنه وتنحيت فجلست مع أصحابي ثم مكثت ما شاء الله معهم ثم قال لي علي ﷺ: اذن مني، فدنوت منه، ثم قال لي مسرا: اذهب إلى منزل الرجل فأعلم لي ما فعل؟ فانه قل يوم لم يكن يأتيني فيه الا قبل هذه الساعة، قال: فأتيت منزله فإذا ليس منزله منهم ديار، فدرت على أبواب دور اخرى كان فيها طائفة اخرى من أصحابه فإذا ليس فيها داع ولا مجيب، فأقبلت إلى علي ﷺ فقال لي حين رأي: أأمنا فقطنوا أم جنبوا فظعنوا؟ - قلت: بل ظعنوا، قال: أبعدهم الله كما بعدت ثمود، أما والله لو قد أشرعت لهم الاسنة وصبت على هامهم السيوف لقد ندموا، ان الشيطان قد استهواهم فأضلهم وهو غدا متبرؤ منهم ومخل عنهم. فقام إليه زياد بن خصفة فقال: يا أمير المؤمنين انه لو لم يكن من مضرة هؤلاء الا فراقهم ايانا لم يعظم فقدهم علينا فنأسى عليهم، فانهم قلما يزيدون عددنا لو أقاموا معنا ولقلما ينقصون من عددنا بخروجهم منا، ولكننا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليهم من أهل طاعتك، فاذن لي في اتباعهم حتى أردهم عليك ان شاء الله. فقال له علي ﷺ: اخرج في آثارهم راشدا، فلما ذهب ليخرج قال ﷺ له: وهل تدري أين توجه القوم؟ فقال: لا والله ولكني أخرج فأسأل وأتبع الاثر، فقال له علي ﷺ: اخرج - رحمك الله - حتى تنزل دير أبي موسى ثم لا تبرحه حتى يأتيك أمرى، فانهم ان كانوا قد خرجوا ظاهرين بارزين للناس في جماعة فان عمالي ستكتب إلي بذلك، وان كانوا متفرقين مستخفين فذلك أخفى لهم، وسأكتب إلي من حولي من عمالي

فيهم . فكتب نسخة واحدة وأخرجها إلى العمال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من العمال : أما بعد، فإن رجالا لنا عندهم بيعة خرجوا هرابا فنظنهم وجهوا نحو بلاد البصرة، فاسأل عنهم أهل بلادك واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك ثم اكتب إلي بما ينتهي اليك عنهم ، والسلام .

فخرج زياد بن خصفة حتى أتى داره فجمع أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا معشر بكر بن وائل، فإن أمير المؤمنين ندبني لأمر من أموره مهم له، وأمرني بالانكماش فيه بالعشيرة حتى أتى امره وأنتم شيعته وأنصاره وأوثق حيي من أحياء العرب في نفسه، فانتدبوا معي في هذه الساعة وعجلوا . قال: فوالله ما كان إلا ساعة حتى اجتمع إليهم منهم مائة رجل ونيف وعشرون أو ثلاثون ، فقال: اكتفينا ، ولا نريد أكثر من هؤلاء . قال: فخرج زياد حتى قطع الجسر ثم أتى دير أبي موسى فنزله فأقام به بقية يومه ذلك ينتظر أمر أمير المؤمنين عليه السلام .»^(١)

(١) الغارات ؛ لآبراهيم بن محمد الثقفي ٢ : ٢٨٩ - ٣٣٨ .

[الخطبة (١٨٢)]

قال الجلالي: قوله: «الذي لم يلد فيكون في العز مشاركاً» تقدم الاسناد اليه عن الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في الخطبة (٤٩)، فراجع.

[الخطبة (١٨٥)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في التوحيد قال: حدثنا أبو العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني عليه السلام، قال: حدثنا أبو سعيد الحسن بن علي العدوي، قال: حدثنا الهيثم بن عبد الله الرماني، قال: حدثنا علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام، قال: خطب أمير المؤمنين الناس في مسجد الكوفة، فقال: الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء كوّن ما قد كان، مستشهد بحدوث الاشياء على أزليته، وبما وسماها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأينية، ولا له شبه مثال فيوصف بكيفية، ولم يغب عن علمه شيء فيعلم بحيثية مبائن لجميع ما أحدث في الصفات، وممتنع عن الادراك بما ابتدع من تصريف الذوات، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات، محرم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده وعلى عوامق ناقبات الفكر تكييفه، وعلى غوائص سابحات الفطر تصويره، لا تحويه الاماكن لعظمته، ولا تدرعه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقائيس لكبريائه، ممتنع عن الاوهام أن تكتننه، وعن الافهام أن تستغرقه، وعن الاذهان أن تمثله، قد يؤست من استنباط الاحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الاشارة إليه بالاكتناه بحار العلوم، ورجعت

بالصغر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم، واحد لا من عدد، ودائم لا بآمد، وقائم لا بعمد، ليس بجنس فتعادل له الاجناس، ولا بشيخ فتضارعه الاشباح، ولا كالاشياء فتقع عليه الصفات، قد ضلت العقول في أمواج تيار إدراكه، وتحيرت الاوهام عن إحاطة ذكر أزمليته وحصرت الافهام عن استشعار وصف قدرته، وغرقت الاذهان في لجج أفلاك ملكوته، مقتدر بالآلاء وممتع بالكبرياء ومتملك على الاشياء، فلا دهر يخلقه ولا وصف يحيط به، قد خضعت له ثوابت الصعاب في محل تخوم قرارها، وأذعن له رواصن الاسباب في منتهى شواهد أقطارها، مستشهد بكلية الاجناس على ربوبيته وبعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقاءه، فلا لها محيص عن إدراكه إياها، ولا خروج من إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها ولا امتناع من قدرته عليها، كفى بإتقان الصنع لها آية، وبمركب الطبع عليها دلالة بحدوث الفطر عليها قدمة، وبإحكام الصنعة لها عبرة، فلا إليه حد منسوب، ولا له مثل مضروب، ولا شيء عنه محجوب، تعالى عن ضرب الامثال والصفات المخلوقة علوا كبيرا.

وأشهد أن لا إله إلا الله إيماننا بربوبيته، وخلافا على من أنكره، وأشهد أن محمد عبده ورسوله المقر في خير مستقر، المتناسخ من أكارم الاصلاح ومطهرات الارحام، المخرج من أكرم المعادن محتدا، وأفضل المناابت منبتا، من أمنع ذروة، وأعزّ ارومة، من الشجرة التي صاغ الله منها أنبياءه وانتجب منها امناءه، الطيبة العود، المعتدلة العمود، الباسقة الفروع، الناضرة الغصون، اليانعة الثمار، الكريمة الحشا، في كرم غرست، وفي حرم انبتت، وفيه تشعبت، وأثمرت، وعزت، وامتنعت، فسمت به وشمخت حتى أكرمه الله عزوجل بالروح الامين والنور المبين، والكتاب المستبين، وسخر له البراق، وصافحته الملائكة، وأرعب به الا باليس، وهدم به الاصنام والآلهة المعبودة دونه، سنته الرشد، وسيرته العدل، وحكمه الحق، صدع بما أمره ربه، وبلغ ما حملة، حتى أفصح بالتوحيد دعوته وأظهر في الخلق أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حتى خلصت له الوحدانية وصفت له الربوبية، وأظهر الله بالتوحيد حجته، وأعلى بالاسلام درجته،

واختار الله عز وجل لنبيه ما عنده من الروح والدرجة والوسيلة، ﷺ عدد ما صلى على أنبيائه المرسلين وآله الطاهرين»^(١).

وبالاستناد عن الهاروني (ت / ٤٢٤ هـ) في «تيسير المطالب» قال: حدثنا يعقوب بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي، قال أبو زهير عبد الرحمن بن مقرئ الدوسي، قال: حدثنا عوانة بن الحكم قال: حدثنا من حضر خطبة علي عليه السلام التي تسمى الغراء، خطب بها في مسجد الكوفة، فكان مما حفظ منها بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على رسول الله محمد ﷺ أن قال:

الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر ولا تحجبه، الذي علا السواتر بكل مكرمة، وبان بكل فضيلة، وجل عن شبه الخليقة، وتنزه عن الافعال القبيحة، وصدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباد، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه، واحسن إليهم في قسمه، ولا إله إلا هو الواحد القهار العزيز الجبار، الذي لم يتناها في الأوهام بتحذير، ولم يتمثل في العقول بتصوير، ولم تنله مقاييس المقدرين ولا شرّحته نتائج الأوهام، ولا ادركته تصارييف الاعتبار فأوجدته سبحانه لا محدوداً ولا شخصاً مشهوداً، ولا وقتته الأوقات فيجري عليه الأزمنة والغايات، ولم يسبقه حال فيجري عليه الزوال، فسبحانه من عظيم عظم امره، ومن كبير كبر قدره، ليس بذی كبير امتدت إليه النهايات فكبرته تجسيدا، ولا بذی عظم ألحقت به الغايات فعظمتته تجسيمياً، علا عن التجسيم والتجسيد والتصوير والتحذير علواً كبيراً، شواهد بذلك قائمة، وأحكامه فيه فاصلة، قد جمعت العقول عليها بدلائلها فظهر لديها تبيان حکمتها حتى جلّت عن المرتابين البهم، وكشفت عنهم الظلم»^(٢).

(١) التوحيد: للشيخ الصدوق: ٧٠ ٦٩.

(٢) تيسير المطالب: ١٩٢، ط / ١٣٩٥ هـ.

[الخطبة (١٨٦)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: ما وحّده من كيفه... الى أن قال: لا يشمل بحد ولا يحسب بعد... الخ، قال في الاحتجاج: وقال ﷺ في خطبة اخرى: «لا يشمل بحد... الى آخره. قوله ﷺ: الحمد الذي لبس العز والكبرياء... الى آخره. قال السيد رحمه الله: ومن الناس من يسمي هذه الخطبة بالقاصعة، ذكر الشراح وجوها في تسميتها بالقاصعة، وذكروا أن السبب فيها هو أن أهل الكوفة كانوا قد فسدوا في آخر خلافة امير المؤمنين ﷺ، وكثرت الفتن وإثارة الشريرين قبائلها. فخرج ﷺ اليهم على ناقه، فخطبهم بهذه الخطبة.

قوله ﷺ في هذه الخطبة: «ولو أراد الله بأنبيائه... الى قوله: ذللا لعنوه، رواه الكليني في المجلد الاول من كتاب فروع الكافي ص ٢١٩ طبع ايران».^(١)

قال العرشي في التخريج ما نصه: «روى الشيخ الصدوق بعضها في كتاب التوحيد (٢٤)، وشيخ الطائفة في الأمالي (١٤) عن الامام رضا، كما روى الشيخ الصدوق بعضها الآخر في كتاب التوحيد (٣٢٠ و ٣٢٤) والشيخ المفيد في الارشاد (١٣١) في كلام أمير المؤمنين مع ذعبل اليماني، وروى السيد المرتضى جملة منها في الأمالي ج ١ ص ١٠٣، عن أمير المؤمنين ﷺ». (انتهى).^(٢)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن الاصمغ بن نباتة، قال: كنا جلوسا عند علي بن أبي طالب فأتاه يهودي فقال: يا امير المؤمنين متى كان الله؟ فقمنا إليه فلهزناه حتى كدنا نأتي على نفسه، فقال علي: خلوا عنه، ثم قال: اسمع يا اخا اليهود ما أقول لك بأذنك، واحفظه بقلبك، فانما احديثك عن كتابك الذي جاء به موسى بن عمران، فان كنت قد قرأت كتابك وحفظته فانك ستجده كما أقول، انما يقال: متى كان؟ لمن لم يكن ثم كان، فاما من يزل بلا كيف

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٦.

(٢) راجع استناد نهج البلاغة.

يكون كان بلا كينونة، كائن لم يزل قبل القبل، وبعد البعد، لا يزال بلا كيف ولا غاية ولا منتهى، إليه انقطعت دونه الغايات، فهو غاية كل غاية. فبكى اليهودي وقال: والله يا امير المؤمنين إنها لفي التوراة هكذا حرفا حرفا، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله». (الاصبهاني في الحجة) (١)

وبالاسناد عن الشيخ الصدوق في «التوحيد»، قال: حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمته الله قال: حدثنا محمد ابن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدثني الحسين بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن داهر قال: حدثني الحسين بن يحيى الكوفي، قال: حدثني قثم بن قتادة، عن عبد الله بن يونس، عن أبي عبد الله رحمته الله قال: بينا امير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له: ذعلب ذرب اللسان، بليغ في الخطاب شجاع القلب، فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ فقال: ويلك يا ذعلب ما كنت أعبد ربا لم أراه، قال: يا أمير المؤمنين كيف رأيته؟ قال: ويلك يا ذعلب لم تره العيون بمشاهدة الابصار، ولكن رأيته القلوب بحقائق الايمان، ويلك يا ذعلب إن ربي لطيف اللطافة فلا يوصف باللفظ» (٢)

وبالاسناد عن سبط ابن الجوزي (ت / ٦٥٤ هـ) قال: فصل ومن كلامه في التوحيد: روى عطية العوفي عن ابن عباس قال: سأل رجل امير المؤمنين فقال له: هل رأيت ربك؟ فقال: أنا أعبد من لا أرى؟! وفي رواية: ما كنت لأعبد ربا لم أراه.

فقال: وكيف رأيته أو كيف تراه؟ فقال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان وإنما تدركه القلوب بحقائق الايمان قريب من الاشياء غير ملابس، بعيد عنها غير مباين، متكلم بلا رؤية، مريد لابهمة، صانع لاجارحة، لطيف لا يوصف بالجفاء، كبير لا ينعت بالجفاء، بصير لباحاسة، رحيم لا برأفة - أو برقة -، تعنو الوجوه لعظمته وتوجل القلوب من مخافته» (٣)

(١) كنز العمال: للمتقي الهندي ١١: ٤٠٧.

(٢) التوحيد: للشيخ الصدوق: ٣٠٨ وروى معناه المجلسي في البحار ٤: ٥٢ و٣٠٤ وعن

المحاسن في ٤: ٥٣ وعن التوحيد والامالي في ٤: ٢٧.

(٣) تذكرة الخواص: ١٤٤، ط / ١٤٠١ هـ.

[الخطبة (١٨٩)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن محمد بن الحسن الصفار (ت / ٢٩٠ هـ) في «بصائر الدرجات» قال: حدثني محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن المنخل عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: ان حديث آل محمد صعب مستصعب، لا يؤمن به الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد فلائت له قلوبكم وعرفتوه فاقبلوه، وما اشمزت منه قلوبكم وانكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد، وانما الهالك ان يحدث احدكم بشئ منه لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا ثلاثاً»^(١).

وقال: حدثنا أبو جعفر عن علي بن الحكم عن ذريح المحاربي عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: سمعته يقول: ان حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله الا نبي مرسل أو ملك مقرب ومن الملائكة غير مقرب.

حدثنا أبو جعفر عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «ان حديث آل محمد صعب مستصعب ثقيل مقنع أجرد ذكوان، لا يحتمله الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان، أو مدينة حصينة، فإذا قام قائمنا نطق وصدق القرآن»^(٢).

وقال: حدثنا محمد بن الحسين عن وهيب بن حفص عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «حديثنا صعب مستصعب لا يؤمن به الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان، فما عرفت قلوبكم فخذوه وما انكرت فردوه إلينا»^(٣).

(١) بصائر الدرجات؛ لمحمد بن الحسن الصفار : ٤١.

(٢) بصائر الدرجات؛ لمحمد بن الحسن الصفار : ٤١.

(٣) بصائر الدرجات؛ لمحمد بن الحسن الصفار : ٤١.

وقال: حدثنا ابراهيم بن اسحاق عن عبد الله حماد عن صباح المزني عن الحارث بن حصير عن الاصبع بن نباتة عن امير المؤمنين عليه السلام قال: سمعته يقول: «ان حديثنا صعب مستصعب خشن مخشوش، فانبذوا إلى الناس نبذا، فمن عرف فزيده ومن أنكر فامسكوا، لا يحتمله الا ثلاث: ملك مقرب أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان»^(١).

وقال: حدثنا عبد الله بن عامر عن البرقي عن الحسين بن عثمان عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ان حديثنا صعب مستصعب لا يؤمن به الا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه للايمان، فما عرفت قلوبكم فخذوه، وما أنكرت قلوبكم فردوه الينا»^(٢).

وقال: حدثنا سلمة بن الخطاب عن محمد بن المثنى عن أبي عمران النهدي عن المفضل قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: «حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان».

حدثنا سلمة عن محمد بن المثنى عن ابراهيم بن هشام عن اسماعيل بن عبد العزيز قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: «حديثنا صعب مستصعب، قال: قلت فسر لي جعلت فداك، قال: ذكوان ذكي ابداء، قال: أجرد، قال: طري ابداء، قلت: مقنع، قال: مستور»^(٣).

وقال: حدثنا عبد الله بن محمد عن محمد بن الحسين عن عبد الرحمن بن أبي هاشم عن عمرو بن شمر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ان حديثنا صعب مستصعب أجرد ذكوان وعر شريف كريم، فإذا سمعتم منه شيئا ولانت له قلوبكم فاحتملوه واحمدوا الله عليه، وان لم تحتملوه ولم تطيقوه فردوه إلى الامام العالم من آل محمد عليه السلام، فانما الشقي الهالك الذي يقول: والله ما كان هذا ثم قال: يا جابر ان الانكار هو الكفر بالله العظيم»^(٤).

(١) بصائر الدرجات؛ لمحمد بن الحسن الصفار : ٤١.

(٢) بصائر الدرجات؛ لمحمد بن الحسن الصفار : ٤٢.

(٣) بصائر الدرجات؛ لمحمد بن الحسن الصفار : ٤٢.

(٤) بصائر الدرجات؛ لمحمد بن الحسن الصفار : ٤٢.

وقال: حدثنا أحمد بن إبراهيم عن اسماعيل بن مهزيار عن عثمان بن جبلة عن أبي الصامت قال أبو عبد الله عليه السلام: «أن حديثنا صعب مستصعب شريف كريم ذكوان ذكي وعز، لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن، قلت: فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: من شئنا يا أبا الصامت، قال أبو الصامت: فظننت أن الله عبداً هم أفضل من هؤلاء الثلاثة»^(١).

وروى العلامة المجلسي (ت / ١١١١ هـ) في «بحار الأنوار» بالاسناد عن الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في حديث الأربعمائة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم مما ينكرون، ولا تحملوهم على أنفسكم وعلينا، إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد قد امتحن الله قلبه للإيمان»^(٢).

وروى العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن الصدوق في «معاني الأخبار» عن أبيه، عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبد الله، عن البيهقي، عن بعض أهل المدائن قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام: روي لنا عن آبائكم عليهم السلام أن حديثكم صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، قال: فجاءه الجواب: إنما معناه: أن الملك لا يحتمله في جوفه حتى يخرج به إلى ملك مثله، ولا يحتمله نبي حتى يخرج به إلى نبي مثله، ولا يحتمله مؤمن حتى يخرج به إلى مؤمن مثله، إنما معناه أن لا يحتمله في قلبه من حلاوة ما هو في صدره حتى يخرج به إلى غيره^(٣).

وبالاسناد، عن سعد، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن سنان، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن سدير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أمرنا صعب مستصعب لا يقرب به إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان». فقال: إن من الملائكة مقرّبين وغير مقرّبين، ومن الأنبياء مرسلين وغير مرسلين، ومن المؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين، فعرض أمرهم هذا على الملائكة فلم يقرب به إلا

(١) بصائر الدرجات؛ لمحمد بن الحسن الصفار: ٤٢.

(٢) بحار الأنوار؛ للعلامة المجلسي ٢: ١٨٣.

(٣) بحار الأنوار؛ للعلامة المجلسي ٢: ١٨٤.

المقربون ، وعرض على الأنبياء فلم يقرّ به إلا المرسلون ، وعرض على المؤمنين فلم يقرّ به إلا الممتحنون ، قال: ثم قال لي: مرفي حديثك»^(١).

وروى العلامة المجلسي (ت / ١١١١ هـ) في بحار الأنوار عن الطبري (ت / ٥٥٣ هـ) بشارة المصطفى عن : محمد بن علي بن عبد الصمد ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي الحسين بن أبي الطيب ، عن أحمد بن القاسم الهاشمي ، عن عيسى ، عن فرج بن فروة ، عن مسعدة بن صدقة ، عن صالح بن ميثم ، عن أبيه قال: بينما أنا في السوق إذ أتاني أصبغ بن نباتة فقال: ويحك يا ميثم لقد سمعت من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حديثا صعبا شديدا ، فأينا نكون كذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال: سمعته يقول : إن حديثنا أهل البيت صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان ، فقامت من فورتني فأتيت عليا عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين حديث أخبرني به الأصبغ عنك قد ضقت به ذرعا ، قال: وما هو ؟ فأخبرته . قال: فتبسم ثم قال: اجلس يا ميثم ، أو كل علم يحتمله عالم ؟ إن الله تعالى قال لملائكته : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ . فهل رأيت الملائكة احتملوا العلم ؟ قال: قلت : هذه والله أعظم من ذلك . قال: والآخرى: أن موسى عليه السلام أنزل الله عز وجل عليه التوراة فظن أن لا أحد أعلم منه فأخبره الله عز وجل أن في خلقي من هو أعلم منك ، وذاك إذ خاف على نبيه العجب ، قال: فدعا ربه أن يرشده إلى العالم ، قال: فجمع الله بينه وبين الخضر ، فخرق السفينة فلم يحتمل ذاك موسى ، وقتل الغلام فلم يحتمله . وأقام الجدار فلم يحتمله وأما المؤمنون فإن نبينا صلى الله عليه وآله أخذ يوم غدير خم بيدي فقال: اللهم من كنت مولاه فإن عليا مولاه ، فهل رأيت احتملوا ذلك إلا من عصمه الله منهم ؟ فأبشروا ثم أبشروا ، فإن الله تعالى قد خصكم بما لم يخصص به الملائكة والنبيين والمرسلين فيما احتملتم من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمه^(٢).

(١) بحار الأنوار ؛ للعلامة المجلسي ٢ : ١٨٤ .

(٢) بحار الأنوار ؛ للعلامة المجلسي ٢ : ٢١٠ و ٢١١ .

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن أبي المعتمر مسلم بن أوس وجارية بن قدامة السعدي، أنهما حضرا علي بن أبي طالب يخطب وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني ! فاني لا أسأل عن شئ دون العرش إلا أخبرت عنه. (ابن النجار).^(١)

وعن المتقي الهندي في «كنز العمال» عن سعيد بن المسيب قال: ما كان احد من الناس يقول: سلوني، غير علي بن أبي طالب (ابن عبد البر).^(٢)

وروى أبو جعفر الإسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) في «المعيار والموازنة» مانصه: أجوبة الامام أمير المؤمنين عليه السلام عن أسئلة ابن الكواء عن آيات من القرآن الكريم وعن أجلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله. وفي ذيل الكلام بيان منزلته عليه السلام عند رسول الله، ثم قوله حول اختلاف الاحاديث المروية عن رسول الله، وأن المعتمد منها هو ما اقتبس عنه عليه السلام وأما غيره فلا بد من التثبت فيه، ثم قال الاسكافي مانصه: وذكروا أن ابن الكواء لما سمع عليا يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإن العلم يقبض قبضاً، سلوني فإن بين الجوانح مني علما جما.

فقام إليه ابن الكواء فقال: أنا أسألك يا أمير المؤمنين؟ فقال: سل تفقها ولا تسئل تعنتا، وسل عما يعينك ودع ما لا يعينك. قال: يا أمير المؤمنين: ما «الذاريات ذروا»؟^(٣) قال: تلك الرياح. قال: فما «الحاملات وقرأ»؟ قال: تلك السحاب. قال: فما «الجاريات يسرا»؟ قال: تلك السفن. قال: فما «المقسّسات أمرا»؟ قال: تلك الملائكة. قال: فحدثني عن قول الله: «و البيت المعمور والسقف المرفوع»^(٤) قال: ذلك الضراح بيت في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك. قال: فحدثني عن ذي القرنين! أني أم ملك؟ قال: ليس واحد منهما ولكن كان عبدا نصّح الله فنصّح الله له، وأحب الله فأحبه. قال: فأخبرني فيمن

(١) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١٣: ١٦٥، ح ٣٩٥.

(٢) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١٣: ١٣١، ح ٣٩٥٠٣.

(٣) الذاريات: ٥١.

(٤) الطور: ٥ و ٤.

نزلت هذه الآية : ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار﴾^(١) قال: هم الافجران من قريش : بنو أمية وبنو المغيرة ، فأما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر ، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين . قال : فحدثني عن قوله : ﴿قل هل أنبئكم بالاخرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾^(٢) قال : هم أهل حروراء . قال : يا أمير المؤمنين فحدثني عن هذه المجرة ما هي ؟ قال : هذه أسراج السماء ومنها هبط من السماء الماء المنهمر . قال : يا أمير المؤمنين فحدثني عن قوس قزح ؟ قال : لا تقل قوس قزح ، ولكنها قوس الله وأمان من الغرق . قال : فحدثني عن هذا المحق الذي في القمر ما هو ؟ قال : قال الله : ﴿فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾^(٣) كان ضوء القمر مثل ضوء الشمس فمحاه الله .

قال : فحدثني عن أصحاب رسول الله ﷺ . قال : سل عن أحببت . قال : عبد الله بن مسعود ؟ قال : قرأ القرآن وقام عنده . قال : فحدثني عن أبي ذر الغفاري . قال : عالم شحيح على علمه . قال : فعن حذيفة بن اليمان حدثني ؟ قال : عرف المنافقين وسأل عن المعضلات ولو سألتموه وجدتموه بها خبيرا . قال : فحدثني عن سلمان الفارسي ؟ قال : علم علم الاول والعلم الآخر وهو بحر لا ينزح ، ويحك ومن لك بلقمان الحكيم وهو منا أهل البيت ؟ قال : فحدثني عن عمار بن ياسر؟ قال : خالط الايمان شعره وبشره ولحمه ودمه وعصبه وعظامه وهو محرم على النار ، كيف زال الحق زال معه عمار .

قال : فحدثني عن نفسك قال : قال الله : ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾^(٤) ! قال : وقد قال : ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾^(٥) قال : ويحك ! كنت أول داخل على النبي وآخر خارج من عنده ، وكنت إذا سألت أعطيت وإذا سكنت ابتديت ، وكنت أدخل على رسول الله ﷺ كل يوم

(١) ابراهيم: ٢٨.

(٢) الكهف: ١٠٣.

(٣) الاسراء: ١٢.

(٤) الاسراء: ١٢.

(٥) الضحى: ١١.

دخلت وفي كل ليلة دخلت، وربما كان ذلك في بيتي يأتيني رسول الله عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك في منزلي، فإذا دخلت عليه في بعض منازل أخلا بي وأقام نساءه فلم يبق عنده غيري، وإذا أتاني لم يبق فاطمة ولا أحداً من ولدي، فإذا سألته أجبني، وإذا سكت عنه ونفدت مسألتي ابتدأني. فما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملأها عليّ وكتبها بخطي، فدعا الله أن يفهمني ويعطيني، فما نزلت آية من كتاب الله إلا حفظتها وعلمني تأويلها وما تركت شيئاً من حلال ولا حرام إلا وقد حفظته وعلمني تأويله، لم أنس منه حرفاً واحداً منذ وضع يده ﷺ على صدري فدعا الله أن يملأ قلبي فهما وعلمنا وحكما ونورا^(١).

وقال الاسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) في المعيار الموازنة - أيضاً - وفي تحقيق ذلك : ما تأثرونه من روايتكم عن النبي ﷺ أنه قال لعلي : إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك ولا أجفوك، فحقيق عليّ أن أعلمك وحقيق عليك أن تعي.

وذكروا أن سائلاً سأله عن أحاديث البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر فأقبل على السائل فقال: له : قد سألت فافهم الجواب، إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله ﷺ على عهده حتى قام خطيباً فقال: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس : رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب على رسول الله متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا : هذا صاحب رسول الله ﷺ ورآه وسمع منه . فيأخذون عنه، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به، ثم بقوا بعد النبي ﷺ فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولّوهم الاعمال وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله. فهذا أحد الاربعة.

ورجل سمع من رسول الله ﷺ شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا ، فهو في يديه يعمل به ويرويه ويقول : أنا سمعته من رسول الله ﷺ فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه ولو علم هو أنه وهم لرفضه .

ورجل ثالث: سمع من رسول الله ﷺ شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم ، حفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو يعلم أنه منسوخ لرفضه ، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه .

وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسول الله، ولم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه وحفظ الناسخ والمنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ، وعرف الخاص من العام فوضع كل شيء موضعه وعرف المتشابهة بمحكمه ، وقد كان يكون من رسول الله الكلام له وجهان : فكلام خاص وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ولا ما عنى به رسوله فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله . وليس كل أصحاب رسول الله من كان يسأله ويستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابي أو الطارئ فيسأله ﷺ حتى يسمعو . وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته . فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم . انتهى كلامه ﷺ . (١)

(١) المعيار والموازنة؛ لأبي جعفر الإسكافي : ٣٠١ - ٣٠٤ .

[الخطبة (١٩٢)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «الأمالي»، وفيه: حدثنا الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي قدس الله روحه، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، عن أحمد بن القاسم، عن عباد، عن عبد الله بن الزبير، عن عبد الله بن شريك، عن أبيه، قال: صعد علي عليه السلام المنبر يوم الجمعة، فقال: «أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يقولها بعدي إلا كذاب، ما زلت مظلوما منذ قبض رسول الله ﷺ، أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين طلحة والزبير، والقاسطين معاوية وأهل الشام، والمارقين: وهم أهل النهروان، ولو أمرني بقتال الرابعة لقاتلتهم»^(١).

وبالاسناد عن ابن كثير (ت / ٧٧٤ هـ) في «جامع المسانيد والسنن»، قال: حدثنا عباد بن يعقوب، حدثنا الربيع بن سعد، حدثنا سعيد بن عبيد، عن علي بن ربيعة، عن علي قال: «عهد إلي رسول الله ﷺ في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين».

وقال: حدثنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم، عن محمد بن القاسم أبي إبراهيم الأسدي، عن سعيد بن عبيد، عن علي بن ربيعة، عن علي، قال: لا أعلمه إلا عن النبي ﷺ: «إذا هاج بأحدكم الدَّم، فليهرقه ولو بمشقص»^(٢).

وبالاسناد عن ابن كثير (ت / ٧٧٤ هـ) في «جامع المسانيد والسنن» عن ابن عباس قال: «أول من صلى مع النبي ﷺ، بعد خديجة، علي. وقال مرة: أسلم».

وعن زيد بن أرقم قال: أول من أسلم مع رسول الله ﷺ، علي رضي الله تعالى عنه. وعن عمرو بن ميمون قال: إني لجالس إلى ابن عباس، إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا أبا عباس! إما أن تقوم معنا وإما أن يخلونا هؤلاء. قال، فقال ابن عباس: بل أقوم معكم. قال:

(١) الأمالي؛ للشيخ الطوسي: ٧٢٦.

(٢) جامع المسانيد والسنن ٢٠: ٢١٠، الحديثان ٧٠٤ و٧٠٥.

وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمي. قال: فابتدؤا فتحدثوا. فلا ندري ما قالوا. قال: فجاء ينفذ ثوبه ويقول: أف وتنف! وقعوا في رجل له عشر. وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ: «لا بعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحب الله ورسوله» قال: فاستشرف لها من استشرف. قال: «أين علي؟» قالوا: هو في الرجل يطحن. قال: «وما كان أحدكم ليطحن؟» قال فجاء، وهو أرمد لا يكاد يبصر. قال فنفت في عينيه، ثم هز الراية ثلاثاً. فأعطاه إياه، فجاء بصفية بنت حبي.

قال: ثم بعث فلاناً بسورة التوبة. فبعث علياً خلفه فأخذها منه، قال: «لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه».

قال وقال لبي عمه: «أيكم يوالي في الدنيا والآخرة» قال وعلي معه جالس، فأبوا. فقال علي: أنا وأليك في الدنيا والآخرة. قال: «أنت وليي في الدنيا والآخرة». قال: فتركه ثم أقبل على رجل منهم فقال: «أيكم يوالي في الدنيا والآخرة؟» فأبوا. قال فقال علي: أنا وأليك في الدنيا والآخرة. فقال: «أنت وليي في الدنيا والآخرة». قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة.

قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»

قال: وشرى علي نفسه. لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه. قال: وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم. قال وأبو بكر يحسب أنه نبي الله. قال فقال: يا نبي الله! قال: فقال له علي: إن نبي الله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون، فأدركه. قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار. قال: وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله، وهو يتضور. قد لف رأسه في الثوب لا يخرج، حتى أصبح. ثم كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للئيم. كان صاحبك نرمة فلا يتضور وأنت تتضور. وقد استكرنا ذلك.

قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال له علي: أخرج معك؟ فقال له نبي الله: «لا» فبكى علي. فقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنك لست بنبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي».

قال: وقال له رسول الله ﷺ: «أنت وليي في كل مؤمن بعدي».

وقال: «سدوا أبواب المسجد غير باب علي» فقال: فیدخل المسجد جنباً، وهو طريقه، ليس له طريق غيره.

قال: وقال: «من كنت مولاه، فإن مولاه علي».

قال: وأخبرنا الله عز وجل في القرآن أنه قد رضي عنهم، عن أصحاب الشجرة، «فعلم ماقلوبهم». هل حدثنا أنه سخط عليهم بعد؟

قال: وقال نبي الله ﷺ لعمر، حين قال له: انذن لي فلاضرب عنقه يعني: إحاطب أبي بلتعة، وكان أرسل إلى المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر الرسول الله ﷺ، قال: «أو كنت فاعلاً؟ وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال: اعلموا ما شئتم».^(١)

وعن اسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي، عن أبيه، عن جده، قال: كنت امرءاً تاجراً، فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبد المطلب لابتاع منه بعض التجارة، وكان امرءاً تاجراً، فوالله! إني لعنده بمنى، إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى الشمس، فلما رآها مالت، يعني قام يصلي.

قال: ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلي، ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلي.

قال: فقلت للعباس: من هذا؟ يا عباس! قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ابن أخي. قال: فقلت: من هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة ابنة خويلد. قال: قلت: فما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلي. وهو يزعم أنه نبي، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى. وهو يزعم أنه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر».

قال: فكان عفيف، وهو ابن عم الأشعث بن قيس، يقول - وأسلم بعد ذلك، فحسن إسلامه - : لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ، فأكون ثالثاً مع علي بن أبي طالب».^(٢)

(١) رواه أحمد في مسنده ص ٣٣٠ ج ١ (ميمنية)، ووقع برقم ٣٠٦٢ (ط. الشيخ شاكر)، ورواه الطبراني في الكبير الأوسط باختصار ورجال أحمد رجال الصحيح. وروى الترمذي منه قطعيتين من طريق آخر.

(٢) جامع المسانيد والسنن ج ٢٠ ص ٢١١، والحديث صحيح، رواه البخاري في التاريخ

وبالاسناد عن ابن كثير (ت / ٧٧٤ هـ) في «جامع المسانيد والسنن»، قال تحت عنوان «مبايعته الرسول ﷺ»: «عن ربيعة بن ناجذ عن علي قال: جمع رسول الله ﷺ، أو دعا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، فيهم رهط كلهم يأكل الجذعة، ويشرب الفرق! قال: فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا، قال: وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر، فشربوا حتى رووا، وبقي الشراب كأنه لم يمس، أو لم يشرب، فقال: يا بني عبد المطلب: إني بعثت لكم خاصة وإلى الناس بعامة، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم، فأياكم يبالي يعني على أن يكون أخي وصاحبي؟ قال: فلم يقم إليه أحد، قال: فقمتم إليه، وكنت أصغر القوم، قال: فقال: اجلس. قال: ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه فيقول لي: اجلس، حتى كان الثالثة ضرب بيده على يدي»^(١).

وبالاسناد عن ابن كثير (ت / ٧٧٤ هـ) في «جامع المسانيد والسنن»، قال تحت عنوان «علي أول رجل صلى مع رسول الله ﷺ»: «وعن ابن عباس قال: «أول من صلى علي»^(٢). وعن حبة العرني قال: سمعت علياً يقول: «أنا أول رجل صلى مع رسول الله ﷺ»^(٣). وقال ابن إسحاق: ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ، وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، رضوان الله وسلامه عليه، وهو يومئذ ابن عشر سنين. وكان مما أنعم الله به على علي بن أبي طالب ﷺ، أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام. قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيع

الكبير عن ابن المديني، وابن كثير في التاريخ والحاكم في المستدرک وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبي: صحيح، ورواه الطبري في التاريخ، وابن عبد البر في الاستيعاب، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٠٣: «رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه، والطبراني بأسانيد، ورجال أحمد ثقات».

(١) رواه أحمد، ورجاله ثقات. والفرق بفتح الحاء والراء: مكيال يسع ستة عشر رطلاً عند الحجاز (النهاية). والغمر: بضم الغين وفتح الميم: القدح الصغير.

(٢) جامع المسانيد والسنن ١٩: ٩، وأخرجه الترمذي ٥: ٦٤٢ في ٥٠ - كتاب المناقب - ٢١ باب حدثنا سفيان بن وكيع، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقد روى عن أبي رافع قال: صلى النبي يوم الاثنين وصلت خديجة يوم الاثنين من آخر النهار، وصلى علي يوم الثلاثاء؛ فمكث علي يصلي مستخفياً سبع سنين وأشهرًا قبل أن يصلي أحد. (رواه الطبراني).

(٣) أخرجه أحمد ١: ١٤١ (ط / الميمية)، والحديث ١١٩١ (ط / الشيخ شاكر)، وإسناده صحيح.

عن مجاهد عن جبر أبي الحجاج قال: كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب، ومما صنع الله له، وأراد به من الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة. وكان أبو طالب ذا عيال كثير. فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم: «يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة. فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله. آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكفهما عنه» فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً، فاصنعا ما شئتما. فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه. وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه. فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً. فاتبعه علي عليه السلام وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

وقال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان، إذا حضرت الصلاة، خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها. فإذا أمسيا رجعا. فمكثا كذلك ما شاء الله ﷻ: يا بن أخي! ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عم! هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين آيينا إبراهيم - أو كما قال ﷺ بعثني الله به رسولا إلى العباد. وأنت، أي عم! أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجنبي إليه وأعانتني عليه. أو كما قال فقال أبو طالب: أي ابن أخي! إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه. ولكن، والله! لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت.

وذكروا أنه قال لعلي: أي بني! ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت! آمنت بالله وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير، فالزمه»^(١).

(١) جامع المسانيد والسنن: ١٩: ٩-١١، ط / ١٤١٥ هـ، وراجع: السيرة لابن هشام ١: ٢٦٢-٢٦٤.

[الخطبة (١٩٣)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: أمّا بعد، فإن الله سبحانه خلق الخلق... الخ، قال الشارح العلامة: من ها هنا اختلفت نسخ النهج، فكثير منها تكون هذه الخطبة فيها أول الجلد الثاني منه، بعد الخطبة المسماة بالقاصعة، ويكون عقيب كلامه للبرج بن مسهر قوله: ومن خطبة له ﷺ: الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد... الخ، وكثير من النسخ تكون هذه الخطبة فيها متصلة بكلامه للبرج - الى أن قال - وعليه أي على كون خطبة همام له بعد كلامه للبرج جماعة من الشارحين، كالامام قطب الدين أبي الحسن الكيدري والفاضل عبد الحميد، ووافقتهم في هذا الترتيب لغلبة الظن باعتمادهم على النسخ الصحيحة». انتهى. ونحن نوافقهم على هذا الترتيب أيضاً، وهذا الاختلاف غير قادح في الاعتماد على الكتاب، والظاهر أنه وقع من بعض الناسخين في تقديم بعض اجزاء الكتاب على البعض الآخر. وهذه الخطبة رواها كثير من أهل العلم بروايات مختلفة فقد رواها في كتاب تحف العقول في «ص ٣٧» طبع ايران ولم يذكر قصة همام وذكرها الكراجكي في «ص ٣١» بأبسط مما ذكر هنا مع اختلاف في بعض الفقرات، وقد ذكرها ابن حجر في الصواعق بأخصر مما هنا، وذكر قصة همام وانه ابن عباد بن خيثم، وفي الشرح: انه شريح بن يزيد، وروى الكليني في أصول الكافي كلاماً لاميير المؤمنين ﷺ في صفة المؤمن، وقد طلب منه همام أن يصفه له، وهو غير ما روي هنا؛ لانه في صفة المتقين. وتلك رواية أخرى في صفة المؤمن».^(١)

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواها الشيخ الصدوق في الامالى (المجلس

٨٤)».^(٢)

(١) مدراك نهج البلاغة: ٩٤.

(٢) راجع استناد نهج البلاغة.

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت) / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن محمد بن جعفر، عن محمد بن إسماعيل، عن عبد الله بن داهر، عن الحسن بن يحيى، عن قثم أبي قتادة الحراني، عن عبد الله بن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قام رجل يقال له: همام - وكان عابداً، ناسكاً، مجتهداً - إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب، فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه؟ فقال: يا همام المؤمن هو الكيس الفطن، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شئ صدره، وأذل شئ نفسه، زاجر عن كل فان، حاض على كل حسن، لا حقوق ولا حسود، ولا وثاب، ولا سباب، ولا عياب، ولا مغتاب، يكره الرفعة ويشنأ السمعة، طويل الغم، بعيد الهم، كثير الصمت، وقور، ذكور، صبور، شكور، مغموم بفكره، مسرور بفقره، سهل الخليفة، لين العريكة، رصين الوفاء، قليل الاذى، لا متأفك ولا متهتك. إن ضحك لم يخرق، وإن غضب لم ينزق، ضحكه تبسم، واستفهامه تعلم، ومراجعته تفهم. كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرحمة، لا يبخل، ولا يعجل، ولا يضجر، ولا يبطر، ولا يحيف في حكمه، ولا يجور في علمه، نفسه أصلب من الصلد، ومكادحته أحلى من الشهد، لا جشع ولا هلع ولا عنف ولا صلف ولا متكلف ولا متعمق، جميل المنازعة، كريم المراجعة. عدل إن غضب، رفيق إن طلب، لا يتهور ولا يتهتك ولا يتجبر، خالص الود، وثيق العهد، وفي العقد شفيق، وصول، حلیم، خمول، قليل الفضول، راض عن الله عز وجل، مخالف لهواه، لا يغلظ على من دونه، ولا يخوض فيما لا يعنيه، ناصر للدين، محام عن المؤمنين، كهف للمسلمين، لا يخرق الثناء سمعه، ولا ينكي الطمع قلبه، ولا يصرف اللعب حكمه، ولا يطلع الجاهل علمه، قوال، عمال، عالم، حازم، لا بفحاش ولا بطياش، وصول في غير عنف، بذول في غير سرف، لا بختال، ولا بغدار، ولا يقتني أثراً، ولا يحيف بشراً، رفيق بالخلق، ساع في الارض، عون للضعيف، غوث للملهوف، لا يهتك ستره ولا يكشف سرا، كثير البلوى، قليل الشكوى، إن رأى خيراً ذكره، وإن عاين شراً ستره، يستر العيب، ويحفظ الغيب، ويقلل العثرة ويغفر الزلة، لا يطالع على نصح

فيذره، ولا يدع جنح حيف فيصلحه، أمين، رصين، تقى، نقي، زكي، رضي، يقبل العذر، ويكمل الذكر، ويحسن بالناس الظن، ويتهم على الغيب نفسه، يحب في الله بفقه وعلم، ويقطع في الله بحزم وعزم، لا يخرق به فرح، ولا يطيش به مرح، مذكر للعالم، معلم للجاهل، لا يتوقع له بائقة، ولا يخاف له غائلة، كل سعي أخلص عنده من سعيه، وكل نفس أصلح عنده من نفسه، عالم بعيبه، شاغل بغمه، لا يثق بغير ربه، غريب وحيد جريد حزين يحب في الله ويجاهد في الله ليتبع رضاه، ولا ينتقم لنفسه بنفسه، ولا يوالي في سخط ربه، مجالس لاهل الفقر، مصادق لاهل الصدق، مؤازر لاهل الحق. عون للقريب، أب لليتيم، بعل للارملة، حفي بأهل المسكنة، مرجو لكل كريهة، مأمول لكل شدة، هشاش، بشاش، لا بعباس ولا بجساس، صليب، كظام، بسام، دقيق النظر، عظيم الحذر، لا يجهل وإن جهل عليه يحلم، لا يبخل وإن بخل عليه صبر، عقل فاستحيى، وقنع فاستغنى، حياؤه يعلو شهوته، ووده يعلو حسده، وعفوه يعلو حقه، لا ينطق بغير صواب، ولا يلبس إلا الاقتصاد، مشيه التواضع، خاضع لربه بطاعته، راض عنه في كل حالاته، نيته خالصة، أعماله ليس فيها غش ولا خديعة، نظره عبرة، سكوته فكرة، وكلامه حكمة، مناصحا متبازلا متواخيا، ناصح في السر والعلانية، لا يهجر أخاه، ولا يغتابه، ولا يكرهه، ولا يأسف على ما فاتته، ولا يحزن على ما أصابه، ولا يرجو ما لا يجوز له الرجاء، ولا يفشل في الشدة، ولا يبتر في الرخاء، يمزج الحلم بالعلم، والعقل بالصبر، تراه بعيدا كسله، دائما نشاطه، قريبا أمله، قليلا زلله، متوقعا لأجله، خاشعا قلبه، ذاكر ربه، قانعة نفسه، منفيًا جهله، سهلا أمره، حزينا لذنيه، ميتة شهوته، كظوما غيظه، صافيا خلقه، آمنا منه جاره، ضعيفا كبره، قانعا بالذي قدر له، متينا صبره، محكما أمره، كثيرا ذكره، يخالط الناس ليعلم، ويصمت ليسلم، ويسأل ليفهم، ويتجر ليغنم، لا ينصت للخبر ليفجر به، ولا يتكلم ليتجبر به على من سواه، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته فأراح الناس من نفسه، إن بغي عليه صبر حتى يكون الله الذي ينتصر له، بعده ممن تباعد منه بغض ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس

تباعده تكبرا ولا عظمة ، ولا دتوه خديعة ولا خلافة ، بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير ، فهو إمام لمن بعده من أهل البر .

قال: فصاح همام صيحة ، ثم وقع مغشيا عليه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما والله لقد كنت أخافها عليه وقال: هكذا تصنع الموعظة البانغة بأهلها ، فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال: إن لكل أجالاً لا يعدوه ، وسببا لا يجاوزه ، فمهلا لا تعد ؛ فإنما نفث على لسانك شيطان» .^(١)

وبالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «صفات الشيعة» ، قال: حدثني محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد عليه السلام قال: حدثني محمد بن الحسن الصفار ، قال: حدثنا علي بن حسان الواسطي ، عن عمه عبد الرحمان بن كثير الهاشمي عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: قام من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام يقال له: همام - وكان عبدا - فقال له: يا أمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأني انظر إليهم ، فتناقل أمير المؤمنين صلوات الله عليه في جوابه ثم قال عليه السلام : ويحك يا همام اتق واحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، فقال همام: يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أكرمك بما خصك به وحباك وفضلك بما أتكأ وأعطاك لما وصفتهم لي . فقام أمير المؤمنين عليه السلام قائما على قدميه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله وسلم ثم قال: أما بعد ، فان الله عز وجل : خلق الخلق حيث خلقهم غنيا عن طاعتهم آمنا من معصيتهم لأنه لا تضره معصية من عصاه منهم ولا تنفعه طاعة من اطاعه منهم وقسم بينهم معاشهم ، ووضعهم من الدنيا مواضعهم وانما اهبط الله آدم وحواء عليهما السلام من الجنة عقوبة لما صنعا حيث نهاهما فخالفاهما وأمرهما فعصياه ، فالمتقون فيها أهل الفضائل منطلقهم الصواب ، ملبسهم الاقتصاد ، ومشيههم التواضع : خضعوا لله بالطاعة فبهتوا ، غاضين ابصارهم عما حرم الله عليهم ، واقفين اسماعهم على العلم النافع لهم ، نزلت انفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت بهم في الرخاء رضا منهم عن الله بالقضاء ولولا الآجال التي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم

(١) الكافي ؛ للشيخ الكليني ٢ : ٢٢٦ - ٢٣١ .

في أجسادهم طرفة عين شوقا الى الثواب ، وخوفا من العقاب ، عظم الخالق أنفسهم ، وصغروا ما دونه في اعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها فهم منعمون ، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون ، قلوبهم محزونة ، وشروهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة ، وحوائلهم خفيفة ، وانفسهم عفيفة ، ومؤنتهم من الدنيا عظيمة ، صبروا أياما قليلة قصارا أعقتهم راحة طويلة بتجارة مربحة يسرها لهم رب كريم ، ارادتهم الدنيا ولم يريدوها ، وطلبتهم فاعجزوها ، أما الليل فصافون أقدامهم ، تالين لاجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا ، يحزنون به أنفسهم ويستبشرون به وتهيج أحزانهم بكاء على ذنوبهم ، ووجع كلوم جوانحهم ، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها بمسامع قلوبهم وأبصارهم فاقشعرت منها جلودهم ، ووجلّت منها قلوبهم ، وظنوا أن سهيل جهنم وزفيرها وشهيقها في اصول آذانهم ، وإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا ، وتطلّعت أنفسهم إليها شوقا ، فظنوا أنها نصب أعينهم ، جاثين على أوساطهم يمجّدون جبارا عظيما ، مفترشين جباههم أكفهم وأطراف أقدامهم وركبهم ، تجري دموعهم على خدودهم يجأرون الى الله في فكاك رقابهم . واما النهار فحلما علماء بررة أتقياء ، قد براهم الخوف إيري القداح - خ ل [فهم أمثال القداح ، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وبالقوم من مرض ، أو يقول : قد خولطوا ، فقد خالط القوم أمر عظيم ، إذا فكروا في عظمة الله وشدة سلطانه مع ما يخالطهم من ذكر الموت وأهوال القيامة فزع ذلك قلوبهم ، وجاشت حلومهم وذهلت قلوبهم [عقولهم - خ ل] وإذا استفاقوا بادروا الى الله بالأعمال الزكية ، لا يرضون لله أعمالهم بالقليل ولا يستكثرون له الجزيل ، فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون ، ان زكّي أحدهم خاف مما يقولون وقال : انا أعلم بنفسي من غيري ، وربّي أعلم بنفسي مني ، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيرا ممّا يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، فانك علام الغيوب ، وستار العيوب . ومن علامة أحدهم : انك ترى له قوّة في دين ، وحزما في لين ، وإيمانا في يقين ، وحرصا على العلم ، وكيسا في رفق ، وشفقة في نفقة ، وقصدا في غناء ، وخشوعا في عبادة وتحمّلا في فاقة وصبرا في شدة ورحمة للمجهود ، واعطاء في حق ، ورفقا في كسب ،

وطلباً للحلال، ونشاطاً في الهدى، وتحرجاً عن الطمع، وبراً باستقامة، وإغماضاً عند شهوة، لا يغره ثناء من جهله، ولا يدع احصاء ما قد عمله، مستنبطياً لنفسه في العمل، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمسى وهمه الشكر، ويصبح وشغله الذكر، يبيت حذراً ويصبح فرحاً، حذراً لما حذر من الغفلة، وفرحاً لما اصاب من الفضل والرحمة، ان استصعب عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما إليه مضرت، وفرحه فيما يخلد ويطول، وقرّة عينه فيما لا يزول ورغبته فيما يبقى، وزهادته فيما يفنى، يمزج الحلم بالعلم، ويمزج العلم بالعقل، تراه بعيداً كسله، دائماً نشاطه، قريباً أمله، قليلاً زلله، متوقفاً أجله خاشعاً قلبه، ذاكراً ربه، خائفاً ذنبه، قانعة نفسه متغيياً جهله، سهلاً أمره حريزاً دينه، ميتة شهوته، كاظماً غيظه، صافياً خلقه، آمناً منه جاره، ضعيفاً كبره، ميتاً ضره، كثيراً ذكره، محكماً أمره، يحدث بما يؤتمن عليه الاصدقاء، ولا يكتفم شهادته للاعداء، ولا يعمل شيئاً من الحق رياء ولا يتركه حياء، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، ان كان في الغافلين كتب من الذاكرين، وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين، يعفو عن ظلمه، ويعطى من حرمه، ويصل من قطعه، لا يعزب حلمه ولا يعجل فيما يريه، ويصفح عما قد تبين له، بعيداً [بعد - خ ل] جهله، لينا قوله، غائباً مكره [منكره - خ ل]، قريباً معروفه، صادقاً قوله، حسناً فعله، مقبلاً خيره، مدبراً شره، فهو في الهزاهز وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم على من لا يحب، ولا يدعى ما ليس له، ولا يجحد حقاً هو عليه، يعترف بالحق أن يشهد عليه، ولا يضيع ما استحفظ، لا ينسى ما ذكره، ولا يناز بالآلقاب، ولا يبغي على أحد، ولا يهيم بالحسد، ولا يضر بالجار، ولا يشمت بالمصائب، سريع الى الصلوات، مؤدّ للأمانات، بطئ عن المنكرات، يأمر بالمعروف، وينهى المنكر، لا يدخل في الامور بجهل، ولا يخرج من الحق بعجز، ان صمت لم يغمه صمته. وان نطق لم يقل خطأ، وان ضحك لم يعد صوته سمعه، قانعا بالذي قدر له، ولا يجمع به الغيظ، ولا يغلبه الهوى، ولا يقهره الشح، لا يطمع فيما ليس له، يخالط الناس ليعلم، ويصمت ليسلم، ويسأل ليفهم، ينصت

ليعجب به ، ولا يتكلم ليفخر على من سواه ، ان يغي عليه صبر ، حتى يكون الله هو الذي ينتقم له ، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة ، اتعب نفسه لآخرته وأراح الناس من شره ، بعد من تباعد عنه بغض ونزاهة ، ودنو من دنا منه لين ورحمة ، فليس تباعده بكبر ولا عظمة ، ولادنوّه بخديعة وخلافة ، بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير ، وهو امام لمن خلفه من أهل البر.

قال: فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها، فقال امير المؤمنين (عليه السلام): اما والله لقد كنت اخافها عليه ، وأمر به فجهّز وصلى عليه وقال: هكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها. فقال قائل: فما بالك انت يا امير المؤمنين؟ قال (عليه السلام): ويلك ان لكل أجلا لن يعدوه وسببا لا يجاوزه ، فمهلا ، لا تعد ، فانما نفت لسانك الشيطان»^(١).

ومن الموافقات: ما ارويّه بالاسناد عن سبط ابن الجوزي (ت / ٦٥٤ هـ) قال: وفي رواية مجاهد عن ابن عباس قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «أما بعد فان الله خلق الخلاق حين خلقهم وهو غني عن طاعتهم، لا يتضرر بمعصيتهم؛ لأنه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه واتقاه. فالمتقون في هذه الدار هم أهل الفضائل، منطقتهم الصواب وملبسهم الاقتصاد وعيشهم التواضع غضوا أبصارهم عن المحارم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع ولولا الرجاء لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً الى جزيل الثواب وخوفاً من وبيل العقاب وعظم الخالق في أنفسهم فصغر مادونه في أعينهم فهم والجنة كمن قد رآها منعمون؛ وفي النار كمن رآها معذبون قلوبهم محزونة وشروهم مأمونة أجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة صبروا أياماً قصيرة فأعقبهم راحة طويلة؛ اما الليل فصافوا أقدامهم تالين أعز الكلام واحسن النظام يحبرونه تحبيراً ويرتلونه ترتيلاً فاذا مروا بآية فيها ذكر تشويق ركنوا اليها طمعاً وتطلعت نفوسهم شوقاً وهلعاً واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها بمسامع قلوبهم ومثلوا زفير جهنم في آذانهم فهم مفترشون جباههم وركبهم وأطراف أقدامهم يجأرون الى الله في فكاك رقابهم، وأما

(١) صفات الشيعة؛ للشيخ الصدوق : ١٨ - ٢٥.

النهار فعلماء حلماء بررة أتقياء قد براهم الخوف بري القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم، لا يرضون بأعمالهم بالقليل ولا يستكترون الكثير فهم لأنفسهم يمهدون [أو: مهتمون] ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكى أحدهم خاف أشد الخوف يقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، اللهم فلا تواخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون، ومن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وورعاً في يقين، وحزماً في علم وعزماً في حكم وقصداً في غناء وخشوعاً في عبادة وتحملاً في فاقة وصبراً في شدة وطلباً للحلال وتحرجاً عن الطمع يعمل الأعمال الصالحة على وجل ويجتهد في إصلاح ذات البين يمسي وهمته الشكر ويصبح وشغله الفكر الخير منه مأمول والشر منه مأمون يعفو عن من ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه وفي الزلازل صبور وفي المكارم وقور وفي الرضا شكور لا يناز بالالقباب ولا يعرف العاب، ولا يؤذي الجار، ولا يكثر بالمصايب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق أن يغي عليه صبر ليكون الله سبحانه هو المنتقم له؛ نفسه منه في عناء والناس منه في راحة أتعب نفسه لآخرته ويزهد في الدنيا شوقاً إلى مولاه»^(١).

قال علي بن محمد الماوردي الشافعي (ت / ٤٥٠ هـ) في الباب الرابع عشر من كتابه «أعلام النبوة»، تحت عنوان «في ظهور معجزه ﷺ من الشجر والجناد» مانصه: «ولئن كانت المعارف من الجمادات أبعد والكلام منها أغرب فليس بمستبعد ولا مستغرب أن يحدث الله تعالى فيها من الآيات الخارجة عن العادة ما يحج الله تعالى به من استبصر ويمد به من استنصر.

فمن آيته ﷺ: ما حكاه أهل النقل عن علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه، أنه خطب على الناس خطبته المعروفة بالناصعة، فقال فيها:

«الحمد لله الذي هو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب، أيها الناس اتقوا

(١) تذكرة الخواص: ١٣١، ط / ١٤٠١ هـ.

الله ولا تكونوا لنعمه عليكم أضعافاً، ولا لفضله عندكم حساداً، ولا تطيعوا أساس الفسوق وأحلاس العقوق، فإن الله تعالى مختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم، ألا ترون أنه اختبر الأولين من لدن آدم إلى الآخرين من هذا العالم بأنواع الشدائد، وتعبدتهم بألوان المجاهد، ليجعل ذلك أبواباً فتحة إلى فضله، وأسباباً دليلاً لعفوه، فاحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثالات بسوء الافعال وذميم الأعمال، أن تكونوا أمثالهم، فلقد كانوا على أحوال مضطربة، وأيد مختلفة، وجماعة متفرقة في بلاء أزل، واطباق جهل من بنات موودة، وأصنام معبودة، وأرحام مقطوعة، وغارات مشنونة، فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم حين بعث إليهم رسولاً كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها، وأسلت لهم جداول نعيمها، فهم حكام على العالمين، وملوك في أطراف الأرضين، يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الأحكام على من كان يمضيها فيهم، ولقد كنت مع رسول الله ﷺ وقد أتاه الملائكة من قريش فقالوا: يا محمد! إنك قد ادّعيت عظيماً لم يدّعه أبأوك ولا أحد من أهل بيتك ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأرئيتناه علمنا أنك نبي ورسول وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب، قال لهم: «وما تسألون؟» قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك، فقال ﷺ: «إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله ذلك لكم أتؤمنون وتشهدون بالحق؟» قالوا: نعم، قال: «فإني سأريكم ما تطلبون وإني لأعلم أنكم لاتفيؤون إلى خير وأن منكم من يطرح في القلب ومن يحزب الأحزاب»، ثم قال: «أبّتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يديّ بإذن الله تعالى»، قال علي رضي الله تعالى عنه: فوالذي بعثه بالحق لاتقلعت بعروقها وجاءت ولها دويّ شديد وقصف كقصيف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مرفرفة وألقت بعضها الأعلى عليه وبيعض أغصانها على منكبي - وكنت عن يمينه - فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علواً واستكباراً: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها، فأمرها بذلك فأقبل نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً، فكادت تلتف برسول الله ﷺ، فقالوا كفوّاً وعتوا: فمر هذا

النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره فرجع، فقلت أنا: لا إله إلا الله، فأنا أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً لنبوتك وإجلالاً لكلمتك، فقال القوم كلهم: بل ساحرٌ كذاب عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك هذا إلا مثل هذا؟ - يعنونني -». وهذا حكاية خطيباً على الإِشهاد، وقلّ أن يخلو جمع مثله ممن يعرف حق ذلك من باطله، فكانوا بالموافقة مجمعين على صحته، ولولاه لظهر الرد وإن ندر، وهذا من أبلغ آية وأظهر إعجاز له.^(١)

وبالاستناد عن ابن كثير (ت / ٧٧٤هـ) قال: حديث: «كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر هو يقول: السلام عليك يا رسول الله». رواه الترمذي في المناقب عن عباد بن يعقوب الكوفي الوليد بن أبي ثور، عن السدي، عنه به. وقال: غريب، وقد رواه واحد عن الوليد، وقالوا: عباد بن يزيد.^(٢)

(١) اعلام النبوة: ١٩١ - ١٩٢، ط / ١٤٠٧.

(٢) جامع المسانيد والسنن ١٩: ٢٨٨ - ٢٨٩، ط / ١٤١٥ هـ.

[الخطبة (١٩٧)]

قال العرشي في التخريج ما نصّه: «رواه الشيخ المفيد في الامالي إبحار الانوار ج ١٧ ص ١٠٥ باختلاف يسير». (انتهى)^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويّه بالاسناد عن المنقري (ت / ٢١٢ هـ) من قوله ﷺ: «اني لم أرد... الى قوله ﷺ: «والملائكة أعواني»، فراجع.

وبالاسناد عن نصر بن مزاحم المنقري (ت / ٢١٢ هـ) في «وقعة صفين» مانصّه: عمر بن سعد، عن أبي يحيى، عن محمد بن طلحة، عن أبي سنان الأسلمي قال: لما أخبر على بخطبة معاوية وعمرو، وتحريضهما الناس عليه أمر الناس فجمعوا. قال: وكأني أنظر إلى عليّ متوكئاً على قوسه، وقد جمع أصحاب رسول الله ﷺ عنده، فهم يلونه. وكأنه أحب أن يعلم الناس أن أصحاب رسول الله متوافرون عليه، فحمد الله، ثم قال: أيها الناس، اسمعوا مقالتي، وعوا كلامي، فإن الخيلاء من التجبر، وإن النخوة من التكبر، وإن الشيطان عدوّ حاضر، يعدكم الباطل. ألا إن المسلم أخو المسلم، فلا تباذوا ولا تتخاذلوا، فإن شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق، ومن تركها مرق، ومن فارقه محق. ليس المسلم بالخائن إذا أؤتمن، ولا بالمخلف إذا وعد، ولا بالكذاب إذا نطق. نحن أهل بيت الرحمة، وقولنا الصدق، ومن فعالنا القصد، ومثّا خاتم النبيين، وفيما قادة الإسلام، ومنا قراء الكتاب، ندعوكم إلى الله وإلى رسوله، وإلى جهاد عدوّه، والشدة في أمره، وابتغاء رضوانه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، وتوفير الفئ لأهله. ألا وإن من أعجب العجائب أن معاوية بن سفيان وعمرو بن العاص السهمي، أصبحا يحرضان الناس على طلب الدين بزعمهما. وقد علمتم أني لم أخالف رسول الله ﷺ قط، ولم أعصه في أمر قط. أقيه بنفسى في المواطن التي ينكص فيها

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

الأبطال ، وترعد فيها الفرائص ، نجدة أكرمني الله بها ، فله الحمد، ولقد قبض رسول الله ﷺ وإن رأسه لفي حجري ، ولقد وليت غسله بيدي وحدي ، تتلّبه الملائكة المقربون معي . وإيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها ، إلا ما شاء الله» .^(١)

(١) وقعة صفين ؛ لنصر بن مزاحم المنقري : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

[الخطبة (١٩٨)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: أيعض عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ: أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف ناسا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء يقولون الحق بالسنتهم لا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله إليه، منهم أسود إحدى يديه طُي شاة أو حلمة ثدي، فلما قتلهم علي بن أبي طالب قال: انظروا! فظنوا فلم يجدوا شيئا، فقال: ارجعوا! فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثا، ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه». (ابن وهب، وابن جرير وأبو عوانة، حب وابن أبي عاصم، ق).^(١)

(١) كنز العمال؛ للمتقي الهندي ١١: ٢٩٥، ح ٣١٥٥٦.

[الكلام (١٩٩)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أبي حمزة، عن عقيل الخزاعي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا حضر الحرب يوصي للمسلمين بكلمات فيقول:

«تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها فإنها» كانت على المؤمنين كتابا موقوتا» وقد علم ذلك الكفار حين سئلوا ما سلككم في سقر؟ قالوا: «لم نك من المصلين»^(١). وقد عرف حقها من طرقها^(٢) وأكرم بها من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زين متاع ولا قرّة عين من مال ولا ولد يقول الله عز وجل: «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة»^(٣) وكان رسول الله منصبا لنفسه^(٤) بعد البشري له بالجنة من ربه، فقال عز وجل: «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها»... الآية^(٥)، فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه. ثم إن الزكاة جعلت مع الصلاة قربانا لأهل الإسلام على أهل الإسلام ومن لم يعطها طيب النفس بها يرجو بها من الثمن ما هو أفضل منها فإنه جاهل بالسنة، مغبون الأجر ضال العمر، طويل الندم بترك أمر الله عز وجل والرغبة عما عليه صالحوا عباد الله، يقول الله عز وجل: «ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما

(١) إشارة إلى قول الله عز وجل في سورة المدثر الايات ٤٢ إلى ٤٦: «كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ○ في جنات يتسائلون عن المجرمين ○ ما سلككم في سقر ○ قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين»

(٢) أي أتى بها ليلا من الطروق بمعنى الاتيان بالليل. أي واظب عليها في الليالي. وقيل: جعلها دأبه وصنعه. (مرآت العقول).

(٣) النور، ٣٨. ولا تلهيهم، أي لا تشغلهم ولا تصرفهم.

(٤) أي متبعا، من النصب، وهو التعب.

(٥) طه: ١٣٢. واصطبر، أي داوم.

تولى»^(١) من الأمانة فقد خسر من ليس من أهلها وضل عمله ، عرضت على السماوات المبنية والأرض المهاد والجبال المنصوبة ، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم لو امتنع من طول أو عرض أو عظم أو قوة أو عزة امتنع ولكن أشفقن من العقوبة^(٢) . ثم إن الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام وهو قوام الدين والأجر فيه عظيم مع العزة والمنعة وهو الكرة فيه الحسنات والبشرى بالجنة بعد الشهادة وبالرزق غدا عند الرب والكرامة يقول الله عز وجل : «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله... الآية»^(٣) ثم إن الرعب والخوف من جهاد المستحق للجهاد والمتوازين على الضلال ضلال في الدين وسلب للدنيا مع الذل والصغار وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال يقول الله عز وجل : «يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار»^(٤) . فحافظوا على أمر الله عز وجل في هذه المواطن التي الصبر عليها كرم وسعادة ونجاة في الدنيا والآخرة من فظيع الهول والمخافة فإن الله عز وجل لا يعبو بما العباد مقترفون ليلهم ونهارهم لطف به علما وكل ذلك في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ، فاصبروا وصابروا واسألوا النصر ووطنوا أنفسكم على القتال واتقوا الله عز وجل فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»^(٥).

وبالاسناد عن احمد بن حنبل في «مسنده»، وفيه: حدثنا عبد الله حدثني أبي وأبو خيثمة قالا: ثنا يعقوب، قال: أبي في حديثه قال: اخبرنا ابن أخي ابن شهاب وقال أبو

(١) النساء : ١١٥ ، ونوله ما تولى ، أي تقربه ما تولى من الضلال ونخلى بينه وبين ما اختاره . وقوله : «من الامانة» هكذا في النسخ والصواب: «ثم الامانة» كما يظهر من النهج، فإن فيه : «ثم اداء الامانة فقد خاب من ليس من أهلها أنها عرضت على السماوات المبنية والأرضين المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة... الخ . ولعل قوله : «من الامانة» راجع إلى قوله : «والرغبة عما عليه صالحوا عباد الله» فهو اصوب .

(٢) في النهج: «ولا أعظم منها ولو امتنع شئ منها بطول أو عرض أو قوة أو عز لامتنعن، ولكن... الخ. وأشفقن من العقوبة، أي خفن ، والاشفاق : الخوف.

(٣) آل عمران : ١٦٩ .

(٤) الانفال : ١٥ .

(٥) الكافي ٥ : ٣٥ - ٣٨ .

خيشمة: حدثني عن عمه قال: أخبرني صالح بن عبد الله بن أبي فروة: أن عامر بن سعد بن أبي وقاص أخبره أنه سمع أبان بن عثمان يقول: قال عثمان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأيت لو كان بفناء أحدكم نهر يجري يغتسل منه كل يوم خمس مرات، ما كان يبقى من درنه؟ قالوا: لا شيء، قال: «ان الصلوات تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن»^(١).

وبالاسناد عن البخاري في «صحيحه»، قال في باب الصلوات الخمس كفارة: حدثنا ابراهيم بن حمزة قال حدثني ابن أبي حازم والدروردي عن يزيد عن محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أرأيت لو أن نهرا يباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقى من درنه قالوا لا يبقى من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا»^(٢).

بالاسناد عن مالك في «الموطأ»، وفيه: وحدثني عن مالك، أنه بلغه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، أنه قال: كان رجلان أخوان. فهلك أحدهما قبل صاحبه بأربعين ليلة. فذكرت فضيلة الأول عند رسول الله ﷺ، فقال: ألم يكن الآخر مسلماً؟ قالوا: بلى. يا رسول الله، وكان لا بأس به. فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك ما بلغت به صلاته؟ إنما مثل الصلاة كمثّل نهر غمر عذب، يباب أحدكم. يقتحم فيه كل يوم خمس مرات. فما ترون ذلك يبقى من درنه؟ فإنكم لا تدرون ما بلغت به صلاته».

وقال: ورد معنى الشطر الأخير عن أبي هريرة مرفوعاً. أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة. ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة^(٣).

وبالاسناد عن الدارمي في «سننه»، قال في باب في فضل الصلوات: أخبرنا يعلى بن عبيد ثنا الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله ﷺ مثل الصلوات المكتوبات كمثّل نهر جار عذب على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات (

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ٧١.

(٢) صحيح البخاري ١: ١٣٤.

(٣) كتاب الموطأ ١: ١٧٤.

اخبرنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني يزيد بن عبد الله عن محمد بن ابراهيم عن ابي سلمة عن ابي هريرة انه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أرايتم لو أن نهر بباب أحدكم يغتسل كل يوم خمس مرات، ماذا تقولون ذلك مبقيا من درنه؟ قالوا: لا بقی من درنه، قال: كذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا».

قال عبد الله: حديث ابي هريرة عندي أصح.^(١)

وبالاسناد عن مسلم في «صحيحه»، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث ح وقال قتيبة حدثنا بكر يعني ابن مضر كلاهما عن ابن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال وفي حديث بكر انه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أرايتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا».

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالوا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سفيان عن جابر وهو ابن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، قال: قال الحسن: وما يبقى ذلك من الدرن».^(٢)

بالاسناد عن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني في «السنن»، قال: حدثنا عبد الله بن أبي زياد. ثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد. حدثني ابن أخى ابن شهاب، عن عمه. حدثني صالح بن عبد الله بن أبي فروة، أن عامر بن سعد أخبره، قال: سمعت أبا بن عثمان يقول: قال عثمان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرايت لو كان بفناء أحدكم نهر يجرى يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، ما كان يبقى من درنه؟ قال: لا شيء. قال: فإن الصلاة تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن».^(٣)

(١) سنن الدارمي ١: ٢٦٧.

(٢) صحيح مسلم ٢: ١٣١.

(٣) سنن ابن ماجه ١: ٤٤٧.

وبالاسناد عن الترمذي في «السنن»، قال في باب ما جاء مثل الصلوات الخمس :
حدثنا قتيبة ، أخبرنا الليث عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد
الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه
كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء ، قال فذلك مثل
الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا» .

وفى الباب عن جابر . هذا حديث حسن صحيح . حدثنا قتيبة ، أخبرنا بكر بن مضر
القرشي عن ابن الهاد نحوه»^(١).

وبالاسناد عن النسائي في «السنن»، قال في فضل الصلوات الخمس: أخبرنا قتيبة
قال: حدثنا الليث عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن
رسول الله ﷺ قال: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل
يبقى من درنه شيء قالوا: لا يبقى من درنه شيء؟ قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو
الله بهن الخطايا باب الحكم في تارك الصلاة»^(٢).

(١) سنن الترمذي ٤ : ٢٢٨ .

(٢) سنن النسائي ١ : ٢٣٠ .

[الكلام (٢٠٠)]

ومن كلام له عليه السلام: «وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَذْهَى^(١) مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ. وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذْهَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ^(٢) وَلِكُلِّ^(٣) فُجْرَةٍ كَفْرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاللَّهِ مَا أَسْتَغْفِلُ^(٤) بِالْمَكِيدَةِ^(٥) وَلَا أَسْتَغْمِرُ^(٦) بِالشَّدِيدَةِ».

قال العرشي: «رواه الكليني في اصول الكافي (٢٣٢)». (انتهى).^(٧)

قال الجلالي وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن أسباط ، عن عمه يعقوب بن سالم عن أبي الحسن العبدى ، عن سعد بن طريف ، عن الاصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة: «يا أيها الناس لولا كراهية الغدر كنت من أذهى الناس ، ألا إن لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة ، ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار».^(٨)

وبالاسناد عن ابراهيم بن محمد الثقفي (ت / ٢٨٣ هـ) في «الغارات» : عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: سمعت عليا عليه السلام وهو يقول : ما لقي أحد من الناس ما لقيت ، ثم بكى ، قال: حدثنا فرات بن أحنف قال: إن عليا عليه السلام خطب الناس فقال: «يا معشر الناس أنا أنف الهدى وعيناه وأشار بيده إلى وجهه ، يا معشر الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله فإن الناس اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل والله المستعان ، يا

(١) في هـ. ب: أي أكيس .

(٢) في هـ. د: ولكل فجرة كفرة - ب . وفي هـ. ص: ويروى غُدْرَةٌ وَفُجْرَةٌ بضم الأول وفتح الثاني على فعله وهو كثير الغدر والفجور، وكل ما كان على هذا البناء فهو للمفعول يقال رجل ضحكة أي يضحك وضحكه أي يضحك منه ومثله سخرة وسُبه.

(٣) في ط : وكل .

(٤) في هـ. ب: ما استغفل من الغفال أي ما أخذ بالغفل .

(٥) في ب: من المكيدة .

(٦) في هـ. ب: استغفال من الغم .

(٧) راجع: استناد نهج البلاغة .

(٨) الكافي ؛ للشيخ الكليني ٢ : ٣٣٨ .

معشر الناس إنما يجمع الناس الرضا والسخط ، ألا وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فأصابهم العذاب بنياتهم في عقرها قال الله تعالى : ﴿ فنأدى صاحبهم فتعاطى فعقر ﴾ . فقال لهم نبي الله عن قول الله : ﴿ ناقة الله وسقياها ، فكذبوه فعقروها ﴾ . يا معشر الناس ألا فمن ساءل عن قاتلي فزعم أنه مؤمن فقد قتلني ، يا معشر الناس من سلك الطريق ورد الماء ، يا معشر الناس ألا اخبركم بحاجبي الضلالة ؟ تبدو مخازيها في آخر الزمان» .^(١)

ونقل أبو جعفر الإسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) تفصيلاً في «المعيار والموازنة» خدعة عمرو بن العاص ومعاوية صبيحة ليلة التحرير برفع المصاحف على الرماح وصياح الشاميين بأمرهما في أهل العراق وقولهم لهم : بيننا وبينكم كتاب الله : وانخداع أهل العراق بهذا النداء ، ثم خطبة أمير المؤمنين فيهم وتحذيره إياهم عن الركون إلى هذا المكر ، ثم ما جرى بينه وبين النوكي من القراء وممن كان في قلبه مرض من قواد العراق فقال مانصه : «ولما عضت الحرب القوم وقرب أصحاب علي من الفتح، قال عمرو بن العاص لمعاوية : ها هنا حيلة توجب الاختلاف بينهم والفرقة ، وذاك أن علياً وأصحابه أصحاب ورع ودين ، فإذا أصبحنا رفعنا المصاحف وقلنا : بيننا وبينكم كتاب الله . فلما أصبحوا رفعوا المصاحف وقالوا : بيننا وبينكم كتاب الله ، الله الله في البقية . واستقبلوا علي بن أبي طالب بالمصاحف .

فقال علي : والله ما الكتاب يريدون ، وإن هذا منهم لمكيدة ، فاتقوا الله عباد الله وامضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم ، فإن معاوية وعمرا وابن أبي معيط ، وابن مسلمة وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنا أعرف بهم منكم ، قد صحبناهم أطفالاً ورجالا ، فكانوا شر أطفال وشر رجال . إنهم والله ما رفعوها ليعملوا بها وما رفعوها إلا خديعة ووهنا ومكيدة لكم .

فتفرق عند ذلك أصحابه واختلف قولهم ، ورأى أكثرهم طلب الصلح والموادعة .

فإن قال قائل : فقد نرى ما قلتم وما يؤثر عن علي بن أبي طالب يوجب عليه الخطأ وأنه معتمد لترك الصواب لانه أشار بقتال القوم عند رفع المصاحف وأخبر أنها منهم خديعة ثم رجع عن هذا من رأيه إلى محاكمتهم وموادعتهم وهذا نفس ما نقمته الخوارج

(١) الغارات ؛ لبراهيم بن محمد الثقفي ٢ : ٥٨٣ - ٥٨٥ .

وادعت خطأ علي فيه .

قلنا لهم : لئنا نبعد قلة معرفتكم بما ذكرناه وبعد وهمكم عنه إذ ذهبتما عما هو أوضح منه، إن علي بن أبي طالب عليه السلام إنما أشار على القوم بقتالهم وأن لا يكفوا من حربهم لأن القوم الذين رفعوا المصاحف قد علم أنهم لم يرفعوها لشبهة دخلت عليهم وأن رفعها عند قرب الفتح والظفر بهم خديعة ، وعلم أن الذين رفعوها قد قامت عليهم الحجة وعرفوا حقه فتركوه بالمعاندة ، ولو مضى أصحابه على بصيرتهم ويقينهم ولم تدخل عليهم الشبهة ، لم تختلف الكلمة لكان سيمضي على أمره في محاربتهم لانه قد أعذر إليهم وأقام حجته عليهم ، وكان رأيهم عليه السلام صوابا في تحريك أصحابه في محاربتهم وقد أعلمهم أن الذي كان منهم خديعة ليمضوا على بصائرهم . فلما دخلت أصحابه الشبهة ، وجاء أمر احتاج إلى إزالته بحجة أمسك عن القوم حتى ينكشف لاهل الضعف خطأ وهم فيزول عنهم شكهم إذا علموا أن القوم لم يطلبوا الحق برفع المصاحف ، فيرجع بعد إلى مناجزتهم وقتالهم .

فقالوا له : أرسل إلى الاشتري فردده . فأرسل إلى الاشتري أن أقبل إلي . فأرسل إليه الاشتري : ليس هذه ساعة ينبغي أن تزيلني فيها عن موضعي إني قد رجوت أن يفتح الله علي فلا تعجلن . فارتفعت الريح ، وعلت الاصوات من ناحية الاشتري ، فقال القوم : والله ما نراك إلا قد أمرته يقاتل !! فقال علي عليه السلام : من أين ينبغي لكم أن تروا ذلك ؟ هل رأيتموني ساررت الرسول ؟ ألم أكلمه على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون ؟ ! فجاء من أمرهم أمر عجيب وخرجوا عند الشك إلى تهمته والادعاء عليه ! فأرسل علي إلى الاشتري : أن أقبل الساعة فقد وقعت الفتنة .

فإن قال قائل : فهلا ترك الاشتري يمضي على بصيرته ؟ قلنا : لو فعل ذلك ازدادوا شكاً وحيرة ولدعاهم ذلك إلى قتله وقد تهددوه بذلك .

فرجع الاشتري عن ساحة القتال وخاطب رسول أمير المؤمنين فقال : الرفع هذه المصاحف دعوتهموني ؟ قالوا : نعم . قال : أما والله لقد ظننت إذ رفعت أنها ستلقي اختلافاً وفرقة !! أما إنها من مشورة ابن النابغة . ثم قال لرسول أمير المؤمنين : ألا ترى الفتح ، أما ترى ما يلقون ؟ أيسعني أن أنصرف عن هذا وأدعه ، وقد صنع الله لنا ونصرنا . فقال له بعض القوم : أتحب أنك ظفرت ها هنا وأمير المؤمنين بمكانه يتفرق عنه ويسلم إلى عدوه

أو يقتل؟ قال: سبحان الله لا والله. قال: فإنهم قد قالوا: لترسلن إلى الاشتري فليأتينك أو لنقتلك كما قتلنا ابن عفان!! فأقبل عليهم الاشتري فقال: يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن، أحيين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعوكم إلى ما فيها، وقد والله تركوا ما أمره الله به فيها، وتركوا سنة من أنزل عليه الكتاب، مهلا لا تجيبوهم وأمهلوني فإني قد أحسست بالفتح. فأبوا عليه! قال: فأمهلوني عدوة الفرس فإني قد طمعت في النصر. فقالوا: إذا تدخل معك في خطيئتك. قال: فحدثوني عنكم - وقد قتل أمثالكم وبقي أراذلكم - متى كنتم محقين؟ أحيين كنتم تتقاتلون، وخياركم مقتولون؟ فأنتم الآن حين أمسكنم عن القتال مبطلون؟ أم أنتم الآن محقون وقتلاكم الذين كنتم لا تنكرون فضلهم، وكانوا خيرا منكم في النار. فقالوا: دعنا منك يا أشر قاتلناهم في الله، وندع قتالهم لله، إنا لسنا نطيعك ولا صاحبك ما حيينا، قال: خدعتم والله فانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتكم، يا أصحاب الجباه السود، كنا نظن صلاتكم هذه زهادة في الدنيا وشوقا إلى الله، فلا أرى فراركم من الموت إلا إلى الدنيا!!! ألا، فقبحا لكم يا أشباه النبيب الجلالة، ما أنتم برائين بعدها عزا أبدا، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون. فضرَبوا وجه دابته بسياطهم وضرب وجوه دوابهم بسوطه!! وصاح بهم علي: أن كفوا. فكفوا.

وكان ما كان من علي في إجابة القوم لشك أصحابه واختلافهم، وما دخلهم من الجهل وحلول الشبهة، ليس من أجل أنه لم يكن في أمر معاوية وعمرو على بصيرة أو أنه ذهب عنه أن ذلك منهم مكيدة وخديعة. فلما رأى الشك قد وقع وجبت المناظرة، ولم يجد بدا من المواجهة، ولو لم يفعل ذلك لازداد في غيه الجاهل، وقويت دعوى المخالف، وكان في ذلك تهمة، وأنه فرار من حكم الله، وليس أحد يدعي أن ما فعل القوم ذهب عنه وأن القوم استغفلوه بالمكيدة، ولقد قام ﷺ فقال: والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يفجر ويغدر، ولو لا كراهة الغدر كنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفر، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة»^(١).

(١) المعيار والموازنة؛ لأبي جعفر الإسكافي: ١٦٢ - ١٦٥.

[الكلام (٢٠١)]

قال محمد بن إبراهيم النعماني (ت / ٣٣٣ - ح) في «كتاب الغيبة» ما نصه: «فيما أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي، قال: حدثنا أبو عبد الله جعفر بن عبد الله المحمدي من كتابه في المحرم سنة ثمان وستين ومائتين، قال: حدثني يزيد بن إسحاق الأرحبي - ويعرف بشعر -، قال: حدثنا مخول، عن فرات بن أحنف، عن الأصمغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة يقول: أيها الناس، أنا أنف الإيمان، أنا أنف الهدى وعيناه. أيها الناس، لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة من يسلكه إن الناس اجتمعوا على مائدة قليل شعبها، كثير جوعها، والله المستعان، وإنما يجمع الناس الرضا والغضب. أيها الناس، إنما عقر ناقة صالح واحد فأصابهم الله بعذابه بالرضا لفعله، وآية ذلك قوله عز وجل: ﴿فنادوا أصحابهم فتعاطى فعفر فكيف كان عذابي ونذر﴾^(١)، وقال: ﴿فعفروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها﴾^(٢) ألا ومن سئل عن قاتلي فزعم أنه مؤمن فقد قتلني. أيها الناس، من سلك الطريق ورد الماء، ومن حاد عنه وقع في التيه، ثم نزل. ورواه لنا محمد بن همام ومحمد بن الحسن بن محمد بن جمهور، جميعا، عن الحسن بن محمد بن جمهور، عن أحمد بن نوح، عن ابن عليم، عن رجل، عن فرات ابن أحنف، قال: أخبرني من سمع أمير المؤمنين عليه السلام، وذكر مثله، إلا أنه قال: لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله.»^(٣)

(١) سورة القمر: ٢٩ و ٣٠.

(٢) سورة الشمس: ١٤ و ١٥.

(٣) كتاب الغيبة، لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٣٤ - ٣٥.

[الكلام (٢٠٢)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك... إلى آخره. روى هذا الكليني في اصول «الكافي» (ص ١٨٥) قال العرشي في التخريج مانصه: «رواه الشيخ الطائفة في الامالي (٦٧)». (انتهى).^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الشيخ الكليني في «الكافي»: أحمد بن مهران رحمته الله رفعه وأحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار الشيباني قال: حدثني القاسم بن محمد الرزاي قال: حدثنا علي بن محمد الهرمزاني ، عن أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام قال: لما قبضت فاطمة عليها السلام دفنها أمير المؤمنين سرا وعفا على موضع قبرها ، ثم قام فحوّل وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله عني والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك ، والبائنة في الثرى ببقعتك ، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك ، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ، وعفا عن سيدة نساء العالمين تجلّدي ، إلّا أن لي في التأسي بسنتك فرقتك موضع تعزّ ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك وفاضت نفسك بين نحري وصدري ، بلى وفي كتاب الله لي أنعم القبول ، «إنا لله وإنا إليه راجعون» ، قد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة ، واخيلست الزهراء ، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله ، أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد ، وهم لا يبرح من قلبي أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم ، كمد مقبّح ، وهم مهيج ، سرعان ما فرّق بيننا وإلى الله أشكو ، وستنبئك ابنتك بتظافر امتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال ، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بئس سبيلا ، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين .

سلام مودع لا قال ولا سئم ، فإن أنصرف فلا عن ملالة ، وإن اقم فلا عن سوء ظن بما

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

وعد الله الصابرين ، واه واهما والصبر أيمن وأجمل ، ولولاً غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً ، ولأعولت إعوالم الشكلى على جليل الرزية ، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً ، وتهضم حقها وتمنع إرثها ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر ، وإلى الله يا رسول الله المشتكى وفيك يا رسول الله أحسن العزاء صلى الله عليك وعليها السلام والرضوان»

(١)

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «الأمالي» قال : أخبرنا محمد بن محمد ، قال : أخبرني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا أحمد بن إدريس ، قال : حدثنا محمد بن عبد الجبار ، عن القاسم بن محمد الرازي ، عن علي بن محمد الهرمزداني ، عن علي بن الحسين عليه السلام ، عن أبيه الحسين عليه السلام ، قال : لما مرضت فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ وصّت إلى علي بن أبي طالب عليه السلام أن يكتنم أمرها ، ويخفي خبرها ، ولا يؤذن أحداً بمرضها ، ففعل ذلك ، وكان يمرضها بنفسه ، وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رحمها الله على استمرار بذلك ، كما وصّت به ، فلما حضرتها الوفاة وصّت أمير المؤمنين عليه السلام أن يترك أمرها ويدفنها ليلاً ويعفي قبرها ، فتولى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ودفنها وعفى موضع قبرها ، فلما نفذ يده من تراب القبر هاج به الحزن ، وأرسل دموعه على خديه ، وحول وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله ، عني وعن ابنتك وحببتك ، وقرة عينك وزائرتك ، والثابتة في الثرى ببقعتك ، المختار الله لها سرعة اللحاق بك ، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ، وضعف عن سيدة النساء تجلدي ، إلا أن في التأسى لي بسنتك والحزن الذي حل بي لفراقك لموضع التعزي ، ولقد وسدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري ، وغمضتكم بيدي ، وتولّيت أمرك بنفسي ، نعم وفي كتاب الله نعم القبول ، وإنا لله وإنا إليه راجعون . قد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة ، واختلست الزهراء ، فما أقبح الخضراء والغبراء ، يا رسول الله ! أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد ، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي

دارك التي فيها أنت مقيم ، كمد مقيح ، وهم مهيج ، سرعان ما فرّق بيننا وإلى الله أشكو ،
وستنبئك ابتك بتظاهر أمتك عليّ وعلى هضمها حقها ، فاستخبرها الحال ، فكم من غليل
معتلج بصدرها لم تجد إلى بّته سبيلا ، وستقول ويحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .
سلام عليك يا رسول الله ، سلام مودع لا سئم ولا قال ، فان أنصرف فلا عن ملالة ، وإن
أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين ، الصبر ايمن وأجمل ، ولولا غلبة المستولين
علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاما ، والتلبّث عنده معكوبا ، ولا عولت إغوال الشكلى على
جليل الرزية ، فبعين الله تدفن بنتك سرا ، ويهتضم حقها قهرا ، ويمنع إرثها جهرا ، ولم يطل
العهد ، ولم يخلق منك الذكر ، فإلى الله يا رسول الله المشتكى ، وفيك أجمل العزاء ،
فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته.^(١)

(١) الأُمالي؛ للشيخ الطوسي: ١٠٩ - ١١٠.

[الكلام (٢٠٣)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ : أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز... الخ ، قال في الشرح: ذكر المبرد عن الاصمعي قال: خطبنا أعرابي في البادية فقال وذكر هذا إلى قوله ولغيرها خلقكم؛ ثم قال: وأكثر الناس على أن هذا الكلام لأمير المؤمنين ﷺ ، ويجوز أن يكون الاعرابي حفظه فأورده، ولا يخفى ما في السند والمسند إليه من الوهن والضعف»^(١).

قال العرشي في التخريج ما نصه: «رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٥٣، والمبرد في الكامل ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢، وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠٠، وأبو علي القالي في الأمالي ج ١ ص ٢٥٨، والبيهقي في المحاسن والمساوي ج ٢ ص ٣١، والبكري في سمط اللآلي ج ١ ص ٥٦٩ عن أعرابي، ورواه ابن نباتة المصري المتوفى ٧٦٨ هـ (١٣٦٦ م) في شرح العيون (الورق ٤٣/ ألف) عن سحبان بن زفر الوائلي المتوفى ٥٤ (٦٧٤ م)، والشيخ الصدوق في الأمالي (المجلس ٢٣ و ٣٩) عن أمير المؤمنين ﷺ». (انتهى)^(٢).

قال الجلال: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «الأمالي» قال حدثنا محمد بن أبي القاسم الاسترأبادي قال: حدثنا أحمد بن الحسن الحسيني عن الحسن بن علي عن أبيه عن محمد بن علي عن أبيه الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي ﷺ، قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: كم من غافل ينسج ثوبا ليلبسه، وإنما هو كفته، ويبنى بيتا ليسكنه، وإنما هو موضع قبره».

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٤.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

وقيل لامير المؤمنين عليه السلام : ما الاستعداد للموت ؟ قال: أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، والاشتغال على المكارم ، ثم لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، والله ما يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت ، أم وقع الموت عليه .

وقال: أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : أيها الناس ، إن الدنيا دار فناء ، والآخرة دار بقاء ، فخذوا من ممركم لممركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففي الدنيا حييتم ، وللآخرة خلقتكم ، إنما الدنيا كالسم يأكله من لا يعرفه ، إن العبد إذا مات قالت الملائكة : ما قدم ؟ وقال الناس : ما آخر ؟ فقدموا فضلا يكن لكم ، ولا تؤخروا كلاً يكن عليكم ، فإن المحروم من حرم خير ماله ، والمغبوط من ثقل بالصدقات والخيرات موازينه ، وأحسن في الجنة بها مهاده ، وطيب على الصراط بها مسلكه» .^(١)

(١) الأُمالي؛ للشيخ الصدوق : ١٧٢ .

[الكلام (٢٠٤)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «الأمالى» قال: حدثنا أبي عليه السلام ، قال: حدثنا سعد بن عبد الله ، قال: حدثنا إبراهيم بن هاشم ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران ، عن عاصم بن حميد ، عن محمد بن قيس ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال: كان علي عليه السلام كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقا سوقا ومعه الدرة على عاتقه ، وكان لها طرفان ، وكانت تسمى السبيبة ، فيقف على سوق سوق فينادي : يا معشر التجار ، قدموا الاستخارة ، وتبركوا بالسهولة ، واقتربوا من المبتاعين ، وتزيتوا بالحلم ، وتناهوا عن الكذب واليمين ، وتجافوا عن الظلم ، وأنصفوا المظلومين ، ولا تقربوا الربا ، وأوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تعثوا في الارض مفسدين . يطوف في جميع أسواق الكوفة ، فيقول هذا ، ثم يقول :

تفنى اللذذة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الائم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار^(١)

قال: وبهذا الاسناد، قال أبو جعفر عليه السلام : «كان أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة إذا صلى العشاء الآخرة ينادي الناس ثلاث مرات حتى يُسمع أهل المسجد: أيها الناس، تجهّزوا رحمكم الله ، فقد نودي فيكم بالرحيل ، فما التعرج على الدنيا بعد نداء فيها بالرحيل؟! تجهّزوا رحمكم الله وانتقلوا بأفضل ما بحضرتكم من الزاد، وهو التقوى، واعلموا أن طريقكم إلى المعاد، وممركم على الصراط ، والهول الاعظم أمامكم ، وعلى طريقكم عقبة كؤود ومنازل مهولة مخوفة ، لا بد لكم من الممرّ عليها والوقوف بها ، فإما برحمة من الله فنجاة من هولها ، وعظم خطرها ، وفظاعة منظرها ، وشدة مختبرها ، وإما بهلكة ليس بعدها

(١) الأمالى؛ للشيخ الصدوق : ٥٨٧ - ٥٨٨.

انجبار»^(١).

ونقل أبو جعفر الإسكافي (ت / ٢٢٠ هـ) في «المعيار والموازنة» بعنوان: كلامه عليه السلام في شوق أولي الالباب إلى الله تعالى وتحضيضهم على اغتنام الفرصة من الايام ، وإكثارهم من صالحات الاعمال والادخار من متاع دار الفناء ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، قال مانصه: «وكان عليه السلام ينادي في كل ليلة بصوت رفيع له : تجهّزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل، وأقلوا العرجة على الدنيا وانتقلوا بصالح ما يحضركم من الزاد؛ فإن أمامكم عقبة كؤودا ومنازل مخوفة مهولة لا بد من الممرّ عليها والوقوف عندها، فإما برحمة من الله نجوتم من فظاعتها وشدة مخبرها وكراهة منظرها، وإما بهلكة ليس بعدها انجبار .
فيا لها حسرة على كل ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة أو تؤديه أيامه إلى شقوة .
فاتركوا هذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تكونوا تحبون تركها والمبلىة لكم وإن كنتم تحبون تجديدها فإنما مثلكم ومثلها كركب سلكوا سبيلا فكأنهم قد قطعوه ، وأموا علما فكأنهم قد بلغوه .

جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربه رغبة، ولا تحل به بعد الموت شقوة ولا حسرة فإنما نحن له وبه»^(٢).

(١) الأمالي؛ للشيخ الصدوق : ٥٨٧ - ٥٨٨ .
(٢) المعيار والموازنة؛ لأبي جعفر الإسكافي : ٢٧٠ .

[الكلام (٢٠٦)]

قال العرشي في التخريج مانصه: «رواه ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفيين إبحار الانوار ج ٨ ص ٤٧٥»^(١) قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما اروي به بالاسناد عن نصر بن مزاحم المنقري في «وقعة صفين» عن عمر بن سعد ، عن عبد الرحمن ، عن الحارث بن حصيرة ، عن عبد الله بن شريك قال: خرج حجر بن عدي ، وعمر بن الحمق يظهران البراءة واللعن من أهل الشام ، فأرسل إليهما علي : أن كفّا عما يبلغني عنكما ، فأتياه فقالا : يا أمير المؤمنين ، ألسنا محققين ؟ قال: بلى . قالوا: أو ليسوا مبطلين ؟ قال: بلى ، قالوا : فلم منعنا من شتمهم ؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين ، تشتمون وتبترءون . ولكن لو وصفتهم مساوئ أعمالهم فقلتم : من سيرتهم كذا وكذا ، ومن عملهم كذا وكذا ، كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر . ولوقلتهم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم : اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق منهم من جهله ، ويرعوى عن الغي والعدوان من لهج به ، كان هذا أحب إليّ وخيرا لكم .

فقالا : يا أمير المؤمنين ، تقبل عظمتك ، ونتاجد بأدبك . وقال عمرو بن الحمق : إني والله يا أمير المؤمنين ما أجببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك ، ولا إرادة مال تؤتينيه ، ولا التماس سلطان يرفع ذكري به ، ولكن أجببتك لخصال خمس : أنك ابن عم رسول الله ﷺ ، وأول من آمن به ، وزوج سيدة نساء الأمة فاطمة بنت محمد ﷺ ، وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله ﷺ ، وأعظم رجل من المهاجرين سهما في الجهاد . فلو أني كلّفت نقل الجبال الرواسي ، ونزح البحور الطوامي حتى يأتي عليّ يومي في أمر أقوي به وليك وأوهن به عدوك ، ما رأيت أني قد أديت فيه كل الذي يحق عليّ من حَقك .

(١) راجع: استناد نهج البلاغة.

فقال أمير المؤمنين عليّ: اللهم نور قلبه بالتقى، واهده إلى صراط مستقيم، ليت أن في جندي مائة مثلك، فقال حجر: إذا والله يا أمير المؤمنين صح جندك، وقل فيهم من يغشك. ثم قام حجر فقال: يا أمير المؤمنين، نحن بنو الحرب وأهلها، الذين نلقحها وننتجها، قد ضارستنا وضارسناها، ولنا أعوان ذو صلاح، وعشيرة ذات عدد، ورأي مجرب وبأس محمود، وأزمتنا منقاداً لك بالسمع والطاعة، فإن شرقت شرقنا، وإن غربت غربنا، وما أمرتنا به من أمر فعلناه. فقال عليّ: أكل قومك يرى مثل رأيك؟ قال: ما رأيت منهم إلا حسناً، وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة، وبحسن الإجابة. فقال له عليّ خيراً^(١).

قال الاسكافي (ت / ٢٢٠ هـ): وكان رضى الله عنه من مبالغته في الدعاء وحسن سيرته في الكف عن الأذى ودعائه بالتي هي أحسن - اقتداء بأدب الله وطلبها لما هو أصح - أنه لما بلغه عن أصحابه أنهم يكثرون شتم مخالفهم باللعق والسب، أرسل إليهم أن كفوا... «فذكر مثله»^(٢).

(١) وقعة صفين؛ لنصر بن مزاحم المنقري: ١٠٢ - ١٠٤.

(٢) المعيار والموازنة: ١٣٧ ط / ١٤٠٢ هـ.

[الكلام (٢٠٨)]

قال العرشي في التخريج مائنه: «رواه ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفيين (٢٦١)»^(١).

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن نصر بن مزاحم المنقري (ت / ٢١٢ هـ) في «وقعة صفين»، باسناده عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن الشعبي، عن صعصعة قال: قام الأشعث بن قيس الكندي ليلة الهرير في أصحابه من كندة فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأستنصره وأستغفره، وأستخيره، وأستهديه، وأستشير، وأشهد به، فإنه من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ. ثم قال: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ فما رأيتم مثل هذا اليوم قط. ألا فليبلغ الشاهد الغائب، أنا إن نحن توافقنا غدا إنه لفناء العرب وضيعة الحرمات. أما والله ما أقول هذه المقالة جزعا من الحتف، ولكني رجل مسن أخاف على النساء والذراري غدا إذا فنيتم. اللهم إني أعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل، وما توفيتي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، والرأي يخطئ ويصيب، وإذا قضى الله أمرا أمضاه على ما أحب العباد أو كرهوا. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

قال صعصعة: فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث، فقال: أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غدا لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلن أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم. وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهي. اربطوا المصاحف على أطراف القنا.

(١) راجع استناد نهج البلاغة.

قال صعصعة: فثار أهل الشام فنادوا في سواد الليل: يا أهل العراق، من لذرارينا إن قتلتمونا ومن لذراريكم إن قتلناكم؟ الله الله في البقية. فأصبح أهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح وقلدوها الخيل، والناس على الرايات قد اشتهوا ما دعوا إليه، ورفع مصحف دمشق الأعظم تحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح، ونادوا: يا أهل العراق، كتاب الله بيننا وبينكم. وأقبل أبو الأعور السلمي على برذون أبيض وقد وضع المصحف على رأسه ينادي: يا أهل العراق، كتاب الله بيننا وبينكم.

وأقبل عدي بن حاتم فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحق فإنه لم يصب عصبه منا إلا وقد أصيب مثلها منهم، وكل مقروح، ولكننا أمثل بقية منهم. وقد جزع القوم وليس بعد الجزع إلا ما تحب، فناجز القوم.

فقام الأشتر النخعي فقال: يا أمير المؤمنين، إن معاوية لا خلف له من رجاله، ولك بحمد الله الخلف، ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا بصرك، فاقرع الحديد بالحديد، واستعن بالله الحميد.

ثم قام عمرو بن الحمق فقال: يا أمير المؤمنين، إنا والله ما أجبنك ولا نصرناك عصبية على الباطل ولا أجبننا إلا الله عز وجل، ولا طلبنا إلا الحق، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوت إليه لا ستشرى فيه اللجاج وطالت فيه النجوى، وقد بلغ الحق مقطعه، وليس لنا معك رأي القتال.

فقام الأشعث بن قيس مغضبا فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس، وليس آخر أمرنا كأوله، وما من القوم أحد أحنى على أهل العراق ولا أوتر لأهل الشام مني، فأجب القوم إلى كتاب الله فإنك أحق به منهم. وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال.

فقال علي عليه السلام: إن هذا أمر ينظر فيه.

وذكروا أن أهل الشام جزعوا فقالوا: يا معاوية، ما نرى أهل العراق أجابوا إلى ما دعوناهم إليه، فأعدها جذعة، فإنك قد غمرت بدعائك القوم وأطمعتهم فيك.

فدعا معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأمره أن يكلم أهل العراق . فأقبل حتى إذا كان بين الصفيين نادى : يا أهل العراق ، أنا عبد الله بن عمرو بن العاص ، إنها قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين والدنيا ، فإن تكن للدين فقد والله أعذرنا وأعذرتم ، وإن تكن للدنيا فقد والله أسرفنا وأسرفتم . وقد دعوناكم إلى أمر لو دعوتونا إليه لأجبناكم ، فإن يجمعنا وإياكم الرضا فذلك من الله . فاغتنموا هذه الفرجة لعله أن يعيش فيها المحترف وينسى فيها القتل .

فإن بقاء المهلك بعد الهالك قليل . فخرج سعيد بن قيس فقال : يا أهل الشام ، إنه قد كان بيننا وبينكم أمور حamina فيها على الدين والدنيا ، سميتوها عذراً وسرفاً ، وقد دعوتونا اليوم إلى ما قاتلناكم عليه بالأمس ، ولم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم ، ولا أهل الشام إلى شامهم ، بأمر أجمل من أن يحكم بما أنزل الله . فالأمر في أيدينا دونكم ، وإلا فنحن نحن وأنتم أنتم .

وقام الناس إلى علي فقالوا : أجب القوم إلى ما دعوك إليه فإننا قد فنينا . ونادى إنسان من أهل الشام في سواد الليل بشعر سمعه الناس ، وهو :

رؤوس العراق أجبيوا الدعاء	فقد بلغت غاية الشدة
وقد أودت الحرب بالعالمين	وأهل الحفاظ والنجدة
فلسنا ولستم من المشركين	ولا المجمعين على الردة
ولكن أناس لقوا مثلهم	لنا عدة ولهم عدة
فقاتل كل على وجهه	يقحمه الجد والحدة
فإن تقبلوها ففيها البقاء	وأمن الفريقين والبلدة
وإن تدفعوها ففيها الفناء	وكل بلاء إلى مدة
وحتى متى مخض هذا السقاء	ولا بد أن يخرج الزبدة
ثلاثة رهط هم أهلها	وإن يسكتوا تخمد الواقعة
سعيد بن قيس وكبش العراق	وذاك المسود من كندة

قال نصر: هؤلاء النفر المسمون في الصلح. قال: فأما المسوّد من كندة وهو الأشعث، فإنه لم يرض بالسكوت، بل كان من أعظم الناس قولاً في إطفاء الحرب والركون إلى المودعة. وأما كبش العراق، وهو الأشر، فلم يكن يرى إلا الحرب، ولكنه سكت على مضض. وأما سعيد بن قيس، فتارة هكذا وتارة هكذا. قال: ذكروا أن الناس ماجوا وقالوا: أكلتنا الحرب وقتلت الرجال. وقال قوم: نقاتل القوم على ما قاتلناهم عليه أمس. ولم يقل هذا إلا قليل من الناس. ثم رجعوا عن قولهم مع الجماعة، وثارَت الجماعة بالموادعة. فقام على أمير المؤمنين فقال: إنه لم يزل أمرى معكم على ما أحب إلي أن أخذت منكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وأخذت من عدوكم فلم تترك، وإنها فيهم أنكى وأنهك. ألا إني كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت منهيّاً. وقد أحببتكم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون.^(١)

(١) وقعة صفين؛ لنصر بن مزاحم المنقري: ٤٨٠ - ٤٨٤.

[الكلام (٢٠٩)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله ﷺ: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار...» رواه في اصول الكافي، وفي عقد الفريد لابن عبد ربه^(١).

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٧ هـ) في «الكافي» عن علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد وغيرهما بأسانيد مختلفة في احتجاج أمير المؤمنين ﷺ على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاء وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين ﷺ أنه قد غم أهله وأحزن ولده بذلك، فقال أمير المؤمنين ﷺ: عليّ بعاصم بن زياد، فجيئ به فلما رآه عبس في وجهه، فقال له: أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أترى الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أخذك منها، أنت أهون على الله من ذلك، أو ليس الله يقول: ﴿والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام﴾ أو ليس الله يقول: ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾ إلى قوله: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ فبالله لا بتدال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتدالها بالمقال، وقد قال الله عز وجل: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ فقال عاصم: يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة وفي ملبسك على الخشونة؟ فقال: ويحك إن الله عز وجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس كيلا يتبئغ بالفقير فقره، فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس الملاء^(٢).

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٥.

(٢) الكافي؛ للشيخ الكليني ١: ٤١٠.

[الكلام (٢١٠)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله عليه السلام: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً... الخ، رواه الكليني في أصول الكافي (ص ٢٣) وفي تذكرة ابن الجوزي أنه عليه السلام سئل عن اختلاف الناس في الحديث فقال: ... وذكر ما رواه السيد هنا مع اختلاف يسير وتقديم وتأخير، وروي فيها بعض هذا الكلام عن الشعبي عن سمع علياً عليه السلام، وبعضاً منه عن كميل بن زياد عن علي عليه السلام»^(١).

قال العرشي في التخريج ما نصه: «رواه أبو صادق سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي صاحب أمير المؤمنين وحسن وحسين وزين العابدين رضي الله عنهم في كتابه على ما ذكره محمد بن علي الاسترأبادي المتوفى ١٠٢٨ (١٦١٩ م)، في منهج المقال [ج ١ / الف، ص ١٦٢]، ورواه أيضاً الحراني في تحف العقول (٤٥) والكليني في أصول الكافي (١٥)». انتهى^(٢).

قال الجلال: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في «الكافي» عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي، قال: قلت لأمر المؤمنين عليه السلام: إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله أنتم تخالفونهم فيها، وتزعمون أن ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين، ويفسرون القرآن بآرائهم؟ قال: فأقبل علي فقال: قد سألت

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٥.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

فافهم الجواب ، إن في أيدي الناس حقا وباطلا ، وصدقا وكذبا ، وناسخا ومنسوخا ، وعاما وخاصا ، ومحكما ومتشابهها ، وحفظا ووهما ، وقد كذب على رسول الله ﷺ على عهده حتى قام خطيبا فقال: أيها الناس قد كثرت عليّ الكذّابة، فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوء مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده ، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس : رجل منافق يظهر الإيمان ، متصنّع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله ﷺ متعمدا ، فلو علم الناس أنه منافق كذاب ، لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ، ولكنهم قالوا: هذا قد صحب رسول الله ﷺ ورآه وسمع منه ، وأخذوا عنه ، وهم لا يعرفون حاله ، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولّوهم الأعمال ، وحملوهم على رقاب الناس ، وأكلوا بهم الدنيا ، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله ، فهذا أحد الأربعة .

ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحمله على وجهه ووهم فيه ، ولم يتعمّد كذبا فهو يده ، يقول به ويعمل به ويرويه فيقول : أنا سمعته من رسول الله ﷺ فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه ولو علم هو أنه وهم لرفضه .

ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئا أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم ، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه ، ولم علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه .

وآخر رابع لم يكذب على رسول الله ﷺ ، مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسول الله ﷺ ، لم ينسه ، بل حفظ ما سمع على وجهه ، فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه ، وعلم الناسخ من المنسوخ ؛ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر النبي ﷺ مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه قد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان : كلام عام وكلام خاص مثل القرآن ، وقال الله عز وجل في كتابه :

«ما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا» فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله ﷺ، وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى أن كانوا يحبون أن يجيئ الأعرابي والطارى فيسأل رسول الله ﷺ حتى يسمعا. وقد كنت أدخل على رسول الله ﷺ كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله ﷺ أكثر ذلك بيتي وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاقي وأقام عني نسائه. فلا يبقى عنده غيري وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني، وكنت إذا سألته أجابني وإذا سكت عنه وفنيت مسألتي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها، وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه عليّ وكتبته، منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئا علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمني وحفظته، فلم أنس حرفا واحدا، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علما وفهما وحكما ونورا، فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئا ولم يفتني شيء لم أكتبه، أفتتخوف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل»^(١).

وبالاسناد محمد بن ابراهيم النعماني (ت / ٣٣٣ هـ) في كتاب الغيبة: بالاسناد عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أبان، عن سليم بن قيس الهلالي قال: قلت لعلي عليه السلام: إني سمعت من سلمان ومن المقداد من أبي ذر أشياء من تفسير القرآن ومن الرواية عن رسول الله ﷺ غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديقا لما سمعت منهم، ورأيت أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن رسول الله ﷺ يخالفونهم فيها

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ١: ٦٢ - ٦٤.

ويزعمون أن ذلك كان كله باطلا ، أفترى أنهم يكذبون على رسول الله ﷺ متعمدين ويفسرون القرآن بأرائهم ؟ قال: فأقبل عليّ ﷺ وقال: قد سألت فافهم الجواب ، إن أيدي الناس حقا وباطلا ، صدقا وكذبا ، وناسخا ومنسوخا ، وخاصا وعاما ، ومحكما ومتشابها ، وحفظا ووهما ، وقد كذب على رسول الله ﷺ على عهده حتى قام خطيبا فقال: أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابة ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده ، وإنما أتاك بالحديث أربعة ليس لهم خامس : رجل منافق مظهر للايمان ، متصنع للاسلام باللسان ، لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله ﷺ متعمدا ، فلو علم الناس أنه منافق كاذب ما قبلوا منه ، ولم يصدقوه ، ولكنهم قالوا: هذا قد صحب رسول الله ﷺ وقد رآه وسمع منه وأخذوا عنه ، وهم لا يعرفون حاله ، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم ، فقال عزوجل: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ ثم بقوا بعد رسول الله ﷺ تقربوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان حتى ولوهم الاعمال وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا ، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله عزوجل ، فهذا أحد الاربعة .

ورجل سمع من رسول الله ﷺ شيئا ولم يحفظه على وجهه فأوهم فيه ولم يتعمده كذبا فهو في يديه ويقول به ويعمل به ويرويه ويقول: أنا سمعته من رسول الله ﷺ ، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه ، ولو علم هو أنه وهم لرفضه .

ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئا أمر به ، ثم نهى عنه ، وهو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ، ثم أمر به ، وهو لا يعلم ، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ ، ولو علم انه منسوخ لرفضه ، ولو علم الناس إذا سمعوا منه أنه منسوخ لرفضوه .

ورجل رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله بغضا للكذب وخوفا من الله عزوجل ، وتعظيما لرسول الله ﷺ ولم يسه ، بل حفظ الحديث على وجهه ، فجاء به كما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه ، وحفظ الناسخ والمنسوخ ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ ، وإن

أمر رسول الله ﷺ ونهيه مثل القرآن ناسخ ومنسوخ ، وعام وخاص ، ومحكم ومتشابه ، قد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان : كلام عام وكلام خاص مثل القرآن قال الله عز وجل في كتابه ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهايكم عنه فانتهوا ﴾ يسمعه من لا يعرف ولم يدر ما عنى الله عز وجل ، ولا ما عنى به رسول الله ﷺ ، وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ كان يسأله عن الشيء فيفهم ، وكان منهم من يسأله ولا يستفهم حتى أنهم كانوا يحبون أن يجئ الأعرابي أو الطاري فيسأل رسول الله ﷺ حتى يسمعوا ، وقد كنت أنا أدخل على رسول الله ﷺ كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها خلوة أدور معه حيث دار وقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنه لم يكن يصنع ذلك بأحد من الناس غيري ، فربما كان ذلك في بيتي ، يأتيني رسول الله ﷺ أكثر من ذلك في بيتي ، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلائي ، وأقام عني نساءه ، فلا يبقى عنده غيري ، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من ابني وكنت إذا ابتدأت أجنبي وإذا سكنت عنه وفيت مسألتي ابتدأني ودعا الله أن يحفظني ويفهمني ، فما نسيت شيئا قط منذ دعاني ، وإني قلت لرسول الله ﷺ : يا نبي الله إنك منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس مما علمتني شيئا وما تمليه عليّ ، فلم تأمرني بكتبه ؟ أتنخوف عليّ النسيان ؟ فقال : يا أخي لست اتخوف عليك النسيان ولا الجهل ، وقد أخبرني الله عز وجل : أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك ، وإنما تكتبه لهم ، قلت : يا رسول الله ومن شركائي ؟ قال : الذين قرنهم الله بنفسه وبي ، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ فإن خفتم تنازعا في شيء فارجعوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم ، فقلت : يا نبي الله ومن هم ؟ قال : الأوصياء إلى أن يردوا عليّ حوضي ، كلهم هاد مهتد ، لا يضرهم خذلان من خذلهم ، هم مع القرآن والقرآن معهم ، لا يفارقونه ولا يفارقهم ، بهم تنصر امتي ويمطرون ، ويدفع عنهم بعظائم دعواتهم ، قلت : يا رسول الله سمّهم لي ، فقال : ابني هذا - ووضع يده على رأس الحسن - ثم ابني هذا - ووضع يده على رأس الحسين - ، ثم ابن له على اسمك يا علي ، ثم ابن له محمد بن علي ، ثم أقبل

على الحسين وقال: سيولد محمد بن علي في حياتك فأقرئه مني السلام، ثم تكلمه اثني عشر إماماً، قلت: يا نبي الله سمّهم لي، فسماهم رجلاً رجلاً. منهم والله يا أبا بني هلال مهدي هذه الأمة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(١).

وبالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «الخصال»: حدثنا أبي عليه السلام قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، وعمر بن أذينة، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أمير المؤمنين أني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون أن ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم؟، قال: فأقبل عليّ عليه السلام فقال: قد سألت فافهم الجواب، إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً. وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيباً فقال: أيها الناس قد كثرت على الكذابة، فمن كذب على متعمداً فليتبوء مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده، إنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الإيمان متصنّع بالاسلام لا يتألم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله متعمداً فلو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ولكنهم قالوا: هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه فأخذوا عنه، وهم لا يعرفون حاله وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل: «وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم» ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الاعمال، وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربع.

(١) كتاب الغيبة؛ لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٣٦ - ٣٨، ط / تبريز، ١٣٨٣.

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه ووهم فيه ولم يتعمد كذباً فهو يده يقول به ويعمل به ويرويه ويقول : أنا سمعته من رسول الله ﷺ فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه ، ولو علم هو أنه وهم لرفضه .

ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئاً أمر به ثم نهى عنه ، وهو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم ، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ فلو علم أنه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون أنه منسوخ لرفضوه .

وآخر رابع لم يكذب على رسول الله ﷺ مبغض للكذب خوفاً من الله عزوجل وتعظيماً لرسول الله ﷺ لم يسه بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه ، وعلم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ ، فإن أمر النبي ﷺ مثل القرآن ناسخ ومنسوخ ، وخاص وعام ، ومحكم ومتشابه ، وقد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان وكلام عام ، وكلام خاص مثل القرآن وقد قال الله عزوجل كتابه : ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله ﷺ ، وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ يسأله عن الشيء فيفهم ، كان منهم من يسأله ولا يستفهم حتى أن كانوا ليحبون أن يجيئ الاعرابي والطاري فيسأل رسول الله ﷺ حتى يسمعوا ، وكنت أدخل على رسول الله ﷺ كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة ، فيخليني فيها أدور معه حيثما دار ، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري ، فربما كان ذلك في بيتي يأتيني رسول الله ﷺ أكثر ذلك في بيتي ، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاقي وأقام عني نساءه ، فلا يبقى عنده أحد غيري ، وإذا أتاني للخلوة معي في بيتي لم تقم عنه فاطمة ولا أحد من بني ، وكنت إذا سألته أجابني ، وإذا سكنت وفنيت مسألتي ابتدأني ، فما نزلت على رسول الله ﷺ من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي ، وعلمني تأويلها وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامها ، ودعا الله لي أن يؤتيني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ، ولا علماً أملاه عليّ وكتبته

منذ دعا الله لي بما دعا ، وما ترك شيئا علمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ، ولا كتاب منزل على أحد قبله في أمر بطاعة أو نهى عن معصية إلا علمنيه وحفظته فلم أنس حرفا واحدا ، ثم وضع ﷺ يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علما وفهما وحكما ونورا ، فقلت : يا نبي الله بأبي أنت وامي إني منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئا ولم يفتني شيء لم أكتبه ، أفتتخوف عليّ النسيان فيما بعد ؟ فقال : لا لست أخاف عليك النسيان ولا الجهل. ^(١)

وبالاسناد عن أبي الفتح الكراجكي في الاستتصار : ومن ذلك ما اخبرني به ابو المرجا محمد بن عبد الله بن أبي طالب البلدي قال : اخبرني أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جعفر النعماني ﷺ قال : حدثني أحمد بن عبد الله بن جعفر بن المعلى الهمداني قال : حدثني أبو الحسن عمر بن جامع بن حرب الكندي قال : حدثني عبد الله بن المبارك عن عبد الرزاق عن معمر عن أبان عن سليم بن قيس قال : قلت لأُمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ إني سمعت من سلمان ومن المقداد ومن أبي ذر اشياء من تفسير القرآن والرواية عن رسول الله ، ثم سمعت منك تصديقا لما سمعت منهم ، ورايت في ايدي الناس اشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الاحاديث عن رسول الله ﷺ يخالفونهم فيها ويزعمون ان ذلك باطل ، أفترى انهم يكذبون متعمدين ويفسرون القرآن بأرائهم ؟ قال : فاقبل علي بن أبي طالب ﷺ وقال : سألت فافهم الجواب ، ان في ايدي الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وخاصا وعاما ومحكما ومتشابهة وحفظا ووهما وقد كذب على رسول الله على عهده حتى قام خطيبا فقال : ايها الناس قد كثرت الكذابة على فمن كذب على متعمداً فليتبوء مقعده من النار ، ثم كذب عليه من بعده وانما اتاك بالحديث اربعة ليس لهم خامس : رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام باللسان لا يتأثم ولا يتحرّج ان يكذب على رسول الله متعمدا فلو علم المسلمون انه منافق لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ولكنهم قالوا : هذا قد كان صاحب رسول الله ﷺ وقد راه وسمع منه ، وقد خبرك عن

(١) الخصال ؛ للشيخ الصدوق : ٢٥٥ - ٢٥٧ .

المنافقين بما خبرك وقد وصفهم، ثم بقوا بعد رسول الله ﷺ وتقربوا الى ائمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والكذب والبهتان فولّوهم الاعمال وحملوهم على رقاب الناس فأكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا الامن عصم الله، فهذا احد الاربعة.

ورجل سمع من رسول الله ﷺ شيئا لم يحفظه على وجه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو يديه يعمل فيه ويروي ويقول: انا سمعته من رسول الله ﷺ فلو علم المسلمون انه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو انه وهم لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو يعلم انه منسوخ لرفضه.

ورجل رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله بغضا للكذب وخوفا من الله عز وجل وتعظيما لرسول الله ﷺ ولم يوهم، بل حفظ الحديث على وجهه وان امر رسول الله ونهيه مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وعام وخاص ومحكم ومتشابه، فكان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان عام وكلام خاص مثل ان يسمعه من لا يعرف ما عنى الله عز وجل به وما عنى رسول الله وكان يسأله ويستفهمه حتى انهم كانوا يحبون ان يجي الاعرابي والطاربي فيسأل رسول الله كل يوم دخله حتى يسمعوا، وكنت انا ادخل على رسول الله كل يوم دخله وكل ليلة يخليني فيها، وقد علم اصحاب رسول الله انه لم يكن يصنع ذلك باحد غيري وكنت اذا سألت اجابني واذا سكت ابتدئي ودعا الله ان يحفظني ويفهمني، فما نسيت شيئا قط مذ دعا لي، فاني قلت لرسول الله: لم انس شيئا مما تعلمني فلم تمله علي ولم تأمرني بكتبتة، اتخاف علي النسيان؟ فقال: يا اخي لست اتخوف عليك النسيان ولا الجهل، وقد اخبرني الله عز وجل انه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون بعدك، وانما تكتب لهم. قلت: يا رسول الله ﷺ ومن شركائي؟ قال: الذين قرنهم الله بنفسه وبى فقال: ﴿يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم﴾ فقلت: يا نبي الله ومن هم؟ فقال: الاوصياء الى ان يردوا علي الحوض، كلهم هادي مهدي لا يضرهم خذلان من خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقونه ولا

يفارقهم، بهم تنصر امتي ويمطرون ويقبل منهم مستجاب دعواتهم. قلت: يا رسول الله سمّهم لي، قال النبي ﷺ: هذا، ووضع يده على رأس الحسين - فقال: سيولد محمد بن علي في حياتك فاقرأه مني السلام ثم تكلمة اثني عشر اما ما قلت يا نبي الله سمهم لي فسماهم رجلا رجلا منهم والله يا اخا بني هلال مهدي امه محمد الذي يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما.

وما رواه محمد بن سعيد عن القاسم بن محمد بن عبيد عن ابن كلوب، قال: حدثنا حسين بن زيد بن علي عليه السلام عن جعفر بن محمد عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ابشروا ثم ابشروا ثم ابشروا - ثلاث مرات - انما مثل امتي كمثل غيث لا يدرى أوله خير أم آخره، انما مثل امتي كمثل حديقة اطعم منها فوجا ما، لعل آخرها فوجا يكون أعرضها بحرا واعمقها طولا واطولها فرعا واحسنها جنا، وكيف تهلك امة انا فيها اولها واثنى عشر من ولدي من السعداء أولي الابواب والمسيح بن مريم آخرها، ولكن يهلك بين ذلك نتج الهرج ليس مني ولست منه»^(١).

وبالاسناد عن ابن كثير (ت / ٧٧٤ هـ) في «جامع المسانيد» في كيفية تلقّي أمير المؤمنين عليه السلام علمه بالحديث، قال: عن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه، انه قيل لعلي: مالك اكثر اصحاب رسول الله ﷺ حديثاً؟ قال: «اني كنت إذا سألته انبأني واذا سكّ ابتدأني»^(٢).

(١) الاستنصار؛ لأبي الفتح الكراجكي: ١٠ - ١٥.

(٢) جامع المسانيد ١٩: ١٧، ط / ١٤١٥ هـ.

[الخطبة (٢١٦)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١هـ) في التخريج، ما نصه: «قوله عليه السلام: أما بعد، فقد جعل الله لي عليكم حقاً... إلى آخره. رواها الكليني في روضة الكافي (ص ٢٥٩) بسند ينتهي إلى جابر عن أبي جعفر عليه السلام... إلى قوله: فأجابه الرجل الذي أجابه من قبل، والاختلاف بين الروايتين يسير»^(١).

قال العرشي في التخريج، ما نصه: «رواها الكليني في كتاب الروضة من فروع الكافي (ج ٣ ص ١٦٣)»^(٢).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه بالاسناد عن الشيخ الكليني (ت / ٣٢٩هـ) في «الكافي»: علي بن الحسن المؤدب، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، وأحمد بن محمد، عن علي بن الحسن التيمي جميعاً، عن إسماعيل بن مهران قال: حدثني عبد الله بن الحارث، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفين، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي ﷺ ثم قال: أما بعد، فقد جعل الله تعالى لي عليكم حقاً بولاية أمركم ومنزلتي التي أنزلني الله عزّ ذكره بها منكم، ولكم عليّ من الحق مثل الذي لي عليكم، والحق أجمل الأشياء في التواصف وأوسعها في التناصف، لا يجري لأحد إلا جرى عليه ولا يجري عليه إلا جرى له، ولو كان لأحد أن يجري ذلك له ولا يجري عليه لكان ذلك لله عز وجل خالصاً دون خلقه؛ لقد رتبه على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه ضروب قضائه ولكن جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل كفارتهم عليه بحسن الثواب تفضلاً منه وتطوّلاً بكرمه وتوسعاً بما هو من المزيّد له أهلاً، ثم جعل من حقوقه حقاً فرضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافى في وجوهاها ويوجب

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٥.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

بعضها بعضا ولا يستوجب بعضها إلا ببعض ، فأعظم مما افترض الله تبارك وتعالى من تلك الحقوق: حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله عز وجل لكل على كل، فجعلها نظام ألفتهم وعزًا لدينهم وقواما لسنن الحق فيهم ، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية ، فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقّه وأدى إليها الوالي كذلك عز الحق بينهم فقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على إذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطاب به العيش وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء، وإذا غلبت الرعية واليهيم وعلا الوالي الرعية اختلفت هنالك الكلمة وظهرت مطامع الجور وكثر الادغال في الدين وتركت معالم السنن فعمل بالهواء وعظمت الآثار وكثرت علل النفوس، ولا يستوحش لجسيم حد عطل ولا لعظيم باطل ائبل، فهناك تذلل الابرار وتعز الاشرار وتخرب البلاد وتعظم تبعات الله عز وجل عند العباد، فهلم أيها الناس إلى التعاون على طاعة الله عز وجل والقيام بعدله والوفاء بعهده والانصاف له في جميع حقه ، فإنه ليس العباد إلى شئ أحوج منهم إلى التناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، وليس أحد وإن اشتد على رضى الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما أعطى الله من الحق أهله ولكن من واجب حقوق الله عز وجل على العباد النصيحة له بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق فيهم ، ثم ليس امرء وإن عظمت في الحق منزلته وجسمت في الحق فضيلته بمستغن عن أن يعان على ما حملة الله عز وجل من حقه، ولا لامرئ مع ذلك خسئت به الامور واقتحمته العيون بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه وأهل الفضيلة في الحال، وأهل النعم العظام أكثر في ذلك حاجة وكل في الحاجة إلى الله عز وجل شرع سواء .

فأجابه رجل من عسكره لا يدري من هو ويقال: إنه لم ير في عسكره قبل ذلك اليوم ولا بعده . فقام وأحسن الثناء على الله عز وجل بما أبلاهم وأعطاهم من واجب حقه عليهم والاقرار بكل ما ذكر من تصرف الحالات به وبيهم . ثم قال: أنت أميرنا ونحن رعيتك بك أخرجنا الله عز وجل من الذل وباعزازك أطلق عباده من الغل . فاختر علينا

وامض اختيارك، وائتمر فامض ائتمارك، فإنك القائل المصدق والحاكم الموفق والملك المخول، لا نستحل في شئ معصيتك ولا نقيس علما بعلمك، يعظم عندنا في ذلك خطرك ويجل عنه في أنفسنا فضلك .

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام . فقال: إن من حق من عظم جلال الله في نفسه وجل موضعه من قبله أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه، وإن أحق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه فإنه لم تعظم نعمة الله على أحد إلا زاد حق الله عليه عظما وإن من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الاطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء، وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء، فلا تننوا عليّ بجميل ثناء لاخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لا بد من إمضاها، فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي ولا التماس إعظام لنفسي لما لا يصلح لي؛ فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عني مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإنني لست في نفسي بفوق ما أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى .

فأجابه الرجل الذي أجابه من قبل، فقال: أنت أهل ما قلت والله، والله فوق ما قلت، فبلاؤه عندنا ما لا يكفر وقد حملك الله تبارك وتعالى رعايتنا وولاك سياسة أمورنا، فأصبحت علمنا الذي نهتدي به وإماننا الذي نفتدي به وأمرك كله رشد وقولك كله أدب، قد قرت بك في الحياة أعيننا وامتلات من سرور بك قلوبنا، وتحيرت من صفة ما فيك من بارع الفضل عقولنا، ولسنا نقول لك: أيها الامام الصالح؛ تركية لك ولا نجاوز القصد الثناء

عليك ولم يكن في أنفسنا طعن على يقينك أو غش في دينك فنتخوف أن تكون أحدثت بنعمة الله تبارك وتعالى تجبرا أو دخلك كبر، ولكننا نقول لك ما قلنا تقربا إلى الله عز وجل بتوقيرك وتوسعا بتفضيلك وشكرا بإعظام أمرك، فانظر لنفسك ولنا وآثر أمر الله على نفسك وعلينا، فنحن طوع فيما أمرتنا تنقاد من الامور مع ذلك فيما ينفعنا.

فأجابه أمير المؤمنين (عليه السلام) . فقال: وأنا أستشهدكم عند الله على نفسي لعلمكم فيما وليت به من اموركم واما قليل يجمعني وإياكم الموقف بين يديه والسؤال عما كنا فيه، ثم يشهد بعضنا على بعض، فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غدا، فإن الله عز وجل لا يخفى عليه خافية ولا يجوز عنده إلا مناصحة الصدور في جميع الامور.

فأجابه الرجل ويقال: لم ير الرجل بعد كلامه هذا لامير المؤمنين (عليه السلام)، فأجابه، وقد عال الذي في صدره فقال: والبكاء يقطع منطقه وغصص الشجا تكسر صوته إعظاما لخطر مرزئته ووحشة من كون فجيعته . فحمد الله وأثنى عليه، ثم شكا إليه هول ما أشفى عليه من الخطر العظيم والذل الطويل في فساد زمانه وانتقال حده وانقطاع ما كان من دولته، ثم نصب المسألة إلى الله عز وجل بالامتنان عليه والمدافعة عنه بالتفجيع وحسن الثناء فقال: يا رباني العباد ويا سكن البلاد أين يقع قولنا من فضلك وأين يبلغ وصفنا من فعلك وأنى نبلغ حقيقة حسن ثنائك أو نحصي جميل بلائك، فكيف؟ وبك جرت نعم الله علينا على يدك اتصلت أسباب الخير إلينا، ألم تكن لذل الذليل ملاذا وللعصاة الكفار إخوانا؟ فبمن إلا بأهل بيتك وبك أخرجنا الله عز وجل من فظاعة تلك الخطرات؟ أو بمن فرج عنا غمرات الكربات؟ وبمن؟ إلا بكم أظهر الله معالم ديننا واستصلح ما كان فسد من دنيانا حتى استبان بعد الجور ذكرنا وقرت من رخاء العيش أعيننا لما وليتنا بالاحسان جهدك ووفيت لنا بجميع وعدك وقمت لنا على جميع عهدك، فكنت شاهد من غاب منا وخلف أهل البيت لنا، وكنت عز ضعفائنا وئمال فقرائنا وعماد عظمائنا، يجمعنا في الامور عدلك ويتسع لنا في الحق تأنيك، فكنت لنا انسا إذا رأيناك وسكنا إذا ذكرناك، فأأي الخيرات لم تفعل؟ وأي الصالحات لم تعمل؟ ولو لا أن الامر الذي نخاف عليك منه

يبلغ تحويله جهدنا وتقوي لمدافعتة طاقتنا أو يجوز الفداء عنك وبمن تقديه بالنفوس من أبنائنا لقدمنا أنفسنا وأبناءنا قبلك ولا خطرناها وقل خطرناها دونك، ولقمنا بجهدنا محاولة من حاولك وفي مدافعة من ناواك ولكنه سلطان لا يحاول وعز لا يزاوول ورب لا يغالب، فإن يمنن علينا بعافيتك ويترحم علينا ببقائك ويتحنن علينا بتفريج هذا من حالك إلى سلامة منك لنا وبقاء منك بين أظهرنا نحدث لله عز وجل بذلك شكرا نعظمه، وذكرنا نديمه ونقسم أنصاف أموالنا صدقات وأنصاف رقيقنا عتقاء ونحدث له تواضعا في أنفسنا ونخشع في جميع أمورنا وإن يمض بك إلى الجنان ويجري عليك حتم سبيله فغير متهم فيك قضاؤه ولا مدفوع عنك بلاؤه ولا مختلفة مع ذلك قلوبنا بأن اختياره لك ما عنده على ما كنت فيه، ولكننا نبكي من غير إثم لعز هذا السلطان أن يعود ذليلا وللدن والدنيا أكیلا فلا نرى لك خلفا تشكوا إليه ولا نظيرا نأمله ولا نقيمه^(١).

وبالاسناد عن الموفق الخوارزمي (ت / ٥٦٨ هـ) في المناقب، قال: وبهذا الاسناد عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو الحسين بن بشران العدل ببغداد، أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، حدثني علي بن الحسين بن عبد الله، عن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي، أخبرنا رجل من بني شيبان، أن علي بن أبي طالب عليه السلام خطب فقال: الحمد لله أحمدته واستعنيته وأومن به واتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وإن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليزيح به علتكم ويوقظ به غفلتكم، واعلموا انكم ميّتون ومبعوثون من بعد الموت، وموفون على اعمالكم ومجزيون، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، فانها دار بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولن يسلم من شرّها نزالها بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة، العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم، وإنما أهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقسمهم

(١) الكافي؛ للشيخ الكليني ٨: ٣٥٢-٣٦١.

بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور، واعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كانوا أطول منكم اعمارا وأشد منكم بطشا واعمر ديارا، وابتعد آثارا، فاصبحت اصواتهم خامدة من بعد طول تعليلها واجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر المنضدة والتمارق الممهدة، الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة التي قد بني للخراب فناؤها وشيد بالتراب بناؤها، فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة وموحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعرمان ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل وقد طعنهم بكلكلة البلى واكلتهم الجنادل والثرى فاصبحوا بعد الحياة امواتاً وبعد غضارة العيش رفاتاً، فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وطمعوا فليس لهم أيا، هيهات هيهات: ﴿كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة في دار المئوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع، فكيف بكم لو قد تناهت الامور وبعثت القبور، ﴿وحصل ما في الصدور﴾ ووقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار، ﴿هنالك تجزى كل نفس بما كسبت﴾ ان الله عزوجل يقول: ﴿ليجزى الذين أساءوا بما عملوا وليجزى الذين أحسنوا بالحسن﴾ وقال: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾ جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه، متبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد.^(١)

(١) المناقب: للموفق الخوارزمي: ٣٧٠.

[الكلام (٢١٧)]

قال العرشي في التخريج ما نصه: «رواه الثقفى في كتاب الغارات ضمن خطبة طويلة ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٩٥، ويقرب من هذا الكلام ما رواه الشيخ المفيد في كتاب الجمل (٤٥ و ٧٦)». انتهى^(١).

قال الجلالى: وردت مقاطع من النص فيما تقدم في الخطبة (٢٦)، فراجع.

[الكلام (٢١٨)]

ورد هذا المقطع من النص في الخطبة (٢٦)، فان هذا من جملة تلك الخطبة، فراجع.

[الكلام (٢١٩)]

قال العرشي في التخريج ما نصه: «رواه المبرد في الكامل (ج ١ ص ١٢٦)، وابن عبد ربه في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٩)، والبيهقى في المحاسن والمساوى (ج ٢ ص ٥٣) باختلاف الألفاظ». انتهى^(٢).

[الكلام (٢٢٠)]

قال العرشي في التخريج ما نصه: «رواه على بن محمد الواسطى في عيون الحكم والمواعظ (بحار الانوار ج ١٧ ص ١٣)». انتهى^(٣).

(١) راجع استناد نهج البلاغة.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) راجع: استناد نهج البلاغة.

[الكلام (٢٢٤)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ) في التخريج: «قوله عليه السلام: والله لئن أبيت على حسك السعدان ... الى آخره. رواها الشيخ المجلسي في كتاب الاربعين في «ص ١١٦» قال: الحديث الخامس والعشرون ما روته باسانيدي المتقدمة الى الشيخ الصدوق رئيس المحدثين محمد بن بابويه القمي، مما أورده في اماليه، ثم أورد السند إلى المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام عن آبائه، قال: قال أمير المؤمنين: والله ما دنياكم عندي ... الى أن يقول: والله لئن أبيت على حسك السعدان مرقداً ... الخ، وأكثر الفقرات المروية هنا فيها، ولعل مارواه السيد رواية أخرى أو مختاره منها. قوله عليه السلام: الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ... الخ، ذكرها الطبرسي في الاحتجاج»^(١).

قال العرشي في التخريج ما نصه: «رواه الشيخ الصدوق في أماليه (المجلس ٩٠)». (انتهى)^(٢).

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويه بالاسناد عن الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) في «الأمالي»، قال: حدثنا علي بن أحمد بن موسى الدقاق عليه السلام، قال: حدثنا محمد بن الحسن الطائي، قال: حدثنا محمد بن الحسين الخشاب، قال: حدثنا محمد بن محسن، عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: والله ما دنياكم عندي إلا كسفر على منهل حلوا، إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا، ولا لذاذتها في عيني إلا كحميم أشربه غساقا، وعلقم أتجرعه زعاقا، وسم أفعى أسقاه دهاقا، وقلادة من نار أوهقها خناقا، ولقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها، وقال لي: اقذف بها قذف الاتن، لا

(١) مدارك نهج البلاغة: ٩٥.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

يرتضيها ليرقعها . فقلت له : اغرب عني ، فعند الصباح يحمد القوم السرى ، وتنجلي عنا
علاوات الكرى . ولو شئت لتسرّبت بالعقري المنقوش من ديباجكم ، ولأكلت لباب هذا
البر بصدور دجاجكم ، ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم ، ولكني اصدق الله جلت
عظمته حيث يقول : «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها
لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار» ، فكيف أستطيع الصبر على نار لو
قذفت بشررة إلى الارض لاحرقت نبتها ، ولو اعتصمت نفس بقلة لانضجها وهج
النار قلتها ؟ وأيما خير لعلّي أن يكون عند ذي العرش مقرباً ، أو يكون في لظى خسيئاً
مبعداً ، مسخوطاً عليه بجرمه مكذباً . والله لان أبيت على حسك السعدان مرقداً ، وتحتي
أطمار على سفاها ممدداً ، أو أجر في أغلال مصفداً ، أحب إلي من أن ألقى في القيامة
محمداً خائناً في ذي يثمة أظلمه بفلسة متعمداً ، ولم أظلم اليتيم وغير اليتيم ؟! لنفس
تسرع إلى البلاء قفولها ، ويمتد في أطباق الثرى حلولها ، وإن عاشت رويدا فبذي العرش
نزولها .

معاشر شيعتي ، احذروا فقد عظمتكم الدنيا بأنبيائها ، تختطف منكم نفساً بعد نفس
كذائبها ، وهذه مطايا الرحيل قد أنيخت لركابها . ألا إن الحديث ذو شجون ، فلا يقولن
قائلكم : إن كلام علي متناقض ، لان الكلام عارض . ولقد بلغني أن رجلاً من قطان
المدائن تبع بعد الحنيفية علوجه ، ولبس من نالة دهقانه منسوجه ، وتضمخ بمسك هذه
النوافج صباحه ، وتبخّر بعود الهند رواحه ، وحوله ريحان حديقة يشم نفاحه ، وقد مدّ له
مفروشات الروم على سرره ، تعسا له بعد ما ناهز السبعين من عمره ، وحوله شيخ يدب
على أرضه من هرمه ، وذو يثمة تصوّر من ضره ومن قرمه ، فما واساهم بفاضلات من
علقمه ، لئن أمكنني الله منه لاخضمنه خضم البر ، ولاقيمن عليه حد المرتد ، ولاضربنه
الثمانين بعد حد ، ولاسدن من جهله كل مسد ، تعساً له ، أفلا شعر ، أفلا صوف ، أفلا وبر ،
أفلا رغيف قفار الليل إفطار مقدم ، أفلا عبرة على خد في ظلمة ليال تنحدر ؟ ولو كان
مؤمناً لا تسقت له الحجة إذا ضيع ما لا يملك . والله لقد رأيت عقيلاً أخي وقد أملق حتى

استماحني من بركم صاعة، وعادوني في عشر وسق من شعيركم يطعمه جياعه، ويكاد يلوي ثالث أيامه خامصا ما استطاعه، ورأيت أطفاله شعث الألوان من ضرهم كأنما اشمازت وجوههم من قرهم، فلما عاودني في قوله وكرره، أصغيت إليه سمعي فغره، وظنني أوتغ ديني فأتبع ما سره، أحميت له حديدة لينزجر، إذ لا يستطيع منها دنوا ولا يصبر، ثم أدنينها من جسمه، فضج من ألمه، ضجيج ذي دنف يئن من سقمه، وكاد يسبني سفها من كظمه، ولحرقة في لظى أضى له من عدمه، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتن من حديدة أحماها إنسانها لمدعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارها من غضبه؟! أتن من الاذى، ولا أئن من لظى؟! والله لو سقطت المكافاة عن الامم، وتركت في مضاجعها باليات في الرمم، لاستحييت من مقت رقيب يكشف فاضحات من الاوزار تنسخ، فصبرا على دنيا تمر بلاوائها، كليلة بأحلامها تنسلخ، كم بين نفس في خيامها ناعمة، وبين أثيم في جحيم يصطرخ؟ ولا تعجب من هذا.

واعجب بلا صنع منا، من طارق طرقتا بملفوفات زملها في وعائها، ومعجونة بسطها إنائها، فقلت له: أصدقة، أم نذر، أم زكاة؟ وكل ذلك يحرم علينا أهل بيت النبوة، ومعوض منه خمس ذي القربى في الكتاب والسنة. فقال لي: لا ذاك ولا ذاك، ولكنه هدية. فقلت له: ثكلتك الثواكل، أفعن دين الله تخدعني بمعجونة غرقتموها بقندكم، وخبيصة صفراء أتيتموني بها بعصير تمركم؟ أمختبط، أم ذو جنة، أم تهجر؟ أليست النفوس عن مثقال حبة من خردل مسؤولة؟ فماذا أقول في معجونة أترقمها معمولة؟ والله لو أعطيت الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، واسترق لي قطانها، مدعنة بأملاكها، على أن أعصي الله في نملة أسلبها شعيرة فألوكلها، ما قبلت ولا أردت، ولدنياكم أهون عندي من ورقة في جرادة تقضمها، وأقذر عندي من عراقة خنزير يقذف بها أجذمها، وأمر على فؤادي من حنظلة يلوكلها ذو سقم فييشمها، فكيف أقبل ملفوفات عكمتها في طيها، ومعجونة كأنها عجنت بريق حية أو قبيها؟ اللهم إني نفرت عنها نفار المهرة من راكبها، أريه السها ويريني القمر. أمتنع من وبرة من قلوصلها ساقطة، وابتلع إيلا في مبركها

رابطة ؟ أديب العقارب من وكرها ألتقط ، أم قوائل الرقش في مبיתי ارتبط ؟ فدعوني أكتفي من دنياكم بملحي وأقراضي ، فبتقوى الله أرجو خلاصي ، ما لعلي ونعيم يفنى ولذة تنتجها المعاصي ؟ سألتني وشيعتي ربنا بعيون مرة ، ويطون خماص ﴿ليمحص الله الذين ءامنوا ويمحق الكافرين﴾ ونعوذ بالله من سيئات الاعمال. وصلى الله على محمد وآله وسلم كثيرا^(١).

وبالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) في «الأمالى» قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت ، قال : أخبرنا أحمد ابن محمد بن سعيد الهمداني ، قال : حدثنا أحمد بن القاسم أبو جعفر الأكفاني من أصل كتابه ، قال : حدثنا عباد بن يعقوب ، قال : حدثنا أبو معاذ زياد بن رستم ببيع الادم ، عن عبد الصمد ، عن جعفر بن محمد عليه السلام ، قال : قلت : يا أبا عبد الله ، حدثنا حديث عقيل . قال : نعم ، جاء عقيل إليكم بالكوفة ، وكان علي جالسا في صحن المسجد ، وعليه قميص سنبلاني^(٢) ، قال : فسأله ، فقال : اكتب لك إلى ينبع . قال : ليس غير هذا . قال : لا . فبينما هو كذلك إذ أقبل الحسين عليه السلام فقال : اشتر نعمك ثوبين ، فاشترى له ، قال : يا بن أخي ما هذا ؟ قال : هذه كسوة أمير المؤمنين ، ثم أقبل حتى انتهى إلى علي عليه السلام فجلس ، فجعل يضرب يده على الثوبين وجعل يقول : ما ألين هذا الثوب يا أبا يزيد ! قال : يا حسن ، أخذ^(٣) عمك . قال : والله ما أملك صفراء ولا بيضاء . قال : فمر له ببعض ثيابك . قال : فكساه بعض ثيابه . قال : ثم قال : يا محمد ، أخذ عمك . قال : والله لا أملك درهمي ولا دينارا . قال : فأكسه بعض ثيابك . قال عقيل : يا أمير المؤمنين ، إئذن لي إلى معاوية . قال : في حل محلل ، فانطلق نحوه ، وبلغ ذلك معاوية ، فقال : اركبوا أفره دوابكم ، والبسوا من أحسن ثيابكم ، فإن عقيل قد أقبل نحوكم ، وأبرز معاوية سريره ، فلما انتهى إليه عقيل قال معاوية : مرحبا بك يا أبا يزيد ، ما نزع بك ؟ قال : طلب الدنيا من مظانها . قال : وفقت وأصبت ، قد أمرنا لك بمائة ألف ، فأعطاه المائة ألف . ثم قال : أخبرني

(١) الأمالى؛ للشيخ الصدوق : ٧١٨-٧٢٢.

(٢) القميص السنبلاني : السابغ الطول ، وقيل : المنسوب إلى بلد بالروم .

(٣) يقال : أخديته ، أي أعطيته .

عن العسكرين اللذين مررت بهما، عسكري وعسكر علي. قال: في الجماعة أخبرك، أو في الوحدة؟ قال: لا بل في الجماعة. قال: مررت على عسكر علي، فإذا ليل قليل النبي ﷺ، ونهار كنهار النبي ﷺ، إلا أن رسول الله ليس فيهم، ومررت على عسكرك فإذا أول من استقبلني أبو الأعور وطائفة من المنافقين والمنفرين برسول الله ﷺ إلا أن أبا سفيان ليس فيهم. فكف عنه حتى إذا ذهب الناس قال له: يا أبا يزيد، أيش صنعت بي؟ قال: ألم أقل لك: في الجماعة أو في الوحدة، فأبيت علي؟ قال: أما الآن فاشفني من عدوي. قال: ذلك عند الرحيل. فلما كان من الغد شد غرائره ورواحله، وأقبل نحو معاوية، وقد جمع معاوية حوله، فلما انتهى إليه قال: يا معاوية، من ذا عن يمينك؟ قال: عمرو بن العاص، فتضاحك ثم قال: لقد علمت قريش أنه لم يكن أحصى لتيوسها من أبيه، ثم قال: من هذا؟ قال: هذا أبو موسى، فتضاحك ثم قال: لقد علمت قريش بالمدينة أنه لم يكن بها امرأة أطيب ريحا من قب^(١) أمه. قال: أخبرني عن نفسي يا أبا يزيد. قال: تعرف حمامة، ثم سار، فألقي في خلد معاوية، قال: أم من أمهاتي لست أعرفها! فدعا بنسايين من أهل الشام، فقال: أخبراني عن أم من أمهاتي يقال لها: حمامة، لست أعرفها. فقالا: نسألك بالله لا تسألنا عنها اليوم. قال: أخبراني أو لأضربن أعناقكما، لكما الأمان. قال: فإن حمامة جدة أبي سفيان السابعة، وكانت بغياً، وكان لها بيت توفي فيه. قال جعفر بن محمد ﷺ: وكان عقيل من أنسب الناس^(٢).

(١) القب: ما بين الألبتين أو الوركين.

(٢) الأمالي، للشيخ الطوسي: ٧٢٣ - ٧٢٥.

[الدعاء (٢٢٥)]

من التعقيبات: اروي فقرات من هذه الخطبة عن الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي عليهم السلام في المقطع (٢٦) من دعاء مكارم الاخلاق في «الصحيفة السجادية» - الرواية المشهورة - على اختلاف في الالفاظ، وقد شرحت اسنادها في «الدراسة المنيفة»، فليراجع، وموارد الاختلاف ستة مواضع، هي:

في النهج	في الصحيفة
١ - تبذل	تبذل
٢ - استعطف	استعطى
٣ - فأبتلي بحمد	فافتتن بحمد
٤ - وافتتن بدم	وابتلي بدم
٥ - وانت من وراء ذلك	وانت من دون ذلك
٦ - انك على كل شيء قدير	[لا يوجد]

وقد روي في الصحيفة السجادية برقم (٢٠) والظاهر انه من رواية الابناء عن الآباء رواه علي بن الحسين السجاد عن ابيه عن جده علي بن أبي طالب عليهم السلام والسند الى سيد الساجدين جاء في مقدمة الصحيفة بروايتين هما: رواية ابن الاعلم ورواية ابن المطهري، ونصّهما:

حدّثنا السيد الأجلّ نجم الدين بهاء الشرف أبو الحسن محمد بن الحسن بن أحمد بن عليّ بن محمد بن عمر بن يحيى العلوي الحسيني عليه السلام، قال: أخبرنا الشيخ السعيد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهریار الخازن لخزانة مولانا أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام شهر ربيع الأول من سنة ستّ عشرة وخمسمائة قراءة عليه وأنا أسمع، قال: سمعتها على الشيخ الصدوق منصور محمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز العكبري

المعدّل ﷺ، عن أبي المفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني، قال: حدثنا الشريف أبو عبد الله جعفر بن محمد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن أمير المؤمنين علي بن طالب: قال: حدثنا عبد الله بن عمر بن خطاب الزيات سنة خمس وستين ومائتين، قال: حدثني خالي علي بن النعمان الأعلم قال: حدثني عمير بن متوكل الثقفي البلخي، عن أبيه متوكل بن هارون عن أبي عبد الله الصادق وزيد الشهيد عن أبيهما. الرواية الثانية: نصّها: وحدثنا أبو المفضل قال: وحدثني محمد بن الحسن بن رزويه أبو بكر المدائني الكاتب نزبل الرحبة في داره، قال: حدثني محمد بن أحمد بن مسلم المطهري، قال: حدثني أبي عن عمير بن متوكل البلخي عن أبيه المتوكل بن هارون، قال: لقيت يحيى بن زيد بن علي عليه السلام فذكر الحديث بتمامه إلى رؤيا النبي ﷺ التي ذكرها جعفر بن محمد عن آبائه صلوات الله عليهم، وفي رواية المطهري ذكر الأبواب، وهي - فذكر الأبواب ثم قال: - وباقي الأبواب بلفظ أبي عبد الله الحسيني رحمه الله... إلى قوله: بمشهد مني. راجع الدراسة المنيفة، فإن هذا المقطع من التعقيبات من رواية الابناء عن الآباء، على ما يظهر، والله أخبر.

[الخطبة (٢٢٦)]

قال العرشي في التخريج ما نصه: «الخطبة الحادية والعشرون بعد المائتين: واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم (ج ٢ ص ٢٤٦). رواها علي بن محمد الواسطي في عيون الحكم (بحار الأنوار ج ١٧ ص ١١٤). (انتهى).^(١)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما أرويه من الموافقات بالاسناد عن سبط ابن الجوزي (ت / ٦٥٤ هـ) قال: خطبة أخرى وتعرف بالبالغة، وبه قال العرشي: حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن صالح العجلي قال: أخبرني رجل من بني شيان قال: شهدت علياً عليه السلام وقد خطب خطبة بليغة، حمد الله فيها ثم صلى على رسوله محمد ﷺ، ثم قال:

أيها الناس إن الله أرسل اليكم رسولا ليزيح به علتكم، ويوقظ به غفلتكم، وإني أخوف ما أخاف عليكم: اتباع الهوى وطول الأمل، فاما اتباع الهوى فيضلكم عن الحق، وأما طول الأمل فينسيكم الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة قد اقبلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل، واعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت، ومحاسبون على اعمالكم، ومجزون بها، فلا تغرركم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالعناء والغدر موصوفة، وكل ما فيها الى زوال، وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور اذا هم في بلاء وغرور، العيش فيها مذموم، والرخاء فيها لا يدوم، أهلها فيها أهداف - أو أغراض - مستهدفة، وأسبابها مختلفة، وكل فيها حفته مقدور وحظه من

(١) راجع: استناد نهج البلاغة، الرقم ١٠٠.

نوايها موفور، واعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من زهرة الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد بطشاً وأعمر دياراً وأبعد آثاراً، فاصبحت اجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الموسدة الصخور والاحجار في القبور التي خرب فناؤها وتهدم بناؤها، فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين قوم مستوحشين متجاوزين غير متراورين لا يستأنسون بالعرمان، ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنتهم البلى، واظلتهم الجنادل والثرى، فاصبحوا بعد الحياة أمواتاً وبعد غضارة العيش رفاتاً قد فجع بهم الأحباب واسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم أياب وتمنوا الرجوع ﴿فحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ ﴿كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون﴾ وكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه، وقدمتم على ما قدموا عليه، فكيف بكم اذا تناهت الامور، و ﴿بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ وكأنني والله بكم وقد وقفتم للحصول بين يدي الملك الجليل، فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب، وهبطت عنكم الحجب والأستار، وظهرت العيوب والاسرار وزال الشك والارتباب ﴿هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب﴾ جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لسنة رسوله حتى يحلنا دار المقامة من فضله، انه حميد مجيد برحمته وكرمه».

ثم قال: وقد أخرج أبو نعيم في كتاب (الحلية) طرفاً من أول هذه الخطبة.^(١) وبالاسناد عن ابن عساكر (ت / ٥٧١ هـ) في «تاريخ مدينة دمشق»: أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم أنا رشأ بن نظيف نا الحسن بن إسماعيل نا أحمد بن مروان نا أبو قبيصة نا سعيد الجرهمي عن عبد الله بن صالح العجلي عن أبيه قال: خطب علي بن أبي طالب يوماً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: عباد الله لا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دار بالباء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال

(١) تذكرة الخواص: ١١٦-١١٧، ط / ١٤٠١ هـ.

وهي بين أهلها دول وسجال، لن يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها في رجاء وسرور إذ هم منها في بلاء وغرور، العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقتضمهم بحمامها. عباد الله إنكم وما أنتم من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد منكم بطشاً وأعمر دياراً وأبعد أثاراً، فأصبحت أصواتهم هادمة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية، واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرى والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة، التي قد بني على الخراب فناؤها وشيد بالتراب بناؤها، فمحلها مقترّب، وساكنها مغترب، بين أهل عمارة موحشين، وأهل محلة متشاغلين، لا يستأنسون بالعرمان، ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكلة البلى، وأكلتهم الجنادل والثرى فأصبحوا بعد الحياة أمواتاً، وبعد غضارة العيش رفاتاً، فجع بهم الأحباب وسكنوا التراب، وظعنوا فليس لهم أياب. هيهات هيهات ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من الوحدة والبلاء في دار الموتى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع، فكيف بكم لو قد تناهت الأمور وبعثت القبور وحصل ما في الصدور وضمكم وأوقفتم للتحصيل بين يدي ملك جليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ﴿ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ جعلنا الله وأياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد»^(١).

(١) تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر ٤٢: ٥٠٠-٥٠١، والاكتفاء: ٤٨١-٤٨٤، ط/ ١٤٢٢هـ.

[من الدعاء (٢٢٧)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه بالاسناد عن الشيخ الطوسي (ت/٤٦٠هـ) قال في «مصباح المتهجد» في اعمال يوم الجمعة مانصه: «ثم تصلي نوافل يوم الجمعة ، على ما وردت به الرواية عن الرضا عليه السلام أنه قال: تصلي ست ركعات بكرة ، وست ركعات بعدها ، إثنا عشرة ، وست ركعات بعد ذلك ، ثمان عشرة ، وركعتين عند الزوال ، وينبغي أن يدعو بين كل ركعتين بالدعاء المروي عن علي بن الحسين فإنه كان يدعو به بين الركعات.

الدعاء بين الركعتين الاوليين : اللهم ! إني أسألك بحرمة من عاذ بك ولجأ إلى عزك واعتصم بحبلك ولم يثق إلا بك ، يا واهب العطايا ، يا من سمى نفسه من جوده الوهاب ، صل على محمد وآل محمد المرضيين بأفضل صلواتك وبارك عليهم بأفضل بركاتك ، والسلام عليه وعليهم وعلى أرواحهم وأجسادهم ورحمة الله وبركاته . اللهم صل على محمد وال محمد واجعل لي من أمري فرجا ومخرجا وارزقني حلالا طيبا مما شئت وأني شئت وكيف شئت فإنه لا يكون إلا ما شئت حيث شئت كما شئت .

زيادة في الدعاء من رواية أخرى : اللهم ! إن قلبي يرجوك لسعة رحمتك ونفسي تخافك لشدة عقابك، فأسألك أن تصلي على محمد وآله وأن تؤمنني مكرك وتعافيني من سخطك وتجعلني من أولياء طاعتك وتفضل عليّ برحمتك ومغفرتك ، وتشرفني بسعة فضلك عن التذلل لعبادك وترحمني من خيبة الرد وسفع نار الحرمان .

ثم تقوم فتصلي ركعتين ، وتقول : اللهم ! كما عصيتك واجترأت عليك ، فإني أستغفرك لما تبت إليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك لما وأيت لك به على نفسي ولم أف به ، وأستغفرك للمعاصي التي قويت عليها بنعمتك وأستغفرك لكل ما خالطني من كل خير أردت به وجهك فإنك أنت أنت وأنا وأنا .

زيادة : اللهم ! صل على محمد وآله وعظم النور في قلبي وصغر الدنيا في عيني واحبس لساني بذكرك عن النطق بما لا يرضيك واحرس نفسي من الشهوات واكفني طلب ما قدرت لي عندك حتى أستغني به عما في أيدي عبادك .

ثم تقوم فتصلي ركعتين الثالثة ، وتقول : اللهم ! إني أدعوك وأسألك بما دعاك به ذو النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت ، سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه دعاك وهو عبدك وأنا أدعوك وأنا عبدك ، وسألك وأنا أسألك ، ففرج عني كما فرجت عنه ، وأدعوك اللهم ! بما دعاك به أيوب إذ مسه الضر فنادى «أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين» ، ففرجت عنه فإنه دعاك وهو عبدك وأنا أدعوك وأنا عبدك ، وسألك وأنا أسألك ، ففرج عني كما فرجت عنه ، وأدعوك بما دعاك به يوسف إذ فرقت بينه وبين أهله إذ هو في السجن ففرجت عنه فإنه دعاك وهو عبدك وأنا أدعوك وأنا عبدك ، وسألك وأنا أسألك فاستجب لي كما استجبت له ، وفرج عني كما فرجت عنه ، وأدعوك اللهم ! وأسألك بما دعاك به النبيون فاستجبت لهم ، فإنهم دعوك وهم عبيدك ، وسألوك وأنا أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد بأفضل صلواتك ، وأن تبارك عليهم بأفضل بركاتك ، وأن تفرج عني كما فرجت عن أنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين» .

ثم قال : «زيادة : اللهم صل على محمد وآل محمد ، وأغنني باليقين ، وأعني بالتوكل واكفني روعات القنوط ، وافسح لي في انتظار جميل الصنع ، وافتح لي باب الرحمة إليك والخشية منك والوجل من الذنوب ، وحبب إلي الدعاء وصله منك بالاجابة .

ثم تخر ساجدا ، وتقول في سجودك : سجد وجهي للوالي الفاني لوجهك الدائم الباقي ، سجد وجهي متعفرا في التراب لخالقه وحق له أن يسجد ، سجد وجهي لمن خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين ، سجد وجهي الذليل الحقير لوجهك العزيز الكريم سجد وجهي اللئيم الذليل لوجهك الكريم الجليل» .

ثم ترفع رأسك وتدعو بهذا الدعاء : اللهم صل على محمد وآله واجعل النور في بصري

واليفين في قلبي والنصيحة في صدري وذكرك بالليل والنهار على لساني ، ومن طيب
رزقك يا رب غير ممنون ولا محظور فارزقني ، ومن ثياب الجنة فاكسني ، ومن حوض
محمد ﷺ فاسقني ، ومن مضلات الفتن فأجرني ، ولك يا رب في نفسي فذللي ، وفي
أعين الناس فعظمني ، وإليك يا رب فحببني ، وبذنوبي فلا تفضحني وبسريرتي فلا تخزني
وبعملي فلا تبسلني وغضبك فلا تنزل بي ، أشكو إليك غربتي وبعد داري وطول أجلي
واقتراب أجلي وقلة معرفتي فنعم المشتكى إليه أنت يا رب ! ومن شر الجن والانس
فسلمني ، إلى من تكلني يا رب المستضعفين إلى عدو ملكته أمري أو إلى بعيد فيتجهمني .
اللهم ! إني أسألك خير المعيشة معيشة أقوى بها على جميع حاجاتي ، وأتوسل بها إليك
في حياة الدنيا وفي آخرتي من غير أن تترفني فيها فأطغى أو تقترها عليّ فأشقى ،
وأوسع عليّ من حلال رزقك ، وأفض عليّ من حيث شئت من فضلك وانشر علي من
رحمتك ، وأنزل علي من بركاتك نعمة منك سابعة وعطاء غير ممنون ، ولا تشغلني عن
شكر نعمتك عليّ بأكثار منها تلهيني عجائب بهجته وتفتتني زهرات نضرتة ولا بإقلال
عليّ منها فيقصر بعلمي كده ويملاً صدري همه ، أعطني من ذلك يا إلهي ! غني عن شرار
خلقك وبلاغاً أنال به رضوانك وأعوذ بك يا إلهي ! من شر الدنيا وشر أهلها وشر ما فيها ،
ولا تجعل الدنيا لي سجنًا ولا فراقها علي حزنًا ، أجرني من فتنتها مرضيا عني ، مقبولا
فيها عملي إلى دار الحيوان ومساكن الأبرار الأخيار ، وأبدلني بالدنيا الفانية نعيم الدار
الباقية . اللهم ! إني أعوذ بك من أزلهـا وزلزلهـا وسطوات سلطانها ومن شر شياطينها وبغي
من بغي علي فيها ، اللهم ! من كادني فصل علي محمد وآله وكده ، ومن أرادني ، فصل علي
محمد وآله وأرده ، وفلّ عني حد من نصب لي حده ، وأطفئ عني نار من شب لي وقوده ،
واكفني هم من أدخل علي همه ، وادفع عني شر الحسدة ، واعصمني من ذلك بالسكينة ،
وألبسني درعك الحصينة ، وأحيني في سترك الواقى ، وأصلح لي حالي للـم عيالي ،
وصدق مقالـي بفعالي ، وبارك لي في أهلي ومالي . اللهم صل على محمد وأهل بيته
المرضيين بأفضل صلواتك ، وبارك عليهم بأفضل بركاتك ، والسلام عليه وعليهم وعلى

أرواحهم وأجسادهم ورحمة الله وبركاته ، اللهم صل على محمد وآله واجعل لي من أمري فرجا ومخرجا وارزقني حلالا طيبا واسعا مما شئت وأني شئت ، وكيف شئت ، فإنه لا يكون إلا ما شئت حيث شئت كما شئت .

فإذا أراد أن يصلي الست الركعات الثانية ، فليصل ركعتين ، ويقول بعدهما : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ﷺ ، وأشهد أن الدين كما شرع والاسلام كما وصف والقول كما حدث ، ذكر الله محمدا وال محمد بخير وحياتهم بالسلام ، اللهم صل على محمد وآل محمد بأفضل صلواتك ، اللهم اردد على جميع خلقك مظالمهم التي قبلي صغيرها وكبيرها في يسر منك وعافية ، وما لم تبلغه قوتي ولم تسعه ذات يدي ولم يقو عليه بدني فأده عني من جزيل ما عندك من فضلك ، حتى لا تخلف علي شيئا منه تنقصه من حسناتي يا أرحم الراحمين ! وصل على محمد وال محمد المرضيين بأفضل صلواتك ، وبارك عليهم بأفضل بركاتك ، والسلام عليه وعليهم وعلى أرواحهم وأجسادهم ورحمة الله وبركاته ، اللهم صل على محمد وال محمد اجعل لي من أمري فرجا ومخرجا ، وارزقني حلالا طيبا واسعا مما شئت وأني شئت وكيف شئت فإنه لا يكون إلا ما شئت حيث شئت كما شئت».

ثم قال: «زيادة: اللهم صل على محمد وآله واستعملني بطاعتك ، وقنعني بما رزقتني ، وبارك لي فيما أعطيتني وأسبغ نعمتك علي ، وهب لي شكرا ترضى به عني وحمدا على ما ألهمتني ، وأقبل بقلبي إلى ما يقربني إليك ، واشغلني عما يباعدني عنك ، وألهمني خوف عقابك ، وازجرني عن المنى لمنازل المتقين بما يسخطك من العمل ، وهب لي الجد في طاعتك .

ثم تقوم ، فتصلي الركعتين الخامسة ، وتقول بعدهما : يا من أرجوه لكل خير ! ويا من امن عقوبته عند كل عثرة ! ويا من يعطي الكثير بالقليل ! ويا من أعطي الكثير بالقليل ! ويا من أعطي من سألته تحننا منه ورحمة ! ويا من أعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه ومن لم يؤمن به تفضلا منه وكرما ، صل على محمد وال محمد وأعطني بمسألتني إياك من جميع

خير الدنيا والآخرة فإنه غير منقوص ما أعطيت ، وزدني من فضلك إني إليك راغب ، وصل على محمد وأهل بيته الاوصياء المرضيين بأفضل صلواتك ، وبارك عليهم بأفضل بركاتك ، والسلام عليه وعليهم وعلى أرواحهم وأجسادهم ورحمة الله وبركاته ، اللهم صل على محمد وآل محمد ، واجعل لي من أمري فرجا ومخرجا ، وارزقني حلالا طيبا واسعا مما شئت وأني شئت وكيف شئت فإنه لا يكون إلا ما شئت حيث شئت كما شئت .
ثم قال: «زيادة: اللهم صل على محمد وآله واجعل لي قلبا طاهرا ولسانا صادقا ونفسا سامية إلى نعيم الجنة واجعلني بالتوكل عليك عزيزا وبما أتوقعه منك غنيا وبما رزقتني قانعا راضيا وعلى رجائك معتمدا وإليك في حوائجي قاصدا حتى لا أعتمد إلا عليك ولا أثق إلا بك» .

ثم تقوم ، فتصلي الركعتين السادسة ، وتقول بعدهما : اللهم ! إنك تعلم سريري ، فصل على محمد وآل محمد وأقبل سيدي ومولاي معذرتي ، وتعلم حاجتي فصل على محمد وآله وأعطني مسألتي ، وتعلم ما في نفسي فصل على محمد وآله واغفر لي ذنوبي ، اللهم ! من أرادني بسوء فصل على محمد وآله واصرفه عني واكفني كيد عدوي فإن عدوي عدو آل محمد وعدو آل محمد عدو محمد وعدو محمد عدوك ، فأعطني سؤلي يا مولاي عدوي عاجلا غير أجل يا معطي الرغائب ! صل على محمد وآل محمد وأعطني رغبتني فيما سألتك في عدوك يا ذا الجلال والإكرام ! يا إلهي ! إلهي واحدا لا إله إلا أنت ، صل على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين ، وأرني الرخاء والسرور عاجلا غير أجل ، وصل على محمد وأهل بيته المرضيين بأفضل صلواتك وبارك عليهم بأفضل بركاتك ، والسلام عليه وعليهم وعلى أرواحهم وأجسادهم ورحمة الله وبركاته . اللهم صل على محمد وآل محمد واجعل لي من لدنك فرجا ومخرجا وارزقني حلالا طيبا واسعا مما شئت وأني شئت وكيف شئت فإنه لا يكون إلا ما شئت حيث شئت كما شئت .

ثم قال: «زيادة: اللهم صل على محمد وآل محمد ، إلهي ! ظلمت نفسي وعظم عليها إسرافي وطلال في معاصيك انهماكي وتكاثفت ذنوبي وتظاهرت عيوبي وطلال بك

اغتراري ودام للشهوات اتباعي ، فأنا الخائب إني لم ترحمني ، وأنا الهالك إن لم تعف عني ، فصل على محمد وال محمد واغفر لي وتجاوز عن سيئاتي وأعطني سؤلي واكفني ما أهمني ولا تكلني إلى نفسي فتعجز عني ، وأنقذني برحمتك من خطاياي ، وأسعدني بسعة رحمتك سيدي ! .

فإذا أراد أن يصلي الست الركعات الباقية ، فليقم ، وليصل ركعتين ، فإذا سلم بعدهما ، قال اللهم ! أنت أنس الآتسين لأودائك وأحضرهم لكفاية المتوكلين عليك تشاهدهم ضمائرهم وتطلع على سرائرهم ، وتحيط بمبالغ بصائرهم ، وسرى اللهم مكشوف وأنا إليك ملهوف إذا أوحشتني الغربة آنسني ذكرك ، وإذا كثرت علي الهموم لجأت إلى الاستجارة بك علما بأن أزمة الأمور بيدك ومصدرها عن قضائك خاضعا لحكمك ، اللهم ! إن عميت عن مسألتك أو فهمت عنها فدلني على مصالحتي وخذ بقلبي إلى مراشدي ، فلست بيدع من ولايتك ولا بوتر من أناتك ، اللهم ! إنك أمرت بدعائك وضمنت الاجابة لعبادك ، ولن يخيب من فزع إليك برغبة وقصد إليك بحاجة ، ولم ترجع يد طالبة صفرا من عطائك ولا خالية من نحل هباتك ، وأي راحل أمك فلم يجدك أو أي وافد وفد إليك فاقتطعته عوائق الرد دونك ؟ بل أي مستجير بفضلك لم ينل من فيض جودك وأي مستبطل لمزيدك أكدي دون استمache عطيتك ؟ اللهم ! وقد قصدت إليك بحاجتي وقرعت باب فضلك يد مسألتي ، وناجاك بخشوع الاستكانة قلبي ، وعلمت ما يحدث من طلبتي قبل أن يخطر ببالني أو يقع في صدري ، فصل على محمد وآله وصل اللهم دعائي بإجابتك ، واشفع مسألتي إياك بنجح حوائجي يا أرحم الراحمين ! وآله الله على محمد وآله» .

ثم تصلي ركعتين ، وتقول بعدهما : يا من أرجوه لكل خير وآمن سخطه عند كل عشرة ، يا من يعطي الكثير بالقليل ، يا من أعطي من سأله تحننا منه ورحمة ، يا من أعطي من لم يسأله ولم يعرفه صل على محمد وال محمد وأعطني بمسألتي إياك جميع سؤلي من جميع خير الدنيا والآخرة فإنه غير منقوص ما أعطيت ، واصرف عني شر الدنيا والآخرة ،

يا ذا المن ولا يمن عليه ! يا ذا الجود والمن والطول والنعم ! صل على محمد وال محمد وأعطني سؤلي واكفني جميع المهم من أمر الدنيا والآخرة .
ثم تصلي ركعتين ، وتقول بعدهما : يا ذا المن لا من عليك يا ذا الطول ! لا إله إلا أنت ، يا أمان الخائفين وظهر اللاجئين وجار المستجيرين ! إن كان في أم الكتاب عندك أني شقي محروم أو مقتر على في رزقي ، فامح من أم الكتاب شقائي وحرمانني وإقتار رزقي ، واكتبني عندك سعيدا موفقا للخير موسعا في رزقي ، إنك قلت في كتابك المنزل على نبيك المرسل : يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، وقلت : رحمتي وسعت كل شيء وأنا شيء فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين ! . اللهم صل على محمد وآله ومن علي بالتوكل عليك والتسليم لامرك والرضا بقدرك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت يا رب العالمين»^(١).

وبالاسناد عن المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) في «كنز العمال»: عن عبد الله بن صالح العجلي عن أبيه قال: خطب علي بن أبي طالب يوما فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: يا عباد الله ! لا تغرنكم الحياة الدنيا فانها دار بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالتقدر موصوفة ، وكل ما فيها إلى زوال ، وهي ما بين أهلها دول وسجال ، لن يسلم من شرها نزلها ، بينا أهلها في رخاء وسرور ، إذا هم منها في بلاء وغرور ، العيش فيها مذموم ، والرخاء فيها لا يدوم ، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها ، وتقصمهم بحمامها ، عبد الله ! إنكم وما أنتم من هذه الدنيا عن سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا ، وأشد منكم بطشا ، وأعمر ديارا ، وأبعد آثارا ، فأصبحت أصواتهم هامة خامدة من بعد طول تقلبها ، وأجسادهم بالية ، وديارهم خالية ، وآثارهم عافية ، واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور ، والاحجار المسندة القبور ، الملاطية الملحدة التي قد بين الخراب فناؤها ، وشيد بالتراب بناؤها ، فمحلها مقرب ، وساكنها مغترب ، بين أهل عمارة موحشين ، وأهل محلة متشاغلين ، لا

(١) مصباح المتجهد ؛ للشيخ الطوسي : ٣٤٧ - ٣٥٧ .

يستأنسون بالعمران ، ولا يتواصلون تواصل الجيران ، على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار ، وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكلة البلى وأكلتهم الجنادل والثرى ، فأصبحوا بعد الحياة أمواتا ، وبعد غضارة العيش رفاتا ، فجع بهم الاحباب ، وسكنوا التراب ، فطعنوا فليس لهم إياب ، هيهات هيهات ! كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من الوحدة والبلى في دار الموتى ، وارتهنتم في ذلك المضجع ، وضمكم ذلك المستودع ، فكيف بكم لو قد تناهت الامور ، وبعثرت القبور ، وحصل ما في الصدور ، وأوقفتم للتحصيل بين يدي ملك جليل ، فطارت القلوب لاشفاقها من سائف الذنوب ، وهتكت عنكم الحجب والاستار ، فظهرت منكم العيوب والاسرار ، هنالك تجزي كل نفس بما كسبت ليحزي الذين اساءوا بما عملوا ويحزي الذين أحسنوا بالحسنى «ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا» جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه ، متبعين لآيائه ، حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله ، إنه حميد مجيد». (الدينوري ، كر).^(١)

[الكلام (٢٢٨)]

قال الهادي كاشف الغطاء (ت / ١٣٦١ هـ): «نقل عن شاذ لا يعرف، إلى أنه دخل في النهج، وآخر إلى أنه من النهج واستصلاح العمرين، وأوله ثالث بما لا ينافي ما في الخطبة. ونقول على فرض المعارضة بين الكلامين، وإن أحدهما ساقط عن الاعتبار في البين: إن الترجيح لكلام الخطبة، لأنه مروي بأكثر من طريق، وهو مشهور معروف معتضد بما في النهج وغيره مما روي عن أمير المؤمنين من تظلمه من قريش ومن اعتدائها عليه وغصبها حقه، ولعل اشتغال الخطبة على ذلك مما يؤيد صدورها عن الإمام في نظر بعضهم، وأما

(١) كنز العمال : للمتقي الهندي ١٦ : ٢٠٠ ، ح ٤٤٢٢٤.

الكلام فهو خبر مرسل لاشهرة يؤيده، ولا حديث يعضده، هذا ما ذكره هنا، والله تعالى اعلم بحقائق الاحوال ونوايا الرجال»^(١).

قال العرشي في التخريج ما نصه: «الكلام الثالث والعشرون بعد المائتين في مدح عمر عليه السلام: «الله بلاد فلان، فقد قوم الأود، وداوى العمد» [ج ١ ص ٢٤٩]. وروى الطبري [ج ٥ ص ٢٨] بإسناده عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: لما مات عمر، بكته ابنة أبي حثمة فقالت: «وا عمراه! أقام الأود، وأبرأ العمد، أمت الفتن وأحيا السنن، خرج تقى الثوب، بريئا من العيب»، قال المغيرة بن شعبة: لما دفن عمر، أتيت عليا عليه السلام، وأنا أحب أن أسمع منه في عمر عليه السلام شيئا، فخرج ينفذ رأسه ولحيته وقد اغتسل، وهو ملتحف بثوب، لا يشك أن الأمر يصير إليه، فقال: «يرحم الله ابن الخطاب! لقد صدقت ابنة أبي حثمة، لقد ذهب بخيرها، ونجا من شرها، أم والله، ما قالت ولكن قولت». (انتهى).^(٢)

[الكلام (٢٢٩)]

قال العرشي: «رواه الشيخ المفيد في الارشاد (١٤٢) وكتاب الجمل (١٢٨) وروى ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٥) كتاباً له عليه السلام فيه ما يشبه هذا الكلام». (انتهى).^(٣)
قال الجلالى: وردت مقاطع من النص في الخطبة (٢٥)، فراجع.

[الخطبة (٢٣١)]

قال العرشي رواها الشيخ المفيد في الارشاد (١٤٢) وكتاب الجمل (١٢٨). انتهى
واشار الى ذلك في المقدمة ص ١٥. (انتهى).^(٤)

(١) مدارك نهج البلاغة.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة، الرقم ١٠١.

(٣) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٤) راجع: استناد نهج البلاغة.

[الكلام (٢٣٢)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه عن القاضي النعمان المغربي (ت / ٣٦٠ هـ) في «دعائم الاسلام»، قال: وعن علي عليه السلام: أنه جلس يقسم مالا بين المسلمين، فوقف به شيخ كبير، فقال: يا أمير المؤمنين، إني شيخ كبير كما ترى، وأنا مكاتب فأعني من هذا المال. فقال: والله ما هو بكديدي، ولا ترائي من الوالد، ولكنها أمانة أُرعيته، فأنا أؤديها إلى أهلها. ولكن اجلس. فجلس والناس حول أمير المؤمنين، فنظر إليهم، فقال: رحم الله من أعان شيخا كبيرا مثقلا، فجعل الناس يعطونه»^(١).

[من الكلام (٢٣٥)]

قال الجلالي: وردت مقاطع من النص فيما اروييه عن الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) في «الأمالي»، قال: أخبرني أبو نصر محمد بن الحسين المقرئ البصري قال: حدثنا عبد الله بن يحيى القطان قال: حدثنا أحمد بن الحسين بن سعيد القرشي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الحسين بن مخارق، عن عبد الصمد بن علي عن أبيه، عن عبد الله بن العباس عليه السلام قال: لما توفي رسول الله ﷺ تولى غسله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والعباس معه والفضل بن العباس، فلما فرغ علي عليه السلام من غسله كشف الأزار عن وجهه ثم قال: بأبي أنت وأمي طبت حيا وطبت ميتا، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والأنباء، خصصت حتى صرت مسليا عن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء ولولا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع لانفدنا عليك ماء الشؤن، ولكن ما لا يرفع كمد وغصص محالفان، وهما داء الاجل وقلاً لك، بأبي أنت وأمي، اذكرنا عند ربك،

(١) دعائم الاسلام؛ للقاضي النعمان المغربي ١: ٣١٠.

واجعلنا من همك». ثم أكب عليه فقبل وجهه ومد الأزار عليه.^(١)

[الكلام (٢٣٨)]

قال العرشي: «رواها ابراهيم الثقفي في كتاب الغارات لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٩٦ بتفصيلها».^(٢)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص في الخطبة (٢٦)، وراجع ايضاً قوله عليه السلام: «جفاة طعام» في النص (٢٨١) في كتاب الغارات (١: ١٣١٢). (انتهى).^(٣)

[الخطبة (٢٣٩)]

قال العرشي: «رواها الحراني في تحف العقول (٥٣) والكليني في كتاب الروضة من فروع «الكافي» [ج ٣ ص ١٨٠]. (انتهى).^(٤)

قال الجلاي: وردت مقاطع من النص فيما ارويّه عن الكليني (ت / ٣٢٨ هـ) في اخر الخطبة (١٤٧)، فراجع.

(١) الأُمالي؛ للشيخ المفيد: ١٠٢ - ١٠٤.

(٢) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٣) راجع: استناد نهج البلاغة.

(٤) راجع: استناد نهج البلاغة.



The Open School

P.O. BOX 53573

CHICAGO, IL 60653-0398